كتاب غرة اللامعة في اوصاف النبي عليه السلام وسيرته

١٧

٤٨٧

كتاب الغرة اللائحة في مسند الفاتحة

في الخطوط الصمدية والمناهج المحمدية

تأليف الفقيه

الإمام العالم العلامة أبي عبد

الله محمد ابن علي المعروف بابن

المصري التوزري رحمه الله

تشرف بملكه العبد الفقير الى الله تعالى عطا الله بن محمد المجد الاسعردي عفى الله عنه بالقاهرة المحروسة عام ست وتسعين

الحمد لله على نعمه

الملك لله دخل في ملك عبد الكامل حبشي آغاء دار السعادة الشريفة [illegible]

من النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان ساحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر الأكمل الا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير وفقه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير

حرره الفقير اليه سبحانه وتعالى محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين عفى له

وكتب الفقير الى الله ... الحبيشي على فضله ...

بسم الله الرحمن الرحيم — وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

الحمد لله الملك الخلاق ● مستوجب الحمد على الاطلاق ● ومبرز ودائع البدائع ونفائس
الاعلاق ● ومسبغ النعم الدائمة الادفاق ● والمنن الزاكية مع الانفاق ● ومظهر اياته في الانفس
والافاق ● والصلوة على سيدنا محمد المبعوث لينذر يوم التلاق ● ويتمم مكارم الاخلاق
ومجدد رسم الحنيفية بعد الدروس والاخلاق ● وعلى اله واصحابه نجوم الهدى الباهرة الاشراق ●
الطاهرة الذوات والصفات والاعراق ● صلاة يدوم لالاؤها ويتكرر الاؤها بالعشي والاشراق

وبعد فان الله عز وجل خلق الخلق ببديع قدرته ● ودبرهم بلطيف حكمته ● وشملهم بالطاف
رحمته ● وجعلهم يرتعون في اصناف نعمته ● وعلم احتياجهم الى مزيد لم عليه ● ويهديهم السبيل
اليه ● فبعث رسلا كراما اصطفاهم ● وخلصهم من شوائب البشرية وصفاهم ● فبلغوا رسالات
ربهم واذوها ● وارشدوا الامم وهدوها ● واخبارهم عز وجل ما عنده بعد ان بينوا السبل واوضحوها ●
ونشروا الاحكام وشرحوها ● واخذوا على اممهم العهد الذي ضمن الايمان بخاتم الانبيا عليه السلام
ونصرته ● ان ادركوا وقته المبارك وعصره ● وسلك على جادتهم من اتباعهم من سبقت له العناية ●
وصحبته الهداية ● ثم خلفت خلوف غيروا وبدلوا ● ونكثوا عن المحجة البيضاء وعدلوا ●
حتى درست معالم الحنيفية وخفي منارها ● وطمست سبلها البينة وجهلت اثارها ● وعدمت
سرجها النيرة وخمدت انوارها ● وعمت العماية اقطار المعمورة واكنافها ● وشملت الجهالة
انواع الخليقة واصنافها ● فلا عالم بسبيل هدى ● ولا عادل عن طريق ردى ● بل تراكمت
الظلم وترادفت ● وتكلفت الضلالات على القلوب وتضاعفت ● فمن اتباع جائر
تغر

2

تغر ● وعباد اوثان لا تشفع ولا تضر ● واخرين بعبادة الكواكب كلفوا ● ولاعتقاد
منفعتها الفوا ● واصناف شغفوا بايقاد النيران وتعظيمها ● وشغلوا بتقريب القرابين لها
وتكريمها ● وطوائف منتحلين ملل لا حرفوها ● وزعموا انهم عرفوها وما عرفوها ● وكلهم حيران له
اصحاب ● وظمان لم يجده سحاب ● الا بقايا كانوا على قدم الصدق ● ولا تخلو الارض
من قائم لله عز وجل بالحق ● كقس وصاحب سلمان ● وامثالهما من منح الايمان والامان ●
ثم تدارك الله عز وجل العباد بلطفه ورفقه ● واختار لهدايتهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
خيرة خلقه ● اصطفاه من اشرف القبائل نسبا ● واكرمهم منزلة وحسبا ● وتولى سبحانه
تعليمه وتاديبه ● وتخليصه عليه السلام وتهذيبه ● فشق صدره عن قلبه ونقاه ● واسرى
به الى الملا الاعلى وارقاه ● حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام ● وفرض عليه
الصلوات الخمس وهي عماد الاسلام ● وخص بانبائه الروح الامين ● وارسله رحمة
للعالمين ● وايده من المعجزات باوضحها واجلاها ● وامده من الايات باكرمها
واعلاها ● وحباه من اللغات باعذبها واحلاها ● وانزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ●
ولا تشبع منه العلماء ● واثره بشرف الشفاعة ● والمعجزة الباقية الى قيام الساعة ●
وهو القران العظيم ● والذكر الحكيم ● الذي لا يخلقه الرد ● ولا يدرك عجائبه الاحصا
والعد ● لا تحصر دلائل اعجازه ● ولا تبلغ حقائق حقيقته ولا مجازه ● اعجز البلغاء وقد شمخت
انوفهم وسمت ● وزخرت بحار بيانهم وطمت ● تليت عليهم اياته فخرسوا ● ويئسوا من
المعارضة وابلسوا ● ونادى على اصنامهم بالعجز وكانهم لا يسمعون ● صم بكم عمي فهم لا

يرجعون • فبلغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه • ودعا الى طاعته سبحانه وحبه • فاذهب
الله عز وجل غياهب الاظلام • واوضح قواعد الاسلام • واختار له سبحانه اصحابا بلغوا في
صحبته المدى • وجاهدوا فيمن خالفه الاحبة والعدى • هجروا في طاعته اخوانهم واباهم •
وقتلوا اقرباهم واحبابهم • اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه • ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه • هم الذين يغدون في
طاعة ربهم ويروحون • اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون • اختارهم
الجليل جل جلاله لصحبته عليه السلام ونصرته • ومنحهم من الفضايل ما تشذ الافهام عن
حصره • ونصره بالرعب مسيرة شهر • وفتح عليه في الوقت القريب ما يفتح في دهر •
واذل له ملوك الارض دون ان ينالهم عليه السلام بسطوة وقهر • فجاهد صلى الله عليه وسلم
اعداء الحق حتى دخل الناس في دين الله افواجا • ووردوا مشرع الايمان فرادى وازواجا •
ثم ان الله عز وجل جعل دلايله في كل عصر لايحة • وانوار الهداية والارشاد بايجة •
وبواعث الرجا والخوف غادية ورايحة • فتارة تظهر لوامع في القلوب باهرة الضيا
واحيانا كرامات ظاهرة على ايدي الاولياء • واوقاتا تبرز قوارع دامغة لرؤوس الاعداء •
فقلوب الاتقيا في كوثر الحياة شارعة • ووفود الخيرات الى اكف الاولياء مسارعة • ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة • الى منامات صادقة • وعلامات بصحة النبوة ناطقة •
ودلايل يسوقها القدر الى مجاريها • وتطلعها القدرة بعد خفايها وتواريها • ومعان
اخر لا يدرك حقيقتها سوى الا ابادبها • فدلايل هذا النبي الشريف صلى الله عليه وسلم واضحة البرهان لايحة

للعقول

للعقول والاذهان • تشهد بها جوارح الانام • واحوال اليقظة والمنام • وما يعقلها
الا العالمون • ولا يجهلها الا الذاهبون في رتبة الغفلة النايمون • يمرون عليها وهم
عنها معرضون • لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون • فالسعيد من وفق لاتباعه
صلى الله عليه وسلم وطاعته • ورزق لزوم عترته الهادية وجماعته • وحظي يوم القيمة
بقربه عليه السلام وشفاعته • وقد ظهر في هذا العصر من دلايل نبوته عليه السلام
ما برز للعيان • واغنى بواضح الانوار عن البيان • كنار الحجاز التي تيسرت بها الرفاق •
وامتلات بذكرها الافاق • فانها كانت اية كبرى • واضاءت كما قال عليه السلم
اعناق الابل ببصرى • الى غير ذلك من الايات التي ياتي ذكرها ان شا الله تعالى في هذا الكتاب
في الباب السابع من الابواب • ومما من به في هذا الوقت اللطيف لما يشا • ومدبر الجنين
حين تجنه الاحشا • ان ابدى بمدينة توزر في هذا العام الذي هو عام اربعة وسبعين وستمية
اية زادت القلوب تثبيتا • واورثت اعداء الله خزيا وتبكيتا • فاظهر سبحانه ليلة غرة رجب
غرة هي اعجب عجب • ولد بها جدي فات الاجدى • وملا بالبركات القلوب والايدي
وقد كتبت اقلام القدرة بغرته البيضاء • المالية بنورها اكناف الفضا • اسم سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم الشفيع يوم العرض • المحمود في السماء والارض • بخط واضح الدلالة
شامخ الجلالة • يشهد بباهر الاعتناء • ويفاخر الشرف والسناء • ويعاطر الذكر الجميل
والثناء • فاستبشرت القلوب بالحظ الامجد • وابتغت النفوس بالحظ الاسعد •
واستلمته الافواه استلام الحجر الاسود • وتباديه في الصدور ما لهذا الشهر الحرام •

الذي هو اول الشهور الكرام من التعظيم الكامل والاحترام اما انه للفرد من الاشهر
الحرم المخصوصة بالخيرات العلية المعظمة في الاسلام والجاهلية كانت العرب
فيه تقلع عن جماحها وتنزع اسنة رماحها وتسمّيه منصل الأسنّة لذلك وتسلك فيه
من المسالمة السبل البيّنة والمسالك فلا تروع فيه ببيض العدو ولا وشيجه ويلقى الرجل
قاتل ابيه فلا يهيجه ثم اكد حرمته الاسلام ودل ان اعتقادهم من بقايا ملة ابرهيم
عليه السلام ولما وجدت في هذا الشهر المبارك هذه الدرة وطلعت في غرته النيرة
هذه الغرة ايقظت من السنة واطلقت من عقل الالسنة واعربت عن فضيلة
هذا الشهر ومزية هذه السنة فوجدت الالسنة مكان القول ذا سعة فانبعثت
واخذت في تحصيل الاجر بتخليد هذا الفخر وبعثت *فيما قلته في وصف هذه الدرة الفاخرة* (الباهرة)
والغرة الزاهرة -

جدي غدا كالجدي اشرق نوره ومحله فوق السماك الاعزل
رقمت يد الاقدار صفحة وجهه رقما بديعا باسم اكرم مرسل
فتلألأت انواره فشعاعها كالشمس قد حلت باشرف منزل
ما ابصر الاسم الشريف موحد الا وقبل منه خير مقبل
رويت به الباب فكانما وردت به الافواه اعذب منهل
يسر القلوب وشد عقد يقينها وازاح عنها كل ريب مشكل
ضاءت به ارض الجريد واصبحت تختال في حلل البها الاجمل

أنيتت

أنيتت بغرته نفوس جميعنا واستقبلت ايام سعد مقبل
في غرة الشهر المبارك اشرقت فالناس بين مكبر ومهلل
عجب اتى رجب به فتلألأت بركاته في قلب كل مؤمل
فكأن من قد قال عش رجبا ترى عجبا عناه بالزمان المجمل
يا غرة كالصبح نمنم حسنها خيط من الليل البهيم الاليل
احلى واشهى في النفوس من الكرى والذ من عذب الزلال السلسل
هو ناظر في عين انسان السنا تجلو العمى عن كل طرف مجتل
هو خط انعام على لوح الهدى لمؤمل نعماه او متأمل
هو تاج احسان على راس العلا احسن بتاج بالسنا مكلل
هو روض اقبال بدت حسنه باجل من زهر النجوم واجمل
كافورة نفثت بمسك اذفر وبعنبر عطر الشذا ومندل
سبح بدا في لؤلؤ متلألئ طرز على ثوب الجمال الاكمل
طرزته ازدان الزمان باسره في الحال والماضي وفي المستقبل
زهرت به الدنيا مع الاخرى وقد شهدت به اي الكتاب المنزل
نشرت ردا الامن وانفرجت بها كرب النفوس من السقام المعضل (موخر)
بشرى اتت باسم النبي محمد كالغيث اقبل في الزمان الممحل
اضحت بها الامال صدقا واغتدى فتحا بها باب الرجا المقفل

اسم على العرش العظيم وباب دار الخلد بالأفق العلي

اسم غدت جدواه أنفع للورى وأجل من جدوى الغمام المسبل

قرن الإله به اسمه وكفى به فخرا على كل المفاخر يعتلي

بالحمد خص مكررا ومؤكدا وبكل وصف في المحاسن أكمل

يا نورز الغراء فزت بغرة غراء في زمن أغر محجل

شرف خصصت به وفضل باهر يبقى على مر الزمان الأطول

جرت ذيول الدهر من فرح به جر الفتاة فضول برد مسبل

أعطيت ما لم يعط غيرك مثله شكرا لمولاك العلي المفضل

قد حزت فخرا لا يبيد طرازه وظفرت بالشرف الرفيع المعتلي

هذا طراز الحسن لا ما قاله حسان في حسن الطراز الأول

وقد بعث ذلك على تصنيف كتاب ذكرت فيه ما دل على التفضيل والأثرة مما خطته بأمر الله عز وجل أقلام القدرة وأتبعت ذلك بما يلحق به ويتعلق بسببه وسميته بالغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الخطوط الصمدية والمفاخر المحمدية ورتبته على عشرة أبواب ورجوت من الله عز وجل فيه أحسن جزاء وأجزل ثواب بمنه وفضله وكرمه وطوله

وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول

في ما دل على المكانة العلية من خطوط القدرة الأزلية

الباب الثاني

في ما دل على المنزلة في الكتب المنزلة

الباب الثالث

في ما جاء من الأخبار عن الربانيين والأحبار

الباب الرابع

في ما جاء عن القسيسين والرهبان من واضح الدلالة والبرهان

الباب الخامس

في ما جاء من الأدلة المعربة عن العرب العاربة والمستعربة

الباب السادس

في ما جاء عن الكهان والهواتف من الجان

الباب السابع

في دلالة جوامع الكلم وجواهر الحكم

الباب الثامن

في دلالة خلقه الكريم وخلقه العظيم

الباب التاسع

في ما دل من الخطوط المرقومة والصور الظاهرة والمكتومة

الباب العاشر

في دلائل الكرامات وصوادق المنامات

الباب الأول في ما دل على المكانة العلية من خطوط القدرة الالهية

إعلم ان هذا الباب على ثلثة اقسام الاول ما خط في العالم العلوي ولم يبرز في
هذا العالم ۝ والثاني ما خط في العالم العلوي وبرز في هذا العالم ۝ والثالث ما خط في
هذا العالم اما القسم الاول فمنه ما خط على العرش وقبالة العرش ومنه
ما خط في اللوح المحفوظ ومنه ما خط على باب الجنة وفي الجنة اما ما خط على
العرش فجا انه خط على ساق العرش وجا انه خط على العرش مطلقا اما ما خط
على ساق العرش قال الاستاذ ابو اسحق الثعلبي رحمه الله في تفسيره عن
بعضهم في معنى قوله عز وجل فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه قال هي ان
ادم عليه السلام نظر الى العرش فرأى على ساقه مكتوبا لا إله الا الله
محمد رسول الله فقال يا رب اسئلك بحق محمد ان تغفر لي قال الاستاذ ابو
اسحق رحمه الله ودليل هذا التأويل ما اخبرنا ابو نصر النعمان بن محمد بن النعمان
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو العباس محمد بن احمد بن علي الامام حدثنا ابو بكر
محمد بن الفضل اصلا حدثنا ابو الفضل الباهلي حدثنا الازهر بن جعفر التميمي
اصل قال ابو عاصم النبيل عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه عن علي

ابن

ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي 6
رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الفاروق وأما ما جا انه خط على العرش فذكر الفقيه الاجل الامام
الصالح ابو محمد الشقراطيسي التوزري رحمه الله في الاعلام بسند بلغ فيه عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال لما اذنب ادم عليه السلام الذنب الذي
اذنب رفع رأسه الى السماء فقال اسئلك بحق محمد الا غفرت لي فاوحى الله
تعالى اليه وما محمد ومن محمد فقال تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك
فاذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن
جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك ۝ وقد ذكر ذلك ايضا الفقيه القاضي ابو الفضل
عياض في الشفاء في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وسياتي ذكر ذلك إن شا الله
عز وجل وأما ما خط قبالة العرش فذكر ابو عمارة وثيمة بن الفرات رحمه الله في
كتاب قصص الانبياء عليهم السلام بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال ان الله
تبارك وتعالى خلق العرش فوضعه على الماء فذلك قوله تبارك اسمه وكان عرشه
على الماء ثم كان خلق العرش قبل الكرسي بالفي عام خلقه وله الف لسان يسبح الله عز
وجل بكل لسان الف لون من التسبيح والتحميد ۝ وكتب في قبالة العرش انا الله
لا اله الا انا وحدي لا شريك لي ومحمد عبدي ورسولي فمن امن برسلي وصدق وعدي

(جنتي)
ادخلته الجنة وأما ما خط في اللوح المحفوظ فمنه ما جاء في الكتاب العزيز
وهو غلبة نبينا لأعدائه ومخالفيه وكذلك سائر الأنبيا عليهم السلام ودل على
ذلك قوله عز وجل كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز جا في التفسير
كتب ذلك في اللوح المحفوظ ومنه ما ذكره صاحب كتاب قصص الأنبيا عليهم
السلام عن ابن عباس قال صدر اللوح المحفوظ لا إله إلا الله دينه الإسلام ومحمد
عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق وعده واتبع رسله أدخله الله الجنة وأما ما خط
على باب الجنة فذكر الفقيه الإمام أبو محمد رحمه الله في الأعلام عن ابن وهب عن
ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مكتوب على باب الجنة إني أنا
الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها وأما ما خط في الجنة فقال
القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله في الشفاء وحكى أبو محمد المكي وأبو الليث السمرقندي
وغيرهما أن آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحرمة محمد اغفر خطيئتي ويروى
تقبل توبتي فقال له الله من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا
لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك
عليك فتاب عليه وغفر له قال وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات وفي رواية أخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك
فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من
ذريتك

(غيرهم)
ذريتك ولولاه ما خلقتك فهذا آخر القسم واعلم أني أختمه بحكاية ذكرها بعض
الفقراء القادمين علينا مدينة توزر حرسها الله من المشرق تتعلق ببعض ما جرى ذكره
في هذا القسم والله المستعان قال حضرت يوما عاما بالمشرق وحضره والي البلد وكان
له خديم نصراني فقال للوالي أريد رجلا من المسلمين أناظره فإن غلبني أعطيته ثلثماية
دينار وإن غلبته أعطاني ثلث ماية دينار قال فذكر ذلك والي البلد لأهل السماع
فاجتمع الفقرا واختاروا منهم رجلا لمناظرته وكان رجلا صالحا فتقدم إلى الوالي
فقال وقال له ثلث ماية دينار إذا وقف أحدنا في طرق السوق وطلبها تدفع إليه في
الحال وإنما أناظره على أني إن غلبته دخل في ديني وإن غلبني دخلت في دينه فاتفقا
على ذلك فقال له النصراني أسألك عن ثلث مسائل وتسألني عن ثلث مسائل فقال نعم
فقال النصراني خزاين الله لا تنفد وأريد أن تريني لهذا مثالا في هذا العالم يدركه
حسي ويعقله عقلي ولا أشك ولا أتمارى فقال المسلم هذه المسألة الصبيان
عندنا يلعبون بها وقام إلى وسط المجلس فأخذ شمعة ووضعها بين يدي (الوالي) وقال له نار
في بلادك لا يبقى أحد إلا يسرج من هذه الشمعة وإن نقصت شيا فأنا أغرمه فقال
النصراني شجرة في الجنة تظل أهل الجنة كلهم ولا يبقى في الجنة بيت إلا دخل
غصن منها فيه وأريد أن تريني مثال ذلك في الدنيا فقال الشمس فإنها تستر
الأرض كلها ولا يبقى بيت ولا موضع إلا دخلته فقال أهل الجنة يأكلون
ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون وأريد أن تريني لهذا مثالا في هذا العالم

قال الجنين في بطن امه ثم سأل المسلم النصراني فقال انتم تقولون ان الجنة لكم
واذا كان كذلك فهي داركم وكل من له دار يكون عارفا باوصافها
وما فيها واريد ان تعرفني ما المكتوب على باب الجنة قال فسكت النصراني
وانقطع ولم يحر جوابا وطولب بالدخول في الدين فلم يزل يرغب الى الوالي
حتى افتدى بمال واعلم ان الظاهر من سكوت النصراني انه كان
عجزا وقال بعض اصحابنا الفقهاء انما سكت لانه علم ان المكتوب على
باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله فخاف ان يخبر بذلك فيلزمه
الاقرار بالتوحيد والرسالة **واما القسم الثاني** وهو ما خط في العالم
العلوي وبرز في هذا العالم فمنه ما خط في الالواح لموسى صلوات الله
على نبينا وعليه وسلامه ومنه ما خط في الزبور ومنه ما خط في خاتم
سليمان عليه السلام ومنه ما خط في تميمة النبي صلى الله عليه وسلم ومنه
ما خط في الالواح وفي مختصر تفسير الطبري رحمه الله عن ابي المغيرة سألت
سعيد بن جبير عن الالواح من اي شيء كانت قال كانت من ياقوتة كتابه
الذهب كتبه الرحمن بيده فسمع اهل السموات صريف القلم وهو يكتبها
وعن مجاهد قال كانت الالواح من زمردة خضراء قال وزعم
بعضهم ان الالواح كانت لوحين فان كان الذي قال فانه قيل وكتبنا له
في الالواح وهما لوحين كما قيل فان كان له اخوة وهما اخوان

يعني

يعني انه من الجمع الذي يراد به التثنية ● واعلم ان قوله فيسمع اهل السموات
صريف القلم وهو يكتبها دليل على انها كتبت في العالم العلوي كما تقدم فان قلت هذا
يعارضه ما وقع ايضا في مختصر تفسير الطبري رحمه الله من ان الله جل ثناؤه لما كتب
لموسى في الالواح التوراة ادناه منه حتى سمع صريف القلم ٥ وحكى مثل ذلك عن سعيد بن
جبير ٥ وذكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كتب الله عز وجل الالواح لموسى
وهو يسمع صرير الاقلام في الالواح قلت يحمل ما ذكره وما حكاه عن سعيد بن جبير
على ان الله عز وجل اعطى موسى عليه السلام من قوة السمع ما ادرك به وهو في
هذا العالم صريف القلم في العالم العلوي وبه يصح الجمع بين القولين وعليه يحمل
ما جاء عن علي رضي الله عنه واذا عرفت ذلك فاعلم ان الذي خط في الالواح هي
التوراة كما تقدم وفيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
وامته جعلنا الله منهم بمنه ورحمته وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز وفي الاحاديث
والاخبار ما يرد في هذا المكان وفي غيره ان شاء الله عز وجل اما ما جاء في الكتاب
العزيز فقوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ٥ وقوله
جل جلاله محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا
يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم

في التوراة وهذا على قول من راى ان الوقف هنا وما بعد هذا من صفتهم في الانجيل
وكذلك ايضا على قول من راى ان الوقف في قوله في الانجيل فانه وصف اشتملت
عليه التوراة والانجيل وانما يختلف الحكم في الانجيل ٥ فان جعلنا الوقف في
قوله في التوراة كان ما بعد ذلك صفتهم في الانجيل وان جعلنا الوقف في قوله
في الانجيل كان قوله جل جلاله كزرع اخرج شطاه في حكم الاستيناف اي هم كزرع
واما ما جاء من ذلك في الاحاديث فمنه ما جاء في صحيح البخاري عن عطا بن يسار
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم له الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا ٥ والصخاب
في هذا الحديث الذي يرفع صوته ويقال بالصاد ايضا واما ما جاء من ذلك في
الاخبار فمنه ما جاء في مختصر تفسير الطبري رحمه الله عن قتادة مما ذكره
موسى عليه السلام في مناجاته قال اي رب اني اجد في الالواح امة خير امة
اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم امتي قال تلك امة
احمد ٥ قال اي رب اني اجد في الالواح امة هم الاخرون اي الاخرون في

الخلق

بلغ مقابلة

الخلق السابقون في دخول الجنة رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد ٥ قال رب
اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلكم يقرؤون
كتابهم نظرا حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وان الله عز وجل
اعطاكم ايتها الامة من الحفظ شيئا لم يعطه احدا من الامم قال رب اجعلهم
امتي قال تلك امة احمد ٥ قال رب اني اجد في التوراة امة صدقاتهم ياكلونها
في بطونهم ثم يوجرون عليها وكان من قبلكم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه
بعث الله عز وجل نارا فاكلتها وان ردت عليه تركت فاكلتها السباع والطير
وان الله عز وجل اخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم امتي قال
تلك امة احمد ٥ قال اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبع مائة رب اجعلهم امتي قال
تلك امة احمد ٥ قال رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة لم
تكتب عليه حتى يعملها فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي
قال تلك امة احمد ٥ قال رب اني اجد في الالواح امة هم المشفعون والمشفوع
لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال فذكر ان نبي الله موسى نبذ الالواح
وقال اللهم اجعلني من امة احمد ومنه ما ذكره ابو الحسن علي بن ربن الطبري
رحمه الله في كتابه المصنف في الرد على النصارى قال ان في التوراة جاء الله
من طور سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ٥ قال

ابو الحسن رحمه وهذه نبوة بينة على موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فان الله
عز وجل انزل التوراة على موسى في طور سيناء وانزل الانجيل على عيسى في جبل
ساعير وهو بالشام وانزل القران على محمد في جبال فاران وهي مكة وسيان
ما جاء من غير هذا في التوراة بعد ان شا الله عز وجل **واعلم** ان قوله تعالى
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اشارة الى هذه المواضع
الشريفة التي ظهر منها دينه وشرايعه فان معنى قوله جا الله جا دينه ووحيه
ورسله فالتين والزيتون اشارة الى بلاد الشام التي بها ساعير واليه الاشارة في
التحقيق وطور سينا هو طور سينا والبلد الامين مكة زادها الله شرفا نبه على
ذلك صاحب كتاب الفصول وذكر ان في التوراة ان اسمعيل يسكن برية فاران
ونشا بها وتعلم الرمي **واما ما جاء من ذلك في الزبور** فمنه ما جاء في الكتاب العزيز
ومنه ما لم يحك في الكتاب العزيز اما ما جاء في الكتاب العزيز فهو قوله جل
ثناؤه وتقدست اسماؤه ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وجل المفسرين على انهم امة محمد صلى الله عليه وسلم **فان**
قلت اختلف المفسرون في الزبور في هذه الاية فقيل المراد به زبور داود عليه
السلام وقيل المراد كتب الانبياء عليهم السلام **قلت** الظاهر ان المراد بالزبور
زبور داود عليه السلم وكيف ما كان التقدير فالدليل قايم فانه ان كان
المراد الزبور فذلك هو الغرض وان كان المراد كتب الانبياء عليهم السلم

فان المقصود حاصل فان زبور داود احد تلك الكتب فهو داخل في العموم
واعلم ان الظاهر ايضا من الارض في الاية انها الارض المعروفة وهذه الاية من معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم فانها تضمنت الاخبار بغيب وهو وراثة امته صلى الله عليه وسلم
للارض وقد ظهر ذلك على نحو ما دلت عليه الاية وما قيل في هذه الاية ان المراد ارض
الجنة فهو خلاف الظاهر واختلف ايضا في الذكر فقيل ان المراد به الذكر الذي في السماء
وقيل المراد التوراة وقيل المراد المواعظ التي في الزبور وهذا القول الاخير هو الظاهر
والله اعلم بمراده **واما** ما لم يحك في الكتاب العزيز فياتي ذكره في الباب الثاني ان
شا الله عز وجل **واما** ما خط في خاتم سليمان عليه السلام فقد ذكر صاحب كتاب قصص
الانبياء عليهم السلام عن وهب بن منبه ان خاتم سليمان عليه السلم اتي به من السماء له
اربع نواح مكتوب في ناحية منه لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وفي الثانية اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشا وتعز من تشاء
وتذل من تشاء وفي الثالثة كل شيء هالك الا وجهه وفي الرابعة تبارك الاهي لا شريك له
له نور بيلالا اذا ختم به اجتمع اليه الجن والانس والطير والوحش والرياح والسحاب والشياطين
واعلم اني رايت في بعض الاحاديث ما يدل على ان الانجيل انزل صحفا على عيسى صلوات
الله على نبينا وعليه وسلامه وعلى هذا يجب ذكر ما جا فيه ايضا في هذا الباب الا اني
اخرت ذلك الى الباب الذي بعد هذا فيذكر ان شا الله عز وجل **واما** ما خط في
التميمة فقد ذكر الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام بسنده عن الحبشاني قال رايت امنه

بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في منامها يقال لك انك حملت بخير البرية وسيد
العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا فان اسمه في التوراة حامد ه وفي الانجيل احمد وتعلقي
عليه هذه التميمة قالت فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب ه مكتوب فيها هذه
التميمة ه اعيذه بالواحد ه من شر كل حاسد ه وكل خلق رايد ه من قايم او قاعد ه عن
السبيل عاند ه على الفساد جاهد ه من نافث او عاقد ه وكل خلق مارد ه ياخذ بالمراصد ه
في طرق الموارد ه انهبتهم عنه بالله الاعلى ه واحوطه منهم باليد العليا ه والكف التي
لا ترى ه يد الله فوق ايديهم ه وحجاب الله دون عاديهم ه لا يطوروه ه ولا يضروه ه
في ليل ولا نهار ه ولا مقعد ولا قيام ه اول الليالي واخر الايام واعلم ان المراد بالرايد
هنا الطالب ه والعاقد المخالف ه ومعنى انهبته اكف واصد ه والعادي الظالم ويطوروه
يقربوه ه واذا عرفت ذلك فاعلم ان هذه الصحيفة تحتمل وجهين احدهما ان تكون
انشيت في العالم العلوي وخطت فيه ثم ابرزت الى هذا العالم فتكون من هذا القسم
والثاني ان تكون انشيت في هذا العالم وخطت فيه فتكون من القسم الثالث ه والذي
يسبق الى النفس هو الاحتمال الاول والله اعلم ه ويلحق بهذا القسم ما حكى في بعض التعاليق
عن ابي الربيع التنوخي رحمه الله قال قدم علينا رجل من طلبة المغرب وكان وصوله
من المشرق فاخبر انه سمع وهو بالمشرق انه اصاب الناس بارض خراسان ريح كريح عاد
ثلثة ايام فهدمت البنيان وقصفت الاشجار واهلكت الناس الا من اوى الى
مغارة او نزل في بير ثم خرج بعد ذلك من بقى من الناس فاجتمعوا في صعيد واحد فنظروا

الى

11

الى وحوش الارض قد اجتمعت في موضع واحد فاتبعوها الى ان وصلوا الى جبلين فوجدوا
حجرا قد وقع من السماء وله ضياء كضياء القمر وفيه مكتوب بخط ابيض من جهاته
الاربع ه في الجهة الاولى مكتوب يقول الله انا الله لا اله الا انا قاصم الجبابرة وباسط
الرزق الفعال في ملكه ما يريد ه وفي الجهة الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله
من اعتصم بها نجا ه وفي الجهة الثالثة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج
النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ه وفي
الجهة الرابعة ه انا الله يقول الله ويل لاهل الارض ما بين سبع الى تسع قال فمضيت الى ارض
خراسان واقمت بها جمعة وشاهدت الحجر بعيني وقرات ما كان فيه وحفظته واعلم
ان هذا الحجر يحتمل ايضا وجهين احدهما ان يكون انشى في العالم العلوي وخط فيه فيكون
من هذا القسم ه والثاني ان يكون انشى في هذا العالم في السحاب او بين السماء والارض
وخط هنالك فيكون من القسم الثالث ويشبه بهذه الحكاية ما رايته مكتوبا
في اخر كتاب طبقات العلماء لعبد الملك بن حبيب رحمه الله يتضمن ان رقعة وصلت من الاندلس
الى مدينة تورز ومنها الى مدينة قفصة سنة ثلث وثمانين وان كتابه في جمادى الاخرة
وفيها ذكر ما جرى بخراسان قال جرى عليهم ريح عظيمة تشبه ريح عاد حتى تزلزلت الجبال
وخربت المنازل وفرت الجبال وظنوا انه واقع بهم فبينما هم كذلك نظروا الى نور عظيم
قد نزل على قنة الجبل فتزلزلت الجبال واجتمع الناس الى ذلك الجبل فوجدوا صخرة بيضاء فيها

ثلثة أسطر الأول منها بسم الله الرحمن الرحيم انني انا الله لا اله الا انا فاعبدون ۝ والثاني محمد
رسول الله القرشي ۝ والثالث احذروا واقعة الاعور فانها تكون ما بين سبع الى تسع وان
الساعة قريب ۝ وفي عرض الكتاب ثلثة أصابع وطوله ذراع وقيل انه اقام عليهم سبعة
أيام ۝ فالله الله عباد الله ۝ وفي آخر هذه الحكاية مكتوب وكتب محمد بن عبد الله بن
أبي بكر بن ابي زيد بخطه من مدينة تفصة في الوقت المورخ وحسبي الله ونعم الوكيل

وأما القسم الثالث وهو ما خط في هذا العالم فمنه

ما ظهر في السماء ومنه ما ظهر في الأرض أما ما ظهر في السماء فما ظهر بمدينة توزر حرسها
الله بعد ظهور هذا الجدي المبارك وذلك شهاب كبير اضاءت منه الأرض سحرا
واشرقت كاضاءة القمر او الشمس تحت السحاب ثم غاب وبقيت منه آثار نور مكتوب
فيها محمد بخط بين يحققه كل من تامله ونبه عليه وأما ما ظهر في الأرض فمنه ما
خط في الحيوان ۝ ومنه ما خط في النبات ۝ ومنه ما خط في الجماد أما ما خط في
الحيوان فضربان احدهما في العاقل ۝ والثاني في غير العاقل ۝ اما العاقل فاما في
الظاهر واما في الباطن ۝ اما الباطن فما خطته يد القدرة من الايمان في قلوب
المؤمنين ۝ ويدل على ذلك قوله جل جلاله أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم
بروح منه ۝ ولذلك ترى الشيخ الكبير والطفل الصغير وغيرهما من الذكور
والاناث يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال عند القيام
والقعود وابتدا الحركات وابتدا الاعمال واختتامها ومهما عثر الانسان منهم او

أصابه

أصابه أمر قال محمد صلى الله عليه وسلم وذلك دليل كتبه في القلوب ۝ ولذلك يتساوى
حال المؤمن في ذلك في اليقظة والمنام أخبرني شيخنا الإمام الفقيه الصالح
ابو عبد الله الطولقي رحمه الله انه راى في المنام كانه بموضع مشرف يخاف السقوط
منه قال فوقع في نفسي ان الذي ينجي من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعلت اقول
في المنام محمد محمد محمد وانا انزل من ذلك المكان في الهواء قليلا قليلا حتى استقرت
قدماي على الأرض ۝ وذكر بعض طلبته انه راى كان لصا وقف على باب داره وكانه
اخذ مفتاح الدار او يريد اخذه قال فخرجت وقبضت عليه وصار في ظني انه
شيطان فشددت عليه وانا اصيح وقلت كيف اتركه وقد امكنني وكان على صورة
رجل ثم قلت لأي شيء لا افك رقبته فلويت رأسه فعاد رأسه وعنقه في يدي رأس
كلب وعنق كلب اسود فاردت قتله فوجدت في يدي سكينا فهممت ان انادي
باسم موسى عليه السلام فقلت في نفسي كيف اترك النبي صلى الله عليه وسلم تسليما
وانادي باسم موسى فقلت يا رسول الله مرة او مرتين وقطعت رأسه بذلك السكين
ومسحت دمه على عنقه وانتبهت فاولت انه كان شيطانا ورجوت ان ينصرني الله
عز وجل على الشيطان ببركة النبي صلى الله عليه وسلم فإن قلت قوله عز وجل أولئك
كتب في قلوبهم الايمان انما هو في وصف من عادى من حاد الله ورسوله لا في وصف كل
المؤمنين قلت معاداة من حاد الله ورسوله وصف كل المؤمنين ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري عن ابي هريرة والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى

الكون احب اليه من والده وولده وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين **واما في الظاهر**
فاما على العموم او الخصوص اما العموم فرايت بعض المصنفين ذكر ان ابا مروان الطبني خرج
حديثا وذكره بسند بلغ به الى ابن عباس وابن عمر وابي سعيد الخدري وهو حديث اشتمل
على فوائد جمة ذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا الذي خلق الله ادم وذريته على
حروف هجاء اسمي فالراس والوجه بمنزلة الميم واليدان اذا عددتها بمنزلة الحاء والبطن
بمنزلة الميم والرجلان بمنزلة الدال فهو محمد ولا فخر صلى الله عليه وسلم وكنت قبل ان
اقف على هذا الحديث سمعت بعض علمائنا يقول ان كل انسان مكتوب فيه محمد فموضع الميم
منه الراس وموضع الحاء اليدان وموضع الميم السرة وموضع الدال الرجلان وبعد
الوقوف على الحديث فالمرجع اليه واما الخصوص فقال القاضي ابو الفضل عياض رحمه
الله في الشفاء وذكر السمطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله واما في غير العاقل فاما في
الباطن ايضا واما في الظاهر اما الباطن فما اخبرني به من اثق به من اهل المغرب
انه راى ببعض البلاد شاة ذبحت فوجد في بعض شحم بطنها مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله قال وانا رايته وقراته واسم النبي صلى الله عليه وسلم فيه مكرر قال
وذبحت عنز بمكان اخر وكان هناك رجل يعرف بالشبلي فوجد في بعض ما في
بطنها مكتوب الشبلي بسبب النبي فرفع ذلك حتى قراه الشهود وعاينوه وذهبت

العامة

العامة الى ذلك الرجل ليقتله ففر واتى بعد ذلك بكتاب عنايته ورجع الى البلد فقتله
العامة ولم نلتفت الى كتاب العناية واما الظاهر فما اخبر به بعض اهل بلدنا
انه كان بمدينة تونس حرسها الله قبل عام سنة ثمانية عشر وثمانمائة فاتى رجل
بجملة من صنف الحوت يقال له الفاجوج بقاف وجيمين فاجتمع الناس عليه وجعل
كل واحد منهم يختار ما يشتهيه فاخذ رجل حوتا فلما نظر اليه غشي عليه فلما افاق سئل عن شانه
فاراهم الحوت فاذا في جانبه الايمن مكتوب بالحمرة لا اله الا الله وفي الاخرى
محمد رسول الله وما اخبر به ايضا بعض الحجاج القادمين من المشرق في هذا الوقت
من اهل بلدنا ان هدية وصلت من اليمن الى الديار المصرية وفيها بقرة وحش بيضاء
وفي جانبها الايسر على راس فخذها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله
وما خط في غرة هذا الجدي المبارك الذي نبه وجوده على هذه العجايب وانا اذكر
بهذه الفوائد الغرايب **واما ما خط من ذلك في النبات** فقال الفقيه
ابو محمد رحمه الله في الاعلام وروت العلماء عن بعض من دخل بلاد الهند انه وجد
فيها وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر
صاحب كتاب مناقب الابرار عن ابراهيم بن شيبان قال كنت مع ابي عبد الله المغربي
وكان له صاحب بزاز فلما كان ذات يوم بعث اليه بغلامه الى ابي عبد الله
وقال له ها هنا شيء لك فيه فايدة فقام ابو عبد الله وقمت معه الى حانوت ذلك
الرجل فلما دخلنا وجلسنا اخرج سفطا فيه منديل كتان في وسطه ثلث

خوخات ما رأيت اكبر ولا أحسن بياضا منها وعلى جانب منها مكتوب لا اله الا
الله وعلى الجانب الاخر مكتوب محمد رسول الله الثلث خوخات بهذه الكتابة
كأنه كتب بالقلم قال ابرهيم فقلت للتاجر اي شي تتعجب من هذا فان ذلك
موجود عندنا يكتب على التفاح فتبقى الكتابة على ذلك فتبسم التاجر وقال
يا ابا اسحق ليس هذا من ذلك من ذاك يا غلام هات السكين فناوله سكينا
وبقي يقطع الخوخ بيافا بيافا حتى وصل الى العجم واذا مكتوب عليه لا اله
الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقا واعلم ان قوله الثلث
خوخات جائز عند الفراء ومنعه البصريون والصواب عندهم ثلاث
الخوخات وحدثني بعض الصلحاء من أهل سجلماسة انه شاهد بمدينة تلمسان
تفاحات سبقت من شجرة وفي كل واحدة منها مكتوب بالاحمر لا اله الا
الله محمد رسول الله قال فقال رجل واي شي في هذا ان هذا يصنع فقال له
رجل اخر ان عقدا وصل معها من سبتة بشهادة الشهود وخطاب القاضي
ان جميع ما كان في تلك الشجرة من التفاح كان بهذه الصفة وحدثني
بعض اصحابنا انه راى ببعض جنات مدينة توزر حرسها الله عنقود عنب
أسود محمرة وفي حبة واحدة منه مكتوب الله والهاء منه مشقوقة
واما ما خط من ذلك في الجماد فحكى ابن مرزين في تاريخه ان في قبلة
بيت المقدس حجرا ابيض فيه كتاب خلقة لم يعمله انسان محمد رسول الله

وفي

14

وفي ظهر القبلة ايضا حجر ابيض كتاب خلقة بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله نصره
حمزة وحكى من يوثق بخبره ان السارية التي على يمين مقابل المحراب من جامع الزيتونة
بحضرة تونس حرسها الله فيها مكتوب محمد الا انه لا يتبينه الا من نبه عليه ○
وحكى غير واحد من الثقات ان بالرمشة بجاية موضعا هو سفح جبل فيه مكتوب
خلقة الله ○ وان حجرا كان بموضع من بجاية غسلته الامطار فظهر فيه مكتوب
الله فنقل الى الجامع ○ ومن ذلك ان شاة ذبحت بمدينة توزر فانكتب بدمها
لا اله الا الله وكان الدم منفرشا والكتب من جنسه ناتئا عليه حكى بعض اصحابنا
ان بعض الرؤساء ممن ولد بالاندلس حدثه انه كان بجامع قرطبة اعادها الله بالقبلة
رخامة فيها مكتوب بالاسود محمد قال وبلغنا ان النصارى لما اخذوها اعادها
الله عمد نصراني لعنه الله الى الاسم الشريف وضربه بسيف فاخطأت الضربة
مراده ووقعت على بعض الرخامة فطار منها شي الى عينه اليمنى ففقأها واخبرني
ايضا انه وقف على كتاب يتضمن ذكر متفجر الانهار بالارض فانه راى فيه
ان رجلا راى بقبة جبل صخرة مكتوب فيها خلقة لا اله الا الله محمد رسول الله
وحدثني بعض اصحابنا الفقهاء وفقهم الله ان بعض طلبة الاندلس اخبره ان
حجرا ابيض كسر ببعض بلاد المغرب فوجد في وسطه حجر اخضر مكتوب فيه
لا اله الا الله محمد رسول الله ○ وهذا في الجماد يضاهي ما تقدم ذكره ○ في
باطن الحيوان ومنه ما ذكره بعض الثقات ان حجرا كان بموضع من جامع

إشبيلية اعادها الله أظهره تقادم الزمان وكثرة الاحتكاك به مكتوبا
احمد كان الالف منه قدر اربعة أشبار فنقل من مكانه الى القبلة وأخبرني
من أثق به من اهل المغرب انه رأى ببلاد المغرب في سفح جبل على شاطئ البحر ويغلب
على ظني أنه قال بقرب سبتة موضعا من صخر مكتوب فيه بعرق من الصخر مخالف
للون ذلك الصخر محمدا وقال محمد رسول الله ومن ذلك قرملة ظهرت بمدينة
توزر حرسها الله بعد هذا الجدي المبارك فيها مكتوب لا غالب إلا الله •
ورخامة مجزعة وجدت بحمام مدينة توزر مكتوب حنفي محمد الجمعة بسنته واسما
بعض الانبياء عليهم السلام وأسماء بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ونقلت الرخامة
المذكورة الى الجامع • ورخامة اخرى وجدت عند بعض الصاغة فيها مكتوب
محمد في مواضع • وكذلك الرخامة الاولى فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم محمد
في مواضع عدة ٥ فتأمل وفقنا الله واياك كيف كتب هذا الاسم الشريف من العالم
العلوي في أشرف الكائنات ومن العالم السفلي في جميع أصناف الموجودات
وملأت انواره وبركاته من العرش الى الفرش فهذه آيات وضح برهانها • ونور القلوب
إشراقها ولمعانها • أتلتمس الاعداء بعد الذي رأت قيام دليل أو وضوح بيان •

الباب الثاني
ما دل على علو المنزلة • في الكتب المنزلة

هذا الباب ينقسم على اربعة اقسام ٥ الاول ما جاء في الفرقان ٥ الثاني ما جاء في
التوراة ٥ الثالث ما جاء في الزبور الرابع ما جاء في الانجيل أما ما جاء من ذلك في
القرآن فاعلم أن كل آية دلت على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فهي من هذا الباب
وكذلك ما دل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره عند ربه جل وعز والآيات في ذلك
معلومة ولا بد من ذكر بعضها في هذا الباب فمنها قوله عز وجل قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه غاية الشرف فإن الله عز وجل قرن محبته
باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ولذلك حرص الاكابر على اتباع السنة في كل الاحوال
ورأوا أن بها النجاة وبسواها العطب وهذا أمر متيقن تشهد به الحس والتجربة واليقين والمعرفة
كما حكي عن بعضهم أنه كان يمشي فانقطع شسع نعله فقال لآخر أتدري لم انقطع شسع
نعلي قال حتى تقول قال لأني لم أغتسل للجمعة قال فقلت أصلحك الله ها هنا حمام أتدخله
قال نعم فدخل فاغتسل وبالاقتداء ظهرت الكرامات على ايديهم فانهم صاروا في منزلة المحبة
فيعطيهم ربهم قبل أن يسألوه ويبلغهم كل ما أملوه وقد حكي عن ابن عيينة أنه قال كنت
جالسا في المسجد الحرام ورجل في الطواف فأعجبني طوافه فلما فرغ من طوافه دخل الحجر
فصلى فأحسن فاتبعته حتى إذا صار الى الأبطح سمع حسي من خلفه فالتفت الي فقال هل
تدري ما قال ربكم تبارك وتعالى قلت وما قال رحمك الله قال قال إني أنا الله لا إله إلا
أنا ملك الملوك هلموا الي أجعلكم ملوكا ثم مضى قال وقلت لهذه ما بعدها فاتبعته
فسمع حسي من خلفه فالتفت فقال هل تدري ما قال ربكم تبارك وتعالى قلت وما قال

رحمك الله قال يقول تبارك وتعالى انني انا الله لا اله الا انا الحي لا اموت هلموا اجعلكم ملوكا
لا تموتون قال ثم مضى فسمع حسيس من خلفه فقال تدري ما قال ربكم جل وعز قال قلت
وما قال رحمك الله قال يقول انا الله لا اله الا انا ملك الملوك اذا اراد شيئا قال له كن
فيكون هلموا الي اجعلكم اذا اردتم شيئا قلتم له كن فيكون قال فالتفت فلم ار شيئا فلا
ادري افي السماء او في الارض ذهبت فلقيت سفيان فاخبرته بما رايت وسمعت فقال
لي وما تدري من ذلك قلت لا قال اخوك الخضر ومنها قوله تبارك وتعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قال فاشهدوا وانا معكم من
الشاهدين والاصر العهد قال السدي اخذ ميثاق النبيين اجمعين ان يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصروه ان ادركوه وامروا ان ياخذوا بذلك الميثاق على
اممهم ومنها قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين وقرا بعض القراء من انفَسهم بفتح الفاء اي من اشرفهم واعلاهم قدرا ومنها
قوله تبارك وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ومنها قوله سبحانه ولو انهم اذ
ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
ومنها قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ومنها قوله تعالى ومن يشاقق الرسول

من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم
وساءت مصيرا اجعل القبول والرحمة في طاعته صلى الله عليه وسلم والطرد والعقوبة
في مخالفته ومعصيته صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من ذلك ومنها قوله تعالى ان
الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا
فقطع من الايمان امل من ظن انه يؤمن بالله ويكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم او
بالنبيين عليهم السلم وامل من ظن انه يؤمن بالله وبالنبيين ويكفر بالنبي صلى الله عليه
وسلم وهو خير العالمين وجعل من اعتقد ذلك كافرا حقا فانتفى عنه الايمان
ولذلك امتنع كمال الايمان الا باعتقاد كلمتي الشهادة فلو قال لا اله الا الله ولم
يقل محمد رسول الله لم يكمل ايمانه ولم يكن مؤمنا ان كان مكذبا بنبوته صلى الله
عليه وسلم ومنها قوله جل جلاله والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين
لما كان رضى الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في رضى الله عز وجل جاء الضمير
مفردا عايدا على الله عز وجل ونظير هذه الاية قوله جل وعز لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا فالضمير في قوله سبحانه وتسبحوه
عايد على الله عز وجل بالاتفاق وفي الاولين قولان احدهما انهما عايدان على النبي
صلى الله عليه وسلم فيكون في ذلك مقابلة وهي من انواع البديع والثاني
انهما عايدان على الله عز وجل وعلى هذا فالاية مثل الاية التي تقدمت فان تعظيم

النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره داخلان في تعظيم الله عز وجل وتوقيره والتعزير التعظيم
والتوقير ومنها قوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ۝ أقسم الجليل جل جلاله ببقائه
صلى الله عليه وسلم والعمر والعُمر بالفتح والضم البقاء قال ابن عباس ما خلق الله ولا
ذرأ ولا برأ شيئا هو اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعته اقسم بحياة غيره
فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ومعنى يعمهون يتحيرون ومنها قوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه
من اياتنا انه هو السميع البصير ومنها قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومنها
قوله تبارك وتعالى النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم ۝ لم يجعل الجليل
جل جلاله للعبد في نفسه حكما الا بموافقة الكتاب والسنة فحكم الرسول
صلى الله عليه وسلم مقدم على حكم كل مؤمن في نفسه ۝ ونظيرها قوله جل جلاله
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم
ومنها قوله جل ثناؤه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى ابن مريم أجمل جل جلاله النبيين اولا ثم خص منهم بالذكر من نبه على
شرفه وتعظيمه بالتخصيص ۝ وقدم ذكره صلى الله عليه وسلم عند التخصيص فهو صلى الله
عليه وسلم خاصة الخاصة وخلاصة تلك الخلاصة ومنها قوله عز وجل يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومنها
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما

وينصرك الله نصرا عزيزا

تسليما ومنها قوله جل جلاله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ومنها قوله جل جلاله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وهذه الاية دالة على غاية الشرف واعلا
المنازل ومنها قوله تعالى محمد رسول الله الى اخر السورة ومنها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ومنها قوله يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة الى قوله خبير بما تعملون ومنها قوله تعالى وان لك لاجرا غير
ممنون وانك لعلى خلق عظيم ومنها قوله والضحى والليل اذا سجى الى اخرها ومنها قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال بعض السلف انتم تقولون أرجى اية في كتاب
الله عز وجل قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان
الله يغفر الذنوب جميعا ونحن نقول أرجى اية في كتاب الله عز وجل ولسوف يعطيك ربك
فترضى ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى ان يكون احد من امته في النار ومنها
قوله الم نشرح لك صدرك الى اخرها ومنها قوله تعالى رسول من الله يتلو صحفا مطهرة الاية
ومنها قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ومنها ان الله عز وجل خاطب كل نبي من
الانبياء عليهم السلام في الكتاب باسمه كقوله يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
يا نوح انه ليس من اهلك يا ابرهيم اعرض عن هذا ۝ ولم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

باسمه بل جا الخطاب بتشريف النبوة والرسالة وغير ذلك ۝ يا أيها النبي ۝ يا أيها الرسول
يا أيها المزمل ۝ يا أيها المدثر ۝ والآيات الدالة على شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعلو
قدره كثيرة في الكتاب العزيز ۝ بل أقول كل آية في الكتاب العزيز بل كل
كلمة منه دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته وشرفه وجلالته ومن تأمل
ذلك ظهر له بفضل الله سبحانه وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم ولولا خوف
التطويل لأوردت من ذلك ما يوضح ما ذكرته ولكني أنبه من ذلك على بعضه
ليكون دليلا في اعتبار غيره إن شا الله عز وجل فأقول تأمل قوله
جل جلاله ۝ الحمد لله كيف دلت هاتان الكلمتان [اللفظتان] على فوائد أحدها اسم من
أسماء الله تعالى الحسنى مفيد فائدتين أحدهما الدلالة على الذات القديمة ۝ والثانية
الدلالة على صفة الألوهية وأن [هذا] كان الاسم قد كان معلوما عند الجاهلية من عهد
ابرهيم عليه السلام لكن لولا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ما علمنا هل
يسوغ إطلاقه في حق الله عز وجل أو لا يسوغ فإنه لا يسمى إلا بما سمى به نفسه ۝ الثانية
التنبيه على أن الحمد لله عز وجل لأن الحمد يكون لشرف الذات ولإحسان المحمود فوجب
ثبوت ذلك لله عز وجل لأنه موجد الخلق ۝ والمنعم عليهم فهو المستوجب الحمد
لذاته ولإحسانه لخلقه الثالثة التنبيه على اختصاصه جل جلاله بالحمد لاختصاصه
بالصفات الموجبة له وأن غيره لا يحمد إلا بإذنه وأمره لأن كل موجود هو
هو خلقه وملكه ولا قدرة له في إعطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع إلا بإرادته جل

جلاله

جلاله وتقدست أسماؤه ۝ الرابعة انحصار الحمد له عز وجل ودل على ذلك وجود
الألف واللام كما تقول المال لزيد فلو قلت مال لزيد لم يدل على الانحصار الخامسة
التنبيه على أن هذا النبي الشريف محمود في السماء والأرض لأنه أعطي صفة الحمد
والحامد محمود ولذلك كان اسمه مشتقا من ذلك في الكتب المنزلة ففي
التوراة حامد كما تقدم وفي الإنجيل أحمد كما تقدم وفي الفرقان محمد صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال الشاعر شعر فشق له من اسمه ليجله ۝ فذو العرش محمود وهذا محمد ۝ ۝
السادسة التنبيه على أن أمته الحمادون الذين يحمدون الله عز وجل على السراء
والضراء وبذلك جاءت صفتهم في التوراة السابعة الإشارة إلى هذا النبي
صلى الله عليه وسلم هو المخصوص بلواء الحمد دون سائر الأنبيا عليهم السلام الثامنة
أنه المخصوص بالشفاعة لأنها إنما تنال بالحمد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في
حديث الشفاعة فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني
الآن فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك
وسل تعطا واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي صلى الله عليه وسلم وجعلنا من أمته
كذا وقع قوله تعطا بالألف وهو على نية الوقف أو على من يقدر الجزم في الحركة
المقدرة في المعتل وقوله تعالى رب العالمين دل على فوائد أحدها
اسم من أسمائه الحسنى جل جلاله وصفة من صفاته العلا ۝ ومنها أنه المالك للخلق
الثانية أنه القائم بأمور الخلق كلهم ۝ وبدر أرزاقهم ۝ والمتكفل بأمورهم

وشؤونهم ومهماتهم كما تقول رب الدار ورب الدابة فيدل اللفظ على ذلك كله
وفيه مع ذلك تنبيه على ان قولهم رب الدار ورب الدار مجاز لا حقيقة فان الرب في التحقيق
هو الله عز وجل الموجد للخلق بعد العدم **الرابعة** التنبيه على ان الحمد انما يجب للرب لانه
المالك للخليقة والموجد لهم والقائم بجميع امورهم ومدبرهم في الحياة والممات
الخامسة التنبيه على ان اسم الذات يجب تقديمه على اسماء الصفات **السادسة**
اضافته الى العالمين وفيه دلالة على ان كل موجود سوى الله عز وجل فهو ملكه
وانشاء قدرته **السابعة** في ايراد لفظ العالمين بالجمع وفيه دلالة على امر غيب وهو
من دلائل النبوة والرسالة فان الحس لا يدرك سوى هذا العالم فدل على ان هنالك عوالم
جمة لا يحيط بعلمها الا بارئها عز وجل وان الكل ملكه واختراع قدرته فمن الذي
يعلم ان هناك عوالم لولا هذا النبي الشريف الذي اتى بالكتاب العزيز صلى الله عليه
وسلم **الثامنة** الدلالة على ان العالمين كلهم ملكه لان الاصل في الاضافة
الملك **وقوله تعالى** الرحمن الرحيم وفيه فوائد **احدها** الدلالة على اسمين
من اسمائه الحسنى **الثانية** الدلالة على صفة من صفاته العلا **الثالثة** صيغة لفظ
الرحمان الدالة بالوضع على المبالغة وشمول الرحمة فان فعلان من ابنية المبالغة
ويدل على ذلك الزيادة المقترنة به **الرابعة** الدلالة على ان رحمته سبحانه سبقت
غضبه لانها جاءت صدرا في الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه ولذلك جاء في حديث مسلم قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو

بلغ مقابلة

عنده

عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل رحمتي سبقت غضبي
الخامسة الدلالة على ان مستوجب الحمد هو صاحب هذه الصفة لان الحمد يستعمل في مقابلة النعمة كالشكر
ويستعمل لا في مقابلة النعمة فالحمد في التحقيق لله عز وجل لذاته والوهيته وصفة ربوبيته ورحمانيته وانت اذا تاملت
معاني هذه الالفاظ وتزينت هذه الاسماء والصفات علمت ان ذلك لا يدرك الا بوحي من علام الغيوب الذي احاط
بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا وظهر لك وجه اعجاز القران **السادسة** التنبيه بقوله الرحمان على
شمول رحمته لخلقه وبقوله الرحيم على خصوصها بالمؤمنين وهو ما جاء في التفسير **السابعة** الدلالة بتكرار
الرحمة على انها التي شملت الخلق وبها عاشوا ورتعوا في رياض الامن والامان ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما
ترك على ظهرها من دابة **الثامنة** ان التكرار افاد ان منهاج البلاغة يقتضي ايراد الصفة العامة قبل
الخاصة فان قلت الحكم في باب البلاغة انما هو بالعكس كما تقول طبيب ماهر وكاتب بارع فان المهارة
تكون في الطب وغيره وكذلك البراعة تكون في الكتابة وغيرها قلت الجواب انهم خصوا لفظ الماهر
بالطبيب والبارع بالكاتب وبتقدير تسليم العموم فاقول ليس المراد من قولنا طبيب ماهر انه ماهر في كل شيء
وانما المراد مهارته في الطب خاصة وكذلك قولنا كاتب بارع في الكتابة واذا كان كذلك فالبارع هنا
اخص من الكاتب فان الكاتب يكون بارعا وغير بارع فبان ان هذا الاعتراض ساقط **وقوله عز وجل**
مالك يوم الدين فيه فوائد احدها الدلالة على اسم من اسمائه الحسنى الثانية الدلالة على صفة من صفاته
العلا الثالثة الدلالة على ان كل من يسمى بالملك سوى الله عز وجل فتسميته مجاز **رأى** بعض الملوك
رجلا من ولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه يطوف بالبيت فقال له سلني حاجة فقال له اني استحيي من الله ان اسال غيره
في حرم الله فتركه حتى خرج من الحرم فقال له سلني حاجة فقال له امن حوائج الدنيا ام من حوائج الاخرة

تعالى بل من حوائج الدنيا فقال والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف من لا يملكها ۝ الرابعة
لما كان قوله رب العالمين يدل على الملك والملك وكان لفظ العالمين يشعر بالموجودين في هذه الدنيا
جا قوله ملك يوم الدين دلالة على انتظام الملك في الدارين ۝ الخامسة يقع في بعض الأوهام أن هذا
من باب المجاز وأن المراد ملك الخلائق يوم الدين ثم وقعت الإضافة إلى الظرف مجازا كما قال في الآية
الأخرى بل مكر الليل والنهار أي مكركم في الليل والنهار وهذا التأويل لا يحتاج إليه بل المعنى أنه ملك
أنه ملك ذلك اليوم ومالكه ۝ وملك من في ذلك اليوم ومالكه حقيقة فاليوم من ملكه وملكه
وكذلك جميع من فيه ۝ السادسة التنبيه بقوله ملك يوم الدين على أن انقطاع مملكة كل من نسب
إلى الملك في الدنيا في ذلك اليوم كما قال في الآية الأخرى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ۝ السابعة
الإخبار بغيب من الغيوب وهو يوم الدين والجزاء وذلك لا يدرك إلا بالوحي وذلك من معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم ۝ الثامنة الإشارة بقوله يوم الدين وهو الجزاء إلى صفة العدل والوزن بالقسط وأنه لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ونبه على الجزاء إما بالإحسان لمن أحسن أو بالعقاب لمن أساء فإن لفظ الجزاء
يعم الوجهين وهذا من مقتضى الحكمة التي فطرت عليها العقول وهو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته
وبه يستقيم أمور الناس في هذا العالم ۝ ويحكى عن عبد المطلب بن هاشم أنه كان يقول كل من ظلم أحدا أو أساء إليه فإنه
لا يموت حتى يعاقب على ذلك وكانوا يشاهدون ذلك فاتفق أن كان رجل في ذلك العصر كثير الأضرار ومات
ولم يصبه شيء فاجتمع الناس إلى عبد المطلب وقالوا إن هذا الذي كنت تخبرنا به قد فقدناه في فلان فإنه مات ولم
يصبه شيء مما فعل فافتكر ساعة وقال هذا دليل على أن لله عز وجل دارا غير هذه الدار يجازي فيها المسيء على إساءته
وكانت قريش أهل جاهلية لا تصدق بالبعث قال بعض أصحابنا اهتدى عبد المطلب إلى
ذلك

ذلك بما كان في صلبه من نور نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ۝ وقوله تعالى إياك نعبد
فيه فوائد أحدها التنبيه على خلع الأنداد فإن مستحق العبادة في التحقيق إنما هو الله عز وجل الذي اتصف
بتلك الأوصاف الذاتية والملكية وأن ما سواه لا يملك من ذلك شيئا ولا يملك لنفسه ضرا
ولا نفعا ۝ الثانية تعليم الأدب في الخطاب فمن أراد خطاب الملك الجليل وجب عليه تقديم حمده
والثناء عليه ووصفه بالأوصاف اللائقة به وبعد ذلك يقبل بالخطاب والدعاء على مولاه ويرجوا
فضله وكرمه ۝ والأول مقام الهيبة والإجلال ۝ والثاني مقام الرجاء والطمع في الإفضال ۝ وقد
وقد احتذى الأدباء هذه الطريقة في مخاطبة ملوك الدنيا ورؤسائها فتراهم يبتدرون بالثناء
والدعاء وبعد ذلك يقبلون بالسلام والخطاب ۝ الثالثة الإشارة إلى أنهم لا يعبدون سواه ودل على ذلك
تقديم الضمير فإن قوله إياك نعبد في معنى ما نعبد إلا إياك ولو قال نعبدك لكان لفظا لا يفيد ذلك
المعنى ۝ الرابعة أن في قوله إياك نعبد تعليم الأدب في تقديم الأشرف في اللفظ كما كان مقدما في المعنى
الخامسة أن في قوله إياك نعبد الرد على المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ۝ وعلى اليهود
الذين كانوا يعبدون عزيرا وعلى النصارى الذين كانوا يعبدون المسيح وعلى كل من عبد شيئا من دون
الله عز وجل كعباد الكواكب ۝ والنيران وغير ذلك ۝ السادسة أن قوله نعبد إشارة إلى العبادة
التي ترتضيها وهي عبادة دين الإسلام والتوحيد فقد انتظمت هذه اللفظة جميع ما يتعبد به العبد في
في دين الإسلام وهي من جوامع الكلم التي أعطيها صلى الله عليه وسلم وأن كل عبادة سواها باطل
ويدل عليه قوله جل جلاله ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ۝ وقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ۝ السابعة أن قوله إياك نعبد إشارة إلى أن عمل العبد على حقارته

ومع شأنه يبلغ الى ربه جل جلاله مع تناهي عظمته وبهائه وسمو عزه وعلائه ويدل عليه قوله
عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الثامنة ان في قوله اياك نعبد اشارة الى
خضوع العبد وانقياده لأمر مولاه وانه بذلك يرجو النجاة والفوز يوم الدين والعبادة هي التي ترفع ذلك
الروع بفضل الله عز وجل كما قال جل جلاله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وكما قال في الاية
الاخرى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **وقوله عز وجل واياك نستعين**
فيه فوائد الاولى تعليم الادب في تقديم الاشرف كما تقدم الثانية في تكرار لفظ اياك نعبد فانه لو
قال اياك نعبد ونستعين لدل اللفظ على ان الاستعانة في العبادة لا في غيرها فلما قال واياك نستعين
دل اللفظ على الاستعانة به جل جلاله وتقدست اسماؤه في جميع الامور ودخلت العبادة في ذلك
لعموم اللفظ الثالثة تعليم الادب في الاعمال وفي جميع الامور بالتبري من الحول والقوة الى الله عز وجل
الرابعة التنبيه على عجز العبد وانه لا قدرة له على الطاعة الا بعون الله عز وجل الخامسة ان في تنبيه العبد
على ذلك امنه من العجب بعمله السادسة ان في تنبيهه على ذلك حضا له على شكر نعمة مولاه في الطاعة
وتحريضا على ذلك كما قال الشيخ ابو الفضل التسكري رحمه الله

انظر جوارحك اللاتي اطعت بها من ابن جاءتك تكثر عندك المنح

السابعة انه في قوله اياك نعبد ردهم الى انفسهم فاشهدهم اعمالهم وفي قوله واياك نستعين
ردهم اليه حتى يبلغهم اما لهم فيه فاموا برحمته استقاموا رأى بعضهم في المنام قائلا يقول
له متى حطت حفظك اضعت وكان هذا الرجل يبالغ في حفظ قلبه عن عوارض الوسواس فان
قلت كان يجب على ما ذكرته ان يكون قوله اياك نستعين مقدما على قوله اياك نعبد لانه ردهم

اليه

اليه وتقديم الاشرف اولى كما تقدم قلت الشريعة السهلة السمحة انما جاءت بالاسهل وهو طريق
الجمهور وهو التعلق بالاسباب ولذلك ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين في الحرب تعليما لامته صلى الله
عليه وسلم والا فهو سيد المتوكلين وامامهم الذي اقتدى به كل من يسلك سبيل التوكل وقد سماه الله عز وجل
المتوكل في التوراة وكان صلى الله عليه وسلم موقنا بغلبته لاعدائه وباظهار الله عز وجل دينه وانجاز وعده
ولو ترك الحركة في ذلك كله متوكلا على ربه سبحانه وموقنا بوعده لكان ذلك جاريا على مقتضى علو
مقامه صلى الله عليه وسلم في التوكل وكمال علمه ويقينه كما فعل ابوه ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه ولكنه
لم يؤمر بذلك بل اذن له في الهجرة وامر بالجهاد ومقارعة الاعداء لانه الطريق العام والمقام الذي يسهل على
الجمهور وتألفه النفوس وتثلج به الصدور واما التوكل مع ترك الاسباب فهو مقام الافراد وايضا
فان هذا المقام وان كان طريق الافراد الا انه غير سائغ باجماع المسلمين في باب العبادة بل لا بد من امتثال
الامر والاشتغال بالطاعة والعبادة مع التوكل والاستعانة فهذان وجهان يوجبان تقديم ذكر
العبادة قبل ذكر الاستعانة والله اعلم وليقع الاقتصار على هذه النبذة في هذا المكان فانها دالة على امثالها
وبودي لو وجدت فراغا اتتبع الكتاب العزيز من اوله الى اخره منبها على ما يلوح من الفوائد في كل
لفظة من الفاظه فانه البحر الذي لا ساحل له ومهما تومل لاحت في تامله فوائد وعلوم لا تنقضي ولا تفنى
وما يعلم كنه فوائده وعدد ها سوى من انزله بعلمه والملائكة يشهدون فسبحانه لا اله الا هو عليه توكلت
واليه انيب **واما ما جاء** من ذلك في التوراة فقد تقدم ما صح في البخاري عن عبد الله
ابن عمرو بن العاصي وفيه ايضا عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان هذه الاية التي في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس

بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله
حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال
الفقيه أبو محمد رحمه الله في الأعلام قال عطا ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما اختلفا في حرف إلا أن كعبا
قال أعينا عموميا وقلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وذكر الفقيه أبو محمد رحمه الله عن أبي بكر أحمد بن
أبي خيثمة بسنده عن أم الدرداء قالت قلت لكعب يا كعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في التوراة قال نجده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخب في الأسواق أعطي المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا ويسمع به آذانا صما ويقيم به
ألسنا معوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه أن يستضعف
قال ابن إسحق ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا صلى الله عليه وسلم
أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره
والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد صلى الله عليه اسمه أهدي به من الضلالة
وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به
العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة
وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر توحيدا لي وإيمانا
وإخلاصا لي يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا
ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفا ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد

والمدحة

والمدحة والتمجيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون
ويقدسون على رؤوس الأشراف ويطهرون لي الوجوه والأطراف ويعقدون الثياب في الأنصاف
رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم وقد جاءت هذه
الأوصاف المذكورة عن ابن إسحق مما جاء في التوراة في مختصر تفسير الطبري رحمه الله عن شعيا النبي صلى
الله عليه وكان بعد موسى عليه السلام مما أوحى الله عز وجل على لسانه مع كلام خاطب به بني إسرائيل
وبين بعض الألفاظ مخالفة فيحتمل أن يكون ذلك مما أوحى الله عز وجل مما ثبت في التوراة ولا يكون بين الخبرين
معارضة وإذا تأمل اللبيب هذه الأوصاف الواردة في هذا النبي الشريف وأمته وكيف برزت على نحو
ما خط في اللوح المحفوظ وصدر بها الوحي قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ووجود أمته تحقق صدق
النبوة وعلم كرامة هذا النبي الشريف صلى الله عليه وسلم على ربه سبحانه وفضل أمته على الأمم
وعرف العبد قدر ما أنعم الله عز وجل به عليه من الهداية إلى الإسلام واعتقاد محبته عليه السلام
وأما علامته صلى الله عليه وسلم أيضا في التوراة ما ذكره صاحب كتاب الفصول في
معجزات الرسول قال قال الله عز وجل في التوراة لموسى عليه السلام في السفر الخامس إني أقيم
لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فيه وإخوة بني إسرائيل ولد إسمعيل وقال في الفصل
الخامس أثر سلطانه على كتفه يعني علامة النبوة وكان على كتفه خاتم النبوة صلى الله عليه وسلم
ومنها ما ذكره الثعلبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب
عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه سألت الملوك اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ما الذي تجدون في التوراة قالوا إنا نجد في التوراة أن الله عز وجل يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد

جرم الزنا والخمر والملاهي وسفك الدماء فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم ونزل المدينة
قالت الملوك لليهود هذا النبي الذي تجدون في التوراة كتابكم فقالت اليهود طمعا في اموال الملوك
ليس هذا ذاك النبي فاعطاهم الملوك الاموال فانزل الله تعالى هذه الاية تكذيبا لليهود ۝ واذا
عرفت ذلك فاعلم انه قد جاء في مختصر تفسير الطبري رحمه الله بعد ان ذكر حديث الاسرا وما راى النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثم انتهى الى السدرة فقيل هذه السدرة تنتهي اليها كل احد خلا من امتك على سبيلك
فاذا هي شجرة تخرج منها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها مغطية
الامة كلها قال فغشيها نور الخلاق وغشيها الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر قال
فكلمه عند ذلك فقال له سل فقال له انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الريح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال له ربه جل جلاله وقد اتخذتك
خليلا وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك
خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولين وهم الاخرين
وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما صدورهم
اناجيلهم

اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني
لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام ۝ والهجرة ۝ والجهاد ۝ والصلاة ۝ والصدقة ۝ وصوم رمضان ۝
والامر بالمعروف ۝ والنهي عن المنكر ۝ وجعلتك فاتحا وخاتما ۝ فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فضلني ربي بست اعطاني فواتح الكلم وخواتمه ۝ وجوامع الحديث ۝ وارسلني الى الناس كافة ۝ وقذف
في قلوب عدوي الرعب من مسيرة شهر ۝ واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ۝ وجعلت لي الارض كلها
مسجدا وطهورا ۝ واعلم انه وقع عندي في مختصر تفسير الطبري رحمه الله قوله قد اتخذتك
خليلا من الخلة ووقع في كتاب القاضي ابي الفضل حبيبا من المحبة وهو الصواب ويدل عليه ما بعده
من قوله وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وكان الاول تغيير من الناسخ والله اعلم وكذلك
وكذلك قوله وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن قال في كتاب القاضي ابي الفضل محمد حبيب
الرحمن وهو اولى ۝ وذكر الفقيه ابو محمد في الاعلام عن احمد بن ابي خيثمة بسنده عن عبد الملك
ابن عمير ان كعبا قال اني اجد في التوراة احمد وامته الحمادون يحمدون الله على كل حال يوضئون اطرافهم
ويأتزرون على انصافهم قلوبهم اناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها ولو كانوا على ظهر كناسة رهبان بالليل
ليوث بالنهار والكناسة ما اجتمع مما يكنس من الدور وغيرها ۝ وفي خبر اخر عن عطاء بن يسار قال
لقيت كعب الاحبار فسالته عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب علمني ابي التوراة
كلها الا سفرا واحدا وكان يختمه على ويدخله الصندوق فلما هلك فتحته فاذا فيه صفة نبي يخرج في
اخر الزمان مولده مكة ودار هجرته المدينة وسلطانه بالشام يعفي شعره ويأتزر على وسطه وهو خير

الانبيا وامته خير امة وهم يشهدون ان لا اله الا الله يكبرون على كل شرف ويصفون في الصلاة
كصفوفهم في القتال قلوبهم مصاحفهم يحمدون الله على كل شدة وفي الاعلام ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب
وثلثة ياتون الله بذنوبهم وخطاياهم فيغفر لهم وثلثة ياتون الله بذنوب وخطايا عظام فيقول الله
اذهبوا فزنوهم فيوزنون فيقولون ربنا قد وجدناهم قد اسرفوا على انفسهم ووجدنا اعمالهم من الذنوب
امثال الجبال غير انهم يشهدون ان لا اله الا الله فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وكبريائي
لا اجعل من يخلص لي بالشهادة كمن كفر بي قال كعب فانا ارجو ان اكون من هذه الثلثة والثلثة الجامعة
وذكر غير الفقيه ابي محمد اسلام كعب وانه اسلم في قدوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام
وان اباه كان من مؤمني اهل التوراة بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن عظمائهم واحبارهم وكان من
اعلم الناس بما انزل الله عز وجل على موسى بن عمران وبكتب الانبيا صلوات الله على نبينا وعليهم
اجمعين قال كعب ولم يكن يدخر عني شيئا مما يعلم فلما حضرته الوفاة دعاني وقال قد علمت
اني لم اكن ادخر عنك شيئا مما كنت اعلم الا اني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث وقد
اظل زمانه فكرهت ان اعلمك بذلك فلا امن عليك بعد وفاتي ان يخرج بعض هولا الكذابين
فتتبعه وقد جعلتهما في هذه الكوة التي ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما زمانك هذا
وان يهما حتى يخرج ذلك النبي فاتبعه وانظر فيهما فان الله عز وجل يزيدك بذلك خيرا
قال فلما مات والذي لم يكن شي احب الي من ان ينقضي الماتم حتى انظر ما في الورقتين فلما انقضى
فتحت ثم استخرجت الورقتين فاذا فيهما محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة
ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة
ولكن

ولكن
يجزي بالحسنة ويعفو ويغفر ويصفح امته الحمادون الذين يحمدون الله عز وجل على كل شرف
وعلى كل حال وتذلل السنتهم بالتكبير وينصر الله نبيهم على كل من ناواه يغسلون فروجهم بالماء وياتزرون
على اوساطهم واناجيلهم في صدورهم وياكلون قربانهم في بطونهم ويوجرون عليها وتراحمهم بينهم
تراحم بني الام والاب وهي اول من يدخل الجنة يوم القيمة وهم السابقون المقربون والشافعون
والمشفع لهم فلما قرات هذا قلت في نفسي والله ما علمني ابي شيئا هو خير لي من هذا وبقيت بعد
والدي حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا اقدر على اتيانه الى
ان قدم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رايت صلاة المسلمين وصيامهم ووفاهم بالعهد وما
وما صنع الله لهم على الاعدا علمت انهم هم الذين كنت انتظر فحدثت نفسي بالدخول في الاسلام فوالله اني
ذات ليلة فوق سطح لي فاذا رجل من المسلمين يصلي ويتلو كتاب الله عز وجل حتى اتى على هذه الاية يا ايها
الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او
نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا فلما سمعت هذه الاية خشيت والله ان
لا اصبح حتى يحول وجهي في قفاي فما كان شي احب الي من الصباح فغدوت على عمر رضي الله عنه
فاسلمت حين اصبحت قال وقلت لعمر وهو بالشام عند انصرافه يا امير المؤمنين انه مكتوب في كتاب الله
ان هذه البلاد التي كان فيها بنو اسرايل وكانوا اهلها مفتوحة على رجل من الصالحين رحيم على المؤمنين
شديد على الكافرين سره مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله والقريب عنده والبعيد في الحق
سواء واتباعه رهبان بالليل واسد بالنهار متراحمون متواصلون متباذلون فقال عمر ثكلتك امك احق ما
تقول قلت اي والذي انزل التوراة على موسى والذي يسمع ما تقول انه لحق فقال عمر رضي الله عنه فالحمد

لله الذي اعزنا بالاسلام وشرفنا واكرمنا بمحمد عليه السلام ورحمته التي وسعت كل شيء ٥ قال وكان كعب
رجل من اهل اليمن من حمير واعلم ان قوله في هذا الخبر اظل بالظا المعجمة دنا وقرب واقربهما ابقاهما والكوة يقال
بفتح الكاف وضمها ضد السهل اللين ٥ ولما قدم عمر رضي الله عنه الجابية من الشام تلقاه رجل من يهود
قال السلام عليك يا فاروق انت صاحب ايليا والله لا ترجع حتى يفتح الله عليك ايلياء فلما اقبل اليه اهلها
وصالحهم على الجزية وفتحوها له دعا ذلك اليهودي وقال ان عنده لعلما فساله عن الدجال وكان كثير المسالة عنه
فقال له اليهودي وما سوالك عنه يا امير المومنين فانتم والله معشر العرب تقتلونه عند باب لد ببضع عشرة
ذراعا وايليا اسم بيت المقدس وكان بسبب قدوم عمر رضي الله عنه الشام ان عمرو بن العاصي كان يقال
الارطبون ويقال الاطربون فبعث اليه يقول له عمرو انك صديقي فارجع ولا تغتر ٥ فبعث اليه عمرو رسولا
واحتال عليه حتى عرفه انه ليس بصاحبها وان صاحبها رجل اسمه عمر ثلثة احرف فعرف عمرو انه عمر رضي الله
عنه فبعث اليه يعلمه ان البلاد ادخرت له فعلم انه لم يقل ذلك الا بعلم فاستخلف عليا رضي الله عنهما
على المدينة وقدم ايليا فكان فتحها على يديه وقيل في سبب قدوم عمر رضي الله عنه ايليا غير هذا
فاخبرني والذي نور الله ضريحه (مضجعه) ٥ وجعل ملايكة الرحمة دايما معه ان اهل ايليا قالوا للمسلمين ارونا
اميركم فان كان الذي نجد صفته عندنا لم نقاتلكم فطلع امير الجيش فقالوا فقاتلوا فبعث المسلمون الى عمر رضي الله
عنه فقدم وجا على راحلته وعليه فرو مرقوع فلقاه المسلمون وقالوا ان هولاء اهل دنيا وانا نرى ان
تركب فرسا وتلبس غير هذه الثياب فاجابهم الى ركوب الفرس ٥ فلما استوى عليه حرك الجيش وقال
اقيلوني اقالكم الله ثم ركب راحلته فلما طلع لاهل ايليا خرجوا فصالحوا قال وكان ذلك مما سبق في الازل
وثبت في الكتاب المنزل فانه لو طلع على تلك الهيئة التي اختار المسلمون لم يوافق الصفة التي كانت عندهم

وذكر

وذكر غيره انه رضي الله عنه نزل وقال ان الله اعزنا بالاسلام فلا نبتغي العز في غيره وقيل انه قال
اني وجدت عزة في نفسي حين ركبته ونزوله رضي الله عنه انما كان لتواضعه وزهده وانه لم يكن في قلبه
غير الالتفات الى مولاه جل جلاله وخالقه سبحانه ٥ ولما شخص عمر رضي الله عنه من الجابية الى ايليا
قال ارقبوا الي كعبا فلما انفرق به الباب قال لبيك اللهم لبيك بما هو احب اليك ثم قصد المحراب محراب
داود عليه السلم وذلك ليلا فصلى فيه فلم يلبث ان طلع الفجر فامر المؤذن بالاقامة فتقدم فصلى بالناس
وقرا بهم ص ٥ وسجد فيها ثم قام وقرا بهم في الثانية صدر بني اسرايل ثم ركع ثم انصرف فقال علي
بكعب فاتي به فقال اين ترى ان نجعل المصلى فقال الى الصخرة فقال ضاهيت والله اليهودية (يا كعب) بل نجعل قبلته
صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها اذهب اليك فانا لم نومر بالصخرة
وانما امرنا بالكعبة فجعل قبلته صدره ثم قام من مصلاه (الى) كناسة كانت الروم قد دفنت بها بيت
المقدس في زمان بني اسرايل فلما صار اليهم ابرزوا بعضا وتركوا سايرها فقال يا ايها الناس اصنعوا كما
اصنع وجثى في اصلها وحثى في ثوبه وسمع التكبير من وراءه وكان يكره سوء الرعة في كل شي فقال
ما هذا قالوا كبر كعب فكبر الناس بتكبيره فقال علي به فاتي به فقال يا امير المومنين انه قد تنبا على
ما صنعت اليوم نبي منذ خمس ماية سنة فقال وكيف فقال ان الروم اغاروا على بني اسرايل فاديلوا
الروم عليهم الى ان وليت فبعث الله نبيا على الكناسة فقال ابشري اوري شلم عليك الفاروق ينقيك
مما فيك وقوله اوري شلم اسم بيت المقدس ويقال شلم بالشين المعجمة وتشديد اللام وفتحها
وسلم بالسين المهملة وكسر اللام وتخفيفها واما اوري ففتح الهمزة وسكون الواو وراء مهملة والف
مقصورة ٥ وفي رواية اخرى اتاك الفاروق في جندي المطيع ويدركون لاهلك بثارك في الروم

عليهم [illegible] فدفنوه ثم اديلوا [illegible] ثم اديل الروم عليهم [illegible] فنصر بني اسرايل [illegible]

قال ويبعث نبي الى القسطنطينية فقام على تلها فقال يا قسطنطينية ما فعل اهلك بنبي وتشبهوك
كعرش ونالوا علي فقد قضيت عليك ان اجعلك جلحا يوما لا ياوي اليك احد ولا يستظل
فيك ٥ وفي رواية اخرى ادعك جلحا بارزة للشمس لا ياوي اليك احد ولا تطلبنه قال
فما امسى وبقي من تلك الكاسة شي ٥ واعلم ان قوله دفنوا بها ببيت المقدس كذا وقع بالباء
ومعناه دفنوا بها بيت المقدس موضعا ٥ وقوله ادبلوا اي نصروا ٥ وقوله وتشبهوك كعرش كذا
وقع بالكاف ٥ وهو والله اعلم على حذف اي يجعلوك كعرش ٥ وجلحا اي بذهاب اشجارها
فتكون كالاجلح وهو الذي ذهب شعر مقدم راسه قال صاحب الروض الانف ومما
وجد من صفته صلى الله عليه وسلم عند الاحبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان السبائي
قال وكان من احبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه فسأله عن اشياء
ثم قال ان ابي كان يختم على سفر يقول لا تقراه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به
فافتحه فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما
تحرم واذا فيه انك خير الانبيا وامتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليك وسلم وامتك
الحمادون قربانهم دماؤهم واناجيلهم صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم
يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي اذا سمعت به فاخرج اليه وامن به وصدق به
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدا النعمان الحديث من اوله فرئي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبتسم ثم قال اشهد اني رسول الله قال صاحب الروض الانف وهو الذي قتله الاسود
العنسي

العنسي وقطعه عضوا عضوا وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه
بالنار قال مصنف هذا الكتاب وكان الاسود العنسي لعنه الله ادعى النبوة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله فدخل عليه فيروز الديلمي وداذويه
الابناوي وقيس بن مكشوح فقتلوه وذلك في مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفاه الله عز وجل فيه
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتلوه فيها وبشر اصحابه بقتله وقال قتله رجل صالح فيروز
الديلمي واعلم ان داذويه بالذال المعجمة اولا وبالدال المهملة ثانيا وبعدها واو مفتوحة ويا ساكنة وها مكسورة
وهو منسوب الى الابناء وهم بقية الجيش الذي بعث كسرى الى اليمن مع سيف بن ذي يزن فاخرجوا
الحبشة **واما ما جاء من ذلك في الزبور** بعد ما تقدم منه ما دلت عليه الاية المتقدمة
ومما جاء من ذلك في وصف النبي صلى الله عليه وسلم في الزبور وذكره بعض العلماء فاضت الرحمة على شفتيك
من اجل ذلك بارك الله الى الدهر ٥ تقلد ايها الجبار السيف ٥ وحمدك احمد ٥ ونواميسك وشرائعك مقرونة
بهيبة يمينك ٥ ركبت على قبائل كلمة الحق ٥ وذلت لك الاشيا المخافة يمينك نبلك مسمومة ٥ وتسقط تحتك
الامم ومما جاء ايضا في وصفه صلى الله عليه وسلم في الزبور انه يجوز من البحر الى البحر ومن ادنى الانهار
الى منقطع الارض وانه تخر اهل الجزائر على ركبهم ٥ وتلحس اعداؤه التراب وتاتيه الملوك بالقرابين وتسجد له
وتدين له بالطاعة والانقياد لانه يخلص المضطهد البائس ممن هو اقوى منه ٥ وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ٥ ويرؤف
بالضعفا والمساكين ٥ وانه يعطى من ذهب بلاد سبا ٥ ويصلى عليه كل وقت ٥ ويبارك عليه في كل وقت
ويوم ويدوم ذكره الى الابد ٥ واعلم ان قوله ونواميسك هنا المراد به الدين والله اعلم والقرابين
الهدايا وقوله وتسجد له اي تخضع وتذل ٥ المضطهد الذي يذله غيره ويقهره **واما ما جاء**

ومن ذلك في الإنجيل فمنه ما دل عليه الكتاب العزيز وهو قوله تعالى ومثلهم في الإنجيل
كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وهذا على
مذهب من رأى أن قوله جل جلاله ومثلهم في الإنجيل في حكم الاستئناف كما تقدم وقوله تعالى وإذ
قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد ومنه ما ذكره ابن إسحق في السيرة قال مما أثبت يحنس الحواري حين نسخ لهم الإنجيل من
عهد عيسى إليهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبغضني فقد أبغض الرب ولكن لا بد أن تتم الكلمة
التي في الناموس أنهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط
هذا الذي من عند الرب فهو شهيد علي وأنتم أيضا لأنكم كنتم قديما معي هذا قلت لكم لكيلا تشكوا قال
ابن إسحق والمنحمنا بالسريانية محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما ذكره أبو الحسين علي بن زنين
في كتابه محتجا على النصارى بعد ذكر ما تقدم ذكره في التوراة قال ومن ذلك ما شهد به المسيح
عليه السلام في الإنجيل وبينه لكم فقال للحواريين أنا أذهب وسيأتيكم البرقليط روح الحق الذي لا يتكلم من
قبل نفسه إنما يقول ما يقال له يقول وهو يشهد علي وأنتم تشهدون وكل شيء أعد لكم يخبركم به قال وترجمة البرقليط
أحمد وقيل المخلص وغيره يقول في هذا الاسم الفرقليط بالفاء أحب القاف ومعناه الفارق بين الحق والباطل
واعلم أن قوله يعزوني يغلبوني وقوله الكلمة التي في الناموس المراد به والله أعلم الملك الذي يأتي بالوحي
والناموس صاحب سر الرجل ويحتمل أن يراد بالناموس اللوح المحفوظ لأن الناموس أيضا وعاء العلم ومن
ذلك ما ذكره صاحب كتاب قصص الأنبياء عليهم السلام عن وهب بن منبه قال إن عيسى عليه السلام لما اتبعه
الحواريون وأمره ربه سبحانه أن يظهر نبوته ويدعو الناس إلى دينه وكانت شرائع الإنجيل تخالف في أشيا
لشرائع

لشرائع التوراة فذلك قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلما اختلفت شرائعه ومناهجه أنكروا
ذلك وخالفوه فدعاهم فقال يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة تجدوني نعتي
في التوراة وشرائعي وكان الإنجيل عفوا وصفحا ورأفة ورحمة ليس فيه قصاص وكانت التوراة فيها القصاص
والقتل والقطع فأنكروا ذلك قال مصنف هذا الكتاب ولما كان دين الإسلام ثبتنا الله عليه أشرف الأديان
وأكملها وناسخها وخاتمها وجامع محاسنها جاء فيه الحكمان معا قال الله عز وجل وإن عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال جل جلاله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح
فأجره على الله قال وكان أول ما دعاهم إلى الإيمان به وتصديقه ما جاء به الإيمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم فذلك قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وهو محمد صلى الله عليه وسلم اختاره الله عز
وجل واصطفاه وطهره في أصلاب آبائه ليس بفظ ولا غليظ وعن وهب بن منبه فيما أوحى الله
عز وجل إلى عيسى صلوات الله عليه قال الله يا عيسى بشر بين يديك وقل لهم إني أنا الله لا إله إلا أنا
وحدي فآمنوا وصدقوا بما جاء به عيسى بن مريم وبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم الأمي صاحب الجمل
يا عيسى قل لبني إسرائيل اتبعوا النبي العربي الأمي صاحب الجمل صاحب التاج وهي العمامة والنعلين والهراوة
وهي العصا الأنجل العينين الصلت الجبين المفروق الحاجبين البادي العنفقة الكث اللحية الششن البنان
الضخم المشاش الرجل الشعر النكاح للنساء ذا النسل القليل نسله من صديقة تكفله يا عيسى كما كفل
زكريا أمك له منها ابنة له منها فرخان مستشهدان لها في الجنة قصر من قصب لا نصب فيه
ولا صخب ابعثه يا عيسى على حين فترة من الرسل أنزل عليه كتابا فرقانا قرآنا مفصلا أفتح به وأختم به
أمته خير من مضى وخير من بقي يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم بسم الله الرحمن الرحيم

الأنبياء والصديقون في الجنة بسم الله الرحمن الرحيم يا عيسى رعاة الشمس يعني المؤذنون من أمة محمد
الأولون والآخرون في الجنة بسم الله الرحمن الرحيم يا عيسى أمة محمد الأولون والآخرون في الجنة أفتح له
ولأمته فتحا يسيرا وأنصرهم نصرا عزيزا مثلهم كمثل زرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه
فالشطء محمد صلى الله عليه وسلم شبهه بأول الزرع أول نبته حين تنفلق عنه الحبة فخرج وحده كذلك
محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده فآزره أصحابه من بعد خروجه كما آزر النبت الذي يخرج من بعد
الشطء فانشعب بينا حتى استوى حول الشطء على سوقه كذلك اجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم
فاستووا على أمرهم كما استوى هذا النبت الذي ينبت حوله من الشمس لا تحرقه فكذلك آزر أصحاب
محمد محمدا صلى الله عليه وسلم فكما يعجب الزراع حسن زرعه كذلك يغيظ الكفار كثرة أمة
محمد صلى الله عليه وسلم وجماعتهم ٥ وعد الله الذين آمنوا يعني صدقوا بتوحيد الله وعملوا الصالحات
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما يعني جزاء وافرا وهي الجنة قال
وهب ثم قال الله تبارك وتعالى لعيسى يا عيسى إني رافعك إلي قال ولم يا رب قال إذا بلغت عني رفعتك إلى
السماء ثم أهبطك إلى الأرض في آخر الزمان لتعين أمة محمد على قتال اللعين الدجال ثم أتوفاك التي بعد أن
ترى أمة محمد الآيات والعجائب ٥ قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الأنبياء إخوة لعلات وإن أقربهم إلي وأولاهم بي عيسى بن مريم وإنه ينزل في آخر الزمان
فيعين أمتي على قتال اللعين الدجال ٥ واعلم أن قوله وهي العصا يريد عصا الخطابة وقيل هي التي يذود
بها الناس من غير أمته عن حوضه يوم القيامة والأنجل العينين الواسعهما واللحية الكثة المجتمعة
الأصول من غير طول والشثن الغليظ والبنان الأصابع والمفاصل ضخم المنثم ملتقى المفاصل والرجل الذي
كان

كان شعره قد مشط وقصر من قضيب أي من لؤلؤ مجوف والنصب التعب والصخب الصياح
والجلبة والسوق جمع سارق ولخوة لعلات أي لأمهات شتى واعلم أن ما ذكره من تفسير
الآية هو والله أعلم من تفسير وهب بن منبه ٥ ويحتمل أن يكون من تفسير صاحب كتاب قصص الأنبياء
عليهم السلام وما ذكره من تفسير الشطء بالنبت الذي تنفلق عنه الحبة يقرب من قول
الأخفش فإنه قال في قوله عز وجل أخرج شطأه طرفه والأشهر في اللغة أن الشطء فراخ الزرع
فيكون الزرع إشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والشطء إشارة إلى أصحابه رضي الله عنهم ٥
وقوله آزره أي قواه وأعانه والله أعلم ٥ واعلم أن تفسير هذا الباب على أربعة أقسام
إنما هو بحسب المشهور من الكتب الأربعة ٥ وقد ذكر بعض العلماء أن في كتاب شعيا النبي
عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وسلم عبدي الذي سرت به نفسي وخيرتي أفيض عليه روحي
أو قال أنزل عليه روحي فيظهر في الأمم عدلي يوصي الأمم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته في
الأسواق يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيي القلوب الغلف ٥ وما أعطيه لا أعطي
غيره ٥ أحمد يحمد الله حمدا جديدا يأتي من أقصى الأرض تفرح البرية وسكانها يهللون الله على
كل شرف ٥ ويكبرونه على كل رابية ٥ لا يضعف ولا يغلب ٥ ولا يميل إلى اللهو ولا يسمع
في الأسواق صوته ٥ ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن
المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفأ أثر سلطانه على كتفيه يعني خاتم النبوة ٥ وفي أخرى هو
نور الله الذي يظهر ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حقي وينقطع به العذر وأن في كتاب الله حزقيل
النبي عليه من خطاب الله عز وجل لبني إسرائيل إني مؤيد بني قيدار بالملائكة فيخرجون بالخيل البيض

والسلاح واجعل الذين تحت اقدامهم فيدينونكم بين ايديهم ويمشون انفسكم بالحمية والقضيب ولا يرفعون
ابصارهم ينظرون اليكم ويعبرونكم من لباسكم ويسلبونكم الله مجدكم وجميع رضاى يصنعونه بكم
وقيدار رجل العرب وهو ولد اسمعيل عليه السلام لصلبه قال ذلك صاحب كتاب الفصول ٥
وفي كتاب نبي آخر كان زمن دانيال عليه السلام سيبدو الحق من اليمن ومقدس من جبال فاران يعطي
السماء بهاء ويملا الارض وجهه مشرق كاشراق النور يطير الموت بين يديه وتنفر الطير لموضع قدمه
قام يمسح الارض وكذب جميع الشعوب وتزلزلت له اقطار الارض وجبال العالم الشامخة
واعلم ان شعيا بالشين المعجمة المفتوحة وعين مهملة ساكنة وياء منقوطة باثنتين من اسفل والف
مقصورة وحزقيل بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة وكسر القاف على وزن فعليل ٥ وقيذار
بفتح القاف وسكون الياء المنقوطة باثنتين من اسفل وبالذال المعجمة وآخره راء مهملة ٥ قوله يجيء من اليمن لانه
جاء من المدينة وهي موضع الانصار وهم من اليمن ٥ وقوله من جبال فاران يعني جبال مكة فذكر موضع بعثه
صلى الله عليه وسلم وموضع هجرته ٥ واعلم ان قوله واجعل الذين تحت اقدامهم المراد به والله اعلم الجزاء
ومنه قوله تعالى ملك يوم الدين والاشارة بقوله اجعل الذين تحت اقدامهم الى قدرتهم على الجزاء وانه
كالشيء الذي يطونه ولا يلتفتون اليه لامكانه عندهم وقدرتهم عليه ويحتمل ان يريد بالدين الملك كما قال
النابغة ٥ ... دين عمرو وحالت بيننا فدك ٥ فيكون في ذلك مع الاشارة الى القدرة
الاشارة الى الزهد وانهم لا يلتفتون الى الملك وهو عندهم كالشيء الذي يطونه باقدامهم والله اعلم

بلغ مقابلة

الباب الثالث

في ما جاء من الاخبار عن الربانيين والاحبار

اعلم ان المراد بالاحبار علماء اليهود واختلف في الربانيين واحدهم رباني فقيل هو العالم العامل وقيل
هو المدبر لامور الناس ٥ وقيل هو المتاله العارف بالله عز وجل وهذا ارجح الاقوال فان الرباني منسوب
الى الرب جل جلاله كما قالوا في النسبة الى الجمة جماني وهو العظيم الجمة فيكون معنى الرباني العالم المنقطع الى
الله عز وجل المشتغل بعبادته المؤثر لرضاه على ما سواه ٥ وعلى هذا فلا يليق هذا الوصف باحد من
احبار اليهود الا بمن كان بهذه الاوصاف فعلى هذا كل رباني حبر وليس كل حبر ربانيا والمراد بالرباني في هذا
الباب كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لانهم الذين تحققت فيهم هذه الصفة في الجاهلية والاسلام
فانهم امتثلوا امر الله عز وجل واتبعوا رضوانه ولم تغرهم حب الرياسة والالتفات الى زهرة الدنيا
ولا كانوا كمن اعرض عن الحق وانكره وهو يعرفه وحرف الكتاب وبدله نعوذ بالله من سخطه وغضبه
واليم نكاله وعذابه انه هو الغفور الكريم الرحمن الرحيم ٥ واذا عرفت ذلك فاعلم ان هذا الباب على
اربعة اقسام الاول ما جاء من ذلك قبل ولادة النبي صلى الله عليه وسلم الثاني
ما جاء من ذلك حين الولادة الثالث ما جاء من ذلك بعد الولادة وقبل البعث الرابع ما جاء من ذلك
بعد البعث اما ما جاء من ذلك قبل الولادة فمنه ما ذكره ابن اسحق من ان تبعا الآخر وهو تبان
اسعد ابو كرب كان خلف ابنا له بالمدينة فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على اخرابها واستئصال اهلها
وقطع نخلها فقاتلته الانصار ويزعمون انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك
ويقول ان قومنا لكرام فبينما هو على ذلك اذ جاءه حبران من احبار يهود بني قريظة عالمان راسخان حين
سمعا بما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك

وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك قالا لهي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من
قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما وانصرف
عن المدينة واتبعهما على دينهما وكان تبع وقومه أصحاب أوثان فوجه إلى مكة وهي طريقه على اليمن حتى
إذا كان بين عسفان وأمج أتاه نفر من هذيل بن مدركة فقالوا أيها الملك ألا ندلك على مال داثر أغفلته الملوك
قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده
وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا بهلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى
الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتا لله اتخذه في
الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال فما ذا تأمرانني أن
أصنع إذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى
تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك
ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك
فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقطع أيدي النفر من هذيل وأرجلهم ثم مضى حتى أتى البيت فطاف بالبيت ونحر
عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل
وأري في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه
المعافر ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فكان فيما يزعمون أول من كسا البيت
وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاة وهي المحائض وجعل له بابا
ومفتاحا وقالت سبيعة بنت الأحب لابنها خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تبعا

وما صنع

وما صنع فيها

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني ولا يغرنك الغرور ٥ أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
أبني يضرب وجهه ويلح بخديه السعير ٥ أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
الله آمنها وما بنيت بعرصتها قصور ٥ والله آمن طيرها والعصم تأمن في ثبير
ولقد غزاها تبع فكسا بنيتها الحبير ٥ وأذل ربي ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشي إليها حافيا بفنائها ألفا بعير ٥ ويظل يطعم أهلها لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير ٥ والفيل أهلك جيشه يرمون فيه بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والخزير ٥ فاسمع إذا حدثت وافهم كيف عاقبة الأمور

واعلم أن قوله تبان أسعد بكسر التاء المثناة وتشديد الباء المنقوطة بواحدة وهو مضاف إلى أسعد
وأبو كرب بفتح الكاف وكسر الراء وهو بدل أو عطف بيان لأن الأول اسمه والثاني كنيته وغيلة
بالغين المعجمة أي اغتيالا على غفلة ويقرونه أي يضيفونه من القرى وهو الضيافة وقريظة بضم
القاف وبالظاء المعجمة ووجه إلى مكة أي قصد ومعناه وجه وجهه إليها وعسفان بضم العين وسكون
السين المهملتين وأمج بفتح الهمزة وفتح الميم وهما موضعان بين مكة والمدينة وأغفلته أهملته ولم
تفطن له والخصف بالخاء المعجمة والصاد المهملة قيل هي ثياب غلاظ وقيل هي شيء ينسج من الخوص والليف
والواحد خصفة والمعافر ثياب تصنع باليمن والأصل أن يقال ثوب معافري منسوب إلى معافر
قبيلة من اليمن وموضع أيضا يسمى بالقبيلة ومنع الأصمعي أن يقال ثوب معافري بياء النسبة وإنما يقال
ثوب معافر وأجاز ذلك غيره وهو الصحيح والملاء جمع ملاءة وهي الريطة إذا لم تكن لفقين وهي من جيد الثياب

والوصايل ثياب موصّلة من ثياب اليمن واحدها وصيلة والملاءة بكسر وسكون الهمزة بعدها خرقة
تكون للحايض وجمعها الملاءى وشبعة بالسين المهملة مضمومة والأجب بالجيم ويقال بالحاء المهملة ايضا
وبيوت بهلك والعضم الأوعال وثبير جبل بمكة والحبير ثياب الحبرات والرحيض من الشعر اى المنقى
والمصفى وقولها والملك في أقصى البلاد إشارة الى انهم أهلكوا ومملكتهم منتشرة في البلاد ولم تغن عنهم
شيئا ومنه ما ذكره الفقيه ابو محمد رحمه الله بسنده عن عبد الرحمن ابن عوف ان عبد المطلب
خرج الى اليمن في رحلة فلقيه رجل من يهود فقال له يا عبد المطلب هل لك أن تاذن لي ان انظر الى شىء منك
قال نعم ما لم تكن عورتي قال لست اريد عورتك وانما اريد انفك ويدك قال فاذن له عبد المطلب فقلب انفه
ويديه فبسط يديه ونظر فيهما فقال أرى في احدى يديك ملكا وفي انفك نبوة ولا نرى ذلك الا في بني زهرة
يا عبد المطلب هل لك من شاعة يريد زوجة قال لا قال يا عبد المطلب فتزوج من بني زهرة فرجع عبد المطلب
فتزوج هالة بنت وهيب وزوج عبد الله ابا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنة بنت وهب فرجح عبد الله
على عبد المطلب واعلم أن قوله من شاعة وقع في بعض النسخ بالشين المعجمة والعين المهملة وفي بعضها
بالسين المهملة والغين المعجمة والأول والله أعلم الصواب وأما ما جاء من ذلك في حين الولادة
فمنه ما ذكره الفقيه أبو محمد ايضا أن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان روى عن امه عن أبيها قال لما كانت
الليلة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم قال حبر كان بمكة يا أهل مكة يولد في بلادكم هذا النبي
الذي يوصف أن يعظم موسى وهرون ويقتل ذريتهما فان أخطاكم فبشروا به أهل ايلة أو أهل الطايف
قال فولد النبي صلى الله عليه وسلم من آخر تلك الليلة فخرج الحبر حتى دخل الحجر فقال أشهد أن لا اله الا الله وان
موسى حق وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حق والتالي لموسى من كذب به فاني مؤمن به ثم فقد فلم يقدر عليه
وعن

31

وعن ابن اسحق بسنده عن حسان بن ثابت قال والله إني لغلام يفعة ابن سبع أو ثمان أعقل كلما سمعت إذ
سمعت يهوديا يصرخ على أطمة بيثرب يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا ويلك ما لك قال طلع الليلة
نجم أحمد الذي يولد به ، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عايشة رضي الله عنها ان يهوديا كان بمكة وكان
يبيع العطر فجا فوقف على كفار قريش فيهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من المشايخ فقال اليهودي
هل ولد فيكم الليلة مولود فقال بعضهم لبعض هل ولد فينا فقالوا كلهم لا نعرف فقالوا لليهودي لم يولد فينا مولود
فقال اما إذا اخطاكم ففي فلسطين فقاموا وتفرقوا وعجبوا من قول اليهودي فلما رجعوا الى منازلهم سالوا فقالوا نعم
ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن فقاموا باجمعهم فجاؤوا الى اليهودي فقالوا انه قد ولد فينا الليلة مولود فقال
اليهودي فأرونيه فذهبوا الى امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أخرجي ابنك الذي ولدت
فاخرجته فلما نظر اليهودي الى الخاتم وقع مغشيا عليه قال فتعجب كفار قريش حتى افاق من غشيته فقال
اليهودي افرحتم يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق ويخرج خبرها من المغرب
لقد ذهبت والله نبوة بني اسرايل ٥ واعلم أن قوله يفعة بفتح الفاء وهو الذي ارتفع عن حد الصغر
والاطمة أي حصنة والجمع اطام وفلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وأما ما جاء من ذلك
بعد الولادة وقبل البعث ٥ فمنه ما ذكره الاستاذ ابو اسحق الثعلبي رحمه الله في تفسير قوله عز وجل
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الآية اليهود كانوا من
قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون ويستنصرون قال وذلك انهم كانوا يقولون اذا
حزبهم أمر ودهمهم عدو اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في
التوراة وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم

فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من غير بني اسرائيل كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين

ومنه ما ذكره الفقيه ابو محمد رحمه الله من ان اليهود كانت تستفتح على الانصار بالنبي صلى الله عليه
وسلم قبل خروجه وكانت تقول اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس • ولما سمعت انه ظهر بمكة
قالت لمن على الكفر من اهل المدينة اما والله لقد ظهر هذا الرسول الذي بمكة فانه يصدقنا وانا لنقتلنكم معه
قتل عاد وارم فانه يبعث بسفك الدماء • فلما ظهر وكان من غيرها كفرت به بغيا وحسدا للنبي صلى الله عليه وسلم
ومنه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وذكره الفقيه ابو محمد رحمه الله قال كانت يهود خيبر تقاتل
غطفان فتهزم اليهود فقالت اليهود يوما اللهم بحق هذا النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان
الا نصرتنا فكانوا ينصرون بهذا الدعا فلما بعث كفروا به • وفي ذلك نزل قوله تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين • ومنه ما حكاه ابن اسحق
من حديث سلمة بن وقش رضي الله عنه قال كان بين ابياتنا رجل يهودي فخرج ذات غداة حتى
جلس الى بني عبد الاشهل في ناديهم وانا غلام علي بردة مضطجع بفنا اهلي فاقبل اليهودي يذكر البعث والجنة
والنار وكان القوم لا يرون ان حياة تكون بعد موت فقالوا له يا فلان اترى هذا كاينا ان الله يبعث العباد
بعد الموت اذا صاروا ترابا وعظاما الى دار غير هذه الدار ويجزون فيها بحسب اعمالهم وبسببها ثم يصيرون الى
جنة ونار قال نعم والذي نفسي بيده وايم الله لوددت ان حظي من تلك النار ان يسجر لي اعظم تنور في داركم
ثم اجعل فيه ثم يطين علي قالوا وما علامة ذلك قال نبي يبعث من هذه البلاد واشار الى مكة قالوا ومتى
ذلك من الزمان قال لن يستنفذ هذا الغلام ظهره يدركه قال سلمة فما ذهب الليل والنهار حتى بعث
الله رسوله صلى الله عليه وسلم وان اليهودي لحي بين اظهرنا فامنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر به
وكذبه

وكذبه ومنه ما رواه ابن اسحق وثبت في الاعلام ايضا قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ بني
قريظة قال تدري لم كان اسلام ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسيد بن عبيد نفر من هلال من بني هذيل
اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا اسيادهم في الاسلام قلت لا قال كان رجل من
يهود من اهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا لا والله ما راينا رجلا
لا يصلي الخمس افضل منه فاقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر نقول اخرج فاستسق لنا فيقول لا والله حتى
تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا
الى حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمر السحاب ويسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلثا
قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر
والخمير الى ارض البوس والجوع قلنا انت اعلم قال فاني انما قدمت هذه البلدة اتوكف خروج نبي قد اظل
زمانه هذه البلدة مهاجره فكنت ارجو ان يبعث فاتبعه قد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود
فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنسا ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هولا الفتية وكانوا شبانا احداثا يا بني قريظة والله انه
للنبي الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا والله انه لبصفته فنزلوا فاسلموا واحرزوا
دماهم واموالهم واهليهم • واعلم ان قوله سلمة بفتح اللام وقش بفتح القاف وسكون الشين المعجمة وسعية بفتح السين
وسكون العين المهملتين وبعدها يا منقوطة باثنتين من اسفل ويقال سعنة بالنون ايضا • واسيد بفتح الهمزة
وكسر السين ويقال بضم الهمزة وفتح السين وسكون اليا وتخفيفها • وهذيل بفتح الهاء وفتح الذال • والهيبان بفتح الهاء
وكسر اليا وتشديدها • واتوكف ارقب • واظل اشرف ودنا • واحرزوا احازوا ومنعوا

ومما جاء من ذلك بعد البعث منه ما في السيرة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان
حبرًا عالمًا قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له
وكنت مسرًّا لذلك صامتًا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف
أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة ابنة الحرث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر
بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري خيبك الله والله لو كنت
سمعت بموسى بن عمران قادمًا ما زدت قال فقلت لها أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما
بعث به قال فقالت أي ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة قال قلت لها نعم قالت فذاك إذًا
قال ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا قال وكتمت
إسلامي من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن يهود قوم بهت وإني أحب أن
تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم ثم تسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني قال
فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أي رجل
الحصين بن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت
لهم يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجدونه
عندكم في التوراة مكتوبًا عندكم باسمه وصفته وإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن
به وأصدقه وأعرفه فقالوا كذبت ثم وقعوا بي قال فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله
أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة
بنت الحرث فحسن إسلامها. قولها مع نفس الساعة بفتح الفاء. **ومنه ما رواه** الفقيه أبو محمد
رحمه

رحمه الله في الإعلام بسنده عن عبد الله بن سلام أن الله عز وجل لما أراد هدى زيد بن سعنة قال زيد ما من
علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا فكنت أتلطف له لأن أخالطه وأعرف حلمه من جهله فخرج يومًا من الحجرات
يريد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجاء رجل يسير على راحلته كالبدوي
فقال يا رسول الله إن قرية بني فلان أسلموا ودخلوا في الإسلام وخبرتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغدًا
وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث وإني مشفق أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا
فإن رأيت أن ترسل إليهم شيئًا تعينهم به فعلت فقال زيد بن سعنة فقلت أنا أبتاع منك بكذا
وكذا وسقًا فباعني وأطلقت هميانى وأعطيته ثمانين دينارًا فدفعها إلى الرجل فقال اعجل عليهم بهذا وأغثهم
فلما كان قبل المحل بيوم أو يومين أو ثلاث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة بالبقيع ومعه
أبو بكر وعمر في نفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة ودنا من الجدار جبذت بردائه جبذة شديدة حتى سقط
عن عاتقه ثم أقبلت عليه بوجه جهم غليظ فقلت ألا تقضيني يا محمد فوالله ما علمتكم بني عبد
المطلب لمطل ولقد كان لي بمطلكم علم ثم قال عمر أي عدو الله أتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتصنع به ما أرى وتقول ما أسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسك ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في تؤدة وسكون ثم تبسم ثم قال لأنا أحوج إلى غير هذا أن تأمرني
بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا مكان ما
رعته قال زيد بن سعنة فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر فقلت ما هذا
قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك فقلت أتعرفني يا عمر فقال لا فمن

انت قال زيد بن سعنة فال الحبر قلت الحبر قال فما دعاك ان تفعل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما
فعلت وتقول له ما قلت يا عمر انه لم يبق من علامات النبوة شيء الا عرفتها في وجه رسول الله (قلت اما قلت)
صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتان لم اختبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل عليه الا حلما فقد اختبرته منه فاشهدك يا عمر اني رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا واشهدك ان
شطر مالي فاني اكثرهم مالا صدقة على امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عمر او على بعضهم فانك لا
تسعهم كلهم قلت او على بعضهم قال فرجع عمر وزيد بن سعنة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
زيد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فامن به وصدقه وبايعه وشهد
مشاهد كثيرة واعلم ان سعنة في هذا الخبر يقال بالبا والنون الا ان النون في هذا اشهر والياء
في الذي سبق اشهر « وقوله كالفلك المشتد بر محمل وجهين احدهما ان يكون بضم الفا وسكون اللام
فيكون المراد به السفينة وهو يذكر ويونث « والثاني ان يكون بفتحها فيجوز ان يريد الرحى تشبيها
تشبيها بالفلك وان يريد موج البحر **ومنه ما جا** في صحيح البخاري عند ذكر هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه رضي الله عنهم الى المدينة في قصة اسلام عبد الله بن سلام عن انس قال اقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة فذكر الحديث حتى قال فلما جا نبي الله صلى الله عليه وسلم جا عبد الله بن سلام
فقال اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك جئت بحق وقد علمت يهود اني سيدهم وابن
سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا باني قد اسلمت (بإسلامي) فانهم ان يعلموا اني قد اسلمت
قالوا في ما ليس في فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويلكم يا معشر اليهود اتقوا الله فوالذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم
بحق

بحق فاسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلث مرات قال فاي رجل فيكم عبد الله بن
سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم قالوا حاشى لله ما كان ليسلم
قال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا معشر اليهود اتقوا الله فوالذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول
الله وانه جا بحق فقالوا كذبت فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
اي قالوا ذاك « وقوله قال ذاك ثلث مرار اي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ثلث مرار **ومنه ما**
صح في البخاري ايضا في باب خلق ادم عليه السلام وذريته قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة فاتاه فقال اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي قال ما اول اشراط الساعة وما اول
طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه « ومن اي شيء ينزع الى اخواله فقال النبي (رسول) صلى الله عليه
وسلم اخبرني بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب « واما اول طعام ياكله
اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماؤه كان الشبه
له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت
ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجات اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله اليهم فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه « قوله بهت
جمع باهت كنازل ونزل قوله اخيرنا جا على الاصل لان الاصل في قوله اخيرنا اخير **ومن ذلك**

ما جاء في السيرة من قصة مخيريق وقصة حيي بن اخطب ، فاما قصة مخيريق فقال ابن اسحق وكان
من قصة مخيريق وكان حبرا عالما وكان رجلا غنيا كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصفته وما يجد عنده في علمه وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم احد
وكان يوم احد يوم السبت قال يا معشر يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان
اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم اخذ سلاحه فخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه باحد وعهد الى من وراه من قومه ان قتلت في هذا اليوم فاموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع
فيها ما اراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يقول مخيريق
خير يهود وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ه
واما قصة حيي ابن اخطب فقال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن ابي بكر قال حدثت عن صفية بنت حيي
انها قالت كنت احب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر لم القهما قط مع ولد لهما الا اخذاني دونه قالت فلما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه ابي حيي بن اخطب
وعمي ابو ياسر مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس قالت فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان
الهوينا قالت فهششت اليهما كما كنت اصنع فوالله ما التفت الي واحد منهما مع ما بهما من الغم قالت
وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لابي حيي بن اخطب اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما
رايك فيه قال عداوته والله ما بقيت ، الهوينا مشية فيها بطوء ، ومن ذلك ما جاء في
الترمذي عن صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فقال له صاحبه لا تقل نبي
انه لو سمعك كان له اربع اعين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع ايات بينات
فقال

فقال لهم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا
تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت قال فقبلوا يده ورجله وقالوا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا
ان داود عليه السلام دعا ربه عز وجل ان لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود قال ابو
عيسى هذا حديث حسن صحيح ومن ذلك ما ذكره الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان عمر رضي الله عنه قال لليهود انشدكم بالرحمن الذي انزل التوراة على موسى بطور سيناء اتجدون محمدا عندكم فاسكتوا
فقال تكلموا فوالله ما يسئ لكم وانا شاك في شيء من ديني فقالوا نعم انا نجده مكتوبا عندنا ولكن صاحبه من الملايكة
الذي ياتيه بالوحي جبريل وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب او قال خسف ولو انه كان ياتيه ميكايل اذا
لامنا ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليه يعني قل من كان عدوا لجبريل الى الكافرين وعن ابن عباس ان عمر
قال لليهود انشدكم بالذي اصطفاكم من رسله بموسى ومن كتبه بالتوراة ما تقولون في هذا الرجل يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض قد نشدكم الرجل فاخبروه قالوا نبي قال فما يمنعكم من ان تومنوا به
قالوا لو كان ياتيه من الملايكة ميكايل صدقناه وامنا به فانه ولينا من الملايكة قال فانشدكم بالذي
اصطفاكم من رسله بموسى ثم سالهم عن غير ذلك من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم على ربه وحظوته
عنده فاخبروه بان ذلك كما حكى قال وروى عبد الله بن الوليد عن بكير عن ابن شهاب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اقبلت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القسم نسالك عن
اشيا فان اجبتنا اتبعناك وصدقناك وامنا بك قال فاخذ عليهم ما اخذ اسرائل على بنيه اذ قال الله

على ما نقول وكيل قال قالوا اخبرنا عن علامة النبي قال تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا فاخبرنا كيف تؤنث
المرأة وكيف تذكر قال يلتقي الماآن فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة اذكرت واذا علا ماء المرأة ماء الرجل انثت
قالوا صدقت فاخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب حيث ما شاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى
حيث امر قالوا صدقت فاخبرنا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يسكن البدو فاشتكى عرق النساء فلم يجد
شيئا يلائمه الا لحوم الابل والبانها فلذلك حرمها على نفسه قالوا صدقت فاخبرنا من الذي ياتيك من
الملائكة فليس من نبي الا ياتيه ملك من الملائكة عن ربه بالرسالة والوحي فمن صاحبك فانه انما
بقيت هذه ونتابعك قال جبريل قالوا ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال ذاك عدونا فلو قلت
ميكائيل الذي ينزل بالعظمة والرحمة تابعناك فانزل الله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل الى قوله
الكافرين وقوله مخاريق الاصل في المخراق المنديل يلف ليضرب به ومن ذلك ما ذكره
صاحب كتاب الفصول في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم قال وروى الاصمعي قال حدثنا
ابن ابي الزناد قال حدثنا عبد الرحمن بن الحرث عن عمرو بن حفص قال عبد الرحمن وكان من خيار الناس قال كان
عند ابي وعند حتى ورقة نتوارثها قبل الاسلام بزمان فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في
تباب هذا الذكر لامة تاتي في اخر هذا الزمان يأتزرون على اوساطهم ويغسلون اطرافهم ويخوضون
البحور الى اعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح عليه السلام ما هلكوا بالطوفان او في ثمود ما هلكوا
بالصيحة فاخبروني انهم جاؤوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقروها واخبروا بخبرها فامرهم ان
يضعوه بين اضعاف المصحف فان قلت هذا فيه اشكال لان المصحف انما كتب في زمن ابي بكر رضي الله
عنه

عنه قلت لا يبعد ان يكون بعض المصحف مكتوبا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فوقعت الاشارة اليه
والله أعلم

الباب الرابع

في ما جاء عن القسيسين والرهبان من واضح الدلالة والبرهان

واعلم ان المراد بالقسيسين رؤساء النصارى واحدهم قسيس ويقال قس بفتح القاف بمعناه
والمراد بالرهبان اصحاب الصوامع والديارات واذا عرفت ذلك فاعلم ان هذا الباب على
قسمين احدهما ما جاء عن القسيسين والثاني ما جاء عن الرهبان اما القسم الاول فمنه ما جاء
عن هرقل وثبت ذكره في صحيحي البخاري ومسلم ففي البخاري رحمه الله حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع
قال اخبرنا شعيب عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبد الله بن عباس اخبره
ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وقريشا فاتوه وهم بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله
عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي
فقال ابو سفيان فقلت انا اقربهم فقال ادنوه مني وقربوا اصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم
قال لترجمانه قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذب فكذبوه فوالله لولا الحياء ان ياثروا علي
كذبا لكذبت عنه ثم كان اول ما سالني عنه ان قال كيف نسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو
نسب قال فهل قال هذا القول احد مثله قلت لا قال فهل من اباءه من ملك قلت لا قال فاشراف
الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون

قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان
يقول ما قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ولم تمكني كلمة
ادخل فيها شيئا غير هذه قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال وكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه
سجال ينال منا وننال منه قال ماذا يامركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا
واتركوا ما يقول اباؤكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال لترجمانه اني
سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك
هل قال احد منكم هذا القول فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل
يأتسي بقول قيل قبله وسألتك هل كان من اباءه من ملك فذكرت ان لا فلو كان من اباءه من ملك
قلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا
فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل وسألتك اشراف الناس
اتبعوه ام ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسألتك ايزيدون ام ينقصون
فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسألتك ايرتد احد منهم سخطة لدينه بعد
ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت
ان لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك
موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم انه خارج لم اكن اظن انه منكم فلو اني اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو
كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية

الى

الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى
هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم اليريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده
الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد امر امر ابن ابي كبشة
انه يخافه ملك بني الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله علي الاسلام وكان ابن الناطور
صاحب ايلياء وهرقل سقف على نصارى الشام يحدث ان هرقل حين قدم ايلياء اصبح يوما خبيث النفس
فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور صاحب ايلياء وكان هرقل حزاء ينظر
في النجوم فقال لهم اني رايت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه
الامة قالوا ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شانهم واكتب الى مداين ملكك فليقتلوا
من فيهم من اليهود فبينما هم على امرهم اتي هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا امختتن هو ام لا فنظروا اليه فحدثوه
انه مختتن وسأله عن العرب فقال هم يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب الى
صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى اتاه كتاب من
صاحبه يوافق راي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي فاذن هرقل لعظماء
الروم في دسكرة له بحمص ثم امر بالابواب فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في

الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب
فوجدوها قد غلقت فلما راى هرقل نفرتهم وايس من الايمان قال ردوهم علي فقال اني قلت
مقالتي انفا اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رايت فسجدوا له ورضوا عنه وكان ذلك اخر شان
هرقل • واعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم بدعاية الاسلام مصدر بمعنى الدعوة الا انه
جا على فعالة لما فيه من المبالغة والاشارة الى استمرار الدعوة واستقرارها كالولاية والسياسة
وقوله اثم الاريسيين ويقال الاريسين بالهمز ايضا واراد به اتباعه الذين يتبعونه على ذلك الدين
وامر بكسر الميم اي عظم وعلا واصله من الكثرة يقال امر القوم اي كثروا وابن ابي كبشة قيل كان
احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امه وقيل كان رجل يعبد الشعرى العبور في الجاهلية وخالف
العرب في عبادة الاوثان فكانت قريش تشبه النبي صلى الله عليه وسلم لمخالفته دينهم به وقوله
حزاء اي يتكهن ضربا من الكهانة والزجر والدسكرة قصر حوله بيوت وحاصوا انفروا وذهبوا
واذا عرفت ذلك فاعلم ان حديث هرقل في كتاب البخاري رحمه الله في هذا المكان لم يذكر فيه الجواب
عن قوله فهل قاتلتموه وقول ابي سفيان الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه وقد كرر البخاري
رحمه الله هذا الحديث في كتاب الجهاد وكتاب التفسير واخرجه من غير الطريق الذي اخرجه منه في اول
الكتاب وهو كتاب الايمان فقال في كتاب الجهاد حدثنا ابرهيم بن حمزة قال حدثنا ابرهيم بن سعد
عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس اخبره ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتب الى قيصر يدعوه الى الاسلام وبعث بكتابه دحية الكلبي وامره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يدفعه الى عظيم بصرى ليدفعه الى قيصر وكان قيصر لما دفع الله عنه جنود فارس
مشى

مشى من حمص الى ايلياء شكرا لما ابلاه الله عز وجل فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
التمسوا لي ههنا احدا من قومه لاسالهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فاخبرني ابو
سفيان بن حرب انه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجارا في المدة التي كانت بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين كفار قريش قال ابو سفيان فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بي وباصحابي
حتى قدمنا ايلياء فادخلنا عليه فاذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج واذا حوله عظماء
الروم فقال لترجمانه سلهم ايهم اقرب نسبا الى هذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال ابو سفيان فقلت انا اقربهم
نسبا قال ما قرابة ما بينك وبينه فقلت هو ابن عمي وليس في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري فقال قيصر ادنوه
وامر باصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي وساق الحديث نحو ما تقدم الان في بعض الالفاظ زيادة ومخالفة
وقال فيه فهل قاتلتموه قال قلت نعم فقال وكيف كان حربه وحربكم قال قلت كان دولا وسجالا
يدال علينا مرة وندال عليه اخرى ثم قال بعد ذلك عند الجواب عن هذا الفصل وسالتك هل قاتلتموه
وقاتلكم فزعمت ان قد فعل وان حربكم وحربه يكون دولا ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الاخرى وكذلك
الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة وقال في كتاب التفسير حدثني ابرهيم بن موسى عن هشام عن معمر
وحدثني عبد الله بن محمد قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن الزهري قال اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة قال حدثني ابن عباس قال حدثني ابو سفيان من فيه الى في وساق الحديث وقال فيه فهل قاتلتموه
قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت تكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب
منه وقال في الجواب وسالتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال
منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة واعلم ان علامة بعد قوله عن معمر

اشارة الى الحديث الذي أورده وذلك شان المحدثين اذا اختلف الرواة في أول السند واتفقت في باقيه
ذكر احد الطريقين اولا ثم علم بالحاء عند الراوي الذي يقع بعده الاتفاق إشارة الى الحديث كما تقدم ثم يورد
السند الآخر متصلا كما تقدم في هذا الحديث وقوله سجالا هو من المساجلة وهي أن يجتمع شخصان او
اكثر على بئر يستقيان ويتبادران ويتسابقان في ذلك وهي ماخوذة من السجل وهي الدلو المملوة ماء واذا عرفت
ذلك فاعلم ان البخاري رحمه الله يكرر الاحاديث في كتابه تارة مكملة وتارة مقطعة بحسب الحاجة وفي
تكرارها لها فوايد أحدها وهي العظمى والمقصود الاهم من ذلك التنبيه على فقه الحديث وكذلك اخرج
حديث هرقل في كتاب الايمان لما كان يتضمن قوله ماذا يامركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به
شيئا واتركوا ما يقول اباؤكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة وأعاده في كتاب
الجهاد لما كان يتضمن الدعاء الى الاسلام وكذلك ترجم عليه باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى
الاسلام والنبوة والا يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله وأعاده في كتاب التفسير في تفسير سورة
آل عمران وترجم عليه باب قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا سمعت شيخنا الفقيه ابا زيد عبد الرحمن بن حازم القسطلي رحمه الله يقول فقه
البخاري في تراجمه وكان هذا الفقيه رحمه الله ممن قرا بالمشرق وورد علينا مدينة توزر حرسها
الله سنة خمس وثلثين او ست وثلثين ايام ولاية شيخنا الفقيه الامام العالم ابي عبد الله بن
حمدون قضاء مدينة توزر واعمالها وأخرج البخاري رحمه الله هذا الحديث ايضا مقطعا في مواضع
بحسب الحاجة الداعية الى الفقه اللايق بهذا المكان واعلم ان في تراجم البخاري سرا يتعلق بها وبالكتاب
وقارئه وهي ان الشيخ ابا علي الغساني رحمه الله روى بسنده الى احمد بن علي قال سمعت عبد القدوس بن
همام

بلغ مقابلة

همام يقول سمعت عدة من المشايخ يقولون ان محمد بن اسمعيل البخاري ترجم جامعه بين قبر النبي صلى الله
عليه وسلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين الفايدة الثانية الاشارة الى
صحة الحديث والوثوق لكثرة الرواة له الفايدة الثالثة الدلالة على ما كان عليه
البخاري رحمه الله من اتساع الرواية وكثرة الشيوخ الفايدة الرابعة ما كان عليه رحمه
الله من الاتقان والحفظ سمعت والدي رحمه الله وغفر له يقول ان البخاري سيل عن احاديث
جمة على جهة الامتحان بعد ان غيرت له اسانيدها فقال في كلها لا اعرفه فظن السايل انه لا
يعرف شيئا من تلك الاحاديث ثم قال البخاري اما الحديث الاول فحدثني به فلان
عن فلان واعاد سنده الى صحته وازال تغييره وفعل مثل ذلك في باقي الاحاديث فعجب الناس منه
واقروا له بالحفظ وقد ذكر هذه القضية الشيخ ابو علي [اي الحافظ] الغساني رحمه الله في كتاب تقييد المهمل
وذكر انها كانت مائة حديث وانها غيرت متونها واسانيدها وفرقت على عشرة رجال
لكل واحد عشرة وسأله الاول عن عشرة فقال لا اعرفها ثم سأله الثاني ثم كذلك الى الاخير
وفي كلها يقول لا اعرفه فلما انقضى السوال اقبل على الاول فقال اما الحديث الاول فهو كذا
وسرد احاديثه على الولاء واعاد الاسانيد والمتون الى صحتها وفعل ذلك في الجميع فاقر
الناس له بالحفظ والعلم واذعنوا له بالفضل وذكر ان ذلك حين ورد البخاري بغداد وذكر ان اهل
بغداد كتبوا اليه ۝ المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد ۝
وذلك والله أعلم بعد انتقاله عنهم الفايدة الخامسة ان بعض الطرق ربما تضمن زيادة على الطريق
الاخر فيستفاد منه معنى تلك الزيادة الفايدة السادسة الاشارة الى زيادة العدل

مقبولة وهي مسئلة اختلف اهل الاصول الفائدة السابعة وجوب التحري والتحوط
في نقل الحديث الفائدة الثامنة بعض الاحاديث ياتي فيها الفاظ مختلفة والمعنى واحد
وانما كان الراوي واحدا واكثر وذلك يحتمل وجهين احدهما ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر ذلك الحديث في موطنين وبلفظين مختلفين فحكى الراوي والراويان ما وقع بسماعه في
في الموطنين • الثاني ان يكون ذلك في موطن واحد بلفظ واحد فيكون اختلاف الرواية دليلا
لمن قال بجواز نقل الحديث بالمعنى وهي مسئلة فيها اختلاف مشهور بين الاصوليين وغيرهم الفائدة
التاسعة التبرك بتكرار ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والالتذاذ به كما قيل (كانه) شعر •

وجا حديث لا يمل سماعه • ومن احب شيئا اكثر من ذكره •

وبقدر محبة العبد للنبي صلى الله
عليه وسلم يكون قربه من الله عز وجل • وكان بعضهم يقول كل عمل رد • وكل طريق يسد • وليس الى
الله عز وجل وصول • الا على اثر الرسول صلى الله عليه وسلم الفائدة العاشرة تثبيت (الانية) بذكره صلى
الله عليه وسلم فقد جا في بعض التفسير في معنى قوله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب ان
المعنى الا بذكر (الله) تطمئن القلوب والاية على هذا من باب مجاز الحذف كما قال تعالى واسئل القرية
اي اهل القرية الفائدة الحادية عشر استجلاب المغفرة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء
ان عبد الله بن الحكم راى الشافعي (رحمه الله) في المنام فقال ما فعل الله بك قال رحمني وغفر لي وزففت الى الجنة
كما تزف العروس ونثر علي كما ينثر على العروس فقلت بم بلغت هذه الحالة فقال قائل بما في كتاب الرسالة
من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قلت وكيف ذلك قال قال وصلى الله على محمد عدد ما ذكره
الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون قال فلما اصبحت نظرت الى الرسالة فوجدت الامر

كما

كما رايت والاحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار (ايضا) في ذلك
كثيرة • وفي الكتاب العزيز ما يكفي ويشفي وهو قوله جل جلاله ان الله وملائكته يصلون على
النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما الفائدة الثانية عشر الاقتدا بالكتاب
العزيز في تكرير القصص فان في ذلك تثبيتا للقلوب وتنبيها للعقول ولذلك كررت القصص في
القران وقد نبه على الفائدة في ذلك قوله جل جلاله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك
الفائدة الثالثة عشر ان في ايراد الحديث مقطعا في الكتاب الاشارة الى جواز ذلك وفيه
خلاف بين المحدثين وسبب الخلاف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي
فوعاها فاداها كما سمعها وهل يفهم من ذلك ان يذكرها بكمالها او لا يفهم ذلك الفائدة الرابعة
عشر رسوخ الاحاديث في القلب بتكرارها وفي معناه قيل •

شعر اطلب ولا تضجر من مطلب • فآفة الطالب ان يضجرا •

اما ترى الحبل بتكراره • في الصخرة الصماء قد اثرا •

هكذا انشدته والاحسن ان يقال في انشاده لا يضجر الطالب من مطلب الفائدة الخامسة
عشر ما كان عليه البخاري رحمه الله من التعظيم للحديث والتوقير • فقد ذكر الشيخ ابو
علي رحمه الله في كتابه بسنده عن البخاري رحمه الله انه قال ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا الا
اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين واذا عرفت ذلك فاعلم ان بعض العلماء ذكر ان دحية
ابن خليفة الكلبي رضي الله عنه لما قدم على قيصر قال له يا قيصر ارسلني اليك من هو خير منك
والذي ارسله خير منه ومنك فاسمع بذلة ثم اجب بنصح فانك ان لم تذلل لم تفهم وان لم تنصح لم تنصف

قال هات قال أتعلم اكان المسيح يصلي قال فاني ادعوك الى من كان المسيح يصلي له وادعوك
الى من دبر خلق السموات والارض والمسيح في بطن امه وادعوك الى هذا النبي الامي
الذي بشر به موسى وبشر به عيسى بن مريم بعده وعندك من ذلك اثارة من علم تكفي
من العيان وتغني من الخبر فان اجبت كانت لك الدنيا والاخرة والا ذهبت عنك الاخرة
وشوركت في الدنيا واعلم ان لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم فاخذ قيصر الكتاب ووضعه
على عينيه وراسه وقبله وقال اما والله ما تركت كتابا الا قراته ولا عالما الا سالته فما رايت
الا خيرا فامهلني حتى انظر من كان المسيح يصلي له فاني اكره ان اجيبك اليوم بامر ارى غدا ما هو
احسن منه فارجع عنه فيضرني ذلك ولا ينفعني فاقم حتى انظر قال فلم يلبث ان جاءه وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومما قال دحية بن خليفة رضي الله عنه في قدومه على قيصر

الا هل اتاها على نايها بانني قدمت على قيصر
فقررته بصلاة المسيح وكانت من الذهب الاحمر
وتدبير ربك امر السما والارض فاغضى ولم ينكر
فقلت تعز ببشرى المسيح فقال سانظر قلت انظر
فكاد يقر بقول الرسول فمال الى البدل الاعور
فشك وجاشت له نفسه وجاشت نفوس بني الاصفر
على وضعه بيديه الكتاب على الراس والعين والمنخر
فاصبح قيصر من امره بمنزلة الفرس الاشقر

واعلم

واعلم ان قوله في الحديث الاول هرقل وفي الثاني الى قيصر لا تعارض فيه فان المراد بهما
واحد فهرقل اسمه الخاص به وقيصر اسمه الذي يشاركه فيه جميع ملوك النصرانية كما يقال النجاشي
لكل ملك من ملوك الحبشة وكسرى لملوك الفرس وخاقان لملوك الترك وقوله
وكانت من الذهب الاحمر يريد التقريرة التي دل عليها قوله فقررته والاشارة بذلك
الى الحجة التي اقام عليها وقوله فمال الى البدل الاعور مثل يضرب لمن ترك الجيد واخذ الدون
وجاشت ارتفعت كما تجيش القدر اذا غلت وقوله بمنزلة الفرس الاشقر مثل ايضا
يقال كالاشقر ان تقدم نحر وان تاخر عقر واعلم ان قوله فلم يلبث ان جاءه وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه اشكال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خاطبه سنة ست
على ما ذكر الشيخ ابو عمر رحمه الله وعليه يدل قول ابي سفيان في المدة التي ماد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قريشا وهو اشارة الى صلح الحديبية وكان سنة ست وقد ذكر الشيخ
ابو عمر رحمه الله ان هرقل امن ولم تؤمن بطارقته وان دحية اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ثبت ملكه **ومن ذلك** ما جاء عن النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية
عطية ثم ما جاء عنه ما ذكر في قصة هجرة المسلمين الى بلاده قال ابن اسحق رحمه الله حدثني
محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن الحرث بن هشام عن ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قال قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي امنا على ديننا
وعبدنا الله عز وجل لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى
النجاشي فينا رجلين منهم جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من اعجب

ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ثم
بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاصي وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما ادفعا إلى كل
بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما
قبل أن يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته
بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم إنه قد ضوى إلى
بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا
أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه
أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم قربا
إلى النجاشي هداياه فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان
سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا
إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا
عليهم وعاتبوهم فيه ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاصي من أن يسمع
كلامهم النجاشي قالت فقالت بطارقته صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا
عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم قالت فغضب النجاشي وقال لاها الله ذا لا
أسلمهما إليكما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم
وأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن
كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قالت ثم أرسل إلى أصحاب رسول
الله

الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل
إذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا عليه السلام كائنا في ذلك ما هو كائن
فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي
فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل
الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث
الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده
ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء
الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول
الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة
والزكاة والصيام قالت فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما
جاء به عن الله فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا
فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله
وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا
خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ألا نظلم عندك أيها الملك قالت
فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء قالت فقال له جعفر نعم قال له النجاشي فاقرأه
علي قالت فقرأ عليه صدرا من كهيعص قالت فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت

أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء
موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا أكاد قالت فلما خرجا من عنده
قال عمرو بن العاص والله لأنبئنه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم قالت فقال له عبد الله بن
أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا قال والله لأخبرنه
أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد قالت ثم غدا عليه الغد فقال له أيها الملك إنهم يقولون
في عيسى بن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه قالت فأرسل إليهم ليسألهم
عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها قط فاجتمع القوم وقالوا ما تقولون في عيسى بن مريم إذا
سألكم عنه قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن
قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى بن مريم قالت فقال جعفر بن أبي طالب
نقول فيه الذي جاء به نبينا نقول فيه هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم
العذراء البتول قالت فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عودا ثم قال ما عدا عيسى بن
مريم ما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال وإن نخرتم
والله اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي والشيوم الآمنون من سبكم غرم ثم قال ما أحب أن لي
دبرا من ذهب قال ابن هشام ويقال دبرا من ذهب ويقال فأنتم سيوم وأني آذيت رجلا
منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها فوالله
ما أخذ الله الرشوة في حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الله في فأطيعهم فيه قالت
فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله

إنا

43

إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما علمنا حزنا قط كان
أشد منه حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا
ما كان النجاشي يعرف منه قالت وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل قالت فقال أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا
فقالوا فأنت وكان من أحدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها
حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشي
بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع
الزبير يسعى فلمع بثوبه وهو يقول ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه قالت فوالله
ما علمنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في البلاد
واستوسق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بمكة قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري ما قوله ما أخذ الله في الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ
الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه قال قلت لا قال فإن عائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها حدثتني أن أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه
اثنا عشر ولدا وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو أنا قتلنا النجاشي
وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام وإن لأخيه من صلبه اثني عشر ولدا فتوارثوا
ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا طويلا فعدوا على أبي فقتلوه وملكوا أخاه

فمكثوا على ذلك حينا ونشا النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما من الرجال فغلب على امر عمه ونزل
منه [بكل] منزلة فلما رات الحبشة مكانه منه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على امر عمه وانا
لنتخوف ان يملكه [علينا] وان ملكه علينا ليقتلنا اجمعين لقد عرف انا نحن قتلنا اباه فمشوا الى عمه
فقالوا اما ان تقتل هذا الفتى واما ان تخرجه من بين اظهرنا فانا قد خفناه على انفسنا فقال ويلكم
قتلت اباه بالامس واقتله اليوم بل اخرجه من بلادكم قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل
من التجار بستمائة درهم فقذفه في سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشي من ذلك
اليوم وهاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته
قالت ففزعت الحبشة الى ولده فاذا هو محمق ليس في ولده خير فمرج امر امرهم فلما ضاق عليهم
ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم الذي لا يقيم امركم غيره الذي
غدوة فان كان لكم بامر الحبشة حاجة فادركوه قالت فخرجوا في طلبه وطلب الرجل [الذي] باعوه منه
حتى ادركوه فاخذوه منه ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج واقعدوه على سرير الملك فملكوه
فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه فقال اما ان تعطوني مالي واما ان اكلمه في ذلك قالوا لا نعطيك
شيئا قال اذا والله اكلمه قالوا فدونك قالت فجاء فجلس بين يديه فقال ايها الملك ابتعت
غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الى غلامي واخذوا دراهمي حتى اذا سرت [بغلامي]
ادركوني فاخذوا غلامي ومنعوني دراهمي قالت فقال النجاشي لتعطنه دراهمه او ليضعن غلامه
غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه قالت فلذلك يقول
ما اخذ الله في الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس في فاطيع الناس فيه

قالت

قالت وكان ذلك اول ما خبر به من صلابته في دينه وعدله في حكمه قال ابن اسحق وحدثني
يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال يرى على
قبره نور قال ابن اسحق وحدثني جعفر بن محمد عن ابيه قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي
انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه فارسل الى جعفر واصحابه فهيا لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا
كما انتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب
فيه هو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد ان عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة وصفوا له فقال
يا معشر الحبشة الست احق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رايتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة
قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد قال فما تقولون انتم في عيسى بن مريم قالوا نقول
هو ابن الله قال النجاشي ووضع يده على قبائه هو يشهد ان عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئا
وانما يعني ما كتب فرضوا عنه وانصرفوا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات
النجاشي صلى عليه واستغفر له واعلم ان قوله في هذا الخبر الادم يريد الجلود واحدها اديم
والبطريق القائد من قواد الروم ه وضوى اي اوى وانضم ه وقوله اعلى بهم عينا كناية عن
الاطلاع على احوالهم لان من علا على شيء اشرف عليه وراى منه ما لا غيره ه وقوله لاها
الله ذا معناه لا والله الامر ذا اي ليس والله الامر ذا ه وقوله ولا يكاد يضيم اليا من الكيد والا[ساقفة]
جمع اسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى في الدين ه وقوله حتى اخضل لحيته اي بلها والمشكاة
الكوة التي ليست بنافذة ولا اكاد بفتح الهمزة اي لا افعل ولا اقارب الفعل وخضراهم

أي نعمتهم وما اخضر من عيشهم وجمالهم والبتول المنقطعة عن الرجال وقوله هذا العود
أي قدر هذا العود وقوله فانتم شيوم بالشين المعجمة عند ابن اسحق بالمهملة فيما حكى ابن هشام
اسحق وقوله دبرا بفتح الدال المهملة عند ابن اسحق وبالدال المهملة مكسورة عند ابن هشام في بعض
النسخ وفي بعضها بكسر الدال المهملة وهو الصواب والرشوة فيها ثلث لغات فتح الراء وضمها
وكسرها ومقبوحين أي مقلوبين وممقوتين ونزا أي وثب وفي بعض النسخ نزل وهو
ظاهر ولم شوبه اشار به اشارته واستوسقوا اجتمع وقوله اي بلد الحبشي ومرج اضطرب

ومما جاء ابضا عن النجاشي ما قاله لعمرو بن العاصي رحمه الله وهو كان سبب اعتقاده
الاسلام وقد ذكر ذلك الشيخ ابو عمر رحمه الله في كتاب الصحابة رضي الله عنهم في اسلام عمرو بن العاصي
قيل انه اسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بل اسلم بين الحديبية وخيبر والصحيح ما ذكره الواقدي وغيره ان
اسلامه كان سنة ثمان وقدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين فلما دخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها قال الشيخ ابو عمر رحمه الله وقيل
انه لم يات من ارض الحبشة الا معتقدا الاسلام وذلك ان النجاشي قال له يا عمرو كيف يعزب عنك امر
ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال انت تقول ذلك قال اي والله فاطعني فخرج من عنده مهاجرا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عام خيبر قال الشيخ ابو عمر رحمه الله والصحيح انه قدم مسلما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة اشهر وكان همه بالاقبال الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين انصرافه ثم لم يعزم له الى الوقت الذي ذكرنا والله اعلم وقوله في هذا
الحديث افلاذ كبدها اي قطع كبدها واحدها فلذ والاشارة في ذلك الى سرهم في قومهم واعلم

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب النجاشي حين خاطب الملوك كسرى وقيصر وغيرهما والظاهر انه النجاشي
الذي تقدم ذكره ويدل على ذلك ما وقع في مختصر تاريخ الطبري رحمه الله من ان النبي صلى الله عليه وسلم
نعى النجاشي للمسلمين في سنة تسع وانه مات في رجب سنة تسع وما ذكره الشيخ ابو عمر رحمه الله
من ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليه عمرو بن امية الضمري سنة ست ويؤيد ذلك قوله في
الكتاب الذي ياتي ذكره ان شاء الله عز وجل سلم انت اي مسالم غير معاند فهذا كله يدل على انه النجاشي
الذي هاجر المسلمون الى الحبشة في مدته لكن جاء في كتاب مسلم عن انس رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم كتب الى كسرى وقيصر والى النجاشي والى كل جبار عنيد يدعوهم الى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي
صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يقال انه كتب الى الاول والى من ولي بعده فيكون ذلك
جمعا بين القولين والله اعلم واذا عرفت ذلك فاعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن امية
الضمري بكتابه الى النجاشي ونسخته فيما ذكر القاضي الجليل ابو بكر بن الطيب رحمه الله في كتاب اعجاز القران
له بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم انت فاني احمد اليك الله
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول
الطيبة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على
طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل قد بلغت ونصحت
فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى وذكر الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام ان
عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه قدم على النجاشي فقال يا اصحمة ان علي القول وعليك
الاستماع انك كانك في الرقة علينا وكانا في الثقة بك منك لانا لم نظن بك خيرا الا نلناه ولم

تخفك على شيء قط الا امناك وقد اخذنا بالحجة عليك من فيك الانجيل بيننا وبينك شاهد لا
يرد وقاض لا يجور وفي ذلك وقع الحق واجابة الفصل والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود
في عيسى بن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وامنك
على ما خافهم عليه بخير سالف واجر ينتظر فقال النجاشي اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره
اهل الكتاب ٥ وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان ليس باشفى من
الخبر عنه ولكن اعواني من الحبش قليل فانظرني حتى اكثر الاعوان وتلين القلوب ٥ ومن ذلك
ما جاء في المقوقس ملك مصر والاسكندرية فان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليه بكتابه حاطب
ابن ابي بلتعة رضي الله عنه فلما قدم عليه قال له انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى
فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر به ولا يعتبر بك غيرك قال هات
قال ان لك دينا لم تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به فقد ما سواه ان هذا
النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان اشدهم عليه قريشا واعداهم له اليهود واقربهم اليه
النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما
دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم من امته فالحق
عليهم ان يطيعوه وانت ممن ادركه هذا النبي صلى الله عليه وسلم ولسنا ننهاك عن دين
المسيح ولكنا نامرك به فقال المقوقس اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا
يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب
ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسانظر ٥ واهدى الى النبي

صلى

46

صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ام ولده ابرهيم وهي مارية بنت شمعون واختها
معها واسمها سيرين فاعطى صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت سيرين فولدت له عبد الرحمن
ابن حسان واهدى له ايضا بغلة اسمها دلدل وكسوة وقدحا من قوارير كان النبي صلى الله
عليه وسلم يشرب فيه ذكر ذلك صاحب الروض الانف وكان مما خاطبه به ايضا
ان قال وقد جمع بطارقته اني اكلمك بكلام احب ان تفهمه مني فقال له حاطب رضي الله
عنه هلم قال اخبرني عن صاحبك اليس هو نبي قال قلت بلى هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فما باله حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث اخرجوه من بلدته الى غيرها
فقلت له فعيسى بن مريم اتشهد انه رسول الله فما له حيث اخذه قومه فارادوا صلبه الا
يكون دعا عليهم بان يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه في سماء الدنيا قال احسنت انت حكيم
جاء من عند حكيم هذه هدايا ابعث بها معك الى محمد وارسل معك من يبلغك الى مامنك
قال فاهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث جوار منهن ام ابرهيم بن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخرى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة العدوي
واخرى وهبها لحسان بن ثابت الانصاري وارسل اليه بثياب وطرف من طرفهم وقال ابو عبيد في
كتاب الاموال له كان المقوقس صاحب الاسكندرية عظيم القبط فروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما كتب اليه مع حاطب بن ابي بلتعة اكرم حاطبا واحسن اليه وكتب الى النبي
صلى الله عليه وسلم اني قد علمت ان نبيا قد بقي واني كنت اظنه يخرج بالشام واهدى اليه مارية
التي ولدت له ابرهيم وبغلة واشياء سوى ذلك ٥ ومن ذلك ما جاء في قصة وفد

نجران حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا عليهم الحبرات وقد ذكر
ذلك ابن اسحق رحمه الله فقال وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران
ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم في الاربعة عشر ثلثة نفر منهم اليهم يؤول
أمرهم والسيد امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه
عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة احد
بني بكر بن وائل اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان ابو حارثة قد شرف
فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك النصرانية قد شرفوه ومولوه واخدموه
وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما
وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة له موجها والى جنبه
اخ له يقال له كوز بن علقمة قال ابن هشام ويقال كرز بن علقمة فعثرت بغلة ابي حارثة
فقال كوز كلاما ذكره ابن اسحق وذكر جوابه ولم ار لذكره وجها يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرد عليه ابو حارثة ذلك القول ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا اخي والله انه
للنبي الذي كنا ننتظر فقال له كوز وما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم
شرفونا ومولونا واكرمونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمر عليها منه
اخوه كوز بن علقمة حتى اسلم بعد ذلك فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني قال ابن هشام
وبلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فافضت الرياسة الى غيره ختم على تلك
الكتب خاتما مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم

لعله الصحيح كرز بن علقمة

وسلم يمشي فعثرت به دابته فذكر كلاما ذكره ابن هشام يريد به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له ابوه لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضايع يعني الكتب فلما مات لم يكن لابنه همة
الا ان شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم فحسن اسلامه وهو الذي
يقول — اليك تعدو قلقا وضينها ۞ معترضا في بطنها جنينها ۞ مخالفا دين النصارى دينها
قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فدخلوا عليه مسجده عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بني الحرث بن كعب قال
يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ما راينا بعدهم وفدا مثلهم
وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق ۞ وذكر ابن اسحق اختلافهم في
المسيح وان منهم من قال هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون ۞ ومنهم من قال هو ابن الله ومنهم
من قال ثالث ثلثة قال فهم يحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام
ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله باذن الله عز وجل ليجعله اية للناس
ويحتجون في قولهم بانه ولد بانهم يقولون لم يكن له اب يعلم وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه
من بني آدم احد قبله ويحتجون في قولهم بانه ثالث ثلثة بقول الله عز وجل فعلنا وامرنا
وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وقضيت وامرت وخلقت ولكنه
هو وعيسى ومريم تعالى الله عن قولهم قال ففي كل ذلك من قولهم نزل القرآن فلما كلمه
الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قال انكما لم تسلما قالا بلى قد

اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير
قالا فمن ابوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فانزل الله عز وجل في
ذلك من قولهم واختلاف امرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها ٥ وفي
مختصر تفسير الطبري عن الربيع ان النصارى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه
في عيسى بن مريم وقالوا له من ابوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا الله لم يتخذ صاحبة
ولا ولدا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك
عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء قال الستم تعلمون ان ربنا
لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امرأة كما تحمل
المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب
الشراب قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله تعالى
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ٥ وذكر ابن اسحق صدر سورة آل عمران وفيه الى قوله تعالى ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك ثم قال ابن اسحق اي ما
جاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين ٥ اي جاءك الحق من ربك فلا تمترن فيه فان قالوا خلق عيسى
من غير ذكر فقد خلقت آدم بتلك القدرة من غير انثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا
وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر باعجب من هذا فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم اي من بعد
ما قصصت عليك من خبره وكيف كان امره فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
ثم

48

ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ٥ وذكر ابن اسحق انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله
والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما امر به من ملاعنتهم دعاهم الى ذلك فقالوا يا ابا القسم
دعنا ننظر في امرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب
وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد علمتم ان محمدا
لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت
صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم وان كنتم ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه
من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا ابا القسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا
من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في اشياء اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضى فقال محمد بن جعفر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوني العشية ابعث معكم القوي الامين قال فكان عمر بن
الخطاب يقول ما احببت الامارة قط حبي اياها يومئذ رجاء ان اكون صاحبها فرحت الى الظهر
مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت
اتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى ابا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج
معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر فذهب بها ابو عبيدة ٥ وفي مختصر تفسير
الطبري عن السدي فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم
بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي اتبعنا فخرج معهم فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا انا
نخاف ان يكون هذا هو النبي وليس دعوة النبي كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لو خرجوا الاخر فوا فصالحوه على صلح ان له عليهم ثمانين الفا فما عجزت الدراهم
ففي العروض (الحلل) باربعين وعلى ان له عليهم ثلاثا وثلاثين درعا وثلثا وثلثين بعيرا واربعة وثلثين فرسا
عارية كل سنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لها حتى نؤديها ٥ وعن ابن عباس
قال لو خرج الذين يباهلون النبي صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا ٥

واما القسم الثاني وهو ما جاء عن الرهبان فمنه ما ذكره الترمذي رحمه الله
في جامعه والفقيه ابو محمد في الاعلام وذكره ايضا صاحب كتاب من صبر ظفر فقال اخبرنا ابو
القسم محمد بن احمد بن عثمان باسناد ذكره عن ابي موسى قال خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم
فخرج اليهم الراهب وكان قبل ذلك يمرون فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم
فجعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول
رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش وما علمك بذلك قال انكم
حين اشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي واني اعرفه بخاتم
النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فقال انظروا اليه
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس الى فيء الشجرة
مال عليه الظل هكذا وقع وزاد الترمذي فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه فبينما هو قائم
عليه وهو يناشدهم الله عز وجل الا يذهبوا به الى بلاد الروم فان الروم ان راوه عرفوه بالصفة

بلغ مقابلة

فيقتلوه

فيقتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر قد اقبلوا من الروم فاستقبلهم الراهب فقال لهم ما
جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الوقت فلم يبق طريق الا بعث فيها
ناس وانا لما اخبرنا خبره بعثنا الى طريقك فقال لهم ارايتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع
احد من الناس ان يرده قالوا لا قال فبايعوه واقاموا معه قال فاتاهم الراهب فقال انشدكم
الله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده
الراهب من الكعك وما كان عنده في صومعته ٥ واعلم ان قوله في هذا الخبر وبعث معه
ابو بكر بلالا فيه اشكال فان هذه القصة كانت قبل المبعث وبلال انما اشتراه ابو بكر بعد
المبعث حين كان بلال يعذب في الله عز وجل الا ان ذلك يحتمل وجهين احدهما ان يكون اذ
ذاك لابي بكر ثم باعه ثم استرجعه بعد المبعث او يكون بلال هنا عبدا اخر كان لابي بكر الصديق
رضي الله عنه والله اعلم **ومن ذلك** قصة بحيرا الراهب وقد ذكرها ابن اسحق وغيره
وذلك انه لما عزم ابو طالب الى الشام صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو
طالب وقال والله لاخرجن به ولا يفارقني ولا افارقه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
عمه فلما انتهى الى بصرى من ارض الشام وكان في ذلك الموضع راهب في صومعة يقال له
بحيرا وكان اليه علم النصرانية نزلوا قريبا من صومعته فراى بحيرا النبي صلى الله عليه وسلم وغمامة
تظله فلما نزل تحت شجرة اظلت الغمامة تلك الشجرة وتهدلت اغصان الشجرة على النبي صلى الله عليه
وسلم فلما راى بحيرا ذلك صنع للركب طعاما ودعاهم اليه وكان لا ينزل قبل ذلك متى مروا به
ودعاهم الى طعامه صغيرهم وكبيرهم فقال له احدهم ان لك اليوم لشانا فانك صنعت شيا ما

لعله فتدلت

كنت تصنعه متى مررنا بك فقال صدقت ولكنكم ضيف وأحببت أن أكرمكم فلما حضروا وتأخر
النبي صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه نظر القوم فلم ير الصفة التي كان يعرف ويجد عنده فسأل
ألا يتخلف أحد عن طعامه فقالوا لم يتخلف عن طعامك إلا غلام هو أحدث القوم سنا تخلف في
الرجال فقال ادعوه فقام أحدهم فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا
شديدا وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته فلما فرغ القوم من طعامه
قام إليه بحيرا فسأله باللات والعزى إلا أخبره عما يسأله عنه فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما قال ابن إسحق وإنما قال له
بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما وقال غيره إنما سأله ليعلم ما عنده في أمرهما
فلما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما قال أقسم عليه إلا أخبره عما يسأله عنه فقال سلني
عما بدا لك فجعل يسأله عن أحوال من نومه وهيئته وأموره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته
ثم نظر فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ٥ قال ابن هشام كان مثل أثر المحجم ثم أقبل على عمه فقال ما هذا
الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبوه حيا قال فإنه ابن أخي قال فما
فعل أبوه قال مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود
فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ٥ وذكروا
أن نفرا من أهل الكتاب ٥ وهم زرير وتمام ودريس عاينوا من أمر النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما
عاين بحيرا الراهب وأنهم هموا بالنبي صلى الله عليه وسلم فوعظهم بحيرا وأعلمهم أنهم لا يقدرون
على ذلك فرجعوا ورجع أبو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة سريعا وقال أبو طالب في
ذلك

ذلك أشعارا ذكرها الفقيه أبو محمد رحمه الله في الأعلام منها قوله

ألم ترني من بعد هم هممته بفرقة حر الوالدين كرام ٥
بأحمد لما أن شددت مطيتي برحلي وقد ودعته بسلام ٥
فلما بكى والعيس قد فصلت بنا وقد كنت بالكفين ثني زمام ٥
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة تجود من العينين ذات سجام ٥
فقلت ترحل راشدا في عمومة مواسين في البأساء غير لئام ٥
فرحنا مع العير التي راح ركبها شآمي الهوى والأصل تهام ٥
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا لنا فوق دور ينظرون جسام ٥
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا لنا بشراب عسل وطعام ٥
فقال اجمعوا أطرا جميع صحابكم فقام جميع القوم غير غلام ٥
يتيما فقال ادعوه إن طعامنا كثير عليه القوم غير حرام ٥
فلما رآه مقبلا فوق رأسه يوقيه حر الشمس ظل غمام ٥
حنى ظهره شبه السجود وضمه إلى نحره والصدر أي ضمام ٥
وأقبل ركب يطلبون الذي رأى بحيرا أبى العين وسط خيام ٥
فثار إليهم خشية لعرامهم وكانوا ذوي بغي معا وعرام ٥
دريسا وتماما وقد كان فيهم زرير وكل القوم غير نيام ٥
فجاؤوا وقد هموا بقتل محمد فردهم عنه بحسن خصام ٥

بنا وبلد التوراة حتى تبغوا وقال لهم ما انتم بطغام

فذلك من اعلامه وبيانه وليس نهار واضح كظلام

واعلم ان بحيرا بفتح البا المنقوطة بواحدة وكسر الحاء المهملة واخره راء مهملة والف مقصورة. وقوله كرام يجوز ان يكون بضم الكاف بمعنى كريم ويجوز ان يكون نعتا للحي ويجوز ان يكون بكسر الكاف على ان يكون بدلا من الوالدين او نعتا على ان يكون الالف واللام فيه للجنس فيكون في حكم النكرة هذا ان جعلت الوالدين جمعا فان جعلته تثنية جاز ضم الكاف بالاتفاق على راي من يرى ان اصل الجمع اثنين وفيه ضعف وكسرها. ودريس بفتح الدال وكسر الراء وزوير بضم الزاي المعجمة وبعدها راء مهملة وياء التصغير واخره راء مهملة. وقوله كثير عليه القوم غير حرام من باب المقلوب اي غير حرام على القوم والعرام بضم العين المهملة الشدة. والطغام بالغين المعجمة الجهال

ومن ذلك خزيمة بن حكيم وقد ذكرها الفقيه ابو محمد في الاعلام وذكرها ايضا صاحب كتاب من صبر ظفر. فذكر الفقيه ابو محمد رحمه الله عن الزهري ان خزيمة بن حكيم السلمي البهزي كانت بينه وبين خديجة بنت خويلد قرابة وانه قدم عليها وكان اذا قدم عليها اصابته بخير فوجهته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع غلام لها يقال له ميسرة الى بصرى من ارض الشام فاحب خزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا فكان لا يفارقه في نومه ولا في يقظته فساروا حتى اذا كانوا بين الحجاز والشام قام على ميسرة بعيران لخديجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه على اذنابهما وعوذهما فانطلق البعيران يسعيان في اول الركب لهما رغا فلما راى ذلك خزيمة

51

خزيمة ذلك علم ان له شانا عظيما فحرص على لزومه ومحافظته وساروا حتى اذا دخلوا الشام نزلوا ببعض رهبان الشام ونزل الناس متفرقين فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة فحله قد تساقط ورقها ونخل عودها فلما اطمان تحتها انورت واشرقت واعشوشب ما حولها واينع ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك بعين الراهب فلم يتمالك ان نزل من صومعته فقال له يا سالتك باللات والعزى ما اسمك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اليك عني فما تكلمت العرب بكلمة اثقل علي من هذه الكلمة وكان ذلك مكرا من الراهب ومع الراهب رق فجعل ينظر اليه والى النبي صلى الله عليه وسلم اخرى ثم انكب ينظر مليا فقال هو هو ومنزل الانجيل فظن خزيمة بالراهب شرا فسل سيفه وصاح يا للناس فدخل الراهب صومعته واغلقها ثم اشرف فقال يا قوم ما الذي راعكم مني فوالذي رفع السموات بغير عمد ما نزل بي ركب هو احب الي منكم واني لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول الله رب العالمين يبعث بالسيف المسلول وبالذبح الاكبر وهو خاتم النبيين من اطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم سال الراهب خزيمة هل هو من قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكني خادم له وحدثه بحديث البعيرين فقال له الراهب ايها الرجل انه للنبي الذي يبعث في اخر الزمان واني مفوض اليك امرا ومستكتمك خبرا وعاهد اليك عهدا قال وما هو فاني سامع لقولك وكاتم لسرك ومطيع لامرك فقال اني احدثك بما في هذه الصحيفة انه يظهر على البلاد ولا ترد له راية. ولا تدرك له غاية وان له اعداء اكثرهم اليهود اعداء الله فاحذرهم عليه فقال خزيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ارى فيك شيئا ما رايته في

احد من الناس واني لاحسبك النبي الذي يذكر انه يخرج من تهامة وانه لصريح في ميلادك وانك لأمين في
انفس قومك واني لادري عليك من الناس محبة واني مصدقك في قولك وناصرك على عدوك ثم انطلقوا
فلما قفلوا من الشام رجع خزيمة الى بلاده وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعت بخروجك
اتيتك فابطا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان فتح مكة ۵ واعلم ان هذا الخبر وقع فيما اخبرته
من نسخ الاعلام نقص فكملته من كتاب من صبر ظفر وهو ما بين قوله فخاف ميسرة على نفسه وعلى
البعير الى قوله فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه على اخفافهما وعوذهما واثباته صحيح
لايتم الكلام الا به وقوله قام على ميسرة بعيران اي وقفا فلم يطيقا المشي وقوله كلّة اي شدبة
الجفاف واليبس وانورت اخرجت النور واعشوشبت خرج عشبه وكثر اينع كمل ومنه
قصة ميسرة وقد ذكرها الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام فقال ومما جاء في هذا
الباب ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بتجارة لخديجة ومعه ميسرة غلامها فقدم بصرى من
الشام فنزل تحت شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطور فاطلع الراهب الى ميسرة
وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة فقال ميسرة هذا رجل من قريش
من اهل الحرم فقال نسطور ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي ثم قال وفي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه
قال الراهب هو آخر الانبياء عليهم السلام فيا ليتني ادركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم باع سلعة ببصرى واشترى وكان بينه وبين رجل في بصرى اختلاف
في سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط واني
لأمر بهما فأعرض عنهما فقال الرجل القول قولك وقال الرجل لميسرة خاليا هذا والله نبي والذي
نفسي

نفسي بيده لتجدنه احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف اهل العير جميعا وكان ميسرة
يرى النبي صلى الله عليه وسلم اذا كانت الهاجرة واشتد الحر ينظر الى ملكين يظلانه من الشمس وهو
على بعيره حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة معها نساء في علية معهن نفيسة بنت منية
فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب بعيره وملكان يظلانه ورأته نساؤها
فعجبن من ذلك فلما دخل ميسرة اخبرته بما رأت قال ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجت من الشام
واخبرها بقول الراهب وبقول الاخر الذي خالفه في البيع وربحت التجارة التي قدم بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضعف ما كانت تربح فلما رأت خديجة هذا الاعلام واراد الله
بها السعادة والكرامة وكانت من اشرف قريش نسبا واكثرهم مالا وكانت رجال قريش
ذووا اخطارها قد رغب في نكاحها لو وجدوا ذلك ببذل الاموال الجسيمة فدست خديجة
نفيسة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرضه على النكاح وتندبه الى ذلك وذكرت له خديجة
فتزوجها وذكرت خديجة لابن عمها ورقة بن نوفل قصة ميسرة مع الراهب وما رأى من اظلال
الملكين اياه وكان ورقة نصرانيا تتبع الكتب وعلم فقال ان كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي هذه الامة
قد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي ينتظر هذا زمانه او كما قال وجعل يستبطئ ويقول حتى متى
قال ابن اسحق فقال ورقة في ذلك

لججت وكنت في الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النشيجا ۵
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا ۵
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك ان ارى منه خروجا ۵

بما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا ٥
بأن محمدا سيسود يوما ويخصم من يكون له حجيجا ٥
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا ٥
فيلقى من يحاربه خسارا ويلقى من يسالمه فلوجا ٥
فيا ليتي إذا ما كان ذاكم شهدت وكنت أولهم ولوجا ٥
ولوجا في الذي كرهت قريش وإن عجت بمكتها عجيجا ٥
أرجي بالذي كرهوا جميعا إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا ٥
وهل أمر السفالة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا ٥
فإن يبقوا وأبق يكن أمور يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفة حروجا ٥

قال صاحب الروض الأنف ومن قول ورقة بن نوفل أيضا في معنى ما تقدم رواية يونس عن ابن إسحق

أبكر أم أنت العشية رائح وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح ٥
فتاك الذي وجهت يا خير حرة بغور وبالنجدين حيث الصحاصح ٥
إلى سوق بصرى في الركاب التي غدت وهن من الأحمال قعص دوالح ٥
يخبرنا عن كل حبر بعلمه وللحق أبواب لهن مفاتح

بأن

بأن ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح ٥
وظني به أن سوف يبعث صادقا كما أرسل العبدان هود وصالح ٥
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاء ومنشور من الذكر واضح ٥
ويتبعه حيا لؤي بن غالب ٥ شبابهم والأشيبون الجحاجح ٥
فإن أبق حتى يدرك الناس دهره فإني به مستبشر الود فارح ٥
وإلا فإني يا خديجة فاعلمي عن ارضك في الأرض العريضة سائح ٥

واعلم أن نسطورا في هذا الخبر بفتح النون وسكون السين وضم الطاء المهملتين وآخره راء مهملة ويجوز فيه أيضا ضم النون ونفيسة بفتح النون وكسر الفاء ومنية بضم الميم وسكون النون وبعدها يا منقوطة باثنتين من أسفل وهي أخت يعلى بن منية الصحابي رضي الله عنه وأمهما منية وأبوهما اسمه أمية والنشيج الغصص بالبكاء والفلوج الظفر والصحاصح القفار وأصل الصحصح المكان المستوي والقعص المنحنية الظهور والدوالح الضعيفة المشي من ثقل الأحمال والجحاجح السادة الكرام واحدهم جحجاح

ومنه قصة سلمان رضي الله عنه وقد ذكرها ابن إسحق وغيره وكان سلمان رضي الله عنه من أهل فارس من أصبهان وقيل من رام هرمز وكان أبوه مجوسيا من عبدة النار وكان شديد الحب له فكان لا يتركه يخرج من بيته فعرض لأبيه في بعض الأيام شغل في ضيعته لم يمكنه مشاهدته بنفسه فبعث بسلمان ليكفيه ذلك وأوصاه الا يتأخر عنه لشدة حبه له وكان سلمان مجتهدا في دين المجوسية حتى جعل موقد نارهم فمر سلمان في طريقه ذلك على كنيسة فيها قوم من النصارى يصلون فاستحسن صلاتهم وعلق قلبه بدينهم وأقام عندهم

إلى غروب الشمس وترك ما بعثه إليه أبوه وعاد وقد بعث أبوه في طلبه فسأله عن شأنه فأخبره
أبوه فقال يا بني دينك خير من دينهم فقال كلا والله ذلك الدين خير فخافه أبوه فقيده وكان
سلمان قد سأل أولئك النصارى عن المكان الذي يقام فيه ذلك الدين فقالوا الشام فبعث
إليهم إذا قدم ركب من الشام فأعلموني فلما قدم أعلموه فنزع القيد من رجله وخرج معهم
فلما قدم الشام سأل عن أفضل أهل ذلك الدين علما فقيل الأسقف بالكنيسة فجاءه فقال إني
أحببت هذا الدين وأحببت أن أكون معك في كنيستك لأخدمك وأتعلم منك فأجابه الأسقف
إلى ذلك قال سلمان وكان رجل سوء يأمر بالصدقة ويرغبهم فيها حتى إذا جمعوا إليه منها شيئا اكتنزه
لنفسه حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق قال فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع
ثم مات فاجتمعت النصارى لدفنه فأخبرتهم بأمره وأريتهم موضع المال فلما استخرجوه
قالوا والله لا ندفنه أبدا ثم صلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر وضعوه مكانه قال
سلمان فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة
ولا أدأب في ليل ولا نهار فأحبه سلمان حبا شديدا ثم حضرته الوفاة فقال له سلمان إلى من
توصي بي فقال أي بني قد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ولا أعلم رجلا على
مثل ما أنا عليه إلا رجلا بالموصل فذهب سلمان إلى الموصل فأقام عند الرجل فوجده خير رجل
على أمر صاحبه ثم حضره الموت فأوصى به إلى رجل من نصيبين فوجده على مثل حال صاحبيه
ثم أوصى به الآخر عند حضور وفاته إلى رجل بعمورية فأتاه فألفاه على مثل حال أصحابه فأقام
عنده إلى أن احتضر أيضا فسأله إلى من يوصي به فقال له والله ما أعلم أحدا من الناس

أصبح

أصبح على ما أنا عليه ولكنه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره
إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم
النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل فمكث سلمان بعد موته بعمورية ما شاء الله عز
وجل أن يمكث وكان قد اكتسب بها بقيرات وغنيمة فمر به قوم من كلب تجار فسألهم أن
يحملوه إلى أرض العرب ويعطيهم بقيراته وغنيمته ففعلوا وحملوه حتى إذا بلغوا به وادي القرى ظلموه
فباعوه من رجل يهودي فمكث عنده ورأى النخل فرجا أن يكون البلد الذي نعت له ثم ابتاعه من
اليهودي ابن عم له وحمله إلى المدينة قال سلمان فما هو والله إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي
فأقمت بها وبعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ثم
هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وهو جالس تحتي إذ أقبل ابن
عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم
عليهم من مكة يزعمون أنه نبي قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني ساقط
على سيدي ثم نزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول فغضب سيدي
فلكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا أقبل على عملك قال وكان عندي شيء جمعته فلما
أمسيت ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقلت له قد بلغني أنك
رجل صالح ولك أصحاب غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من
غيركم فقربته إليه فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأكلوا وأمسك يده فقلت في
نفسي هذه واحدة ثم جمعت شيئا وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له

رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت
في نفسي هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة
من أصحابه وهو جالس بين أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم
الذي وصف لي فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أستدبر عرف أني أستثبت في شيء
وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت وجلست بين يديه وقصصت عليه حديثي
فأعجبه أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدر وأحد ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتب مولاه
على ثلثمائة ودية يحييها بالفقير وأربعين أوقية وأعانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالودي كل بقدر ما عنده فلما اجتمعت له قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب
ففقر لها فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي ففعل سلمان فوالذي نفسي بيده ما مات منها
ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة
الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان فقلت وأين
تقع هذه مما علي قال خذها فإن الله سيؤدي بها قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفسي
بيده أربعين أوقية وأوفيتهم حقهم ۝ وفي رواية أخرى أنه قال لما قلت وأين تقع هذه
من الذي علي يا رسول الله أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها بلسانه ثم قال
خذها فأوفهم منها فأوفيتهم حقهم كله أربعين أوقية وعتق سلمان وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخندق

55

الخندق حرا وهو الذي أشار عليه وقال رسول الله إن أذى دهمنا العدو خندقنا ولما رأى ذلك
أبو سفيان وأصحابه قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم شهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم جميع مشاهده ومما وقع في هذا الخبر من أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وضع الودي كلها بيده هو الذي في كتاب السيرة ۝ وذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس النخل كلها إلا نخلة واحدة غرسها عمر فأطعم النخل كله إلا
تلك النخلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها فقالوا عمر فقلعها وغرسها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأطعمت من عامها ۝ واعلم أن قوله في هذا الخبر ولا أدأب معناه أدوم
في العبادة ۝ وعمورية بتشديد الميم والياء معا ۝ واحتضر حضرته الوفاة ۝ والحرة أرض ذات حجارة
سود ۝ والعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة النخلة ۝ وبنو قيلة هم الأوس والخزرج
وهم الأنصار رضي الله عنهم ۝ والعرواء الرعدة أي لشدة الشوق والحب ولكمه ضربه بجمع كفه
أي بيده مفتوحة ۝ وقبا يجوز فيه وجهان الصرف وتركه ۝ والغرقد شجر معروف ۝ وبقيع
الغرقد موضع المقابر بالمدينة ۝ والودية النخلة الصغيرة وهي الفسيلة أيضا ۝ والفقير بفتح
الفاء وكسر القاف حفير يحفر للفسيلة توضع فيه ۝ ودهمنا فجئنا وبغتنا ويقال بالفتح أيضا
ومن ذلك قصة زيد ابن عمرو ابن نفيل وكان قد فارق دين قومه فاعتزل الأوثان
والميتة والدم والذبائح لغير الله التي تذبح للأوثان ونهى عن قتل الموءودة وقال أعبد رب إبراهيم
ونادى قومه بعيب ما هم عليه ۝ وجاء عن أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنه أنها قالت لقد رأيت
زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بن

عمرو وبنيه ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري ثم يقول اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك
به ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه وما كان لقي منهم
في ذلك شعر

أربًّا واحدًا أم ألف ربٍّ   أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعًا   كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها   ولا صنمي بني عمرو أزور
ولا غنمًا أدين وكان ربًّا   لنا في الدهر إذ حلمي يسير
عجبت وفي الليالي معجبات   وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالًا   كثيرًا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم   فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يومًا   كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربي   ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها   متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان   وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وإن يموتوا   يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال أيضًا شعر

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا   وقولًا رضيًّا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه   إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى   فإنك لا تخفي من الله خافيا

وإياك

وإياك لا تجعل مع الله غيره   فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم   وأنت إلهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربًّا فلن أرى   أدين إلهًا غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمة   بعثت إلى موسى رسولًا مناديا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا   إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له أأنت سويت هذه   بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه   بلا عمد أرفق إذًا بك بانيا
وقولا له أأنت سويت وسطها   منيرًا إذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة   فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى   فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه   وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا   وقد بات في أضعاف حوت لياليا
وإني وإن سبحت باسمك ربنا   لأكثر إلا ما غفرت خطائيا
فرب العباد ألق سيبًا ورحمة   علي وبارك في بني وماليا

قال ابن إسحق وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدًا كان إذا استقبل الكعبة قال
لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورقًّا عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل القبلة وهو قائم إذ قال أنفي لك
عان راغم مهما تجشمني فإني جاشم البر أبغي لا الخال ليس مهجر كمن قال قال ابن إسحق وقال

زيد بن عمرو

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ثم خرج يطلب دين ابرهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابرهيم فقال له إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابرهيم الحنيفية فالحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه قال ابن اسحق وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد يدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال

57

قال ابن اسحق وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنستغفر لزيد بن عمرو قال نعم فإنه يبعث أمة وحده فانظر يا أخي وفقني الله وإياك هذا الشوق الذي كان فيه زيد بن عمرو إلى الحنيفية وانظر إلى هذه الكلمات التي كان يذكرها والأشعار الدالة على توحيده وإيمانه وكيف لو تأخر أجله حتى يرى شمس النبوة طالعة لا يحجبها غمام ولا يعدوها كمال ولا تمام ويسمع كلام الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم المبعوث بالحق إلى جميع الخلق الناطق بلسان الصدق ويفيض عليه من الكتاب العزيز عباب البحار الزواخر بعلوم الأوائل والأواخر ويرى ما فيه من قصص الأنبياء وشموس الهداية الباهرة الضياء وتظهر له أعلام الحنيفية بادية وإلى طريق النجاة مرشدة هادية ويشاهد المعجزات الخارقة العوائد الطالعة بأنوار الهداية وأنواع الفوائد إلى غير ذلك مما يقصر عنه الوصف وتعجز عن بيانه الأقلام والصحف ما أحسب أن حاله عند ذلك تدرك أوائل العبارة ولا يبلغها الإطناب ولا الإشارة وأما حال من كان دونه في الشوق عند الإدراك ولزيد الذوق بأن يطير فرحا ويشتد مرحا ن الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا وأنت وفقك الله إذا تأملت حاله وفكرت فيما أنعم الله عز وجل عليك به من الهداية إلى الإسلام ومحبة هذا النبي الكريم عليه السلام عرفت نعمة الله عز وجل عليك وقابلتها من الشكر بما يجب وبدت لك منها ومن ثمرة شكرها أنوار لا تحتجب وأتتك الزيادة من الكريم الذي قال وقوله الحق ولئن شكرتم لأزيدنكم فلا تزال بفضل الله عز وجل وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم في زيادات تترى وإفادات تطلع بطلائع البشرى ومتى تحققت عظيم هذه المنة

وحببت في الطاعة على سنن الكتاب والسنة * فلا تعلم نفس ما أعد لك من جميل الأوصاف وتحف
الألطاف * وأي شرف أشرف قدرا * وأعظم فخرا * من أن تصير بعد الجفوة * معدودا في الصفوة *
منتبها عند الهفوة * ترتع في رياض الآمال * وتلبس حلة البهاء من سني الأعمال * وتنال من فضل
الله كيد الكائدين * وزيغ الجاحدين كما قال بعضهم

حاشى لمشتغل بحبك أن يرى متستوحشا وله بذكرك مؤنس *
لا أختشي في الحب كيد معاند أيخاف من أمسى بعينك يحرس *

ولا تظنن أن الطريق بعيد بل الخطوة مع الصدق تصل * وتنعصم عن صفات الذل وتنفصل *
وأصل ذلك المبادرة بالتوبة * وغسل الحوبة بالأوبة * والسلوك على منهاج المصطفى *
وإمام أهل الهداية والصفا * فباقتفاء سبيله صلى الله عليه وسلم بلغ أهل السلوك *
وزهدوا في ملك الملوك * وهطلت عليهم غمائم الجود * وأقبلوا على الموجد دون الموجود *
فغشيتهم أنوار الرحمة * وتهدلت عليهم أغصان النعمة * فزهوا بشرف ما قالوا * ونطقوا
بحسب أحوالهم وقالوا * كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه في سجوده كفى
بي فخرا أن تكون لي ربا وأكون لك عبدا * وكما قال عتبة الغلام وقد رئي يمشي متبخترا فقيل له في ذلك
فقال ومن أحق مني بهذه المشية وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا وفي هذا المعنى قيل

قوم تخالطهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه *
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ومن تحققوا بوصف العبودية صاروا ملوكا تخدمهم الخلائق * ولا تعلق بهم العلائق *

كما قال الآخر

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى إذ صرت مولائي *
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي *

وهبنا الله بمنه مما وهبهم وجعل أوصافنا أوصافهم ومذهبنا مذهبهم * إنه الغفور التواب
القدير الوهاب * واعلم أن قوله في هذا الخبر الموؤدة هي الابنة تدفن حية كانت العرب تفعل ذلك
خشية الإملاق وهو الفقر * وقوله يربل معناه ينمو ويكثر * وماضيه بالفتح والمضارع بالضم
والأصل فيه الفتح وهو شاذ * ويترقح أي يتفقط بالورق ولا تبوروا ولا تهلكوا وجامية منصوب
على الحال لأنه نعت نكرة تقدم عليها * ورضينا قوتا مبينا وقوله أباك والردى أي أباك
وأسباب الردى وهي المعاصي والردى الهلاك * وقيل المراد أباك وعواقب الردى وهي
العقاب المنتظر بعد الموت * وقوله أدين لا إله يحتمل وجهين أن يكون على حذف حرف الجر
أي أدين لإلاه وأن يضمن أدين معنى أعبد فينصب به * وقوله غيرك الله روي بضم الهاء على أنه
منادى محذوف منه حرف النداء أي يا الله وفي بعض النسخ غيرك الله بالنصب ويحتمل أن يقال
في ذلك أنه لما حذف حرف النداء لحظ كون المنادى منصوبا في الأصل فنصب وانفرد هذا
الاسم بهذا الحكم لانفراده بخصائص كثيرة * وقوله اذهب وهارون عطف فيه على ضمير الفاعل
دون تأكيد وهو جائز في الشعر * وقوله كما هي أي كما هي عليه فحذف الخبر وقوله عان أي
منقاد والأصل في العاني الأسير * وراغم لاصق بالرغام وهو التراب ويجشمني يكلفني
والحال الكبر والاختيال * وميفعه بفتح الميم قرية من قرى البلقاء من أرض الشام وكانها

مفعلة من اليفاع وهو المكان المرتفع • وقوله رشدت بكسر الشين ويجوز فتحها • وقوله ولو كان
تحت الأرض سبعين الأصل فيه ولو كان بمكان تحت الأرض ثم حذف حرف الخفض فصار تقديره ولو
كان مكانا تحت الأرض ثم حذف الموصوف الذي هو قوله مكانا وأبقى صلته التي هي تحت
الأرض والتقدير لو كان مكانا منخفضا تحت الأرض قدر سبعين واديا ثم حذف قدرا فأقام
سبعين مقامه فقوله سبعين على هذا صفة أيضا ومثله قول الآخر

ولو كنت في جب ثمانين قامة

أي قدر ثمانين قامة فإن قلت لا يجوز أن ينتصب سبعين على
التمييز لما فيه من رفع الإبهام الذي تضمنه قوله تحت الأرض قلت الأصل في التمييز أن يكون
بأسماء الأجناس وهذا ليس منها

ومن ذلك قصة أمية بن أبي الصلت الثقفي

وقد ذكرها الفقيه أبو محمد وذكرها أيضا غيره إلا أن رواية الفقيه أبي محمد أتم • يحكي بسنده
عن أبي سفيان قال خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت الثقفي تجارا إلى بعض الشام فكلما نزلنا منزلا
أخذ أمية سفرا له يقرأه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فأهدوا له
وأكرموه وذهب معهم إلى بيعتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين
أسودين فلبسهما وقال لي يا أبا سفيان هل لك في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب
تسأله عما بدا لك قلت لا أرب لي فيه والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به وإن حدثني بما أكره لأجلن
قال فذهب وجاء شيخ من النصارى فدخل علينا فقال ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ قلت لست
على دينه قال وإن فإنك تسمع منه عجبا أو تراه ثم قال أثقفي أنت قلت لا ولكني قرشي
قال فما يمنعك من الشيخ والله إنه ليحبكم ويوصي بكم ثم خرج من عندي فمكث أمية حتى جاءنا بعد
هدأة

بلغ مقابلة

هدأة من الليل فطرح ثوبيه وانجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح فأصبح كئيبا
ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا ولا نكلمه ثم قال ألا ترحل يا أبا سفيان قلت وهل
بك من رحيل قال نعم فرحلنا فسرنا ليلتنا ثم قال ألا تحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث
والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما إن ذلك لشيء لست منه في
شيء إنما هو شيء وجلت به في منقلبي قلت وهل بك من منقلب قال إي والله لأموتن ثم لأحيين
ثم لأحيين قلت هل أنت قابل أمانتي قال على ماذا قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب قال فضحك
وقال بلى والله يا أبا سفيان لنبعثن ولنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار • قال قلت ففي أيهما
أنت أخبرك صاحبك قال لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه قال فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني
وأضحك حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين وارتحلنا حتى نزلنا قرية
من قرى النصارى فلما رأوه بشوا به وأكرموه وذهب معهم إلى بيعتهم فجاء بعدما انتصف النهار
فلبس ثوبيه فجاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه كذا به فما نام ولا قام
حتى أصبح فأصبح كئيبا حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه ثم قال ألا ترحل يا أبا سفيان قلت إن
شئت فرحلنا كذلك ليالي ثم قال لي ليلة يا أبا سفيان هل لك في المسير قلت ما شئت قال
ساعة حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال هيا صخر قلت ما تشاء قال حدثني عن عتبة بن ربيعة
أيجتنب المحارم والمظالم قلت إي والله قال ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت إي والله قال
وكريم الطرفين وسيط في العشيرة قلت إي والله قال هل في قريش أفضل منه قلت ما أعلمه
قال أمحوج هو قلت لا بل ذو مال قال كم أتى له من السن قلت زاد على المائة قال فالشرف

والشر مما يرى قلت فماذاك مما يرى به بل يريده خيرا قال هو ذاك هل لك في المبيت فاضطجعنا
حتى مر الثقل ثم سرنا حتى نزلنا في المنزل فبتنا فلما كان في الليلة الثانية قال يا با سفين
قلت ما تشاء قال هل لك في مثل ما كنا فيه البارحة قلت ان لي فيه هل قال فسرنا حتى برزنا ثم قال
يا ابا صخر هيه عن عتبة بن ربيعة قلت هيه قال فرد علي الكلام الاول قلت آلله انك قائل شيئا فقل قال لا
تذكره حدثني حتى يأتي ما هو آت فان الذي رأيت أصابني اني جئت الى هذا العالم فسألته عن اشياء ثم
قلت له أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر هل هو رجل من العرب قلت قد علمت انه من العرب فمن اي
العرب قال هو من ارض بلد تحجه العرب هو من اخوانكم وجيرانكم من قريش قال فأصابني والله شيء
ما أصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت ارجو ان اكون اياه فقلت فإذا كان
ما كان فصفه لي قال رجل شاب حين دخل في الكهول بدو امره انه يجتنب المحارم والمظالم ويصل
الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج متوسط في العشيرة أكثر جنده الملائكة قلت وما
آية ذلك قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم ثمانين رجفة كلها فيها مصيبة وبقيت
رجفة عامة فيها مصائب قال ابو سفيان فقلت له هذا والله الباطل لئن بعث الله رسولا
لا يأخذه الا مسنا شريفا قال امية والذي حلفت به ان هذا لكذا يا ابا سفيان ثم قال هل
لك في المبيت فبتنا فلما كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فقال اصابت
الشام بعدكم رجفة دمرت اهلها واصابتهم فيها مصائب عظيمة قال ابو سفيان أرى والله
والظن ما خبرك به صاحبك حق قال وقدمنا مكة فقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت
اليمن تاجرا فكنت بها خمسة اشهر ثم قدمت فبينا انا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألوني عن

بضاعتهم

بضاعتهم ثم جاءني محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرهم وهند عندي تلاعب
صبيانها فسلم علي ورحب وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام
فقلت لهند ان هذا ليعجبني منه ما احد من قريش له عندي بضاعة الا سألني عنها غيره فقالت
لي هند وما علمت شأنه قلت وفزعت وما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوقذتني
وذكرت قول النصراني ووجمت حتى قالت لي هند ما لك فانتبهت وقلت ان هذا لهو الباطل
هو اعقل من ان يقول هذا قالت بلى والله ليقول ذلك وان له لاصحابا على دينه فخرجت فبينا
انا اطوف لقيته فقلت ان بضاعتك بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فارسل فخذها فلست
آخذ منك ما آخذ من قومك فقال ما انا بفاعل ولا آخذها قلت فارسل فخذها فإني آخذ منك
ما آخذ من قومك فلم انشب ان خرجت تاجرا الى الطائف فنزلت على امية فقلت يا ابا عثمان
هل تذكر حديث النصراني قال اذكره قلت فقد كان قال ومن قلت محمد بن عبد الله قال
ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فالله يعلم لقد تصبب عرقا
ثم قال يا ابا سفيان لعله ان صفته لهي وان ظهر وانا حي لأبلين الله في نصره عذرا ثم مضيت الى
اليمن فلم انشب ان جاءني هناك خبره فأقبلت حتى نزلت على امية فقلت يا ابا عثمان قد كان من امر
هذا الرجل ما بلغك وسمعت قال قد كان لعمري قلت فاين انت منه قال والله ما كنت لأومن
برسول من غير ثقيف ثم رجعت الى مكة فرأيت اصحابه يضربون ويعذبون قلت فاين جنده من
الملائكة ودخلني ما يدخل الناس من النفاسة يعني الحسد بين ان اصل كل هلاك انما هو
الشك والحسد اعاذنا الله برحمته منهما ولذلك قال قلت فاين جنده من الملائكة ودخلني

ما يحل الناس من النفاسة واذا اخبرت كل من هلك بتكذيب النبوة نعوذ بالله وجلاله
وجدت بسبب هلاكه احد هذين الوجهين نسأل الله اليقين والعافية والموارد الصافية ۞
واعلم ان قوله في هذا الخبر الى سعتهم بكسر الباء ۞ وقوله لا اجلن معناه لا اخاف من الوجل ۞
والاصل لا اوجلن ثم كسرت الهمزة لان حرف المضارعة يكسر من هذا الفعل فانقلبت الواو
ياء ۞ وقوله اي وان لم يكن على دينه فحذف ذلك للعلم به ۞ والجدل استلقى على الارض وهي
الجدالة ۞ وغبوقه على صبوحه يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منصوبا على الظرف
اي مدة غبوقه وصبوحه والغبوق شرب العشي والصبوح شرب الصباح ۞ الثاني ان
يكون غبوقه مرفوعا على الابتداء وقوله على صبوحه مرفوعا في محل الخبر اي وغبوقه
متروك على صبوحه وقوله هل بك من احاديث كذا وقع بالجمع وانا اراه في حديث بالافراد
ووجلت اي خفت وامانتي اي يميني ومنه قولهم امانة الله لا افعلن ۞ ودمشق بكسر الدال
وفتح الميم ۞ وبشوابه اي اظهروا البشر والفرح ۞ وقوله هيا صخر هو نداء بمعنى يا صخر وابو
سفيان بن حرب ممن اشتهر بكنيته واسمه صخر ۞ وقوله محوج هو كثير قليل المال ويجوز فيه
وجهان فتح الواو وكسرها لانك تقول احوج الرجل اذا احتاج واحوجه الله ويقع في بعض النسخ
بفتح الحاء وفتح الواو وتشديدها ۞ وقوله هل تعرف قريشا افضل منه وقول ابي سفيان ما اعلمه
يعني شرف الرياسة في ذلك الوقت لا شرف النسب ۞ ويدل على ذلك قوله وسيط في
العشيرة اي شريف والوسيط الخيار من كل شيء وقد اتفق السلف والخلف على ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسط قريش نسبا واشرفهم حسبا وقد قال الشاعر في

جده

جده عبد مناف ـــ ما ولدت والدة من ولد اشرف (اكرم) من عبد مناف حسبا ۞
وقوله مما يزري يجوز فيه وجهان ضم الياء وفتحها فبالضم معناه يقصر به وينقصه وبالفتح معناه
يعيبه يقال زرى عليه اذا عابه وازرى به اذا قصر به ويؤيد الضم في الاول افتراق قوله به
في الثاني فان الثاني لا يجوز فيه الا الضم ۞ وقوله ان لي فيه هلا على الحكاية ولو جعله اسما لشدد
وقال ان لي فيه هلا بالنصب والتشديد قال الخليل قلت لابي الدقيش هل لك في زبدة
كان ودكها عيون الضياون يعني السنانير فقال اشد الهل ۞ ومنع بعضهم ان يقال فيه هلا
وقول ابي الدقيش يرد عليه وكذلك قول ابي سفيان في هذه الحكاية ۞ وقوله هيه عن
عتبة بن ربيعة هي والله اعلم بمعنى ايه التي هي لاستزادة الحديث والهاء بدل من الهمزة ووقع
في بعض نسخ الاعلام ههنا بالنون مكان التنوين وهذا ان صح يؤذن ان الكلمة منونة الا ان هذا
يشكل على مذاهب النحويين فانك ان قلت ايه عندهم بالتنوين كان معناه حدثنا حديثا ما
واذا قلت ايه بغير تنوين كان معناه حدث الحديث المعهود ولذلك سموا هذا التنوين تنوين
التنكير لكن يحتمل ان تكون الاشارة لم تقع الى الحديث الاول بل الى حديث يستانفه في معنى
الاول فلذلك ساغ التنوين ۞ واما ان كانت الاشارة الى الاول فالحكم حذف التنوين والاولى
ان يقال في هذه الكلمة هيه بسكون الهاء دون كسر ولا تنوين وهي كلمة استزادة الكلام
والهاء الاولى فيها اصل لا بدل ۞ وقوله رجفت الشام اي زلزلت واضطربت وقوله فوقذتني
بالذال المعجمة اي المتني واحرقتني ومنه الموقوذة وهي المضروبة بالخشب حتى تموت ۞ ووجم بفتح
الجيم سكت مهتما ومفكرا ولم انشب لم البث واصله لم اتعلق بشيء من قولك نشب

الشيء بالشيء. وقوله لعله اي لعله هو فحذف الخبر وقوله لا يبلين الله في بصره عذرا اي لا يأتي بالغين في بصره
حتى يقوم عذره عند الله عز وجل **ومن ذلك قصة** سفيان بن مجاشع بن دارم واصحابه
فانهم قدموا الشام وهم اربعة نفر فنزلوا على غدير فيه شجرات وقربه قايم له دير اي فاشرف
فاشرف عليهم فقال ان هذه لغة ما هي لاهل هذه البلد قالوا نعم نحن قوم من مضر قال من اي
المضريين قالوا من خندف قال اما انه سيبعث فيكم وشيكا نبي فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه
ترشدوا وانه خاتم النبيين واسمه محمد فلما رجعوا الى اهلهم ولد لكل رجل منهم ولد فسماه محمدا رجاء
ان يكون ذلك **ومن ذلك قصة** ابان بن سعيد بن العاص قال لما قتل ابي يوم بدر
كنت في حجر عمي ابان بن سعيد وكان ولي صدق وانه خرج تاجرا الى الشام فمكث هنالك سنة
ثم قدم علينا وكان شديد السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الجرد عليه فلما بلغني
قدومه خرجت حتى جئته وكان اول ما سال النبي عنه ان قال ما فعل محمد فقال عمي عبد الله بن
سعيد هو والله اعز ما كان قط واعلى امرا. والله فاعل به وفاعل فسكت ولم يسبه كما
كان يفعل فمكث ليالي ثم ارسل الى سراة بني امية وقد صنع لهم طعاما فلما اكلوا قال ما فعل محمد
قالوا قد اكثرت من السؤال عنه فما شانك قال شاني وشانه اني والله اني ما ارى شرا دخلتم
فيه الا دخلت ولم ارشدا ولا خيرا تركتموه الا تركته تعلموا اني كنت بقرية تامردا وكان بها راهب
لم ير له وجه منذ اربعين سنة فبينا انا ذات ليلة هنالك اذا النصارى يطيبون المصانع
والكنايس ويصبغون الاطعمة ويلبسون الثياب فانكرت ذلك منهم فقلت ما شانكم
قالوا هذا راهب يقال له بكا لم ينزل الى الارض ولم يرها منذ اربعين سنة وهو نازل اليوم
بمكث

62

فيمكث اربعين ياتي المصانع والكنايس وينزل على الناس فلما كان الغد نزل فخرجوا واجتمعوا وخرجت
فنظرت اليه واذا شيخ كبير فخرجوا وخرج معهم يطوف فيهم فمكث اياما واني قلت لصاحب
منزلي اذهب معي الى هذا الراهب فاني اريد ان اسأله عن شيء فخرج معي حتى دخلنا عليه
فقلت قد كان لي اليك حاجة فاخلني فقام من عنده حتى بقيت فقلت اني رجل من
قريش وان رجلا منا خرج فينا يزعم ان الله ارسله مثل ما ارسل موسى وعيسى قال من هو قلت
من قريش قال واين بلدكم قلت تهامة ثم مكة قال لعلكم تجار العرب قلت نعم قال ما صاحبك
قلت محمد قال الا اصفه لك ثم اخبرك عنه قلت بلى قال منذ كم خرج قلت منذ عشرين
سنة او دون ذلك بقليل قال فهو يومئذ ابن اربعين سنة قلت اجل قال وهو رجل سبط الراس
حسن الوجه قصد الطول شثن اليدين في عينيه حمرة لا يقاتل بلدا ما كان فيه فاذا
خرج منه قاتل فظفر وظهر عليه يكثر اصحابه ويقل عدوه فقلت والله ما اخطات من صفته
ولا من امره واحدة فاخبرني عنه قال ما اسمك قلت ابان قال كيف انت اصدقته ام
كذبته فقلت بل كذبته فرفع يده فضرب ظهري بكف لينة واحدة ثم قال اخط بيده قلت
لا قال هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن عليكم ثم ليظهرن على العرب ثم ليظهرن على
الارض وقد خرج فخرج مكانه ودخل صومعته وتشبث الناس به فابى وما ادخله صومعته
غير حديثي فقال اقرا على الرجل الصالح السلام يا قوم ما ترون قالوا والله ما كنا نحسب ان
نتكلم بهذا ابدا ولا نذكره قال سعيد وبلغنا مكانه وسيره بريدا في غزوة الحديبية فلما
رجع تبعه عمي واسلم. وقوله في هذا الخبر بقرية تامردا بالتاء المنقوطة باثنين وفتح الميم

وسكون الراء المهملة وآخره ألف مقصورة وهي قرية بالقرب من حلب فيما أخبرت. بينها
وبين نصيبين. وقوله بكا بفتح الباء وتشديد الكاف وبألف مقصورة ونحو من هذا والأخبار
في هذا القسم كثيرة رأيت الاقتصار منها على ما ذكرته وسيأتي منها ما فيه ذكر الصور في
الباب التاسع إن شاء الله عز وجل وأختم هذا القسم بخبر وقع في زيادات
كتاب مناقب الأبرار يتعلق بما تقدم وهو أن محمد بن يعقوب الفرجي رحمه الله تعالى قال خرجت أريد
الشام من طريق المفازة فوقعت في التيه فمكثت فيه أياما حتى أشرفت على الموت فبينا أنا كذلك
وقلت
إذ رأيت راهبين يسيران كأنهما قد خرجا من مكان قريب يريدان ديرا لهما بالقرب فقلت إليهما
أين تريدان فقالا لا ندري قلت ومن أين أقبلتما فقالا لا ندري قلت أوتدريان أين أنتما قالا
نعم في ملكه وبين يديه فأقبلت على نفسي وقلت راهبان تحققا التوكل دونك فقلت لهما
أتأذنان في الصحبة فقالا ذلك إليك فسرنا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب
فصليت بتيمم فنظرا إلي وقد تيممت فضحكا مني فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما الأرض بيده
فإذا الماء قد ظهر وطعام موضوع فبقيت أتعجب من ذلك فقالا ما لك ادن فكل واشرب
فأكلنا وتوضأت للصلاة ثم نضب الماء وغار حتى لم ير له أثر فقاما فلم يزالا في صلاتهما وأنا
أصلي وحدي حتى أصبحنا وصلينا الفجر ثم قاما يسيران إلى الليل فلما أمسينا تقدم الآخر فصلى
بصاحبه ثم دعا بدعوات وبحث الأرض بيده فنبع الماء وحضر الطعام فقالا ادن فكل
واشرب فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم نضب الماء وغار حتى لم ير له أثر فلما كانت
الليلة الثالثة قالا الليلة نوبتك قال فاستحييت من قولهما ودخلني من ذلك هم شديد
يا مسلم
فقلت

فقلت في نفسي اللهم إني أعلم أن ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكني أسألك بمحمد صلى الله
عليه وسلم وإذا بعين خرارة وطعام كثير فأكلنا وشربنا ولم نزل على حالنا حتى بلغت النوبة
الثانية فدعوت بمثل ما دعوت وتوسلت بالنبي صلى الله عليه وسلم فإذا بطعام اثين وشراب
اثين والماء ينبع دون ما كان ينبع فتصاغرت إلي نفسي ورآياني أدل فسكتا عني وسرنا حتى
بلغت إلى النوبة الثالثة فدعوت بمثل ما دعوت وتوسلت بالنبي صلى الله عليه وسلم
فإذا بطعام اثين والماء مثل ذلك فعمني فغلبتني عيناي من الهم وإذا بقائل يقول يا محمد أردنا
بك الإيثار الذي خصصنا به محمدا صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء والرسل عليهم السلام
وهي علامته وكرامة أمته إلى يوم القيامة فلما بلغت النوبة الرابعة قالا
لي يا مسلم أنا نرى في طعامك وشرابك نقصا فلم ذلك قلت أولا تعلمان أن ذلك خلق قد
خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وخص به أمته
من بعده إن الله تعالى يريد مني الإيثار وقد آثرتكما استنانا بنبيي صلى الله عليه وسلم فقالا صدقت
نحن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صدقت في
قولك هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الله عز وجل المنزلة إن الله عز وجل خص محمدا صلى
الله عليه وسلم وأمته بذلك وأسلما فقلت لهما هل لكما في الجمعة والجماعة فقالا ذلك
واجب قلت نعم فأنيبا إلى الله عز وجل وارغبا إليه أن يخرجكما من هذا التيه إلى أقرب الأماكن
إلى الشام ففعلا فنحن نسير إذا ببيوت قد أشرفنا عليها وهي بيوت بيت المقدس فدخلنا
المسجد وأقمنا أياما ثم تجردا في سفر فافترقنا فإن قلت الكرامات إنما تظهر

على ايدي الاولياء المقتدين بمحمد صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ٥ واذا كانت لا تظهر على ايدي
مخالفي السنة من اهل القبلة فكيف تظهر على ايدي اهل الملة **قلت**
الكرامات تظهر على ايدي الاولياء وهي كرامات على التحقيق لان الله عز وجل اكرمهم بها اعلاما
برضاه وانهم على سواء الصراط المستقيم الا ان الاولياء مع ظهورها لا تكون همهم النظر
اليها وانما نظرهم الى المنعم بها سبحانه وتحفهم بمواهبها جل جلاله بل يعدون النظر اليها
حجابا يصد عن مرامهم ويوجب سلبها عنهم ولذلك يستتر بها اكثرهم ولا يريد اظهارها ومهما
ظهرت عليه طلب ممن راها كتمها عليه ثم هم مع ذلك على قسمين قسم يقوى رجاؤه عند ظهورها
في فضل الله عز وجل ورحمته ويرجو حفظ مولاه ووقايته ٥ وصونه من كيد الشيطان
وحمايته ٥ وقسم يقوى خوفه ويخشى ان يكون استدراجا من الله عز وجل له فيسئل الله عز
وجل الحماية ٥ واتمام النعمة والرعاية ٥ ولذلك قال السري السقطي قدس الله روحه
لو ان واحدا دخل بستانا فيه اشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح السلام
عليك يا ولي الله فلو لم يخف انه مكر لكان ممكورا فظاهر هذا يؤذن ان الكرامة
قد تظهر على يدي من ليس من اهل الولاية او كان من اهلها وعقباه ان يسلبها ولذلك خاف الاولياء
من خطر الخاتمة ٥ وكان بعض السلف يحلف ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه
نعوذ بالله وجلاله من ذلك وقد يظهر امثال ذلك على ايدي المخالفين واعداء الله وذلك
على وجهين احدهما ان يكون عقباه وماله الرجوع الى الله عز وجل والاخلاص والانابة كما اتفق
لهذين الراهبين المذكورين فيعلم بذلك انها كانت كرامة من الله عز وجل ومقدمة لهدايته

وامارة

وامارة على توفيق الله عز وجل واعانته ٥ والثاني ان يظهر على يد من يكون عقباه الخسران ٥ ومصيره
الى دار البوار ٥ وفي الله الكفاية فيعلم بخاتمة امره ان ذلك لم يكن كرامة بل استدراجا
وامتلاء ٥ ومكرا وابتلاء ٥ واعتبر ذلك بقصة بلعم بن باعورا فانه كان اوتي اسم الله
الاعظم الذي اذا دعي به اجاب ثم سلب ذلك حين اراد ان يدعو على موسى صلوات الله
على نبينا وعليه وعلى سائر الانبيا وسلامه ٥ وفيه نزل قوله جل جلاله وتقدست اسماؤه
واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
الاية فاي كرامة اعظم من اعطا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل
اعطى فان من اعطيه كانت الاشياء كلها عنده والكرامات باسرها بين يديه
فانه مهما اراد شيا دعا الله عز وجل بذلك الاسم فاعطاه اياه فانطوت الكرامات كلها
تحت هذا الاسم الاعظم **اخبرني** شيخنا الفقيه الامام الصالح ابو عبد الله
الطولقي رحمه الله ان احد اهل مدينة تونس رحمها الله وكان مشتغلا بالعبادة منقطعا
الى الله عز وجل كان يخبر بالمغيبات ويوجد على نحو ما قال ثم تغيرت حاله وزال عنه جميع
ذلك وكان شيخنا الفقيه يتاول فيه هذه الاية المتقدمة واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا نعوذ بالله من الخذلان ٥ وسوء العاقبة والحرمان ٥ واعلم انما يبدو على
هذا الصنف المخذول يكون على وجهين احدهما من الله عز وجل واستدراجا كما تقدم
والثاني يكون من الشيطان الرجيم بتسليط الله عز وجل اياه على العبد فيسمع الهاتف
يخاطبه بانه رجل صالح وبغير ذلك من امور تظهر له بعد ذلك تكون من استراق السمع

فانه جاء أن الشياطين تسمع الملائكة في العنان أي السحاب تتكلم بالأمر مما قضى الله عز وجل
في خلقه فتلقي ذلك إلى أوليائها وربما اشتهى شيئاً فأتاه الشيطان به فيظن أن ذلك كرامة
من الله عز وجل وليس كذلك وقد يفعل الشيطان لعنه الله ذلك مع الأولياء لكنهم يكاشفون بحاله
حتى لا تخدعهم ولا يغترون به • تحكى أن محمد بن واسع كان يمشي ليلة إلى الجامع وشيخ يمشي معه
بالسراج ليريه الطريق فرأته امرأة فقالت له اتبعت الشيخ فقال لها دعه أتعبه فعرف الشيطان
لعنه الله أنه قد عرفه فرمى السراج من يده وذهب • وهذه كلها دلائل الملك والقدرة وأنه
سبحانه يعطي ويمنع ويخفض ويرفع • لا شريك له في ملكه • ولا معارض له في ملكه • لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون • جعلنا الله ممن لزم سنن الطريق • وختم له بخلقه التوفيق • وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أهل التحقيق والتصديق • واعلم أن بلعم بفتح الباء وبالعين المهملة ويقال فيه
بلعام أيضاً بالألف وباعورا بالعين المهملة وألف مقصورة ويجوز مدها

الباب الخامس

في ما جاء من الأدلة المعربة عن العرب العاربة والمستعربة

اعلم أنهم اختلفوا في معنى العرب العاربة والمستعربة فقال ابن دريد العرب العاربة الذين تحولت
ألسنتهم إلى العربية حين تبلبلت الألسن ببابل منهم عاد وثمود وطسم وجديس قبائل درجوا
وعلى هذا فمن جاء بعد هؤلاء هم العرب المستعربة لأنهم سلكوا على مناهجهم في اللسان وقال
صاحب الصحاح العرب العاربة الخلص منهم أخذ من لفظه فأكد به كما قالوا ليل أليل وربما قالوا العرباء

والعرب

والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص فعلى هذا العرب العاربة قريش لأنهم الصريح الصحيح
من ولد إسماعيل عليهم السلام ولغتهم هي الصحيحة الصريحة التي نزل بها القرآن العزيز أفصح ما
نطق به • وإذا عرفت ذلك فاعلم أن هذا الباب على قسمين أحدهما ما جاء عن العرب العاربة
والثاني ما جاء عن المستعربة

أما القسم الأول

فإنه على نوعين أحدهما ما جاء عن
قريش • والثاني ما جاء في أخبار قوم عاد • أما ما جاء من الأدلة عن قريش فمنها ما جاء عن كعب
ابن لؤي أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من أنه كان يحض على تعظيم الحرم ويقول سيكون له نبأ عظيم
ويخرج منه نبي كريم وينشد • يا ليتني شاهد نجواء دعوته • إذا العشيرة تبغي الحق خذلانا •
ويروى إذا قريش تبغي الحق خذلانا • قال القاضي أبو الحسن الماوردي في كتاب الأحكام
السلطانية كانت قريش تجتمع إلى كعب بن لؤي بن غالب في كل جمعة وكان يوم الجمعة يسمى في
الجاهلية عروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه على قريش ويقول ما حكاه
الزبير بن بكار أما بعد فاسمعوا وتعلموا • وافهموا واعلموا • ليل ساج • ونهار ضاح • والأرض
مهاد • والجبال أوتاد • والسماء بناء • والنجوم أعلام • والأولون كالآخرين • والأنثى والذكر
زوج • إلى بلى ما يهيج • فصلوا أرحامكم • واحفظوا أصهاركم • وثمروا أموالكم • فهل رأيتم من
هالك رجع • أو ميت انتشر • الدار أمامكم • والظن غير ما تقولون • حرمكم زينوه وعظموه
وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم يقول

نهار وليل كل أوب بحادث • سواء علينا ليلها ونهارها •

يؤوبان بالأحداث حين تأوبا • وبالنعم الضافي علينا ستورها •

صروف وانبا تغلب اهلها لها عقد ما يستحل مرير بها
على غفلة بان النبي محمد فمخبر اخبارا اصدق فا خبيرها

ثم يقول اما والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب الجمل ولارقلت
فيها ارقال الفحل ثم يقول: يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا
وكان بين مولد النبي صلى الله عليه وسلم وموت كعب فيما ذكروا خمس مائة عام وعشرون عاما
ذكر ذلك الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام واعلم ان ما وقع في هذا الشعر من قوله سواء
علينا ليلها ونهارها مع قوله يثور بها وما بعده لا يجوز عند العروضيين وصوابه ان يقال
سواء علينا عامها وشهورها او يثير بها ومثيرها وقوله ساج بالجيم اي ساكن وضاح بالحاء
المهملة اي ظاهر بارز وهذا من باب المجاز والمراد ان الليل يسكن الناس فيه والنهار يبرز الناس فيه
ويتصرفون فنسب ذلك الى الليل والنهار مجازا والبلى ضد الجدة ويهيج يذبل ويصفر ويهيج ايضا
يطول ويقوى وهو من الاضداد وقوله كل اوب اي في كل مكان يقال جاوا من كل اوب وقد
يجوز ان يكون المعنى في كل وقت لان الاوب الرجوع فيجوز ان يكون التقدير في كل مكان رجوع او
زمان رجوع والاول اظهر ويوبان برجان وتا وبا رجا الا ان فيه مبالغة لاجل الزيادة والمبرم
المحكم الفتل وارقلت اسرعت ونحوى الكلام معناه واصلها القصر فمدها ضرورة ومنها
ما جاء عن زيد بن عمرو بن نفيل فقد ذكر الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام ان زيد بن عمرو بن نفيل قال لعامر
ابن ربيعة اني قد فارقت قومي واتبعت ملة ابرهيم وما كان يعبد اسمعيل من بعده كان يصلي الى هذه
البنية وانا انتظر نبيا من ولد اسمعيل عليه السلام من بني عبد المطلب وما اراني ادركه وانا اومن به
واشهد

واشهد انه نبي فان طالت بك زمان فامن به واقرا عليه مني السلام وذكر له صفته فقال ليس بالطويل
ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس تفارق عينيه حمرة خاتم النبوة بين كتفيه شامة
واسمه احمد صلى الله عليه وسلم ومنها ما جاء عن ورقة بن نوفل ففي صحيح البخاري عن ابن شهاب عن
عروة بن الزبير عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها انها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة في النوم وكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح
ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو في غار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد
قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار
حراء فجاءه الملك فقال اقرا فقال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ
فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم
فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره فدخل على خديجة بنت خويلد فقال
زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي
قالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد
ابن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت
له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة يا ابن اخي ما ذا ترى فاخبره رسول الله

صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني
فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم
قال لم يأت قط رجل بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم
ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن
جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا أنا أمشي إذ سمعت
صوتا من السماء فرفعت بصري وإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض
فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمي الوحي وتتابع واعلم أن قوله ثم لم ينشب ورقة أن توفي
معناه لم يلبث ولم يقم وذلك يدل أنه توفي قبل أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم في أول
ابتداء الوحي وفي السيرة أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب في الله وهو يقول أحد أحد
فيقول ورقة أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع به ذلك من بني جمح
فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذن قبره حنانا ۝ قال غيره لا تمسحن به وقيل
معناه لأتعطفن عليه وأترحمن لأنه من أهل الجنة ۝ والظاهر والله أعلم أن ما وقع في البخاري
من أنه توفي قبل ذلك ويدل عليه وجوه أحدها أنه قال في شعره المتقدم

فيا ليتني إذا ما كان ذاكم شهدت وكنت أولهم ولوجا ۝
ولوجا في الذي كرهت قريش ۝ وإن عجت بمكتها عجيجا ۝

فيبعد أن يقول هذا القول ويبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤمن به مع ما كان عنده من
العلم

العلم واليقين ۝ الثاني أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر رحمه الله لم يذكره فيمن ذكره من الصحابة رضي الله
عنهم فيبعد أن يعيش إلى البعث ولا يؤمن ولو عاش إلى البعث ولم يؤمن لعده مع من كفر ممن بشر
بالنبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ولو عاش وآمن لعده في الصحابة فلما لم يعده في الصحابة ولا في
من كفر ممن علم وبشر علمنا أنه مات قبل المبعث والله أعلم ۝ الثالث الحديث الذي ذكره
الترمذي عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة أنه كان صدقك ولكنه مات قبل أن تظهر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريته في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار
لكان عليه لباس من غير ذلك وهذا نص في الباب إلا أن الترمذي قال فيه هذا
حديث غريب وعثمان بن عبد الرحمن عند أهل الحديث بالقوي ۝ الرابع الحديث الذي
جاء عن عروة بن الزبير أنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة كما بلغنا قال
أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض ۝ فظاهر هذا أنه لم يكن ممن عاش إلى المبعث
والله أعلم ولذلك سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ممن عاش حتى فشا الإسلام
لما وقع السؤال عنه لأن أمره حينئذ يكون متضحا إما بالإسلام أو بضده ۝ وقد ذكر
ابن إسحق أيضا قصة ابتداء الوحي وأنا أذكرها هنا لما يتعلق بها من الفائدة فأقول
حكى ابن إسحق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته أن أول ما
ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله به كرامته ورحمة العباد به
الرؤيا الصادقة وكان لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح قالت

وحبب الله اليه الخلوة فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده قال ابن اسحق وحدثني عبد
الملك بن ابي عبد الله بن ابي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي وكان واعية عن بعض اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله عز وجل كرامته وابتداه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته
ابعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي الى شعاب مكة وبطون اوديتها فلا يمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجرة الا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوله عن يمينه وشماله فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة
الله عز وجل وهو بحراء في شهر رمضان قال ابن اسحق حدثني وهب بن كيسان مولى آل
الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد
كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل
قال فقال عبيد وانا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية
قال ابن اسحق والتحنث التبرر قال ابن هشام تقول العرب التحنث والتحنف يريدون
الحنيفية فيبدلون الثاء من الفاء قال ابن اسحق حدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه
من المساكين فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان اول ما
يبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل ان يدخل بيته فيطوف بها سبعا او ما شاء
الله

68

الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله فيه ما اراد من كرامته من
السنة التي بعثه الله فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه اهله حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها
برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل بامر الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرا قلت ما اقرا قال فغتني به حتى ظننت انه
الموت ثم ارسلني فقال اقرا قلت ماذا اقرا قال فغتني به الثانية حتى ظننت انه الموت ثم
ارسلني فقال اقرا فقلت ما اقرا ما اقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع
بي فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم قال فقراتها ثم انتهى ثم انصرف عني وهببت من نومي فكانما كتبت في
قلبي كتابا قال فخرجت حتى كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا [من السماء] يا محمد انت رسول الله وانا
جبريل قال فرفعت راسي الى السماء انظر فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في
افق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل قال فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما
اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا انظر في ناحية منها الا رايته كذلك
فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا
اعلى مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا
الى اهلي حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفا اليها فقالت يا ابا القسم اين كنت
فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الي ثم حدثتها بالذي رايت

فقالت ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفسي بيده اني لأرجو ان تكون نبي هذه الامة ثم قامت
فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها
وكان ورقة قد تنصر وقرا الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل فاخبرته بما اخبرها
به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى وسمع فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفس
ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان ياتي موسى وانه
لنبي هذه الامة فقولي له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما يصنع بدا بالكعبة فطاف
بها فلقيه ورقة بن نوفل فقال يا ابن اخي اخبرني بما رايت وما سمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء
موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه
ثم ادنى راسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله واعلم
ان ظاهر حديث البخاري ان الملك جاء النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة لا في النوم وغطه حتى
بلغ منه الجهد واقراه كما تقدم من السورة وما ذكره ابن اسحق في هذا الحديث صرح فيه بان
ذلك كان وهو نائم ولا تعارض بين الحديثين ان شاء الله عز وجل فان ذلك كان مرتين احدهما
في المنام توطية وتمهيدا ۵ والثاني في اليقظة كما اتفق في الاسراء فانه كان مرتين ايضا احداهما في
المنام والاخرى في اليقظة وقد ذكرت ذلك في كتاب صلة السمط ۵ وسمة المرط ۵ في شرح سمط الهدى
في الفخر المحمدي ۵ ومما يؤكد ان ذلك كان مرتين ان حديث البخاري ذكر فيه ان خديجة ذهبت
بالنبي

بلغ مقابلة

بالنبي صلى الله عليه وسلم الى ورقة فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى وفي
حديث السيرة ذكر ان خديجة ذهبت فقصت على ورقة ثم بعد ذلك لقي ورقة النبي صلى الله عليه
وسلم في الطواف فكان منه ما ذكر وهذا يؤذن بانهما قصتان والله اعلم وانشد صاحب الروض
الانف لورقة بن نوفل مما قاله فيما اخبرته به خديجة عن النبي صلى الله عليه وسلم ابياتا

يا للرجال لصرف الدهر والقدر ۵ وما لشيء قضاه الله من غير ۵
حتى خديجة تدعوني لاخبرها ۵ امرا اراه سياتي الناس من اخر ۵
فخبرتني بامر قد سمعت به ۵ فيما مضى من قديم الدهر والعصر ۵
بان احمد ياتيه فيخبره ۵ جبريل انك مبعوث الى البشر ۵
فقلت عل الذي ترجين ينجزه ۵ لك الاله فرجي الخير وانتظر ۵
وارسليه الينا كي نسائله ۵ عن امره ما يرى في النوم والسهر ۵
فقال حين اتانا منطقا عجبا ۵ يقف منه اعالي الجلد والشعر ۵
اني رايت امين الله واجهني ۵ في صورة اكملت في اهيب الصور ۵
ثم استمر وكان الخوف يذعرني ۵ مما يسلم من حولي من الشجر ۵
فقلت ظني وما ادري ايصدقني ۵ ان سوف يبعث يتلو منزل السور ۵
وسوف ابليك ان اعلنت دعوتهم ۵ من الجهاد بلا من ولا كدر ۵

قال ابن اسحق وحدثني اسمعيل بن ابي حكيم مولى آل الزبير انه حدث عن خديجة انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي ياتيك اذا

جاك قال نعم قالت فإذا جاك فأخبرني فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاني قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى قال فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري
فتحول فجلس في حجرها ثم قالت هل تراه قال نعم قال فتحسرت فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وابشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان
قال محمد بن اسحق وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت امي فاطمة بنت
حسين تحدث هذا الحديث عن خديجة الا اني سمعتها تقول ادخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الملك
وما هو بشيطان ٥ وقال الفقيه أبو محمد في الأعلام وسمعت الليث بن سعد يحدث ان ورقة بن
نوفل قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله عن امره من أين يناديني من فوقك أو من تحتك أو من بين
يديك أو من خلفك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انادي من فوقي فقال ان الشيطان لا ياتي
من فوق قال الليث وذلك لانه قال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم
واعلم ان قوله في هذا الخبر (الحديث) مثل فلق أي ضوءه وانتشاره والمعنى انها تخرج واضحة بينة لا تحتاج إلى تأويل
وقوله فيتحنث قيل أصل التحنث مجانبة الحنث وهو الاثم وتفعل هنا للسلب كما قالوا تأثم أي
ترك الاثم وتحوب أي ترك الحوب وهو الاثم وتهجد أي ترك الهجود وهو النوم ٥ وقوله قبل أن
ينزع إلى أهله أي يميل ٥ وقوله فغطني أي ضغطني وشد علي وأصل الغط من قولهم غطه في الماء

(بكسر الزاي)

(اذا غوصه فيه تعني الغط ...)

وقوله

وقوله ترجف أي تضطرب ٥ والبوادر اللحمات التي بين المنكب والعنق ٥ وقوله زملوني أي غطوني
بالثياب ودثروني وذلك لان الذي يصيبه الخوف الشديد يعتريه برد وقشعريرة
واضطراب الجوارح ٥ وقول خديجة رضي الله عنها لا يخزيك الله ابدا بضم الياء من الخزي
وهو الذل والهوان ٥ والخزي ايضا المقابلة بالمكروه ٥ وتحمل الكل أي الثقل ٥ وتكسب
المعدوم بفتح التاء يقال كسبت مالا وكسبته غيري وقد يقال اكسبته والمعنى وتكسب
الرجل العديم الشيء المعدوم أي تعطي المحتاج (ما يطلبه) ٥ والناموس الملك الذي يجي بالوحي إلى الانبيا عليهم
السلام وأصل الناموس صاحب سر الرجل فسمي الملك بذلك لانه يجي بالسر من عند الله عز وجل
وقيل ان المراد بالناموس جبريل عليه السلام وانه اسمه عند أهل الكتاب ٥ وقوله
يا ليتني فيها جذعا نصب على الحال ٥ والخبر في الظرف والجذع من الابل ما اتى له خمس ومن
الشاء ما تمت له سنة ٥ وقوله نصرا مؤزرا أي مقوى ٥ وقوله صلى الله عليه وسلم
زملوني وقول عائشة رضي الله عنها فانزل الله يا أيها المدثر لان التزمل ٥ والتدثر ٥
بمعنى واحد ٥ وقوله تعالى والرجز فاهجر أي الاثم ٥ وحمي بكسر الميم أي قوي واشتد
وابن جارية الثقفي بالجيم والياء المنقوطة باثنتين من أسفل ٥ وقوله وكان (حافظه) واعية
أي حافظا (للعلم) والهاء للمبالغة كراعية ٥ وتحسر بضم السين أي تنكشف وتبعد ٥ والشعاب
جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل ٥ وقوله صلى الله عليه وسلم بنمط من
ديباج هو والله اعلم ضرب من الثياب ٥ والنمط في غير هذا الموضع ضرب من البسط
وقوله صلى الله عليه وسلم مضيفا اليها أي مائلا اليها ٥ وقوله قبل يا نوحه أي وسط

رأسه ٭ وقوله من أُخَر بضم الهمزة وضم الخاء وهو جمع أخر بكسر الخاء كبازل وبزل ويقال بزل
بالسكون ٭ وقوله عل بمعنى لعل ٭ وقوله ترجن أصله ترجوين فاستثقلت الكسرة على الواو فحذفت
فالتقى ساكنان فحذفت الواو وكسر ما قبل الياء لتصح ٭ وقوله تقف أي تقوم يقال قف الشعر إذا
قام من الفزع ٭ وتذعرني من الذعر وهو الفزع ٭ وقوله من حولي وقع بكسر الميم في نسخة ذكر
صاحبها أنها قوبلت على المصنف وهو على تقدير حذف أي مما يسلم أصناف من حولي من الشجر
ويجوز أن يقال من حولي بفتح الميم لأن الشجر لما وصفت بالتسليم صارت من جنس من يعقل ووقع
في الأعلام ما حولي وهو أحسن ٭ وقوله سوف ابلك البيت فيه حذف أي وسوف ابليك
بلاء حسنا من الجهاد أو صنفا بليغا من الجهاد **وأما ما جاء في أخبار قوم عاد**
مما جاء في خبر ثور عن عبد الله بن خفاف عمن حدثه قال خرجت في عصابة من قومي أريد اليمامة
فأضللنا الطريق في ديمومة قفر فبينا نحن نجول في تلك الدهنا إذا بشخص يظهر مرة ويخفى أخرى
فإذا بشيخ مشرف مرهف ٭ ذي هامة عظيمة ٭ وقامة وشيبة يخفق بما استبد ما دمينا وهو
يقول ـــ أقسم بالله العلي الأعظم ٭ وأشهد الحل ورب الحرم ٭ ورب من طاف بحول زمزم
لا تؤتن بالفناء الأعظم ٭ أو تلو نفسي حتفها أو تسلم ٭ فلما رآني قال أين تريد لا ملك الهبل ٭
قد تخطى بك الأجل ٭ وأودى بك العمل ٭ وزالت عنك الحيل ٭ قلت يرحمك الله ٭ قوم على
سفر ٭ فأرادوا الحذر ٭ فأخطوا الأثر ٭ إما أويت ٭ وإما هديت ٭ فقال أما الأواية
فلا بيت ولا خبا ٭ وأما الرواية فلا ماء ولا لبن ٭ وأما الهداية فسمت الجبل من حيث ترى
قال عبد الله فقلت ما اسمك أيها الشيخ قال أنا عبد يغوث بن كلال الحميري قال
عبد

عبد الله فقلت يا عبد يغوث إذا كنت مقيما بهذا الموضع فمن أين طعامك وشرابك فقال أما
طعامي فما عشش الهبيد والحرشا والجراجح والحشرة والضباب وربما أتوقع نبات الأرض
وأما شرابي فأتوقع السيول مستقر في الهضاب ومذانب الأرض ٭ قلت يا ابن وطن أهلك
وشراح ما شيبتك فقال أوه ٭ أهلي يسكنون العالية ٭ والأرض الخالية ٭ فوقع فيهم الحسد ٭
وكثر فيهم العند ٭ وقل منهم الرفد ٭ وقطع عنهم فلم يبق لهم سبد ولا لبد ٭ وكنت خليت
قومي وحللت بحي بني باذل وكان في الحي حبر يعني شيخا كبيرا أخبرنا عن خمسمائة عام خلت لعاد
أن ها هنا سدما دفينا كانت تشرح عليه ما شئنا ٭ ويحل عليه شفاؤنا ٭ وقد أخرجت من هذا
الدفين ألواحا فهل تحسن قراءة الكتب ٭ قلت إي وعيشك أيها الشيخ فاستخرج لوحا فيه مكتوب
تبا لعاد كم أتاهم ناصح ٭ بالحق من رب العباد واضح ٭ لو قبلوا ما صاح فيهم صايح ٭ ثم استخرج لوحا فيه مكتوب
تبا لعاد ثم قوم عاد ٭ لو قبلوا من النبي الهادي ٭ ما أصبحت عاقرة بالوادي ٭ ثم استخرج لوحا آخر فيه مكتوب
كأنا بسام ينتمي للفخر ٭ يخطئنا الله بقول الكفر ٭ والله لا ينصر أهل الغدر ٭ ثم استخرج لوحا آخر فيه مكتوب
فقال لي اقرأ يا هناه لله أبوك ما أبصرك بقراءة الكتب فإذا فيه مكتوب
إذا ظهر النبي الأقمر ٭ على الجمل الأحمر ٭ يدعو إلى رب عنه ينفر ٭ فالويل لمن خالف هداه ٭ ولا ملاذ
لمن عصاه ٭ لا يستنكر منه جبل ولا واد ٭ ولا يجدونه إلى الرشاد جاد ٭ يخرجه من تهامه ٭ يبسط
ربع القامة ٭ بسيفه مسلوك ٭ وماله مبذول ٭ إن قال صدق ٭ وإن فتق رتق ٭ فعند ذلك
تتضعضع له الملوك ٭ وتضحي به الشكوك ٭ صلى الله عليه من نبي غير مشكوك ٭ فعند ذلك يترك
الرخا ٭ ويرتفع البلا ٭ ويريد الدين عفوا أنا فهذا ما جاء عن العرب العاربة على القولين وأعلم

انّ قوله في هذا دبومة بربد فلاة ۞ والبسابس القفار ۞ والدهنا موضع معروف ۞
ومشرف طويل القامة ۞ ومرهف نحيف ۞ ووشيه جميله ۞ وسدما بضم الدال وضم السين
قديمة مجهولة ويقال ايضا ۞ وقوله لا يؤبن اي لا يرجع وقصد المد فيه للضرورة ۞ والغنا
مقصور ضد الفقر فمده لضرورة الشعر ۞ وقوله تلق نفسي حتفها او تسلم جا فيه قوله
او تلق نفسي مجزوما بعد او وهي من الحروف الناصبة وهذا على لغة من يجزم بالنواصب
ومنه في صحيح البخاري في حديث رؤيا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقيل لي لم ترع ۞ والهبل
الفقد ۞ واودى بك ذهب بك واهلكك ۞ وقوله واما الرواية فلا ماء ولا
لبن ۞ كذا وقع والسجع يقتضي ان يقول فلا لبن ولا ماء ۞ وقوله قال عبد الله فيه اشكال
فان صدر الحديث دل على ان عبد الله بن خفاف انما حكى عن غيره ممن حدثه الا ان يكون الذي حدثه ايضا
اسمه عبد الله ۞ وكلال بضم الكاف ۞ واعتش اجمع جمعا قليلا واصل ذلك من قولهم اعتش
القوم اذا امتاروا ميرة ليست بالكثيرة والهبيد حب الحنظل وكانت العرب تاكله
والحرشا ضرب من النبت ۞ والحراجج وقع بالحاء المهملة اولا وفسر بانه ضرب من
النبات فانا اراه خراجج بالخاء المعجمة من قولهم ارض مخرجة اذا كان نبتها في مكان دون
مكان ۞ والحشرة واحد حشرات الارض وهي معروفة ۞ والضباب جمع ضب
وهو حيوان معروف ۞ وقوله ربما انوقع بنات الارض كذا وقع بتقديم النون وانا اراه
بنات الارض بتقديم الباء وهي ضرب من الحيوانات ۞ وهي التي يقال لها والله اعلم بنات النقاء ۞
والهضاب جمع هضبة وهي الصخرة الراسية الضخمة ۞ والمذانب جمع مذنب وهو مسيل
الماء

ولعله مخرجه

الماء ۞ وقوله اوّه بتشديد الواو وسكون الهاء وهي كلمة تقال عند التوجع والتاسف ويقال
اوه بسكون الواو وكسر الهاء ايضا ۞ والعند الخلاف من قولك عند الرجل بالكسر
اذا عرف الحق فخالفه ۞ والرفد يحتمل وجهين احدهما ان يكون بكسر الراء فيكون جمع رفدة وهي
العطية ۞ والثاني ان يكون بفتح الراء فيكون اسما من الرفد وهو مصدر رفده رفدا بالسكون
اذا اعطاه واعانه فيكون الرفد والرفد كالقبض والقبض فكان القبض بالسكون مصدر
قبض وبالفتح الشيء المقبوض ۞ وقوله لم يبق لهم سبد ولا لبد اي لم يبق لهم شيء والاصل
في السبد الشعر وفي اللبد الصوف ۞ وقوله عاقرة بالوادي اي معقورة فاعلة بمعنى
مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية ۞ وقوله يا هناه معناه يا رجل والها في اخره
ساكنة لا تحرك الا في ضرورة شعر ۞ والاقمر الجميل الوجه كالقمر ۞ والاقمر الابيض ايضا ۞
وقوله لا يستكن منه جبل ولا واد كذا وقع وهو على تقدير حذف اي لا يستكن صاحبه
جبل ولا واد ۞ ولو قيل فيه لا يستكن منه جبل لم يحتج الى حذف ۞ وقوله ربع القامة
اي معتدل القامة ليس بالطويل ولا بالقصير والذي حكى اهل اللغة رجل ربعة بالهاء
دون اضافة الى القامة وامراة ربعة ايضا ۞ ورتق اصلح وهو ضد فتق ۞ وتضعضع
تخضع وتذل ۞ وتضحى به الشكوك تزول والاصل في ذلك من قولك ضحا اذا برز للشمس
فيكون المعنى على وجهين احدهما انها تخرج عن الصدور وتنفصل والثاني انها تبين
للناس وتظهر فيجتنبونها ۞ وقوله وتزيد الذين عنفوانا اي جدة واقبالا وعنفوان كل
شيء اوله ۞ واما القسم الثاني وهو ما جاء من الادلة المعربة عن العرب

المستغربة فمنه ما جاء عن تبع احد ملوك اليمن من انه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل
ان بعث بسبع مائة عام وقال في ذلك

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه وجليت عن صدره كل هم

ومنها ما جاء عن الرايش احد ملوك اليمن ايضا وسمي الرايش لانه ادخل الغنائم والسبي
فراش الناس في زمانه بجمرهم واجيش اليهم وذكر انه ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم في شعر له
فقال

ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يسمى احمدا يا ليت اني أعمر بعد مبعثه بعام

ومنها ما جاء عن سيف بن ذي يزن وذلك انه لما غلب على اليمن واخرج الحبشة منه
بعد غلبتهم عليه اتته وفود العرب وشعراؤها لتهنيته وتمدحه وتذكر ما كان من
بلائه وطلبه بثار قومه فكان ممن وفد عليه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن
هاشم وامية بن عبد شمس وخويلد بن اسد وناس من وجوه قريش وذلك بعد
مولد النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فاتوه بصنعاء وهو في راس قصر له يقال له غمدان
فاخبره الآذن بمكانهم فاذن لهم فدخلوا عليه وهو على شرابه وعلى راسه غلام ... على
مفرقه المسك وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول وبين يديه امية بن ابي الصلت
الثقفي ينشده

لا تطلب الثار الا كابن ذي يزن خيم في البحر للاعداء احوالا

أتى

أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده الثار الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الاحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الارض اجبالا
لله درهم من فتية خرجوا ما ان رايت لهم في الناس امثالا
بيض مرازبة غلب اساورة اسد تربب في الغيضات اشبالا
ارسلت اسدا على سود الكلاب فقد اضحى شريدهم في الارض فلالا
اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم واسبل اليوم في برديك اسبالا
واشرب اليوم في برديك مرتفقا في راس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

فبدا عبد المطلب فاستاذن في الكلام فقال له سيف بن ذي يزن ان كنت ممن
يتكلم بين يدي الملوك فقد اذناك فقال عبد المطلب ان الله قد احلك ايها الملك
محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت
جرثومته في اطيب (اكرم) موطن واطيب معدن وانت ابيت اللعن ملك العرب وربيعها
الذي به تخصب وانت ايها الملك راس العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي
عليه العماد ومعقلها الذي تلجا اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا
منهم خير خلف فلن يخمل من انت خلفه ولن يهلك من انت سلفه وفي رواية
اخرى فلن يخمل من هم سلفه ولن يهلك من انت خلفه نحن اهل حرم الله جل ذكره

وسدنة بيته • أشخصنا اليك الذي أبهجنا • لكشفك الكرب الذي فدحنا • فنحن وفود
التهنئة • لا وفود المرزئة • قال فأيهم أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم
قال ابن اختنا قال نعم فادناه حتى اجلسه معه إلى جنبه ثم اقبل على القوم وعليه فقال
مرحبا وأهلا • وناقة ورحلا • ومستناخا سهلا • وملكا ربحلا • يعطي عطاء جزلا • قد
سمع الملك مقالتكم • وعرف قرابتكم • وأنتم أهل الشرف والنباهة • ولكم الكرامة • ما
أقمتم • والحباء إذا ظعنتم • ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود • فأقاموا بها شهرا
لا يصلون اليه ولا يأذن لهم في الانصراف وأجريت لهم الأنزال ثم انتبه لهم انتباهة فارسل
الى عبد المطلب وأدناه وأخلى مجلسه ثم قال يا عبد المطلب اني مفوض اليك من سر علمي أمرا لو
يكون غيرك لم أبح له به ولكن رأيتك موضعه • فأطلعتك طلعه • فليكن عندك
مصونا حتى يأذن الله فان الله بالغ أمره • واني أجد في الكتاب المكنون • والعلم المخزون •
الذي اخترناه لأنفسنا • واحتجناه دون غيرنا • خبرا عظيما • وخطرا جسيما • فيه
شرف الحياة • وفضيلة الوفاة • للناس عامة • ولرهطك كافة • ولك خاصة • قال
عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر • فما هو فداك أهل الوبر • زمرا بعد زمر • فقال ابن
ذي يزن • إذا ولد مولود بتهامة • بين كتفيه شامة • كانت له الامامة • ولكم به
الزعامة • الى يوم القيامة • فقال عبد المطلب أيها الملك لقد أبت بخبر ما آب
به وافد ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته أن يزيد في البشارة • ما ازداد به
سرورا • قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد • اسمه محمد يموت أبوه
وامه

وامه • ويكفله جده وعمه • وقد ولدناه مرارا • والله باعثه جهارا • وجاعل منا له أنصارا •
يعز بهم أولياءه • ويذل بهم أعداءه • يضرب بهم الناس عن عرض • ويستبيح بهم كرائم
الأرض • تخمد النيران • ويدحر الشيطان • ويكسر الأوثان • ويعبد الرحمن • قوله
فصل • وحكمه عدل • يأمر بالمعروف ويفعله • وينهى عن المنكر ويبطله • فقال عبد
المطلب أيها الملك عز جارك • وعلا كعبك • ودام ملكك • وطال عمرك • هل الملك
مخبري بإفصاح • فقد أوضح لي بعض الايضاح • فقال ابن ذي يزن والبيت ذي
الحجب • والعلامات على النصب • انك لجده يا عبد المطلب فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع
رأسك ثلج صدرك • وعلا أمرك • فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك فقال نعم كان لي
ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا • فزوجته كريمة من كرائم قومي اسمها آمنة بنت وهب
فجاءت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه • وكفلته أنا وعمه • قال الأمر ما قلت لك
فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء • ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا •
واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن من أن تدخلهم النفاسة •
من أن تكون لهم الرياسة • فينصبون له الحبائل • ويطلبون له الغوائل • وهم فاعلون
وأبناؤهم • ويطي ما يحبه قومه • ويبتلي منهم عنتا • والله جل ذكره مفلح حجته • ومظهر دعوته •
وناصر شيعته • ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه • لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير
يثرب داري • فانها استحكام أمره • وأهل نصرته • وموضع قبره • ولولا اني أقيه
الآفات • وأحذر عليه العاهات • لأعليت على حداثة سنه أمره • ولكني صارف

ذلك اليك عن غير تقصير مني بمن معك ۝ ثم امر لكل رجل منهم بعشرة اعبد وعشر اماء ۝
ومائة من الابل ۝ وحلتين برودا ۝ وخمسة ارطال ذهبا ۝ وعشرة ارطال فضة ۝ وكرش مملوءة
عنبرا ثم امر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك ۝ وقال يا عبد المطلب اذا حال الحول
فائتني بخبره فمات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لا يغبطني احد
منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فانه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي شرفه وذكره
الى يوم القيامة فاذا قيل له وما ذاك قال ستعلمون ما اقول ولو بعد حين ۝ وزاد بعضهم
في هذا الخبر رواية اخرى بعد قوله وعزت جرثومته ۝ وبسق فرعه ۝ وبعد قوله بميتة
محمدا ۝ خدلج الساقين بين كتفيه شامة ۝ وفيه كل ما ذكر الملك من علامة ۝ واعلم
ان المقاول هم من دون الملك وكذا الاقيال ۝ وخيم اقام ۝ وشالت نعامته ارتحل عن
منزله يعني سيف بن ذي يزن ۝ والنحي قصد وقوله بني الاحرار يريد الفرس الذين قدم بهم
وكذلك يسمون بصنعاء ۝ والمرازبة جمع مرزبان وهو صاحب ربع من ارباع المملكة
والغلب جمع اغلب ۝ وهو الغليظ العنق وهو من صفات الاسد ۝ والاساورة الرماة
واحدهم اسوار بضم الهمزة وكسرها ۝ وربب يعني ربي ۝ والغيضات جمع غيضة وهي اجمة
الاسد ۝ والشريد الشارد ۝ والطريد ايضا ۝ والفلال المنهزمون ۝ واسبل ارخى ۝ وكان آلى
الا يشرب الخمر ولا يمس امرأة حتى يدرك ثاره من الحبشة فجعلت له حلتان فاتزر
بواحدة وارتدى بالاخرى وجلس على راس غمدان يشرب وبرت يمينه ۝ ومرتفقا متكئا ۝ على
المرفق ۝ وغمدان قصبة صنعاء وكانت عشرين سقفا طباقا بين كل سقفين عشرة اذرع
فكان

فكان ارتفاع بنائها مائتي ذراع قال الهمداني

مازال يسام يوم الارض مطلبا للطيب خبر بقاع الارض يبنيها
حتى تبوأ غمدانا وشيده عشرين سقفا يناغي النجم عاليها

ودارا منتصب على الحال ۝ وقيل هو يدل على الموضع من قوله في راس غمدان ۝ والشامخ العالي ۝
وكذلك الباذخ ۝ والارومة الاصل ۝ وكذلك الجرثومة ۝ وابيت اللعن كانت تحية الملوك
في الجاهلية اي ابيت ما تذم عليه ۝ والسدنة الخدمة واحدهم سادن ۝ والرجل اليمين
مع لين البشرة ونعمتها وقيل هو العظيم ۝ والانزال الضيافات واحدها نزل ۝ وطلع الشيء
بالكسر حقيقته وما بشر منه ۝ واحتجناه اي اخذناه لانفسنا ۝ والبشارة بكسر الباء
ما يبشر به الانسان ۝ ويدحرجك ويطردك ۝ والحبائل جمع حبالة وهي شرك الصائد ۝
والغوائل المهلكات ۝ والعنت المشقة ۝ وقوله اولا ابن اختنا لان ام عبد المطلب
كانت من الانصار وهم من اليمن وسيف بن ذي يزن من اليمن وهي سلمى بنت عمرو من بني النجار
وانما قال وقد ولدناه مرارا لان له صلى الله عليه وسلم جدات من اليمن منهن سلمى ام عبد
المطلب ۝ وخندف ام مدركة بن الياس ۝ وسلمى بنت عمرو ام لؤي بن غالب ۝ وفاطمة بنت
سعد ام قصي بن كلاب ۝ وخدلج الساقين غليظهما وهذا فيه معارضة لما جاء في
صفته صلى الله عليه وسلم انه كان في ساقيه الكريمتين حموشة وهي الرقة الا انه
يحتمل ان يقال ذلك صفته صلى الله عليه وسلم في حين الولادة والصغر والحموشة صفته
عند نشأته شبابه صلى الله عليه وسلم **ومنها ما جاء** عن قس بن ساعدة الايادي

وكان خطيب العرب وشاعرها وحكيمها في عصره ويقال انه اول من علا على شرف وخطب
عليه واول من قال في كلامه اما بعد واول من اتكأ في خطبته على سيف او عصا وادركه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ورآه بعكاظ ٥ وقد جاء ذكر ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال لما قدم وفد اياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما فعل قس
بن ساعدة قالوا مات يا رسول الله قال كاني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له اورق يتكلم
بكلام عليه حلاوة ما اجدني احفظه فقال رجل من القوم انا احفظه يا رسول الله ٥ وفي
رواية اخرى فهل فيكم من يحفظه فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه انا احفظه قال كيف
سمعته يقول ٥ قال سمعته يقول ايها الناس اسمعوا ٥ وعوا ٥ من عاش مات ٥ ومن مات
فات ٥ وكل ما هو آت آت ٥ ليل داج ٥ وسماء ذات ابراج ٥ وبحار تزخر ٥ ونجوم تزهر ٥
وضوء وظلام ٥ وبر واثام ٥ ومطعم وملبس ٥ ومشرب ومركب ٥ ما لي ارى الناس يذهبون
ولا يرجعون ٥ ارضوا بالمقام فاقاموا ٥ ام تركوا بها فناموا ٥ واله قس بن ساعدة ما على وجه
الارض دين افضل من دين قد اظلكم اوانه ٥ وادرككم زمانه ٥ فطوبى لمن ادركه فاتبعه ٥
وويل لمن خالفه ٥ وفي رواية اقسم قس قسما ٥ لا حانثا فيه ولا نادما ٥ ان لله دينا
احب من دينكم الذي انتم عليه ٥ ونبيا قد حان حينه ٥ واظلكم اوانه ٥ وادرككم ابانه ٥ فطوبى
لمن امن به فهداه ٥ وويل لمن خالفه وعصاه ٥ ثم انشا يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر ٥
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر ٥

ورايت

فروي عنه

ورأيت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر ٥
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر ٥
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر ٥

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله قسا اني لارجو ان يبعث يوم القيامة
امة وحده فقال رجل يا رسول الله لقد رايت من قس عجبا فقال وما رايت قال بينا انا
بجبل يقال له سمعان في يوم شديد الحر اذا انا بقس بن ساعدة في ظل شجرة عند عين وحوله سباع
كلما زار سبع منها على صاحبه ضربه بيده وقال كف حتى يشرب الذي ورد قبلك
قال ففرقت منه فقال لي لا تخف واذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران
اللذان اراهما قال هذان قبران اخوين كانا لي فما تا فاتخذت بينهما مسجدا اعبد الله فيه
حتى الحق بهما ٥ وفي رواية اخرى هذان قبرا اخوين كانا يعبدان الله معي في هذا المكان
ثم ذكر ايامهما فبكى وانشا يقول

خليلي هبا طالما قد رقدتما ٥ اجدكما لا تقضيان كراكما ٥
الم تعلما اني بسمعان مفردا ٥ وما لي فيه من حبيب سواكما ٥
اقيم على قبريكما لست بارحا ٥ طوال الليالي او يجيب صداكما ٥
ابكيكما طول الحياة وما الذي ٥ يرد على ذي عولة ان بكاكما ٥
امن طول نوم لا تجيبان داعيا ٥ كان الذي يسقي العقار سقاكما ٥
كانكما والموت اقرب غاية ٥ بروحي في قبريكما قد اتاكما ٥

فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي أن تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا • واعلم أن عكاظ كانت للعرب موضع سوق فكانت تجتمع اليه لاجلها • والاورق الذي يشبه لونه لون الرماد • والغابر الباقي • وقوله صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن يبعث يوم القيامة امة وحده بريد والله اعلم لانفراده بالايمان في ذلك الوقت • ويحتمل أن يكون المراد بالامه هنا الرجل المنقطع النظير في الخير القابو فيه • وهبا أي انبهها من نومهما • والكرى النوم • والعولة من العويل وهو رفع الصوت بالبكاء ومنها ما جاء عن افعى نجران وهو والله اعلم الافعى بن الافعى الجرهمي وكان ملك نجران وجاء ذكر ذلك في اسلام الشيخ الصداي عن عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ قومي أن شيخا من صداء قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يجنون به فقال يا رسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثاب عقلي ونبت اسناني وهولاء ولدي حولي ولدي لصلبي وخلفهم من نسلهم اضعافهم وقد سمعت ابن افعى نجران يذكرك في غابر الزمان • وقال لي ان من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه وهو يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة • فبالذي فضلك بالرسالة • وايضاح الدلالة لما كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له حفظت علي بعد العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب الشيخ عليه اذ رآه يقبله ويبكي ويقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سقط الشيخ مغشيا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ردت توبة على فيه رب سامع واع ينتفع بما سمع ورب

ناظر

ناظر كالظليم العاثر لا فهم ولا عقل ولا تذكرة ذلك الذي لا يعبا الله به شيئا ولم يفق الشيخ من سقطته حتى مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سعد هذا الشيخ وادرك حظا كبيرا من الخير ثم أمر به فاصلح من جهازه وصلى عليه ودفنه واثنى عليه خيرا ثم دعا اولاده الى الاسلام فاسلموا وسمحت عيونهم ولانت قلوبهم واقاموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن حتى اذا حفظوا وتفقهوا استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجوع الى قومهم فأذن لهم واجازهم وحمل احدهم على راحلة يقال لها الرداء وقال له احتفظ بها ففيها بركة فخرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قومهم وبورك في الرداء وكثر نسلها حتى ان فيهم الى الان من بقايا نسلها نتاجا يقال له نتاج الردا واعلم ان قوله في هذا الخبر دردرت معناه تحركت اسناني وسقطت • وشمط بكسر الميم شاب واصله اختلاط الشيب بالشباب • والظليم ذكر النعام • والعاثر بالثا المثلثة معروف ويحتمل أن يكون العاير بالياء المنقوطة باثنتين من اسفل وهو الذاهب الى هنا ومنه في صفة المنافق كالشاة العايرة بين الغنمين • ومما جاء عن افعى نجران أيضا ان اولاد نزار بن معد بن عدنان ارتفعوا اليه في ميراث لهم تشاجروا وهم مضر وربيعة وانمار واياد فلما توسطوا طريقهم وجدوا اثر بعير على اكمة يفتتلان فقالوا ابانا انمار اترك فغرق بينهما فنزل وكان اكبر ولد نزار فدنا منهما ليفرق بينهما فلم يستطع ذلك فتركهما ونزل اليهما مضر فافترق الشيخان قبل أن ينزل اليهما مضر وولياها ربين

بين ط

بين يديه فلما دخلوا على افعى نجران قال من انتم قالوا نحن بنو نزار بن معد بن عدنان قال وما طلبتم
قالوا مات ابونا وامرنا ان نرتفع اليك في ميراثنا فتقسم بيننا فلما قسم قالوا انا رأينا شبحين
على اكمة يقتتلان فقال لهم هذا فرق بينهما واشار الى انمار قالوا نعم قال اني لاجد فيه تخبيط
الشياطين وهما شيطانان يقتتلان قالوا نعم ثم نزل اليهما مضر فافترقا من قبل ان ينزل
اليهما وهربا من بين يديه قال له يا مضر انت ابو النبي التهامي فانا نجد في الآثار انه من
ولد نزار بن معد بن عدنان واني لأرى النبوة بين عينيك فاجلس ها هنا فاجلسه على سرير ملكه
وجلس تحته واعلم ان الظاهر ان الافعى هذا هو الاول لان الذي اختصم اليه ابناء نزار في
ميراث ابيهم هو الافعى بن الافعى الجرهمي كذا ذكر صاحب كتاب مناقب ربيعة وغيره

الباب السادس

في ما جاء عن الكهان والهواتف من الجان

هذا الباب على ثلاثة اقسام احدها ما انفرد به الكهان والثاني ما انفرد به الهواتف
من الجان والثالث ما اشتركا فيه فأخبرت به الكهان عن الهواتف من الجان

اما القسم الاول ما جاء عن شق وسطيح في تعبير رؤيا ربيعة بن
نصر ملك اليمن وقد ذكر ذلك ابن اسحق فقال وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن
من اضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا
ولا عائفا

78

ولا عائفا ولا منجما من اهل مملكته الا جمعهم اليه فقال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني فاخبروني
بها وبتأويلها فقال لا اني ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم عن تأويلها انه لا يعرف تأويلها الا من
عرفها قبل ان اخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى شق وسطيح
فانه ليس احد اعلم منهما فهما يخبرانه بما يسأل عنه فبعث اليهما فقدم عليه سطيح
قبل شق فقال له اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فاخبرني بها فانك ان اصبتها
اصبت تأويلها فقال افعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فأكلت
منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما اخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها
فقال احلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن ارضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش
فقال له الملك وابيك يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن في زماني
ام بعده قال لا بل بعده بحين اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين قال
افيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون
ويخرجون منها هاربين قال ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليه ارم ذي
يزن يخرج من عدن فلا يترك احدا منهم باليمن قال افيدوم ذلك من
سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من
قبل العلي قال وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون
الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون
والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرني

قال نعم والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق، ثم قدم عليه
شق فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان، قال
نعم رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل
ذات نسمة، قال له الملك ما أخطأت منها يا شق شيئا، فلما قال له ذلك علم أنهما
اتفقا وأن قولهما واحد، إلا أن سطيحا قال وقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل
ذات جمجمة، وقال شق وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة، فقال
له الملك ما أخطأت منها يا شق شيئا، فما عندك في تأويلها، فقال أحلف بما بين الحرتين
من إنسان، لتنزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين
أبين إلى نجران، فقال له الملك وأبيك يا شق، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن أفي زماني
أم بعده، فقال لا بل بعد بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشد
الهوان، قال ومن هذا العظيم، قال غلام ليس بدني ولا مدن، يخرج عليهم من
بيت ذي يزن، قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع، قال بل ينقطع برسول مرسل، يأتي
بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل، قال وما
يوم الفصل، قال يوم تجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء بدعوات، تسمع منها
الأحيا والأموات، ويجمع فيه الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات،
قال أحق ما تقول، قال إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض،
إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض، فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه وأهل
بيته

إلى العراق بما يصلحهم وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم
الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر وهو في نسب اليمن وعلمهم النعمان بن المنذر
ابن النعمان بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك الملك قال ابن هشام النعمان بن المنذر
ابن المنذر في ما أخبرني خلف الأحمر، ومنه ما جاء عن سطيح أيضا في ارتجاج الإيوان
ورؤيا الموبذان، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم
ارتج إيوان كسرى فسقطت منه أربعة عشر شرفة فعظم ذلك على أهل مملكته فما كان بأوشك
من أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب
الشام يخبره أن وادي سماوة انقطع تلك الليلة، وكتب إليه صاحب طبرية يخبره أن الماء
لم يجر في بحيرة طبرية، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النار خمدت تلك الليلة
ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت الكتب عليه بذلك أبرز سريره وظهر
لأهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان أيها الملك إني رأيت رؤيا هالتني تلك الليلة قال وما
رأيت قال رأيت إبلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا فقال الملك
رأيت فما عندك في تأويلها فقال ما عندي في تأويلها شيء ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة
يوجه إليك رجلا من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان، فبعث إليه فوجه إليه عبد
المسيح بن بقيلة الغساني فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر فقال أيها الملك والله ما
عندي فيها ولا في تأويلها شيء ولكن جهزني إلى خال لي بالشام سطيح فجهزه فلما قدم على سطيح ألفاه
وقد احتضر فناداه فلم يجب وكلمه فلم يتكلم فقال عبد المسيح

اصم ام يسمع غطريف اليمن ۝ يا فاصل الخطة أعيت من ومن ۝ اتاك شيخ الحي من آل سنن ۝
وأمه من آل ذئب بن حجن ۝ من آل فضفاض الرداء والبدن ۝ رسول قيل العجم يهوي للوسن
لا يرهب الوعد ولا ريب الزمن ۝ تجوب بي الأرض علنداة شجن ۝ ترفعه وجنا وتهوي بي وجن ۝
حتى أتى عاري الجآجي والقطن ۝ تلفه في الريح بوغاء الدمن ۝ فرفع اليه راسه سطيح
فقال عبد المسيح ۝ على جمل مشيح ۝ اتى الى سطيح ۝ وقد اوفى على الضريح ۝ بعثك ملك بني ساسان
لارتجاس الايوان ۝ وخمود النيران ۝ رأى ابلا صعابا ۝ تقود خيلا عرابا ۝ حتى اقتحمت
في الواد ۝ وانتشرت في البلاد ۝ عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة ۝ وغاض وادي السماوة ۝ وظهر
صاحب الهراوة ۝ فليست الشام لسطيح بشام ۝ يملك منهم ملوك وملكات ۝ على عدد سقوط
الشرفات ۝ وكل ما هو آت آت ۝ ثم قال ـــــ

شمر فانك ماضي الهم شمير ۝ لا يفزعنك تفريق وتغيير ۝
ان كان ملك بني ساسان أفرطهم ۝ بان ذا الدهر أطوار دهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته ۝ والهرمزان وسابور وسابور ۝
فربما أصبحوا يوما بمنزلة ۝ تهاب صولهم الأسد المهاصير ۝
حثوا المطايا وجدوا في رحالهم ۝ فما تقوم لهم سرج ولا نور ۝
والناس أولاد علات فمن علموا ۝ ان قد اقل فمحقور ومهجور ۝
وهم بنو الأم اما ان رأوا نشبا ۝ فذاك بالغيب محفوظ ومنصور ۝
والخير والشر مقرونان في قرن ۝ فالخير متبع والشر محذور ۝

ثم

ثم أتى كسرى فأخبره ذلك فغمه وهاله ثم تعزى وقال الى ان يهلك منا اربعة عشر ملكا يدور
الزمان فهلكوا كلهم في اربعين سنة واعلم ان العائف في الخبر الاول الذي زجر الطير باسمائها
واصواتها ومساقطها ۝ وفظع بفتح الفاء وكسر الظاء المعجمة شقت عليه ۝ والجمة العجمة
وتهمة منخفضة ۝ والجرة ارض ذات حجارة سود ۝ وأبين موضع باليمن ومنه عدن ابين
ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها ۝ وجرش مدينة معروفة وارم ذي يزن
عالمهم وريسهم وطفلة البنان بفتح الطاء اي ناعمة الكف ۝ وقوله مدن اصله
مدن بتشديد النون والقصر وهو المقصر في الامور ۝ وقوله ما فيه امض اي شك
وقوله في الخبر الثاني الموبذان هو قاضي القضاة واصله حافظ الدين ۝ وبقيلة بضم
الباء تصغير بقلة سمي بذلك لانه خرج بثياب خضر فقيل ما هذا الا بقيلة ۝ واحتضر
حضره الموت ۝ والغطريف السيد ۝ والخطة القصة ۝ وسنن من بطون غسان بالشام
من بني عمرو بن مازن وكانوا بالجيرة ۝ وذئب جد من اجداد سطيح ولذلك يقال
له الذئبي ۝ والفضفاض الواسع قيل هو كناية عن سعة الاخلاق ۝ ويحتمل ان يكون
مدحا باتساع الثوب لانه زي لابل السرو والنعمة ۝ والقيل هنا الملك ۝ ويهوي يسرع ۝
والوسن النوم ۝ والعلنداة الناقة الصلبة بضم العين وفتحها ۝ والشجن الملتفة اللحم ووجناء
جمع وجن ۝ وهو العارض من الارض ينقاد وهو غليظ ۝ والجآجي عظام الصدر واحدها
جؤجؤ ۝ والقطن اسفل الظهر والبوغا التراب الدقيق كانه ذريرة ۝ والمشيح الجاد ۝
والارتجاس الاضطراب بصوت والمهاصير الشديدات الجذب واولاد علات

أي أمهات شتى ۝ والنشب المال وأصله المال الثابت كالعقار ونحوه ۝ والمعنى أن الناس يعدون
من الفقر كأبناء الأمهات الشتى ويقربون من الغنى كأنهم أبناء أمه وقوله ذلك منهم ملوك
ومملكات عند سقوط الشرفات قيل هذا مما غلط فيه سطيح فإنه ظاهر في شهر فارس أن
بينهما دون عشرة شهر ملوك وفيه دلالة على غلط الكهان ۝ ومنه ما ذكره
ابن إسحق عن علي بن نافع الجرشي إن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب قال قالت له جنب انظر لنا في
أمر هذا الرجل فاجتمعوا له في أسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا
على قوس له ثم رفع رأسه إلى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس إن الله أكرم
محمدا واصطفاه ۝ وطهر قلبه وحشاه ۝ ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله
راجعا من حيث جاء واعلم أن قوله ينزو معناه يثب ويعلو ۝ وقوله اشتد في جبله أي
علا وصعد **وأما القسم الثاني** فمنه ما كان حين ولادته صلى الله عليه وسلم
ومنه ما كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنه ما كان حين مبعثه صلى الله عليه وسلم
ومنه ما كان حين هجرته صلى الله عليه وسلم ومنه ما كان حين إيقاعه بصناديد
قريش في غزاة بدر صلى الله عليه وسلم ومنه ما كان بعد ذلك أما ما كان
حين ولادته صلى الله عليه وسلم فمنه ما ذكره الفقيه أبو محمد رحمه الله في الأعلام
من أنه لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على جبل الحجون يقول

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت ولا ولدت أنثى من الناس واحده ۝

كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنبة لوم القبائل ماجده ۝

وهتف آخر على جبل أبي قبيس

يا ساكني البطحاء لا تغلطوا وميزوا الأمر بعقل مضي ۝
أن بني زهرة من سركم في غابر الدهر وعند البدي ۝
واحدة منكم فهاتوا لنا فيمن مضى في الناس أو من بقي ۝
واحدة من غيرهم مثلها جنينها مثل النبي التقي ۝

ومنه ما ذكره أيضا عن عبد الله بن العلاء عن يحيى بن عروة عن أبيه أن نفرا من قريش منهم
ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ۝ وعبد الله بن جحش بن رئاب ۝ وعثمان بن الحويرث
كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدا وكانوا
يعظمونه وينحرون له الجزر ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه
في الليل فرأوه مكبوبا على وجهه فردوه على حاله فلم يلبث أن انقلب انقلابا عنيفا فأخذوه فردوه
على حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك فقال عثمان بن الحويرث ما له
قد أكثر التنكيس إن هذا الأمر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل عثمان يقول

أيا صنم العيد الذي صف حوله ۝ صناديد وفد من بعيد ومن قرب ۝
تنكست مقلوبا فما ذاك قل لنا ۝ أذلك سفه أم تنكست للعتب ۝
فإن كان من ذنب أتينا فإننا ۝ نبوء بإقرار ونلوي عن الذنب ۝

وان كنت مغلوبا لقد اصبحت صاغرا فما انت في الاوثان بالسيد الرب

قال واخذوا الصنم فردوه الى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول

تردى لمولود انارت بنوره جميع فجاج الارض في البعد والقرب
وخرت له الاوثان طرا وارعدت قلوب ملوك الارض طرا من الرعب
ونار جميع الفرس باخت واظلمت وقد بات شاه الفرس في اعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنها فلا مخبر منهم بصدق ولا كذب
فيال قصي ارجعوا عن ضلالكم وهبوا الى الاسلام والمنزل الرحب

فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا ○ فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض فقالوا اجل فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطؤوا الحجة وتركوا دين ابرهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا لانفسكم الدين قال فخرجوا عند ذلك يضربون في الارض ويسألون عن الحنيفية دين ابرهيم ○ فاما ورقة فتنصر وقرا الكتب حتى علم علما ○ واما عثمان بن الحويرث فصار الى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ○ واما زيد بن عمرو بن نفيل فاراد الخروج فحبس ثم انه خرج بعد ذلك فضرب في الارض حتى بلغ الرقة من ارض الجزيرة فلقي بها راهبا عالما فاخبره بالذي يطلب فقال له الراهب انك لتطلب دينا ما تجد من يحملك عليه ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فعدت عليه لخم فقتلوه ○ واما عبيد الله بن جحش فاقام بمكة حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج مع من خرج الى الحبشة فلما صار بها

تنصر

تنصر وفارق الاسلام وكان بها حتى هلك نصرانيا ○ واعلم ان قوله الحجون بفتح الحاء وهو موضع المقابر بمكة زادها الله شرفا وزهرية لانها امنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة ○ وفي غابر الدهر اي باقيه وعند البدي اوله وسابقه ○ والصناديد السادة واحدهم صنديد ○ وقوله اذاك بشعبة اي أذاك فحذف همزة الاستفهام وقصر الالف ○ وتبوء ترجع ○ وتكوست عبارة عن انقلابه على راسه ○ وباخت سكن جرها ولهبها ○ وشاه الفرس ملكهم ○ ومنه قولهم شاه شاه ومعناه ملك الملوك والرحب الواسع ○ وخلصوا نجيا اي انفردوا وتناجون وهي من بلاغة القران المعجز وتطيفون به اي تاتونه وتلمون به ○ واظلك قاربك ودنا منك ○ واما ما كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فقال ○ صاحب الروض الانف ○ وفي المعارف للقتيبي قال سمع قبل الاسلام بقليل هاتف يهتف ○ الا ان خير اهل الارض ثلثة بحيرا ورباب بن البراء الشني والثالث المنتظر فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القتبي وكان قبر رباب الشني وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عليهما طش والطش المطر الضعيف ○ واما ما كان حين مبعثه صلى الله عليه وسلم فمنه ما جاء عن عمر ابن الخطاب ○ رضي الله عنه انه قال بينا انا نائم عند الهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم اسمع صارخا قط اشد صوتا منه ○ يقول يا جليح ○ امر نجيح ○ رجل فصيح ○ يقول لا اله الا انت فوثب القوم فقلت لا ابرح حتى ارى ما وراء هذا ثم نادى يا جليح ○ امر نجيح ○ رجل فصيح يقول لا اله الا الله فقمت فما نشبنا ان قيل هذا نبي ○ وعن عمر ايضا رضي الله عنه انه حدث

يوما في مجلس بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال خرجنا قبل مظهر النبي صلى الله عليه وسلم بشهر من
البطح مكة معنا عجل بقرة نريد ذبحه ونحن نفر فلما ذبحناه وتصاب دمه ومات صاح
من جوفه صائح يقول • يا ذريح يا ذريح أمر نجيح صائح يصيح • بصوت فصيح • نبي يظهر الحق
يصيح • يقول لا اله إلا الله • فصاح كذلك ثلث مرات ثم هدأ صوته • ومنه ما جاء
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما كان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم او قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على جبل من جبال مكة وهو يقول

فان يسلم السعدان يصبح محمد • بمكة لا يخشى خلاف مخالف •

فقال ذلك أبا سفيان فقال أي السعد بن سعد تميم أم سعد بكر فلما كان من الليلة القابلة هتف
الهاتف بالموضع الذي هتف به فقال

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا • ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف •
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس جنة عارف •
فان ثواب الله يا طالب الهدى • جنان من الفردوس ذات رفارف •

كذا وقع في الاعلام سعد تميم بالتاء وميمين وسعد بكر بالباء والكاف • وفي كتاب
الصحابة رضي الله عنهم للشيخ أبي عمر بن عبد البر رحمه الله قال فظنت قريش انهما سعد
ابن زيد بن مناه بن تميم • وسعد بن هذيم من قضاعة • وذكر انه صاح في الليلتين على جبل أبي
قبيس • وانشد قوله خلاف مخالف خلاف المخالف بالتعريف • وقوله جنة عارف
منية عارف • وقوله يا طالب الهدى للطالب الهدى بالألف • وزاد فقالوا هذا ان والله
سعد

83

سعد بن معاذ وسعد بن عبادة • ومنه ما جاء عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال
كنا جلوسا عند صنم قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فنحرنا جزورا فاذا صائح يصيح من
جوفه • اسمعوا اسمعوا الى العجب • ذهب استراق السمع ورمي بالشهب • لنبي بمكة اسمه احمد مهاجره
الى يثرب • وأما ما كان من ذلك حين هجرته صلى الله عليه وسلم فمنه ما جاء في خبر ام معبد
الخزاعية واسمها عاتكة بنت خالد اخت حبيش بن خالد • وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
حين خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر ودليلهم
عبد الله بن الأريقط الليثي مروا على خيمتي ام معبد وكانت تنزل بقديد وهو ماء وكانت امرأة برزة
جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تطعم وتسقي فيسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها
شيئا من ذلك إذا القوم مرملون مشتون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر
الخيمة فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل بها من لبن
قالت هي اجهد من ذلك قال أتأذنين أن احلبها قالت نعم بابي أنت وامي ان رأيت بها حلبا
فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده المباركة ضرعها وسمى الله عز وجل ودعا لها
في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيها ثجا حتى
علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم اراضوا
ثم حلب فيها ثانيا بعد بدء حتى ملأ الاناء ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها
فقلما لبثت أن جاء زوجها ابو معبد يسوق اعنزا عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال من اين لك
هذا يا ام معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت لا والله الا انه مر

بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه لي يا ام معبد ٭ قالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة
متبلج الوجه ٭ حسن الخلق ٭ لم تعبه نجلة ٭ ولم تزر به صقلة ٭ وسيم ٭ قسيم ٭ في عينيه دعج ٭
وفي اشفاره غطف ٭ وفي عنقه سطع ٭ وفي صوته صحل ٭ وفي لحيته كثاثة ٭
ازج اقرن ٭ ان صمت فعليه الوقار ٭ وان تكلم سما وعلاه البهاء ٭ اجمل الناس وابهاه
من بعيد ٭ واحسنه واحلاه من قريب ٭ حلو المنطق ٭ فصل لا نزر ٭ ولا هذر ٭ كان منطقه
خرزات نظم يتحدرن ٭ ربعة لا بائن من طول ٭ ولا تقتحمه عين من قصر ٭ غصن بين
غصنين ٭ فهو انضر الثلاثة منظرا ٭ واحسنهم قدرا ٭ له رفقاء يحفون به اذا قال انصتوا
لقوله ٭ وان امر تبادروا الى امره ٭ محفود محشود ٭ لا عابس ولا مفند ٭ وفي رواية ولا
مفند فقال ابو معبد هذا والله صاحب قريش الذي ذكر الناس من امره ما ذكر ولقد
هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا قال واصبح بمكة صوت عال يسمعون
الصوت ولا يرون من قائله وهو يقول

جزى الله رب العرش خير جزائه ٭ رفيقين حلا خيمتي ام معبد ٭
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به ٭ فقد فاز من امسى رفيق محمد ٭
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به ٭ من فعال لا تجارى وسودد ٭
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ٭ ومقعدها للمؤمنين بمرصد ٭
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ٭ فانكم ان تسألوا الشاة تشهد ٭
دعاها بشاة حائل فتحلبت ٭ عليه صريحا ضرة الشاة مزبد ٭

فغادرها

فغادرها رهنا لديها لحالب ٭ يرددها في مصدر ثم مورد ٭
سمع ذلك حسان بن ثابت فجعل يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ٭ وقدس من يسري اليهم ويغتدي ٭
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ٭ وحل على قوم بنور مجدد ٭
هداهم به بعد الضلالة ربهم ٭ وارشدهم من يتبع الحق يرشد ٭
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ٭ عمايتهم هاد لكل مهتد ٭
لقد نزلت منه على اهل يثرب ٭ ركاب هدى حلت عليهم باسعد ٭
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ٭ ويتلو كتاب الله في كل مسجد ٭
وان قال في يوم مقالة غائب ٭ فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد ٭
ليهن ابا بكر سعادة جده ٭ بصحبته من يسعد الله يسعد ٭
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ٭ ومقعدها للمؤمنين بمرصد ٭

واعلم ان قوله في هذا الخبر برزة اي كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب والبرزة ايضا
الموثوق بفضلها ورايها ٭ ومرملون اي نفد زادهم ٭ ومشتون اي في زمن الشتاء وهو زمن
الجهد ٭ ويروى مسنتون اي اصابتهم السنة وهي المجاعة ٭ وكسر الخيمة بكسر الكاف
اي جانبها وكل بيت له كسران عن يمين وشمال ٭ والجهد الضعف وسوء الحال
وحلبا اي لبنا ٭ وتفاجت اي فرجت ما بين رجليها ٭ ودرت ارسلت لبنها واجترت
واجترت اي اجتذبت ما في بطنها لتلوكه اي تمضغه والعامة تقول اشترت بالشين

وهي لغة ضعيفة ٥ وربض الرهط أي رؤوسهم حتى ربضوا بمكانهم أي أقيموا ٥ والرهط من ثلثة
إلى عشرة ٥ وثجا أي صبا ٥ والبهاء وبيص الرغوة بالصاد المهملة أي بريقها ٥ وأراضوا قيل
استثقلوا على الأرض من شدة الري وقيل معناه أبقوا فضلة في الإناء من الروضة وهي الماء
القليل يبقى في الحوض ٥ وقيل معناه شربوا عللا بعد نهل ٥ وقيل معناه صبوا اللبن على اللبن
وغادره تركه ٥ وعجافا هزلا ضعاف ٥ وعازب بعيد عن الحي وحيال غير حوامل ٥
والحلوب التي تحلب ٥ والوضاءة الجمال ٥ ومتبلج مشرق ٥ ونحلة من النحول ويروى ثجلة
بالثاء والجيم وهو عظم البطن واسترخاؤه وهذا من باب التجريد أي لا نحل به فتعيبه
وصقله بالقاف قيل ضمره والمعنى أن جسمه معتدل ليس فيه ما يعيبه من نحافة ولا ضخم ٥ وقيل
المراد بقوله صقله أي لم تعبه استرخاء خاصرته ٥ والصقل الخاصرة وهو من أوصاف ذوي
السمن والمعنى لا استرخاء خاصرة به فتعيبه ٥ ووسيم جميل ٥ وقسيم تقسم الحسن في وجهه
والدعج شدة سواد العين مع سعتها والغطف مثل الوطف وهو طول هدب العين والصحل
مثل البحة الحسنة وهو من أحسن الأصوات وأحلاها موقعا والسطع طول العنق
والكثاثة اجتماع أصول اللحية من غير طول ٥ والأزج من الزجج وهو دقة الحاجبين وطولهما
والأقرن أي بين حاجبيه شعرات خفية وعليه يدل الحديث الآخر وهو قوله سوابغ من غير
قرن أي من غير قرن مكروه وهو اتصال الحاجبين بشعر كثيف ٥ وقولها أجمل الناس وأبهاه
من باب الحمل على الجنس أي وأبهى هذا الجنس ٥ وفصل أي مختصر بين يفصل بين الحق
والباطل ٥ والنزر القليل ٥ والهذر الكثير في غير فائدة ٥ وتحدرن يسقطن ٥ وربعة ليس
بالطويل

85

بالطويل ولا بالقصير ٥ ولا بائن من طول أي ليس ببعيد ٥ وتقتحمه تزدريه وأصله تتكلف النظر
إليه ٥ وقولها غصن بين غصنين أي صفته صفة الاعتدال كالغصن بين الغصنين لا إفراط
ولا تفريط ٥ ويحتمل أن تريد متوسط الشباب وأنضر الثلاثة أنضرها وأحسنها لونا وصفا وبهاء
ومحفود مخدوم ومحشود يجتمع إليه حشما كان لمحبتهم فيه وانتفاعهم به أي ولا عابس أي ولا
كبسام طلق الوجه صلى الله عليه وسلم ٥ ولا معتد أي ولا منحرف عن طريق الحق ٥ ويروى ولا
مفند أي مردود عليه قولا ولا ملوم ٥ ويروى أيضا ولا مفند أي ولا متكلم بما لا يفيد يقال
أفند الرجل إذا تكلم بما لا فائدة فيه ٥ وزوى صرف ومنع ٥ والفعال بفتح الفاء الكرم ٥ ويجاري
بالراء يسابق ويروى يجازي أي لا يقام بجزائه ٥ والسودد الشرف والمجد ٥ وتحلبت انصبت
والصريح اللبن الخالص ٥ والضرة لحمة الضرع ٥ والمزبد الذي له زبد وفي خفض قوله مزبد إشكال
وله وجهان أحدهما أن تجعل الألف واللام في الشاة للجنس فيكون المعروف منها كالمنكر
فيجري مزبد صفة لها ٥ الثاني أن تجعله صفة لصريح على توهم الباء فيه أي تحلبت
بصريح مزبد وقول حسان وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمايتهم هاد ومهتد ٥
تسفهوا عمايتهم أي ركبوها بخفة وطيش ٥ وقوله هاد أي وهاد فحذف حرف العطف
للعلم به ٥ ويجوز أن يكون ضمن قوله يستوي معنى يساوي فيكون قوله هاد في محل المفعول والأصل
هاديا فأجرى المنصوب مجرى المرفوع والمجرور كما قال الآخر ٥ كفى بالنأي من أسماء كاف
أي كافيا ومنه ما جاء عن الجعد بن قيس المرادي أحد بني غطيف وكان
قد بلغ مائة سنة قال خرجنا أربعة نفر نريد الحج في الجاهلية فمررنا بواد من أودية اليمن

فلما اقبل الليل استعذنا بعظيم الوادي من الجن وعقلنا رواحلنا وتوسدنا اذرعها فلما هدأ الليل وقد
نام اصحابي وبت اكلؤهم اذا هاتف من ارجا الوادي يقول

الا ايها الركب المعرس بلغوا ° اذا ما وقفتم بالحطيم وزمزما
محمدا المبعوث عنا تحية ° تشيعه من حيث سار وتمما
وقولوا له انا لدينك شيعة ° بذلك اوصانا المسيح بن مريما
ونحن لمن حاربت حرب مبيرة ° تكون له طيرا من الشر اشاما
ونحن لمن سالمت سلم ورحمة ° نؤمل ان نحظى بذاك ونرحما

فاجبته فقلت

هتفت زور قد رمى بهم الوهى ° جوانب حجاج من الارض احرما
سابلغ عنه القول ذو قد وصفته ° واودعه سمعي صحيحا مبسلما

قال ثم قدمنا مكة فلم يكن لي شاغل حتى سألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرت انه هاجر
ورأيت قريشا تتلظى عليه فنزلنا منزلا في بعض الشعاب مع حجاج قومنا فتذاكرنا امر النبي
صلى الله عليه وسلم فحدثت اصحابي بما سمعت وانشدتهم الشعر وجوابي ثم بت مبيتي فاذا بهاتف
يقول

الا ايها المرء اليماني بلغا ° اخا ناجوا بالشعر لقيت مغنما
فانا على دين النبي محمد ° على رغم من اضحى بذلك مرغما
وانا وجدناه امينا مباركا ° كما قال في الانجيل عيسى بن مريما
فمسك هداك الله بالعروة التي ° ابى الواحد المعبود ان ينقصما
وعاد قريبا الرحم ان كان كافرا ° ووال بعبد الدار ان كان مسلما

نفر

نفر يوم نلقى الله بالعفو والرضا ° ونحظى بجنات النعيم مكرما

قال فوعيت الشعر ورجعنا الى بلادنا فقلنا ذلك الوادي وراح اصحابي فقلت اني لست
برائح حتى اؤدي الامانة فقالوا قد غلبت على عقلك ابتبيت في هذا المكان الموحش والله ما
نحن بتاركيك ابدا قلت والله لا ابرح حتى ابلغ ما حملته فلما ايسوا من اتباعهم ارتحلوا
فقالوا الحق لك بمكان كذا وكذا فلما جن الليل رفعت صوتي وانا اقول

ايسمع مودع الشعر الرضينا ° الى المبعوث خير العالمينا
فقد حملت ابياتا اليه ° عن النفر الكرام المسلمينا

انشدت الشعر فاذا الهاتف يقول

رعاك الله رب العالمينا ° فقد الفيت ذا كرم امينا
واديت الامانة لم تخنها ° جزاك الله اجر المحسنينا
فلا تجزع لخذل الراحلينا ° فقد جاورت قوما اكرمينا
ستهدى تحت اقطاع الدياجي ° وتمنع من بغاة ظالمينا

قال فلما تصور الليل اذا بهاتف يقول

ارحل على اسم الله ذي الجلال ° رحلة ذي امن من الاوجال
بهدي سوار على الاطلال ° اروع مقدام على الاهوال

واما ما كان من ذلك حين ايقاعه صلى الله عليه وسلم بصناديد قريش
في غزاة بدر مما ذكره صاحب الروض الانف فانه قال وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ان قريشا

حين توجهت إلى بدر من هاتف الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بانفذ صوت ولا يرى شخصه

أزار الحنيفيون بدرا وقيعة ۞ سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أبادت رجالا من لؤي وأبرزت ۞ خرائد يضربن الترائب حسرا

فيا ويح من أمسى عدو محمد ۞ لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم من الحنيفيون فقالوا هم محمد وأصحابه يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين ۞ **وأما ما كان بعد ذلك** مما جاء في سيرة ابن هشام في إسلام عباس بن مرداس السلمي قال وكان إسلام عباس بن مرداس فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده وهو حجر كان يقال له ضمار فلما حضر مرداس قال لعباس أي بني أعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سليم كلها ۞ أودى ضمار وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوة والهدى ۞ بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى ضمار وكان يعبد مرة ۞ قبل الكتاب إلى النبي محمد

فحرق عباس ضمار ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ أبو عمر رحمه الله أسلم قبل فتح مكة بيسير ۞ واعلم أن قوله في هذا الخبر الأول أكلوهم أي أحرشهم والأرجاء النواحي والتعريس النزول من آخر الليل للاستراحة ۞ والحطيم ما أحاط بالبيت الحرام زاده الله عزا

وشرفا

87

وشرفا ۞ قيل سمي بذلك لأن البيت رفع فبقي ذلك محطوم الجدار ۞ وشيعة أتباع محبون ومبيرة مهلكة ۞ ويلم يأتي الموت ۞ وتخطى ينال حظوة ورفعة ۞ والزور الزائرون ۞ والونى الفتور والإعياء ۞ والجعجاع الأرض الغليظة وقيل الجدبة وكل أرض جعجاع ۞ والأخزم المنقطع ۞ وذو قد وصفته أي الذي قد وصفته ۞ واليماني بتشديد وهو شاذ فإن النسب إلى اليمن فيه وجهان أحدهما يمني بتشديد الياء وهو الأصل ۞ والآخر يمان بتخفيفها جعلوا الألف عوضا من الياء فلم يسوغوا الجمع بينهما إلا أن هذا قد يكون مما شذ لضرورة الشعر ۞ فلا يكون خارجا عن الأصل ۞ وتقصم تتعرق ۞ والرخم بكسر الراء وسكون الخاء ويجوز فتح الخاء أيضا لأن أصلها رخم بكسر الخاء كما تقول في تخفيف فخذ فخذ وفخذ ۞ وتحط أي تطفق وتعلو ۞ ووعيت حفظت ۞ وقلنا ذلك الوادي أي قلنا به من القيلولة وهي نوم نصف النهار ۞ والرصين المحكم الوضع والبناء ۞ والأقطاع جمع قطع بكسر القاف وهو الطائفة من الليل ۞ والبغاة جمع باغ وهو بمعنى الظالم هنا ۞ وتهور الليل فني وذهب أكثره ۞ والأوجال جمع وجل وهو الخوف ۞ وسوار وثاب ۞ والأطلال الأشخاص ۞ والأروع الجميل وقد يكون هنا المفزع ۞ وقوله في الخبر الثاني سينقض منها وقع في بعض النسخ بالقاف من النقض والصحيح أنه سينغض بالغين المعجمة أي سيتحرك يقال نغض ينغض بالكسر ويجوز الفتح ۞ وفي الكتاب الكتاب العزيز فسينغضون إليك رءوسهم أي يحركونها ۞ وأبادت أهلكت ۞ وضمار بفتح الضاد وكسر الراء على فعال وهو معدول عن ضامر كحذام وقطام ۞ **وأما القسم الثالث** وهو ما أخبرت به الكهان عن الهواتف والجان فمنه ما

جاء في قصة سواد بن قارب وقد ذكرها الفقيه أبو محمد وغيره الآن ما أتى به الفقيه أبو
محمد رحمه الله أكمل مما ذكره غيره وأنا أورده هنا بجملته إن شاء الله عز وجل قال
رحمه الله وذلك ما رويناه عن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب في المسجد في جماعة
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مر به رجل فقال له بعض القوم يا أمير المؤمنين أتعرف
هذا قال كلا قال ومن هو قال سواد بن قارب الدوسي وله في قومه شرف أتاه رئيه يعني جنيه
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر علي بالرجل فرده فسلم عليه عمر والقوم ثم أقبل عليه عمر فقال
أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم
قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك قال فغضب الرجل غضبا شديدا وقال يا أمير المؤمنين
ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه
من كهانتك فأخبرني بإتيان رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا ذات ليلة بين النائم
واليقظان إذ أتاني فركضني برجله فقال قم يا سواد بن قارب فافهم واعقل إن كنت تعقل إنه
قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ
يقول

عجبت للجن وتجساسها وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

فلم أرفع بقوله رأسا وقلت دعني فقد أمسيت ناعسا ثم أتاني الليلة الثانية في مثل ذلك الوقت
فأتى على مثل تلك الحال فركضني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فافهم واعقل إن كنت
تعقل

تعقل قد بعث رسول من لوي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ الجني يقول

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادقوا الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها كأذنابها

فلم أرفع بقوله رأسا وقلت دعني فإني أمسيت ناعسا ثم أتاني الليلة الثالثة وأنا على تلك
الحالة فركضني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فافهم واعقل إن كنت ممن تعقل إنه قد بعث رسول
الله من لوي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ الجني يقول

عجبت للجن وأخبارها وشدها العيس بأكوارها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فوقع في نفسي حب الإسلام فلما أصبحت شددت على راحلتي بأنساعها ثم مضيت إلى مكة
فلما كنت ببعض الطريق أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة فضربت نحو
المدينة فصادفت النبي صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من صلاة الفجر وهو بين أصحابه
فعقلت راحلتي ثم دخلت فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كما وصفه الله
حليما لينا فقلت يا رسول الله أدنني منك لأن أبشرك قال أدنه فدنوت حتى كادت ركبتاي
أن تصيبا ركبته ثم قمت فقلت

أتاني رئيي بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة ٭ أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمرت عن ذيلي الإزار ووسطت ٭ بي الذعلب الوجناء وسط السباسب

فأشهد أن الله لا شيء غيره ٭ وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة ٭ إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى ٭ وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو مقالة ٭ سواك بمغن عن سواد بن قارب

فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وفرح به فرحا شديدا وفرح أصحابه فقام إليه عمر والتزمه وقال رحمك الله لقد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث فأخبرني عن رئيك يعني تابعه هل يأتيك اليوم قال أما منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجني واعلم أن قوله في هذا الخبر وتحسّاسها هو والله أعلم بمعنى تحسسها يقال تحسست الخبر إذا طلبته والجاسوس منه وهو يكون في الخير والجاسوس بالجيم في الشر والعيس الإبل البيض والأحلاس جمع حلس وهو كساء يجعل على ظهر البعير والأقتاب جمع قتب وهو معروف وقدام الشيء ما يتقدم منه وأكثر ما يستعمل في الطائر والأكوار جمع كور وهو رحل الناقة والروابي جمع رابية وهي الأكمة وبعد هدء أي بعد سكون الناس للنوم وهو مصدر هدأ والهدء أيضا بمعنى الهزيع وهو مقدار ثلث الليل ويكون جربت وقوله عن ذيلي الإزار كذا وقع بالإضافة إلى ضمير النفس وقال فيه غيره فشمرت أذيال الإزار ويخرج الأول على أن يكون قوله الإزار بدلا على المعنى من قوله عن ذيلي هذا إذا نصبنا الإزار فإن خفضناه كان بدلا على اللفظ من ذيلي

بلغ مقابلة

والذعلب

والذعلب بكسر الدال المعجمة الناقة السريعة وكذلك الذعلبة والوجناء الناقة العظيمة الوجنتين وقيل هي الصلبة ومنه ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الصحابة رضي الله عنهم عن لهيب بن مالك اللهبي ويقال لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن أول من عرف حراسة الشهب وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك إنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فإنا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال عودوا إلى السحر ٭ ايتوني بسحر ٭ أخبركم الخبر ٭ الخير أم ضرر ٭ أو لأمن أو لحذر ٭ قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان في الغد في وجه السحر أتيناه فإذا هو قائم على قدميه ٭ شاخص في السماء بعينيه ٭ فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ إلينا أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته ٭ أصابه إصابه ٭ خامره عقابه ٭ عاجله عذابه ٭ أحرقه شهابه ٭ زايله جوابه ٭ يا ويله ما حاله ٭ بلبله بلباله ٭ عاوده خباله ٭ تقطعت حباله ٭ وغيرت أحواله ٭ ثم أمسك طويلا وهو يقول

يا معشر بني قحطان ٭ أخبركم بالحق والبيان ٭ أقسمت بالكعبة والأركان ٭ والبلد المؤتمن السدان ٭ لقد منع السمع عتاة الجان ٭ بثاقب بكف ذي سلطان ٭ من أجل مبعوث عظيم الشان ٭ يبعث بالتنزيل والقرآن ٭ وبالهدى وفاصل الفرقان ٭ تبطل به عبادة الأوثان ٭ قال فقلت ويحك يا خطر إنك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

فاسكتوا

اري لقومي ما اري لنفسي ٥ ان يتبعوا خير بني الانس ٥ برهانه مثل شعاع الشمس ٥ يبعث في مكة
دار الحمس ٥ بمحكم التنزيل غير اللبس ٥ فقلنا يا خطر وممن هو فقال ٥ والحياة
والعيش ٥ انه لمن قريش ٥ ما في حكمه طيش ٥ ولا في خلقه هيش ٥ يكون في جيش واي جيش
من آل قحطان وآل ايش ٥ قلنا له بين لنا من اي قريش هو فقال ٥ والبيت ذي الدعائم ٥
والركن والاجائم ٥ انه لمن نجل هاشم ٥ من معشر المكارم ٥ يبعث بالملاحم ٥ ويقتل كل ظالم ٥ ثم
قال هذا هو البيان ٥ اخبرني به رئيس الجان ٥ ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر ٥ وانقطع
عن الجن الخبر ٥ ثم سكت واغمي عليه فما افاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه ليبعث يوم القيامة امة وحده
قال الشيخ ابو عمر رحمه الله ذكر هذا الخبر الشيخ ابو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة له واعلم
ان قوله في هذا الخبر انقض نجم اي هوى في طيرانه ٥ وقوله اصابه اصابة اصابه الاول
بفتح الهمزة وهو فعل ٥ والثاني بكسرها وهو بدل من الواو واصله وصابه وهو فعال من الوصب
وهو الداء والمرض ٥ وخامره خالطه ٥ وزايله فارقه ٥ وبلبله اقلقه وحركه ٥ وبلباله
وسواس همومه ٥ والخبال الجنون ٥ والسدان بضم السين وتشديد الدال جمع سادن وهو الخادم
والسدنة ايضا الخدمة ٥ والعتاة جمع عات وهو الطاغي ٥ والثاقب الشهاب المضيء ٥
والفصل الكلام البليغ الذي يرفع النزاع ويفصل بين الخصوم ٥ والفرقان الذي يفرق بين
الحق والباطل ويجوز ان يريد به القرآن العزيز ٥ والحمس هم قريش سموا بذلك لتشددهم في دينهم
والحماسة الشدة وكانوا لا يخالفون العرب في انهم لا يطوفون عراة كما تفعل العرب ولا يستظلون

ايام

ايام منى ولا يدخلون البيوت من ابوابها ٥ وقوله ولا في خلقه هيش اي اضطراب وخفة بل صفته
صلى الله عليه وسلم السكون والوقار ٥ وقوله من آل قحطان يعني الانصار لانهم من اليمن واليمن
كلهم من ولد قحطان ٥ وقوله وآل ايش قيل فيه قولان احدهما انه يحتمل ان يريد به اسم قبيلة
من الجن ٥ الثاني ان يريد به قريشا لانه يقال فلان ابن في مدح الرجل فلان اي شيء هو واي
شيء هو وذلك على وجه التعجب وايش محذوف من اي شيء ٥ وقوله والاجائم قيل فيه قولان
ايضا احدهما ان يريد الاجاوم جمع اجوام واجوام جمع جوم وهو الماء في البير واشار به
الى ماء زمزم ٥ والثاني ان يريد الحوائم وهي الطيور وحمام مكة التي تحوم على الماء فقلب فقال
الاجاوم والملاحم وقائع القتال والملحمة الوقعة العظيمة ٥ **ومنه ما جاء في**
قصة خنافر بن التوأم الحميري ٥ وقد ذكرها الفقيه ابو محمد رحمه الله في الاعلام وذكرها غيره
وذلك ما ذكره ابن الكلبي عن ابيه ان خنافر بن التوأم الحميري كان كاهنا قد اوتي بسطة
في الجسم وسعة في العلم وكان عاتيا معاندا للاسلام فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى
الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فاكتسحها وخرج بماله فلحق بالشحر فحالف جودان
ابن يحيى الفرصمي وكان سيدا منيعا فنزل بواد من اودية حضرموت قال خنافر وكان رئي
من الجن في الجاهلية لا يكاد يغيب عني فلما شاع الاسلام فقدته فبينا انا ذات
ليلة قد هومت اذ هوى هوي العقاب فقال خنافر فقلت شصار فقال اسمع ما اقول لك فقلت
قل قال لكل امرئ امد ونهاية ٥ وكل ذي امد الى غاية ٥ فقلت اجل ٥ قال لكل دولة
اجل ٥ ثم يتاح لها حول ٥ نسخت النحل ٥ ورجعت الى حقائقها الملل ٥ انك سجير موصول ٥

وكشف لي عن جهمتي عطايهما وأوضح لي نهجي وقد كان داثرا ۝
دعاني شصار للتي لو تركتها لأصليت جمراً من لظى الهوب واهرا ۝
فأصبحت والإسلام حشو جوانحي وجانبت من أمسى عن الحق نافرا ۝
وكان مضلي من هديت برشده فلله مغوٍ عاد بالرشد آمرا ۝
نجوت بحمد الله من كل قحمة تورث هلكاً يوم شايعت شاصرا ۝
وقد أمنتني بعد ذاك يحابر بما كنت أغشى المنديات يحابرا ۝
فمن مبلغ فتيان قومي ألوكة بأني من أقتال من كان كافرا ۝
عليكم سواء القصد لا فل حدكم فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا ۝

والأخبار في هذا الباب كثيرة رأيت الاقتصار منها على ما ذكرته ففيه كفاية والحمد لله وحده
واعلم أن قوله اكتسحها أي أخذها وساقها وأصله من اكتسح الأرض إذا كنسها والمكسحة
المكنسة ۝ والشحر موضع باليمن ينسب إليه العنبر ۝ وجودان بفتح الجيم وسكون الواو
وبالدال المهملة ۝ وتحي بضم التاء المنقوطة باثنتين من فوق وفتح الحاء مصغر ۝ والقرضمي بكسر
القاف أخت الفاء وسكون الراء المهملة وكسر الصاد المهملة وقرضم حي من مهرة بن حيدان
ويباح بقدر ۝ والحول بكسر الحاء الانتقال والتحول ۝ والنحل المعتقدات واحدها نحلة وقد
تكون بمعنى المال أيضاً ۝ والسجير بالسين المهملة والجيم الصاحب ۝ وآنست أبصرت ۝ والعذام
بالعين المهملة المضمومة والذال المعجمة قبيلة من الجن ۝ ويذبرون بالذال المعجمة أي يكتبون
وقيل يقرؤون ۝ والرونق البهجة والحسن ۝ وأصغيت استمعت ۝ وظلفت ابتعدت ومنعت

والنصح لك مبذول ۝ إني آنست بأرض الشام نفراً من آل العذام حكاماً على الحكام ۝
يذبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ۝ ولا السجع المتكلف ۝ فأصغيت
فزجرت ۝ فعاودت فظلفت ۝ فقلت لهم بم تهيمنون ۝ وإلام تعتزون ۝ قالوا خطاب
كبار جاء من الملك الجبار ۝ فاسمع يا شصار ۝ عن أصدق الأخبار ۝ واسلك أوضح الآثار ۝
تنج من أوار النار ۝ فقلت وما هذا الكلام ۝ فقالوا ليس بالكلام ۝ بل فرقان بين الكفر والإيمان ۝
أتى به رسول من مضر ۝ من أهل المدر ۝ ابتعث فظهر ۝ وجاء بقول قد بهر ۝ وأوضح
نهجاً قد دثر ۝ فيه عبر لمن اعتبر ۝ ومعاذ لمن ازدجر ۝ قلت ومن هذا المبعوث من مضر ۝
قالوا أحمد خير البشر ۝ فإن آمنت أعطيت الشبر ۝ وإن خالفت أصليت سقر ۝ فآمنت
يا خنافر ۝ وجئت أبادر ۝ فجانبت كل رجس كافر ۝ وشايعت كل مؤمن طاهر ۝ وإلا فهو الفراق
ثم لا تلاق ۝ فقلت من أين أبغي هذا الدين ۝ قال من ذات الإحرين ۝ والنفر الميامين
أهل الماء والطين ۝ قلت أوضح ۝ قال الحق بيثرب ذات النخل ۝ والحرة ذات النعل ۝ فهنالك
أهل الطول والفضل ۝ والمواساة والبذل ۝ ثم أملس عني ۝ فبت مذعوراً إلى الصباح ۝ فلما
برق النور ۝ امتطيت راحلتي وآذنت أعبدي ۝ واحتملت حتى وردت الجوف فرددت الإبل
على أربابها ۝ بحولها وسقابها ۝ ثم أقبلت أريد صنعاء فأخبرت أن معاذ بن جبل هناك أمير لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فبايعته على الإسلام ۝ وعلمني سوراً من القرآن ۝ فمن الله علي
بالهدى بعد الضلالة ۝ والعلم بعد الجهالة ۝ وقلت

ألم تر أن الله عاد بفضله ۝ فأنقذ من وقد الزخيخ خنافرا ۝

وكشف

والهينمة الكلام الخفي ۝ ويعتزون ينتسبون ۝ وكبار بضم الكاف اي كبير ۝ وشصار
بكسر الشين المعجمة اسم الزجر ۝ والرئي ما يتراءى للانسان من الجن ۝ والاوار شدة حر
النار ۝ واوضح بين ۝ والنهج الطريق الواضح ۝ ودثر خفي ودرس ۝ وازدجر خاف ورجع ۝ والشبر
الخبر وبعضهم يرى ان اصله بسكون الباء وانه حرك لضرورة السجع ۝ وقوله ذات الاحرين
بكسر الهمزة وفتح الحاء وهي جمع حرة وهي الارض ذات الحجارة السود وهو جمع على غير
قياس ۝ والنعل الغليظ من الارض ۝ والبذل العطاء عن طيب نفس ۝ وامليس ذهب
سريعا دون شعور يقال املس الشيء من يدي اذا سقط واصله انملس بالنون وهو من
الملامسة ۝ واذنت اعلمت ۝ والجوف موضع باليمن وهي ارض مراد ۝ والحول جمع حائل
وهي الانثى من اولاد الابل ۝ والسقاب جمع سقب وهو الذكر ۝ والزخ بالزا المعجمة وخابن
مجتنب النار بلغة اليمن ۝ والجمنان بجيم بعد حاء مهملة العمنان بلغتهم ۝ والهوب بضم الهاء
وفتحها والباء المنقوطة بواحدة النار ۝ والواهر بالواو والساكن مع شدة الحرارة ووقع
في الاعلام من الظالهون زاجرا ۝ ونابر اباالهمن اي نافر ومنه النوار وهي المرأة النفور
من الريبة وروي ناهر ابا القاء من النفور ۝ والقحة بضم القاف الشدة ۝ وشايعت تابعت
وصادقت ۝ وعافر قبيلة من اليمن ۝ والمندبات المجربات كان صاحبها يبدي منها اثر
يعرف خلاه ۝ والالوكة الرسالة ۝ والاقتال الاعداء واحدهم قتل بكسر القاف
وقوله عليكم سواء القصد اي اركبوا الطريق المستقيم وعليكم اغراء وسواء القصد
منصوب به ۝ ولا قل حدكم بالحاء المهملة اي كثرت قوتكم واضعفت وهو مستعار

من

من فلل السيف وغيره

الباب السابع

في دلالة جوامع الكلم وجواهر الحكم

هذا الباب على قسمين الاول في دلالة جوامع الكلم ۝ والثاني في دلالة جواهر الحكم
اما القسم الاول فاعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم خص بجوامع الكلم وقد جاء ذلك
في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم وانه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ۝ اوتيت جوامع
الكلم ۝ ونصرت بالرعب مسيرة شهر ۝ واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وبعثت الى الناس كافة ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
لان من تقدم من الامم كانوا لا يجوز لهم صلاة الا في المواضع التي اعدوها للصلاة كالبيع ونحوها
واذا عرفت ذلك فاعلم ان ما خص به من ذلك صلى الله عليه وسلم اية من اياته ومعجزة من معجزاته
وبينة ظاهرة من بيناته فان اللفظة الواحدة من الكتاب العزيز او من كلامه صلى الله عليه وسلم
تتضمن من المعاني والفوائد ما لو تقصى تفسيره لصنعت منه اسفار ويعرف ذلك من اختبره
واعتبره ۝ وحقق امره وسبره ۝ ويتفاوت الناس في ذلك بقدر ما الهمهم الله عز وجل من
الادراك والفهم ولا بد من الاشارة الى بعض ذلك في هذا المكان ليكون دليلا على غيره ان شاء
الله عز وجل وذلك بعد تقديم قاعدة استفدتها من الوالد المرحوم جعل الله الفردوس منزله
وكبد النون نزله ۝ وجزاه عني افضل الجزاء واجزله ۝ وذلك اني سألته يوما احب ان تذكر لي في

فعلمه

معجزة النبي صلى الله عليه وسلم كلا ما مختصرا يشفي الغليل ۝ ويغني عن الاطنابات في الدليل ۝
فقال تأمل احدنا بقر اطول عمره ولا يحصل على شيء وهذه الكتب التي ترى كلها انما هي مستفادة
من النبي صلى الله عليه وسلم ومتفرعة مما جاء به عن ربه جل جلاله من الكتاب والسنة ثم
هو مع ذلك نبي امي لم يقرا قط كتابا ولا خط بقلم فاي بيان اوضح من هذا البيان واي برهان
اقطع من هذا البرهان ۝ واي حجة اقطع من هذه الحجة ۝ واي محجة اهدى من هذه المحجة ۝ وهذا
الاستدلال ما سمعته قط من غيره ولا وقعت عليه في كتاب ۝ وهو قاطع الدلالة ۝ والفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء وبعد تقرير هذه القاعدة تجب الاشارة الى تفصيل هذه الجملة لما في ذلك
من الفائدة والله المستعان ۝ فاقول ۝ اعلم ان النظر اما في الكتاب العزيز ۝ واما في السنة
النبوية بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير البرية ۝ والكل من عند الله عز وجل فانه صلى الله
عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى

فاما يتعلق بالفاظه او بمعانيه او بهما ۝ اما الالفاظ فاما في كيفية كتبها او كيفية النطق بها ۝ اما
كيفية كتبها فتفرع عنه علم الخط جملة ۝ وعلم خط المصحف ۝ وعلم الفرود المعروف عند القراء ۝
وعلم النقط والشكل وتحقيق الهمزة وزينتها ۝ وحكم الالفات اذا اجتمعت وغير ذلك
واما كيفية النطق بها فتفرع عنه علم مخارج الحروف ۝ وعلم النحو وعلم الاشتقاق ۝ وعلم الوقف والابتداء ۝
وعلم القراآت السبع وما يتعلق بذلك كله من معرفة الرواة ومن اخذوا عنه واسناد رواياتهم
عن شيوخهم الى الصحابة رضي الله عنهم الذين اخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عليه السلام عن رب العزة جل جلاله ۝ وهاهنا نكتة يجب التنبيه عليها وهو ان انحصار

القراآت

القراآت في سبع واشتهار ذلك في الامصار كلها واتفاق الائمة على العمل بها ۝ والغاء ما سواها هل
فيه معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاعلام بغيب فانه قال صلى الله عليه وسلم ان
هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه فدل على ان مراده بالسبعة الاحرف
هذه القراآت التي وقع الاتفاق عليها والغاء ما سواها في جميع الامصار وكذلك اجرى الله عز
وجل الالسنة بقولهم قراءة حرف نافع وقراءة حرف ابن كثير فيعبر عن ذلك بالحروف موافقة
للفظه المبارك الشريف صلى الله عليه وسلم وهذا التاويل وان كان لم يقل به من العلماء الا القليل
كصاحب كتاب الفصول في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عندي ارجح الاقوال
المسطورة وان كان اكثر المصنفين لا يختاره ۝ واعلم انه يتعلق بذلك ايضا معرفة
الاسباع والاعشار والاخماس وعدد الآي وعدد الكلمات وعدد الحروف ۝ ومعرفة
اعلام النحو وائمته ونحاتهم واخبارهم وكذلك القراء واما النظر في معانيه فاما في معاني
الالفاظ المفردة او المركبة اما الاول فتفرع منه اسماء الله الحسنى ۝ وعلم غريب القرآن ۝
وعلم اللغة ۝ وعلم الاشتقاق ۝ وعلم الادب ۝ وعلم اشعار العرب ۝ وتفرع من علم اشعار
العرب علم العروض وغير ذلك من شرح وجوها وتفسير ما اشتملت عليه من غريب وقصص ۝
ووقائع وطبقات النحويين واللغويين ۝ وطبقات الكتاب والوزراء ۝ وطبقات
الشعراء ۝ وتفرع من علم اللغة علم الاسماء المشتركة والمجازية والاتباعية وغير ذلك
وعلم امثال العرب ۝ وعلم المكني والمبني والمبنى ۝ واما النظر في معانيه المركبة فتفرع
منه علم اصول الدين والرد على الملحدين ۝ وعلم اصول الفقه ۝ وعلم الفرائض ۝ وعلم الفقه ۝

وعلم الخلاف ۝ وعلم الجدل ۝ وعلم الوثائق ۝ وعلم الأدلة والبراهين ۝ وعلم أحكام القرآن ۝
وعلم أمثال القرآن ۝ وعلم متشابهات القرآن ۝ وعلم مشكل القرآن ۝ وعلم مجاز القرآن ۝
وعلم لطائف القرآن وإشاراته ۝ وعلم الناسخ والمنسوخ ۝ وعلم أسباب النزول ۝ وعلم المكي
والمدني ۝ وعلم قصص الأنبياء عليهم السلام ۝ وعلم الأدعية ۝ وعلم الأخلاق ۝ وعلم السياسة
الربانية ۝ والورع والتقوى ۝ وفضائل السور وفضائل الآي ۝ ومنافع السور ومنافع الآي
من الرقى وغير ذلك ۝ وعلم الحساب من الحروف المقطعة في أوائل السور ۝ وتفرع علم
الحساب أيضا من علم الفرائض ۝ ويتفرع من ذلك أيضا علم طبقات الفقهاء ۝ وعلم الطب
وعلم الساعات والأوقات ۝ وعلم تعبير الرؤيا ۝ وعلم المواعظ ۝ وعلم الزهد في الدنيا
والرغبة في الآخرة ۝ وعلم أحوال الآخرة وأوصاف الجنة والنار وأوصاف أهل كل واحدة
منهما وأما النظر فيهما معا فتفرع منه علم البيان والفصاحة والبلاغة ۝ وعلم
صناعة البديع ۝ وعلم إعجاز القرآن ۝ وعلم النظر وحسن التلاوة والتوافق وما يتفرع من ذلك
وأما السنة فالنظر إما في المتن وهو نص الحديث ۝ إما في الطريق وهو السند ۝ أما
الطريق فتفرع عنه معرفة الرواية وكيفيتها وشروطها وكيفية الأخذ والتعبير عنه على ما هو
عند المحدثين ۝ وتفرع منه أيضا معرفة المسند ۝ والمرسل والمقطوع ۝ والموقوف ۝ والبلاغ وغير
ذلك مما يتعلق بها من التدليس وغيره ۝ ومعرفة الصحاح والحسان ۝ والغرائب ۝ ومعرفة
المشكلات وغيرها ۝ ومعرفة الصحابة رضي الله عنهم ۝ ومعرفة التابعين ۝ ومعرفة من
دونهم من الرواة ۝ ومعرفة التعديل والتجريح ۝ ومعرفة الضعفاء والمتروكين والمجاهيل ومن

ينتسب

ينتسب إلى وضع الحديث واختلافه ۝ وعلم تاريخ الرواة وأنسابهم وكناهم وألقابهم والمؤتلف
والمختلف من أسمائهم ومشتبه النسبة فيها ۝ وعلم طبقات المحدثين ۝ وعلم أطراف الحديث وأما
المتن فتفرع عنه بيان الكتاب العزيز لقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم فإنه تفسير مجمل
القرآن كتفسير الإيمان ۝ والإسلام ۝ والإحسان ۝ والصلاة ۝ والصيام ۝ والزكاة ۝ والجهاد ۝
والحج ۝ وأوقاتها وشروطها وأحكامها ۝ وتفرع أيضا عن علم متن الحديث علم غريب الحديث ۝
وعلم متفقه ۝ وعلم مختلفه ۝ وعلم ناسخه ومنسوخه ۝ وعلم أحكامه ۝ وعلم قصصه وأمثاله وفوائده
وحكمه ۝ وعلم مشكله ۝ وعلم شعب الإيمان وجميع ما تقدم ذكره مما يحتاج إليه في فهم الكتاب العزيز من
النحو وغيره فهو يحتاج إليه في فهم السنة أيضا ۝ وتفرع عنه أيضا علم السيرة ۝ وعلم المغازي ۝
وعلم شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم ۝ وعلم نسبه ۝ وعلم صفاته وأخلاقه ۝ وعلم فتوح البلاد ۝
التي وعد بها الجليل جل جلاله ۝ وعلم أخبار مكة زادها الله شرفا ۝ وعلم أحكامها وأحكام
دورها ۝ وعلم الأموال وأحكام الصلح والعنوة ۝ وعلم ما اشتملت عليه كتب الأربعين
لقوله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا دخل الجنة ۝ وفي رواية أدخلته يوم القيامة
شفاعتي ۝ وعلم أسماء الله الحسنى لقوله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا
واحدا من أحصاها دخل الجنة قيل معنى أحصاها حفظها ۝ وعلم ما اشتملت عليه كتب الرقائق
والزهد ۝ وعلم حلية الأولياء ۝ وعلم طبقات النساك وطبقات الصوفية ۝ وعلم الأبدال ۝
والأوتاد والقطب ۝ وعلم الفرق لقوله صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة
وعلم الطب ۝ وعلم عبارة الرؤيا ۝ وعلم الحق والحقيقة لقوله صلى الله عليه وسلم لحارثة بن مالك

الأنصاري الزرقي أن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ۝ وكعلم منافع الأدعية والرقى إلى
غير ذلك مما يطول تعداده ۝ وكل علم من هذه العلوم إذا أشغل الإنسان نفسه به وعمر
أوقاته بطلبه وأفنى قوته في درسه وتحصيله وجعل ذلك ديدنه طول عمره لم يبلغ منه
منتهاه ۝ ولا أدرك غايته ولا أقصاه ۝ بل لو جمعت له الكتب المصنفة في فن من هذه
الفنون وشغل نفسه بمطالعتها فقط دون درسها وتحصيلها لذهب عمره في ذلك قال
الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله قال شيخنا أبو الحسن اللخمي اختصرت المدونة نحو من
اثنين وثلثين اختصارا ليس فيها أحسن من المهذب للباجي قال يزيد في موافقة ألفاظ المدونة
وأما مختصر محمد بن أبي زيد فلا يلحق به أحد فهذا الاختصار كتاب واحد من كتب الفقه بلغت عدته
هذه الجملة ويحتمل أن يكون هناك اختصارات أخر لم يقف عليها الفقيه أبو الحسن مما صنف
بالمشرق والمغرب والأندلس وغيرها من البلاد وإذا عرفت هذه الجملة صار عندك
كونه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم أوضح من الشمس ۝ فسبحان من خص بهذا الشرف
الذي لا تدرك غايته ۝ والعلم الذي لا تبلغ آيته ۝ والفضل الذي لا يعلم كنهه ولا نهايته ۝ سيدنا
ومولانا وشفيعنا ونبينا وحبيبنا محمدا خاتم النبيين ۝ وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه
وعلى آله الطاهرين ۝ صلاة لا ينفد عددها ۝ ولا ينقضي أمدها ۝ ونسأله سبحانه بلطفه الباهر ۝
وجوده الباطن والظاهر ۝ كما شرفنا بالإيمان بالله ورسوله ۝ أن يجعلنا ممن خصه يوم القيامة
بقبوله ۝ وبلغه من رضاه غاية مأموله ۝ ويكتبنا فيمن يحفظه بعصمة وافية ۝ ويميته في عافية ۝
إنه الجواد الكريم الغفور الرحيم ۝ واعلم أن الشروع في شرح هذه الجمل المتقدمة لا تتسع
لها

لها الأوقات ولو امتدت آمادها ۝ ولا الصحف ولو تناهت أعدادها ۝ ولكن تقع الإشارة إلى
بعضها ليكون للظمآن في ذلك بعض الري ۝ وللعاري من المعارف بعض الرياش والزي ۝ فأقول
الكلام هنا أما ما يتعلق بالكتاب أولا وبالسنة ثانيا فقد تقدم أن علم أصول الدين تتفرع
عنه وبيان ذلك أن النظر في علم أصول الدين إنما هو في ثلاث قواعد ۝ أحدها الدلالة على وجود
واجب الوجود جل جلاله ۝ الثانية الدلالة على صفاته ۝ الثالثة الدلالة على أفعاله ۝
وبهذه القاعدة الثانية تكون الدلالة على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
كله راجع إلى إثبات معنى كلمتي الشهادة وهي قولنا لا إله إلا الله محمد رسول الله فكل ما
صنف وسطر إنما هو شرح لهاتين الكلمتين وإيضاح لتحقيق معنى الشهادتين أما
القاعدة الأولى ففي إثباتها طريقان أحدهما إثبات حدث العالم وإذا ثبت حدثه وجب
الحكم بوجود محدثه وقدمه ۝ ودليل ذلك باختصار قولنا العالم متغير ۝ وكل متغير ۝
حادث ۝ فالعالم حادث ۝ وهذا الدليل وجميع ما في معناه مما يورده المتكلمون مبني على
قوله جل جلاله فلما أفل قال لا أحب الآفلين ومقتبس منه نبه على أن الأفول صفة تغير
والتغير لا يكون إلا في حادث ۝ لأن كل متغير لا بد له من مغير ۝ والإله الحق لا يتغير ولا يتبدل
ولا يحول ولا يزول وهذا الطريق هو طريق الجمهور وعليه مبنى أكثر أدلة الأصوليين ۝
والطريق الثاني وهو طريق الأفراد وهو أن يقال ها هنا لا شك لهذا العالم مدبر
موجود فإن كان واجب الوجود فقد حصل المقصود ۝ وإن لم يكن واجب الوجود
فلا بد من واجب الوجود ۝ وأقرب من هذه الطريقة أن يقال لهذا العالم مدبر موجود ۝

فيكون واجب الوجود والا افتقر الى واجب الوجود وفي هذا المعنى قال القايل ما رأيت شيئا
الا ورايت الله قبله وفي المعنى الاول قال الاخر ما رأيت شيئا الا رايت الله بعده
وقد جاءت الاشارة الى الطريقين في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهذا اشارة الى الطريق الاول وقوله
تعالى أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اشارة الى الطريق الثاني قال
شيخنا الفقيه الامام ابو عبد الله الطولقي رحمه الله هذا الطريق اهتديت اليه بفكري
بعد رحمه الله قبل ان اقف عليه من كلام العلماء واعلم ان معنى الطريق الاول
قول الشاعر وأرى صنعة تدل وتنبي انها دون قايم لا تقوم
ويحتمل ان يتاول ايضا على المعنى الثاني ومن معنى الطريق الثاني قول الاخر
لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
واعلم ان الاية المتقدمة يجوز فيها والله اعلم ان تكون دليلا على الطريقين وبيان ذلك
ان قوله عز وجل فلما رأى كوكبا قال هذا ربي يؤذن ان قلبه لم يكن معلقا الا بموجده جل جلاله
فانه ما قال ما هذا ولا اي شيء هذا وانما قال هذا ربي فدل على ان علمه بربه سبحانه سبق
نظره واستدلاله فان قلت كيف يشتبه امر الخالق سبحانه بامر المخلوق على
من كان نبيا واصطفي للرسالة حتى يقول هذا ربي ففيه جوابان احدهما ان ذلك
كان في حال الطفولة فان ابرهيم عليه السلام خرج من الغار الذي كانت امه اخفته
فيه خشية من النمرود وهو ابن اربعة عشر شهرا ومن كان في هذه السن من غيره من
الناس

الناس لم يبلغ ان يميز الامور تمييزا خفيا فكيف ان يعرف الرب جل جلاله ويستدل على
حدوث مخلوقاته فدل على معرفته بذلك في ذلك السن وقوله هذا معجزة بينة ودلالة
ظاهرة الثاني ان هذا انما اورده على جهة الالزام لقومه وتسليم القضية ليقيم الدليل
على بطلانها بعد فانهم كانوا يعبدون الاصنام والشمس والقمر فكان في ضمن هذا
الكلام دليلان احدهما الرد عليهم في عبادة الاصنام فكانه يقول عبادتكم الاصنام خطأ
فان هذه اشرف منها ثم انتقل الى ابطال عبادة الكواكب ايضا فكانه يقول هذا الكوكب
ربي على زعمكم ثم لما افل قال لا احب الافلين اي لا ينبغي لكم ان تعبدوا الكوكب لان الافول
من صفات الحدوث ثم استدل على القمر والشمس بمثل ذلك ايضا فاقام الدلالة على قومه
حتى ارشدهم الى طريق التوحيد والتنزيه والتقديس بقوله يا قوم اني بريء مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فان قلت يبعد
هذا التاويل من وجهين احدهما قوله قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
وظاهر هذا انه يؤذن انه اعتقد خلاف ما تأوله المجيب وبهذا الجواب الثاني قوله
عز وجل وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني قلت قوله لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين لا يدل على اعتقاده خلاف ما تأوله المجيب لانه يحتمل وجهين
احدهما التادب مع الجليل جل جلاله والتبري من الحول والقوة اليه في كل شيء وهو
اللايق بمقام الخليل عليه الصلاة والسلام الثاني يحتمل ان يكون قال ذلك موريا عن امره
وكتما لسره عن الخصوم حتى يتضح الدليل مرارا فان النفوس تسبق الى الانكار في اول

الأمر فاذا ازداد الشيء ضعفت بواعث الانكار وهذا من السياسة الربانية وهو التدريج
في الأمور العظام الاتيان بها شيئا فشيئا حتى تقبلها النفوس وتذعن لها ۝ ولذلك كان
نزول الكتاب العزيز نجوما ونزول الأحكام فيه شيئا فشيئا والحدود وغيرها ولو نزلت
دفعة لشقت على أكثر النفوس ولكن ينزل بقدر ما يشاء وهو اللطيف الخبير ۝ وههنا
وجه ثالث في الجواب عن الاشكال الأول ۝ وهو أن يقال يحتمل أن يكون ابرهيم عليه
السلام انما رأى الكوكب على هيئته لا على ما يراه الناس فانه يقال ان جرم الكوكب أكبر
من جرم الأرض ۝ وكذلك رأى القمر والشمس على هيئتهما فانه يقال ان جرم القمر
أكبر من جرم الأرض بأضعاف ۝ وان جرم الشمس أكبر من جرم الأرض بأضعاف ۝
مضاعفة ۝ ويؤيد ذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الأرض في سماء الدنيا كحلقة
في فلاة من الأرض ۝ وذكر صاحب كتاب قصص الأنبياء عليهم السلام عن أبي ذر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض
فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الكرسي على تلك الحلقة ۝ والذي يدل على انه رآها في هيئتها
وعلى صورتها وعظمها قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والأرض والملكوت
انما هو عبارة عن باطن السموات والأرض مما لا يدركه الناس ۝ وأما الظاهر الذي يدركه
الناس فهو عالم الملك ولذلك يقال عالم الملك وعالم الملكوت ۝ وسمع بعضهم فقيرا يقول اذا
لاحت صفات الجلال اضمحل الملك والملكوت ۝ واذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله
عليه الصلاة والسلام هذا ربي ليس المراد به هذا الكوكب ربي فان مقام النبوة يجل عن
أن

أن يلتبس عليه الأمر أو يشكل عليه الخالق بالمخلوق ۝ وانما صدر ذلك القول والله أعلم
على تقدير حذف فانه لما رأى نور الكوكب على ما هو عليه أكبر من الأرض وتقرر ان
لله عز وجل سبعين حجابا من نور احتجب بها عن خلقه ظن أن ذلك النور من نور الحجب فقال
هذا ربي أي نور ربي الذي هو أحد الحجب ۝ وكما يقول من رأى تباشير الصبح وهي أوائل نوره هذا
الصبح ومن رأى الحمرة البادية قبل الشمس هذه الشمس وكما يقول من رأى وزير الملك
قد خرج هذا الملك قد خرج أي هذا وزير الملك خرج الذي من شأن الملك أن يخرج بعده ولله
المثل الأعلى ۝ فلما أفل قال لا أحب الآفلين لأن تلك الحجب السنية يمدها نور خالق البرية
فلا يكون لها أفول ۝ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي لأنه رأى نورا أعظم من الأول فظن
أيضا أن ذلك النور من نور الحجب ۝ فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۝
لأنه ظن أولا ظنا فخرج الأمر بخلافه ۝ ثم ظن ثانيا ظنا فخرج الأمر بخلافه ۝ فتبرأ من حوله وقوته
ورجع الى مولاه وخالقه وعلم أنه الهادي لعباده وأن الخلق لا يقدرون على هدايته الا بفضله
وارشاده فقال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۝ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا
ربي هذا أكبر على التقدير الأول أي هذا نور ربي الذي هو أجل الحجب لأنه رأى نورا أعظم من
الأرض بأضعاف مضاعفة ۝ فقال هذا أكبر فلما أفلت علم أن خالق هذه الأنوار العظام
ومصرفها تحت صفات الحدوث والتغير لا تلحقه الأوهام ولا تكيفه العقول فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ۝ قيل في
معنى قوله حنيفا أي منحرفا عن الأديان كلها الى دين التوحيد ۝ وعندي أن المراد بقوله حنيفا

انه اعرض عن الوجود كله ولجا الى مولاه جل وعز وعليه يدل قوله لجبريل عليه السلام لما تلقاه
بين السماء والارض حين قذف به من المنجنيق وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال
له سل ربك فقال يكفيه من سوالي علمه بحالي فتولى الله عز وجل عند ذلك نصره وحمايته ولم
يكلف بذلك احدا من خلقه فقال جل جلاله وتقدست اسماوه يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم فبردت النار في ذلك اليوم في جميع اقطار الارض حتى لم ينضج بها طعام وقيل
لولا قوله جل جلاله وسلاما لمات ابرهيم من شدة بردها وقوله عز وجل بعد هذا وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ينتظم على هذا التاويل بما قبله انتظاما بليغا لا يخفى
على متامل والحمد لله فبان بهذا ان هذه الاية تضمنت الدلالة على الطريقين كالاية الاخرى والله اعلم

واما القاعدة الثانية وهي الدلالة على صفاته جل جلاله فانها على قسمين احدهما
صفات السلب وهي صفات التنزيه كقولنا لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا مخالف
له والثاني صفات الاثبات وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع
والبصر والكلام وحكم الرتبة يقتضي تقديم الكلام على صفات النفي قبل صفات
الاثبات اقتداء بكلمة الشهادة وهي لا اله الا الله فان النفي فيها جا قبل الاثبات وهذه
الصفات كلها لها في الكتاب العزيز دليل يشملها كلها وهو من جوامع الكلم **اما**
الدليل الجامع لها فقوله سبحانه وتعالى ويجعلون لله ما يكرهون وبيان ذلك في صفات
التنزيه ان الانسان يكره ان يكون معه شريك في ملكه وما له واموره كله وكذلك يكره
ان يكون له ندا او ضدا او مخالف وهذه صفات التنزيه وكذلك صفات الحدوث وكل
صفة

صفة لا تليق بجلال الله جل جلاله وتقدست اسماوه يلحق بهذا المعنى والى هذه الصفات التنزيهية
الاشارة بقوله تعالى ليس كمثله شيء وبقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد وعنها تقع العبارة
بقولنا سبحان الله حيثما وقع بالفاظ التسبيح كلها فان معنى سبحان الله تنزيهه وتبريه عن كل
ما لا يليق بجلاله فانظر ما تضمنت هذه الكلمة الواحدة من المعاني يبن لك انها
من جوامع الكلم والى ذلك والله اعلم وقعت الاشارة في الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله
عليه وسلم كلمتان خفيفتان في اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وتحرير الدليل في هذه الامور ان يقال صفة يكرهها العبد لنفسه على حدوثه وخساسته
وحقارته وافتقاره كيف تجترئ على ان يصف بها مولاه وربه الذي اوجده بعد العدم
وعلمه ما لم يكن يعلم او يقال صفة يانف منها المحدث فكيف تليق بالقديم ومن هذه الاية
والله اعلم اقتبس القاضي ابو بكر بن الطيب ما اورده حجة على النصارى فبهتوا لها وذلك ان
احد ملوك عصره بعث رسولا الى ملك فجمع له ملك الروم اساقفته وعلماه واتخذ مجلسا على
هيئة سنية بمراتب جليلة عليه جعلها برسم العلماء وجعل مرتبة القاضي ابي بكر ارفع تلك
المراتب ولم يجعل مرتبة تساويها الا مرتبة لعالم اهل النصرانية في ذلك الوقت فلما حضر
القاضي ابو بكر رحمه الله المجلس واستقر في مرتبته عطف على القسيس الاكبر الذي
كانت مرتبته تساويه فسأله عن حاله ثم سأله عن زوجه فتغير القسيس تغيرا شديدا
وقال كيف تسألني عن الزوجة واي زوجة ومثلي يتخذ الزوجة وانا راهب منقطع للعبادة
لا يليق بمثلي ان يتخذ زوجة ولا مونسا ولا شيئا يشغله عما هو فيه فقال له ابو بكر هذا انت

كرهت ان تنسب اليك زوجة وانفت من ذلك مع انك مخلوق فقير محتاج في كل احوالك فكيف
تنسب الزوجة لالهك الذي خلقك وصورك ورزقك ودبرك قال فلما سمعت النصارى
هذا الكلام مالوا كلهم اليه فخاف الملك ان يكون ذلك سببا لفساد دينهم فقطع المجلس
وقام ثم اتفقت بعد ذلك صورة وهي ان رجلا فقأ عين بازي وكان يساوي مالا
جليلا فطلب صاحب البازي الانصاف منه فافتى علماء النصارى كلهم ان تفقأ عين
الرجل المتعدي في عين البازي وكان آخرين والله اعلم انكروا هذا او كان للملك بالرجل عناية فقال
اذهبوا الى عالم المسلمين واسألوه عن الحكم في هذه القضية فسألوه فقال يقوم البازي سليما من
العيب ثم يقوم بعد ذلك معيبا وينظر ما نقص العيب من القيمة الاولى فيدفعه الجاني لرب
البازي فلما سمعت النصارى هذا الحكم قالت هذا هو الحق وهذا هو الدين فبلغ الملك ذلك فخشي
من اقامة القاضي ابي بكر لديه مخافة ان يفسد على النصارى دينهم فقضى حوائجه ورده الى
بلاد المسلمين **واما شمول هذا الدليل** لصفات الثبوت ايضا فظاهر مما
تقدم فان كان كل انسان يكره عدم الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر
والكلام فاذا سلب شيئا منها كان عيبا ووصما يلزمه فهي في فطر العقول صفات كمال
واضدادها صفات نقص وكل مخلوق يكرهها فكيف تجري على جنانه او ينطق لسانه باضافتها
الى من كل كمال مستفاد منه وكل صفة جبلة موهوبة من لدنه فالكل في قبضته وتحت
حكم ارادته ومشيته فبان ان هذا الدليل شامل لجميع الصفات السلبية والثبوتية
واما الادلة التي تخصها فمنها ما يخص صفات التنزيه ومنها ما يخص صفات
الاثبات

الاثبات **اما** ما يخص صفات التنزيه فاولها ما يخص الوحدانية وهي ثلاث آيات في
الكتاب العزيز الاولى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الثانية
قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا الثالثة
قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض فعلى هذه الآيات الثلاث بنى اصحاب الدين الذين ائمتهم في
التوحيد وعلى قواعدها بنوا دليل التمانع المشهور وهو انهم فرضوا وجود الاثنين
وارادة احدهما تحريك جسم وارادة الآخر تسكينه في حالة واحدة فاما ان تنفذ ارادتهما
معا او تنفذ ارادة احدهما دون الآخر فان نفذت ارادتهما معا لزم ان يكون الجسم
ساكنا متحركا في حالة واحدة وهو محال وان لم تنفذ ارادتهما معا كانا عاجزين والعاجز
لا يكون الها فان نفذت ارادة احدهما دون الآخر فهو الاله وثبتت له الوحدانية
ولو فرضنا اتفاقهما في كل الاحوال لزم منه ايضا عجزهما وكون كل واحد منهما لا تنفذ له
ارادة الا بموافقة الآخر له وذلك اشد القصور واعظم العجز كما قال انما العاجز من لا يستبد
انما سمي هذا الدليل دليل التمانع والله اعلم لان كل واحد من الالهين المفروضين يمانع الآخر
ويدافعه عن مراده وهو دليل واضح بين لا اشكال فيه وعندي ان المحال يلزم
بنفس فرض الاثنين قبل تقرير دليل التمانع وبيانه انا اذا فرضنا الالهين كان كل واحد
منهما متصفا بالعجز والقصور عن ملك الآخر وذلك ينافي الالاهية وسواء فرض ذلك
في الاستبداد والاستقلال او في الاشتراك فانه ينافي ضرورة لانه يتضمن العجز

والقصور كيف فرض وهذا بين بنفسه لا يحتاج إلى إيضاح ودلائل الوحدانية في الكتاب
العزيز كثيرة **اما ما يخص** ما عدا الوحدانية من صفات التنزيه فقوله تعالى
أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون **واما** ما يخص صفات الإثبات فمنها ما يخص الحياة
وهو قوله القيوم بعد قوله الحي فإن فيه إقامة الدلالة على كونه حيا لأن القيوم هو
القائم بأمور الخليقة كلها في جميع تصرفاتها وأحوالها ومدد أرزاقها ومقادير أقواتها وحركاتها
وسكناتها ونفقاتها ونشأتها وجميع ما تحتاج إليه في كل أحوالها وليس ذلك إلا
الله عز وجل فهو الحي القيوم فقامت الدلالة القاطعة من قوله القيوم على أنه حي لأن هذه
الأفعال شاهدة مدركة بالحس ومن المحال أن تصدر من غير موصوف بالحياة ويتضمن هذا
الدليل أيضا الدليل على القدرة وعلى الإرادة والعلم ومنها ما يخص العلم وهو قوله تعالى
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ۝ وقد روي أن عليا رضي الله عنه ناظر رجلا في علم الله
عز وجل وكان الرجل من أهل الإنكار والجحد فصنع علي شكلا من طين وجعل في باطنه
حبة ثم قال له ما في باطن هذا الشكل فقال له لا أدري فقال ومن يدري قال أنت
الذي صنعته تعرف ما في باطنه فقامت عليه الحجة من لفظه وحكم على نفسه بقوله
وأخذ علي رضي الله عنه هذا والله أعلم من قوله تعالى وهو عليم بذات الصدور
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ۝ فإذا أقر العبد بأن الله عز وجل خلقه وصوره وصور
ظاهره وباطنه فكيف ينكر علم الله عز وجل بما في صميم سره وهو الذي خلق ذلك الصدر
وسره وما حدث فيه من خاطر وفكر وغير ذلك واعلم أن هذا من الأدلة الباهرة

والآيات

والآيات الزاهرة وهو من جوامع ومنه استنبط الأصوليون الدليل القائم على المعتزلة في ادعائهم
كون أفعال العباد مخلوقة لهم فقالوا لو كانت أفعال العباد مخلوقة لهم لوجب أن يعلموا تفاصيلها
وجزئياتها ولما لم يعلموا ذلك علمنا أنها ليست خلقا لهم وبيان ذلك بالمثال ۝ أن من عمل عملا من كتابة
أو خياطة أو نجارة لو سئل عن عدد حركاته وتفاصيل أعماله لم يعرف شيئا منها فدل على أنها
ليست مخلوقة له وهذا واضح لا إشكال فيه **ومنها ما يخص القدرة**
وهو كل دليل دل في الكتاب العزيز على الاختراع والإيجاد كقوله تعالى أمن خلق السموات
والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها
وأمثال ذلك كثير ويلحق بذلك قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والأرض ۝ وقوله
إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الآية ومنها ما يخص الإرادة كقوله تعالى إن في
خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الآية وما
في معناها من كل آية تدل على التخصيص كقوله واختلاف ألسنتكم وألوانكم فإن التخصيص
دليل الإرادة ومنها قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا الآية ومنها ما يخص السمع وهو كل آية
دلت على إخبار الجليل جل جلاله رسوله صلى الله عليه وسلم بنجوى المشركين كقوله تعالى وأسروا
النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أي قائلين هل هذا إلا بشر مثلكم ۝ ومن هذا
النوع قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض
واعلم أن في هذه الآية ثلاثة أدلة أحدها على إثبات السمع ۝ والثاني على إثبات القدرة
وكذلك الثالث وكلها أيضا تدل على إثبات العلم ۝ **ومنها ما يخص البصر**

كقوله تعالى أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر دل أنه بصير حيث تعجز أبصار الخليقة
وفي غير ذلك من باب الأولى وفي الكتاب العزيز دليل جمع السمع والبصر وهو
قوله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلم ٥ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئا وجه الدليل أن هذا لما كان وصف الأصنام لزم أن يكون وصف الاله
الحق بخلافه ٥ ومنها ما يخص الكلام وهو قوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين
أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل
يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ٥ فهذه الآية تحتمل وجهين أحدهما
أن يكون المراد بها وصف الجليل جل جلاله وإبانة وصف الأصنام وهي على هذا دالة على
عين المسئلة ٥ والثاني أن يكون إبانة لوصف عبد خصه الله عز وجل بالهدى والنطق
وآخر خصه الله بضد ذلك وعلى هذا ففيها أيضا دلالة لأن هذا الوصف إذا لزم في
العبد فنفي المولى من باب الأولى ٥ وإذا عرفت ذلك فاعلم أن هذه الصفات
كلها يجب الايمان بها ونفي التكييف عنها فإن عقول الخلق قاصرة عن ادراك ما هو
صفة للمخلوقين فكانت صفات الخالق جل جلاله أولى بأن لا تدرك والذي ينبغي
للأريب في مثل هذه المعاني التي لا تدركها العقول أن يقول كما كان بعض علماء الحنفية
بالمشرق يقول فيما أخبرني بعض الثقات من أهل بلادنا وكان ممن جال بالمشرق ولقي
الأكابر من العباد وغيرهم قال كان بعض علما الحنفية يقول في مثل هذه الأمور
آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت بالرسول وبما جاء عن الرسول على

مراد

101

مراد الرسول وهذا طريق النبي لأمة في الدنيا والآخرة والخوض فيما عداه لا يدعو إلى
خير ولا يبلغ إلى علم وطريق النجاة الاعتصام بقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فكل ما تصور في وهمك أو جال في خيالك أو تمثل في نفسك فالله عز وجل بخلاف ذلك

وأما القاعدة الثانية في الأفعال فاعلم أن أفعال الجليل جل جلاله كلها جائزة
ودليل جوازها ما ينبني على الدليل المتقدم في نفي الشريك والضد والند والمخالف ٥ وأنكر بعض
المعتزلة جواز بعضها ويدل أيضا على جواز جميعها قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وعلى
ذلك ينبني الكلام في اثبات الرسالة فأقول قد تقدم أن أفعاله جل جلاله جائزة كلها
وليس فيها ما يجب عليه تعالى الله عن ذلك وما يقوله المعتزلة من وجوب الصلاح والأصلح
وغير ذلك تدرؤه الآية المتقدمة وهي قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ٥ وإذا
عرفت فاعلم أن من أفعاله الجائزة جل جلاله بعث الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلم
وهذا الجائز قد وقع ودليل وقوعه ظهور أشخاص تميزوا بالصفات الكريمة ٥ والخصال
الجميلة ٥ والمزايا الحميدة ٥ وفاقوا في ذلك من سواهم وادعوا الرسالة وظهرت على أيديهم
معجزات خارقة للعادة تعجز الخلق كلهم عن الاتيان بها واهتدى الخلائق بهم وذلك دليل على صدقهم
وختموا بسيد الأولين والآخرين ٥ والشفيع المشفع يوم الدين ٥ فأظهر المعجزة التي عجز الخلائق
كلهم عنها من الجن والانس وهو الكتاب العزيز وظهرت على يديه أيضا صلى الله عليه
وسلم معجزات أخر عجز الخلائق عنها ٥ ويئست الأطماع منها ٥ تلألأت أنوارها وسطعت
وأخرست الألسنة العباد وقطعت ٥ وإذا عرفت ذلك فاعلم أن أدلة الرسالة

متنوعة من آيات في الكتاب العزيز ○ الأولى قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ○ الثانية قوله تعالى أم
يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ○
الثالثة قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ○ وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الله عز
وجل بعث موسى صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه في زمن كان السحر أغلب
الأشياء على أهله فأتاهم بآية العصا التي أعجزت السحرة وآمنوا عند رؤيتها وعلموا أنها
ليست من قدر البشر فكانت مرتبتهم السامية في علم السحر مفيدة معرفة العجز
فأذعنوا بالقبول وبادروا بالتصديق وخروا سجودا لله عز وجل وتوعدهم فرعون
بالعقاب فقالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ○ فإنهم في محبته عز وجل ولطاعته نصبوا
خف عليهم الألم لفرحهم بلقاء الحبيب ○ كما قال خبيب رضي الله عنه ○

ولست أبالي حين أقتل مسلما ○ على أي شق (جنب) كان في الله مصرعي ○
وذلك في شأن الإله وإن يشأ ○ يبارك على أوصال شلو ممزع ○

وبعث الله عز وجل عيسى صلوات الله عليه في زمن كان الطب الغالب على أهله
فأتاهم بالآيات التي أعجزت الأطباء من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ○ وبعث الله
عز وجل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في زمن كانت الفصاحة قد غلبت على أهله
والبلاغة حتى كانت الأمة تأتي من الفصاحة الكلام بما يعجب منه كما قال

ذو

ذو الرمة قاتل الله أمة بني فلان ما أفصحها قلت لها كيف كان المطر فيكم قالت غثنا ما
شئنا تعني أنهم سقوا على نحو ما تمنوا واشتهوا فعبرت بقولها ما شئنا عن أوصاف كثيرة
وجمل عديدة من أوصاف الغيث الخصب الكافي يطول تعدادها وهذا من باب
البلاغة والاكتفاء باللفظ القليل الدال على المعنى الكبير كما قال

خير الكلام قليل ○ على كثير دليل ○ والعي معنى قصير ○ يحويه لفظ طويل ○

فكانت الفصاحة عند أهل ذلك العصر أهون ما يحاولونه من أمورهم ○ والبلاغة حشو
أفئدتهم وصدورهم ○ لا يرومون منها مراما إلا نالوه ○ ولا يطاولون منها علما إلا طالوه ○
فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الإتيان بذلك ○
وعلموا ألا سالك لتلك المسالك ○ وقيل إنهم اعتذروا عن الإتيان بسورة بأنهم عاجزون
عن معرفة ما يشتمل عليه من القصص والأحكام ○ وإيضاح سبيل الهدى وتفصيل الحلال
والحرام ○ فنزل قوله عز وجل قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ○ فسهل عليهم الأمر بأن يختلقوها
ولا يحققوها فعجزوا عن ذلك كله فبان بذلك كله أن قدر البشر لا تستطيع الإتيان
بسورة مثله ○ ولما عجز أرباب البيان عن عنفوانه ○ وأول وقته وأوانه ○ كان من
أتى بعدهم أشد عجزا ○ وأقل ذخيرة وكنزا ○ فأين المعارضون هل تحس منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا ○ هيهات أن تعارض الشمس بالأضواء ○ أو تقابل الحقائق بسخافات الأهواء ○ ولم
تزل الأعصار بعد العصر الأول بأهل البيان طافحة ○ وديمه في كل الأحيان سافحة ○ فتراهم
ينشئون الرسائل والأشعار ما يحار فيه الوصف ويذهل ○ ويضل طريقه اللاحب ويجهل ○

كمثل ما انشئوه من رسائل تعجم منها كلمة وتعرى اخرى ۰ واخرى تعجم بعض احرفها وتهمل الاخر ۰
واخرى تهمل كلماتها كلها ۰ واخرى تعجم كلماتها كلها ۰ واخرى ينفك منها اشعار ۰
واشعار ينفك منها اشعار ۰ واخرى تقرى معكوسة ولا يختل معناها ۰ واخرى عكسها
جوابها الى غير ذلك من البدايع التى ابتدعوها ۰ والروايع التى انشئوها ۰ اظهارا لتمكنهم
في البلاغة واخترعوها ۰ وكل ذلك دليل على اعجاز القران ۰ حين علم الكل ان جنابه الارفع
وحماه الاعز الامنع ۰ لا تحوم الافكار عليه ۰ ولا تصل الخواطر والاوهام اليه ۰ وكل
من تمت درجته في البلاغة كان اعجازه عنده بديهيا لا نظريا ۰ ووجدانيا لا كسبيا ۰
واما من لم تغذه الفصاحة بلبانها ۰ ولا ربى بين حجرها ولبانها ۰ فربما اشكل عليه
الامر فقلد ۰ واتبع راى من اخترع في البيان وولد ۰

والرأى للاعمى اذا طلب الهدى ۰ الا يفارق جانب الدلال

ومن خرج عن الطريقين خرج عن طريق السلف ۰ وضل في مهالك التلف ۰ زادنا الله برحمته وبركة
نبيه صلى الله عليه وسلم ايمانا ۰ ورزقنا في الدارين سلامة وامانا ۰ واعلم ان في الكتاب
العزيز مما يعضد ادلة اثبات الرسالة قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ۰ وقوله تعالى اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء
بني اسرائيل وهذا في من امن منهم ومن اقر بذلك ممن لم يؤمن ۰ وقوله تعالى قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ۰
وهذه الاية تحرك قلب الجماد للمعارضة لو كانت هناك قدرة فلما لم تسمع معارضة ولا
وجدت

وجدت قط فلما قطعنا ان السكوت عن عجز وعن علم ان ذلك المطلوب معجز للخلايق كلهم وهذا
واضح لا اشكال فيه والحمد لله واعلم ان في علم من لم يؤمن من بني اسرائيل ۰ وغيرهم
من علماء اهل الكتاب ۰ دلالة اخرى ۰ وذلك ان الكتاب العزيز اشتمل على قصص
الانبياء عليهم السلام وذكر ابتداء الخلق وغير ذلك من الانباء التى تضمنتها الكتب السالفة
وكان في ذلك العصر من الاحبار والرهبان المنكرين لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
طوايف لا تحصى فما روى ان احدا منهم قال في قصة من تلك القصص والانباء من تلك
الانباء انه خلاف ما في التوراة والانجيل وهذا من اوضح الدلايل فانهم كانوا احرص
الناس على ان يجدوا في ذلك خلاف ما عندهم فيحتجوا به ويظهروه بل اذعنوا للحق وسلموا
واعرضوا عن ذلك كما اعرض البلغاء عن المعارضة ورضوا كلهم بالقتال بدلا عن
الاقرار بالتصديق ۰ وقد بان انهم ما وجدوا فيه خلافا ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا ۰ ويكفي في الدلالة في هذا المعنى سورة الكهف فان اليهود هم الذين
اشاروا على قريش ان يسئلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن شان فتية ذهبوا في الدهر ولم يعلم
لهم خبر وهم اصحاب الكهف ۰ وعن ملك طواف بلغ المشرق والمغرب ۰ وهو ذو
القرنين ۰ وعن الروح فنزل في ذلك سورة الكهف فابان الله عز وجل فيها شان الفتية
وانزل في سورة سبحان ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ۰ فان قلت
لم لم يرد في الكتاب العزيز ولا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم بيان حقيقة الروح
قلت اعلم ان الخلق كلهم على اختلاف اطوارهم وفهومهم ۰ وتباين مداركهم ۰

وعلو منهم ۝ اذا انصفوا ولم يحملهم الدعوى والكبر والعصبية على مخالفة الحق يعلمون ان الخلق
كلهم لا يعلمون من الاشياء الا الاسماء وهي التي علم الله عز وجل ادم عليه السلام
فاذا قيل للانسان مثلا ما اللحم وهو جزء من اجزاء جسمه ومن اقرب الاشيا اليه
فغايته اذا انصف وامعن ان يقول جسم من صفته كذا وكذا فيخبر عنه باوصاف هي
معروفة مدركة بالحس ۝ وكذلك اذا قيل له ما الشعر وما العظم وغير ذلك
فلا يجد ما يخبر به من ذلك الا اوصافا هي معلومة عند كل الناس ۝ فلو قيل له ما
حقيقته ومن اي شيء نشا ومما ذا تكون فاذا انصف قال لا علم لي بذلك واذا لم
ينصف تكلف ما لا علم له به ۝ ولو اري نباتا لم يره قط او طايرا لم يعرف اسمه وقيل
له ما هذا فغايته ان يقول طاير فاذا قيل له ما حقيقته وما اصله ومن اي شيء هو
يكون وقف الا ان يخبر بما يعلمه جميع الناس مثل ان يقول في الطاير يكون من بيضة وفي
النبات يكون من حبة قياسا منه للغايب على الشاهد ۝ فان قيل له ما المانع ان
يكون هذا الطاير كون لا من بيضة وهذا النبات كون لا من حبة لم يجد دليلا الا ان
يقول كذا اجرت عادة الله عز وجل في امثال هذا فرجع حاصل امره الى قياس
الغايب على الشاهد ۝ وهو باطل عندهم باتفاق واذا كان كل عاقل لا يعرف
من حقايق الاشياء الا الاسماء هذا في الاشياء القريبة منا وفي اعضا اجسامنا
فكيف يطمع احد ان يعرف حقيقة ما بعد عنا كالسماء والنجوم والشمس
والقمر واذا عجز عن ادراك حقيقة هذا المرئي الذي تدركه الحواس فكيف حاله فيما

لا يدركه

لا يدركه الحواس من المغيبات وقد نبه على هذه الجملة قوله جل جلاله ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وهي قاطعة الحجة كل مدع علم ما لم يدركه
ولم يعهده ولو فرضنا انه راى تكون ذلك اللحم او ذلك العصب لراى القدرة في
تكونه وتطوره وهو لا يعرف ذلك ولا اصله ولا كيف تصور وتنوع وتطور ۝
فسبحان العظيم بما يصنعه والخبير بما ينشيه ويبدعه لا اله الا هو واذا عرفت
ذلك ظهر لك وجه كون الروح لم تتبين حقيقته لان العقول لا تدرك حقيقته ولا هيئة
لقبول ادراك صفته ولذلك جا الجواب فيه والله اعلم بقوله تبارك وتعالى قل
الروح من امر ربي اي هو من الامور التي تعجز العقول عن دركه فانها قاصرة
عن ادراك حقايق المبصرات فكيف يدرك غير المبصرات ۝ واذا كانت الريح تحس
ولا تدرك حقيقتها فكيف تدرك حقيقة الروح الذي لا يحس وعلى هذا لو اخبروا عن
حقيقته لما ادركوها ولا عرفوها فكانت الحكمة في ان تقع الاشارة الى انه من الامور
التي لا تدركها العقول والله اعلم ۝ فالعاقل الذي يطلب طريق السلامة يترك البحث عن
حقايق هذه الامور ۝ فانه اشتغال بعنا في غير غناء ۝ يذهب العمر معه ضياعا في
غير فايدة ۝ ولا جدوى عايدة ۝ جعلنا الله بمنه ممن اشتغل بما يعنيه ۝ وشيد على قواعد
الشريعة ما يبنيه ۝ انه الجواد الكريم ۝ الرؤوف الرحيم ۝ **واما الرد على** الملحدين
في الكتاب العزيز ففي ذلك ايات كثيرة وان كان كل ما تقدم ذكره في اصول الدين
فيه رد ايضا على الملحدين كالرد على منكري الوحدانية ومنكري الصفات ومما جاء

من الرد على الملحدين أيضا الرد على منكري البعث وفي الكتاب العزيز من ذلك أشيا كثيرة ۝ منها
قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد
ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ۝ والآيات
في هذا المعنى كثيرة ۝ وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ۝ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه
توقدون ۝ فقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة قطع حجة برهان لا مدفع فيه فإن من
قدر على الإنشاء أولا قدر على الإعادة فإنها أهون كما قال تعالى وهو أهون عليه والكل
على الله عز وجل هين وإنما ذلك بحسب عقول الخلق وما يتعارفونه ۝ وقوله تعالى وهو بكل
خلق عليم ۝ دفع لإشكال توردة الملحدين ۝ وهو قولهم أن أجزاء الميت تتفرق في الأرض وربما
تأكلها الهوام أو السباع فكيف يمكن إعادتها فدفع هذا الإشكال بقوله تبارك وتعالى وهو
بكل خلق عليم فإنه إذا كان بكل خلق عليما علم أين صارت تلك الأجزاء وإلى ماذا تكونت
وكيف تطورت فيميزها ويطورها ويعيدها على ما كانت عليه ۝ وقوله تعالى الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر نارا دفع إشكال آخر وهو قولهم أن الروح حارة وبها يتحرك الجسم والجسم
لا يقبلها حتى يكون على صفة من التئام الأجزاء وانتظام التركيب واعتدال البنية وهذا
كله يتعذر في الأجزاء المتفرقة والأعضاء المتشتتة فلو فرضنا عودها لكانت غير قابلة
للروح لما اكتسبت من البرودة واليبوسة بمجاورة الأرض المدة الطويلة فجاءت هذه
الآية رافعة لهذا الإشكال ۝ وبيانه أن يقال هذا الذي تبنون عليه أصولكم

من الالتئام وانتظام الجواهر والأعضاء باطل فإن قدرة الله عز وجل مطلقة لا تتوقف
على شرط ولا قيد إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون واعتبر ذلك
بخروج النار من الشجر الأخضر لأنا إذا نظرنا إلى حاله ووصفه وما اشتمل عليه من اللزوجة
والنعمة والخضرة وقدرنا أن النار تخرج منه كان ذلك أبعد في الأوهام ۝ من إعادة
الروح إلى الأجسام وقد رأينا ذلك عيانا لا يرتاب فيه ذو عقل ولا يتمارى فيؤخذ
عودان من شجرة خضراء فيحك أحدهما بالآخر فتخرج منه النار أو تهب الريح فتضرب
بعض العيدان ببعض فتقدح منه النار فسبحان القدير على ما يشاء الذي يطلع خلقه من
عجائب قدرته على ما يبهر العقول ۝ ويصدق الشرع المنقول ۝ ثم جاءت بعد هذه
الآية الرافعة لكل إشكال يعرض ۝ ومحال يفرض ۝ وهي قوله تعالى أوليس الذي
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ۝ إنما أمره إذا
أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ۝ فهذا بيان قاطع لكل حجة ۝ ومغرق لطوائف الأمطار
بكل لجة **وأما الآيات** التي تضمنت الرد على الملحدين كل ما جاء فيه الرد على
النصارى في التثليث ۝ ومنها قوله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام فنبه على احتياجهما وافتقارهما إلى الطعام الذي
يقيم بنيتهما والإله لا يكون محتاجا إلى شيء بل هو الغني المطلق الذي الخلق كلهم محتاجون إليه
ومنها الرد على القائلين من الفلاسفة وغيرهم أن الله عز وجل يعلم الكليات
ولا يعلم الجزئيات تعالى الله عن قولهم وذلك في قوله وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم

يسمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ۝ وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم أرداكم ۝ ومنها الرد على الثنوية في قولهم بالإلهين وذلك في
قوله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فقابل التعبيد بقوله الإلهين الرد على الثنوية ۝ ومنها
الرد على الدهرية في قوله تعالى وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ۝ وما
يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ۝ واعلم أنه قد جرت به
العادة في أصول الدين الكلام على الإمامة وهي فرع من فروع أصول الدين وأدلتها من
السنة وفي الكتاب العزيز ما يدل عليها وهو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فاقتضى ذلك نصب أولي الأمر وهم الأئمة
وأما أصول الفقه فالنظر إما في مباديه ومقدماته ۝ وإما في مقاصده
ومهماته ۝ وإما في خواتمه ومتمماته ۝ أما مباديه ومقدماته فهي إما لغوية أو كلامية
أما اللغوية فتستفاد من قول الله عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين
لهم ۝ وأما الكلامية فمنها الحكم على العقل قبل ورود الشرع وهي مسألة مستفادة
هي وتفاريعها كتحسين العقل وتقبيحه من قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وأما الفكر والدليل والنظر فمن قوله تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم ۝ وقوله تعالى
أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ۝ وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
وأما العلم والظن فمن قوله تعالى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ۝ وقوله تعالى وما
لهم به من علم إلا اتباع الظن ۝ وأما الحكم فمن قوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم وأما
مقاصده

مقاصده ومهماته فهي منقسمة إلى الأقوال والأفعال والإقرار ۝ أما الأقوال
فإما أن تكون دلالتها صريحة أو لا تكون صريحة ۝ والصريحة إما ألا تحتمل سوى معنى واحد
أو تحتمل أكثر من ذلك والأول هو النص كقوله تعالى قل هو الله أحد ۝ والثاني إما أن تكون
دلالته متساوية وهو المجمل كقوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أو لا تكون متساوية وهي
إما راجحة في أحدهما وهو الظاهر كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط إذا جعلناه كناية
عن الحدث ۝ أو ليست براجحة كما إذا جعلنا الغائط في الآية عبارة عن المطمئن من الأرض
وهو المؤول ۝ وأما أن لم تكن الدلالة صريحة ۝ فإما أن تكون اللفظة إشعار بها أو لا تكون
فإن كان فإما على سبيل الموافقة وهو المسمى بلحن الخطاب ۝ وفحوى الخطاب ۝ ومفهوم الموافقة
كقوله تعالى ولا تقل لهما أف دل تحريم التأفيف على أن تحريم الضرب والتعنيف من باب
الأولى أو لا على سبيل الموافقة وهو مفهوم المخالفة نحو قوله تعالى ولا تقل لهما أف ۝ الذين آمنوا
ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ۝ دل مفهومه على أن من
لبس إيمانه بظلم لا أمن له والظلم هنا الشرك على ما تفسر في الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ۝ وأما إن لم يكن اللفظ إشعار به فهو إذا مقتبس من معناه وهو معقول
الأصل المعبر عنه بالقياس ۝ والأصل فيه قوله تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار وأنواع
القياس فيها كثيرة ۝ ومنها في الكتاب العزيز جملة كقوله تعالى فأحيينا به بلدة ميتا
كذلك الخروج ومثل ذلك كثير واعلم أن الأدلة انقسمت بحسب ما تقدم إلى
المنطوق والمفهوم والمعقول ۝ وانقسم المنطوق إلى الأوامر والنواهي ۝ والعموم ۝

والخصوص ٥ والمطلق ٥ والمقيد ٥ والمجمل ٥ والمبين ٥ ويقال المفسر أيضا ٥ وانقسم
المفهوم إلى مفهوم الموافقة وإلى مفهوم المخالفة ٥ وانقسم المعقول إلى أنواع القياس
والقياس إلحاق فرع بأصل في الحكم لعلة جامعة ٥ فالأوامر والنواهي من قوله تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٥ والعموم والخصوص من قوله
تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا وغير ذلك
من الآيات ٥ والمطلق من قوله تعالى في كفارة الأيمان أو تحرير رقبة ٥ والمقيد من قوله
تعالى في كفارة القتل والظهار فتحرير رقبة مؤمنة ٥ والمجمل والمبين من قوله تعالى
ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وغير ذلك ٥ ثم الأقوال مفتقرة إلى إثبات طريقها
وهو الأخبار الذي يعرف منه ما نقل تواترا وما نقل آحادا ٥ والأصل فيه قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ٥ ثم الأقوال قد تكون متفقة وقد تكون مختلفة
والاختلاف إما على وجه يصح معه الجمع أو لا ٥ فالأول كتعارض العام والخاص ٥ ومثاله
أن أحد الحنفية سئل عن القاتل إذا جاء إلى الحرم هل يجوز قتله فقال لا يجوز فطولب
بالدليل فقال الدليل قوله تعالى ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام وقرئ ولا تقاتلوهم
فإن أخذنا بالقراءة الأولى فالآية نص في الباب ٥ وإن أخذنا بالثانية كانت الدلالة
على امتناع القتل من باب الأولى فإنه إذا منع القتال المؤدي إلى القتل فأحرى أن
يمنع القتل ٥ فاعترض عليه بأن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فقال للمعترض هذا لا يليق بمنصبك ومكانك من العلم فإن هذه
الآية

الآية عامة والأخرى خاصة والخاص يسلط على العام وهو إشارة إلى إمكان الجمع بينهما والنسخ
إنما يكون إذا تعذر الجمع ٥ وأما إذا لم يصح الجمع فإما أن يعلم أن إحدى الآيتين متأخرة عن
الأخرى فتكون ناسخة كقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم
متاعا إلى الحول غير إخراج ٥ وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا
يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فالثانية ناسخة للأولى ولهذا احتيج إلى ذكر
باب النسخ في أصول الفقه ٥ وأما إلا يعلم التاريخ فيرجع إلى الترجيح إن وجد وهو مأخوذ
من دليل القياس فإنه مجاوزة واعتبار وكان داخلا في قوله تعالى فاعتبروا وإن
لم يوجد تساقط الدليلان ٥ ورجع إلى البراءة الأصلية ما تقدم من قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ٥ وهنا تظهر ثمرة الخلاف ٥ في أن لا حكم على
العقلاء قبل ورود الشرع ٥ ولا يحسن للعقل ٥ ولا يقبح ٥ ويتعلق بهذا المكان تعبدنا
بشريعة من قبلنا فإنه على قول من يراه أصلا عند فقد الأدلة وتعارضها وتساقطها
لا يصار إلى البراءة الأصلية إلا بعد فقده ودليله من الكتاب قوله تعالى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ٥ وقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده على قول من رأى أن المراد النبيون عليهم السلام ٥ وتفرع أيضا من
الكتاب العزيز الإجماع ودليله قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وأما

الأفعال فالمراد بها أفعال النبي صلى الله عليه وسلم والفعل لا دلالة له على الحكم بنفسه وانما
يؤخذ حكمه من دليل لفظي كما في قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون ٥ وأما الإقرار فمن
قوله تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دل بكونه ينهى عن المنكر مع عصمته من
الخطا أنه لا يقر على خطاء فمتى فعل بحضرته وعلم ولم ينكره دل على جواز ذلك الفعل واباحته
والأصوليين لا يفردون الإقرار فصلا وانما يذكرونه في تضاعيف الكلام لأنه قسم واحد
لا تفصيل فيه ولا تفريع فلم يحتج إلى أن يفرد بفصل كما أفرد غيره وما يجري ذكره في
أصول الفقه اشتمال الشيء على مصلحة ومفسدة وكون المفسدة راجحة أو مرجوحة وفي
الكتاب العزيز اشارة إلى الحكم في ذلك بقوله تعالى ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم
كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ٥ وأما خواتمه ومتمماته فهي الاجتهاد
وما يتعلق به من معرفة المفتي والمستفتي وما فيه الاستفتاء ٥ وادلته في الكتاب العزيز ثلث
آيات الأولى قوله تعالى ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم ٥ الثانية قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا يكتمونه ٥ الثالثة قوله تعالى فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٥
أشارت الآية الأولى الى ثلثة أمور المفتي والمستفتي وما فيه من الاستفتاء
والى امر رابع وهو كون ذلك المفتي مجتهدا ٥ وأشارت الثانية إلى أمور أحدها
المفتي الثاني وجوب الفتوى والبيان عليه ٥ الثالث ايضاح ذلك للمستفتي ٥ الرابع
ايضاحه لغير المستفتي ٥ وأشارت الثالثة إلى أمور احدها تعين السؤال على
الجاهل

الجاهل حتى يعلم ٥ الثاني عدم سؤال من يعلم وهم قسمان احدهما من حصل له علم المسألة لقو
المسؤول عنها ٥ الثاني من كان له أهلية الاجتهاد فانه يتعين عليه أن يجتهد ولا يقلد غيره
فإن ضاق عليه الوقت وخاف وخشي فوات الأمر فهل له أن يقلد غيره فيه تردد والأولى أن يقال
أنه يقلد في هذا المحل اذ لا فرق بينه وبين العامي لعدم اتساع وقته للاجتهاد فيدخل في عموم
قوله فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ٥ الثالث تعيين أهل الذكر بالسؤال ٥ والذكر هنا
يحتمل ثلثة أوجه أحدها وهو الظاهر العلماء على الاطلاق ٥ وخصوا بهذا الوصف لقوله
تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ٥ الثاني أن المراد بالذكر القرآن وأهل القرآن العالمون
بحلاله وحرامه العاملون بأحكامه الواقفون عند حدوده ٥ هم الذين تجب سؤالهم ٥ الثالث
المراد باهل الذكر اهل الخشية لله عز وجل والانقطاع إليه من العلماء لأنهم إذا رأوا ذكر الله
عز وجل كما جاء في الحديث ولأنهم الذاكرون الله على كل حال المعرضون عما سواه والله عز وجل
اعلم بمراده ٥ الا انا نعلم قطعا أن السؤال لأهل العلم لكن تخصيصهم بأهل الذكر تلوح فيه هذه
الفوائد والاحتمالات وعليها ينبني ما ذكره الأصوليون من تقليد العالم والأعلم ٥ والأورع
وغير ذلك ٥ الرابع الاشارة إلى أن السؤال مع العلم لا يسوغ لأنه يكون من باب تعنيت
العالم وهي الغلوطات التي وقع النهي عنها في الحديث والأصل الأغلوطات وقد جاء كذلك
في حديث آخر وما يتعلق بمسائل الاجتهاد تصويب المجتهدين في الكتاب العزيز
مما يمكن أن يستدل به للفريقين قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ٥ وحكي
أن بعض الأمراء هدم كنائس للنصارى ببلاد المسلمين وكان أبوه قد أقرها فكتب إليه

ملك النصارى ان اباك قد اقر الكنايس وانت هدمتها فاما ان يكون اباك قد اخطا في تركها او تكون
انت اخطات في هدمها فلم يدر ما يجاوبه به فبعث الى ابن عباس رضي الله عنه فبعث اليه
اليه ان اكتب اليه بهذه الاية وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم
القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما ۝ واعلم ان
مذهب مالك رحمه الله في هذه المسالة ان المصيب واحد ومن بديع ما يحتج به في ذلك
ما سمعته من الشيخ الفقيه ابي القسم بن الفقيه ابي عبد الله بن زكريا النوزري رحمه
الله وكان بارعا في الاصلين ۝ وفقيها على مذهب الشافعي ولد بالمشرق ونشا به
وقرا به كثيرا فسمعته يقول محتجا على ان المصيب واحد لو كان كل مجتهد مصيبا لكان
القايل بان المصيب واحد مصيبا ويلزم منه ان لا يكون كل مجتهد مصيبا واما علم
الفقه ففي الكتاب العزيز نحو خمسماية اية اشتملت على الاحكام منها تفرع علم
الفقه وهي معلومة مسطورة فلا نطيل بايراد بعضها وقد يقع من الاحكام ما ليس
مدونا في الغالب في كتب الاحكام كمثل ما سيل عنه مالك رحمه الله من ان اجرة الكيل
على من تجب فقال قال الله عز وجل فاوف لنا الكيل وتصدق علينا انها على البايع
وكان رحمه الله من انزع الناس بالكتاب العزيز ۝ وساله رجل فقال له اني رايت
رجلا مخلطا في كلامه فحلفت بالطلاق انه لا يدخل بطن ابن ادم شر من الخمر فردده
مالك رحمه الله ثلثة ايام ثم قال له اني عرضت كتاب الله عز وجل حرفا حرفا فلم ار
شيا يدخل بطن ابن ادم اشر من الربا قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما
بقي

بلغ مقابلة

بقي من الربا ان كنتم مومنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ورا عليه الحنث
وسيل بعض العلماء عن رجل حلف بطلاق زوجته انها احسن او اصلح من القمر فقال قال الله
عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ۝ وما وصف بذلك القمر ولم ير عليه حنثا
ومن هذا الباب ۝ ما افتى به الامام ابو عبد الله المازري رحمه الله حين سيل عن رجل
يسافر الى صقلية لاجل جلب الطعام الى المهدية في سنة مجاعة هل يكون سفره لاجل جلب
الطعام الذي فيه منفعة للمسلمين عذرا له في السفر الى دار الحرب حتى لا تسقط معه
عدالته فراى ان ذلك لا يكون عذرا له واحتج في ذلك بقول الله تعالى يا ايها الذين امنوا
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله ۝ فلم يجعل العيلة وهي الفقر والحاجة مبيحة لدخول المشركين الى المسجد الحرام
وكذلك لا تكون العيلة والحاجة عذرا لهذا المسافر وخالفه في ذلك غيره من الفقهاء
وكان ذلك بعد ان جمعهم السلطان في ذلك قال الامام ابو عبد الله فخاطبنا امامنا
اجمعين زيد والله اعلم الفقيه ابا محمد عبد الحميد بن محمد السوسي المعروف بابن الصايغ قال
وكان قد انفرد للعبادة في موضع اخر فورد جوابه موافقا لجوابي الذي يدل على ان
الذي اراد انه حكي عنه في موضع اخر انه قال اكلت يوما من النارنج وشربت من
ماء المطر فقلت الحمد لله اكلت اليوم حلالا وشربت حلالا قال فوقع في نفسي
ان قربتيه اخذت عنوة فتكدر على ذلك ۝ ومن هذا الباب ما اخبرني به
بعض اصحابنا قال سمعت الفقيه الامام ابا محمد عبد السلام البرجيني رحمه الله

بقول لما توفي داود الظاهري اتى ولده مجلس القاضي الذي كان ولاه القضاء فقال
له القاضي اذا وجب لك حق على رجل بشاهد واحد هل تحلف معه قال وكيف لا احلف
وقد امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم باليمين في ثلثة مواضع من كتابه قال فولاه
القاضي مكان ابيه ٥ والمواضع التي اشار اليها احدها قوله تعالى ويستنبئونك احق
هو قل اي وربي انه لحق ٥ والثاني قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل
بلى وربي لتاتينكم ٥ والثالث قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ٥
وهذا شان الائمة انه لا يفتي احد منهم الا مستندا الى دليل ٥ وهكذا يكون البحث عن ادلة
احكام القران **واما علم الفرايض** فمن قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية
وقوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة **واما علم الجدل**
فمن قوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ٥ وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن ٥ ومن مسايل الجدل هل على النافي دليل فقيل لا دليل عليه ٥ وقيل ان كان
نفيه يوجب حكما كان عليه الدليل والا لم يكن عليه ٥ وهذا من قوله تعالى وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين ٥ ومنها ان الانتقال عن الدليل هل يعد انقطاعا وفي ذلك تفصيل وهو
ان يقال ان كان الانتقال لايضاح الحجة واظهارها العباوة السايل فلا يعد
انقطاعا كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال
ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من
المشرق

المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر فابراد ابرهيم عليه السلام هذا الدليل انما
كان لاظهار الحجة وقطع امل السايل ٥ واظهار عباوته والا فالجواب في الاول
ظاهر لكل متامل فان ما ادعاه الكافر من الاحياء والاماتة بان يطلق رجلا وجب عليه
القتل فيكون ذلك احياء له ويقتل اخر فيكون ذلك اماتة له لا يجري ولا ينفع فان
كل من يسمع هذا الكلام يعلم قطعا انه ليس محل النزاع وانما محل النزاع ايجاد روح في
جسم لا روح فيه واعدامه من جسم فيه روح من غير سبب **واما علم** الادلة
والبراهين ٥ فمن قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ٥ ومن قوله تعالى
قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ٥ ومن قوله تعالى وقالوا ما
انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ٥ ومن قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
واما علم المكي والمدني فباعتبار السور والايات النازلة بمكة قبل هجرة النبي
صلى الله عليه وسلم والنازلة بالمدينة بعد الهجرة وقد يقع من ذلك ما اختلف العلماء فيه
وقد يقع ما يصدق عليه الوجهان مما نزل بمكة بعد الهجرة كقوله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع
فهي بهذا الاعتبار مكية وباعتبار انها مما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته
الى المدينة مدنية وكذلك القول في سورة الفتح التي نزلت في سنة ست في غزاة الحديبية
واما علم الناسخ والمنسوخ فمن قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير

منها أو مثلها ۝ ومن قوله تعالى وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر
بل أكثرهم لا يعلمون ۝ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى
للمسلمين ۝ ومن قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب **وأما علم**
أحكام القرآن فقد تقدمت الإشارة إليه **وأما علم** متشابه القرآن فعلى ثلاثة أقسام
أحدها المتشابه لفظا ۝ الثاني المتشابه معنى ۝ الثالث المتشابه لفظا ومعنى أما الأول
فكقوله تعالى في سورة البقرة وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ۝ وفي آل عمران
معدودات بالجمع فيقال ما فائدة التكرار مع زيادة الجمع ۝ والجواب ۝ أن يقال إن
لفظ الجمع هنا يدل على القلة لأن الجمع بالألف والتاء من جموع القلة ولفظ الإفراد يدل
على الكثرة وذلك والله أعلم إشارة إلى طائفتين من اليهود إحداهما التي قالت إنما
يمكثون في النار سبعة أيام عدد أيام العالم وهي سبعة آلاف سنة فيعذبون لكل
ألف يوما ۝ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ۝ والثانية التي قالت إنهم يعذبون
أربعين يوما قدر عبادتهم العجل فجاء قوله تعالى معدودات إشارة إلى الطائفة الأولى وقوله
معدودة إشارة إلى الطائفة الثانية والله أعلم وكقوله تعالى في سورة البقرة
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ۝ وفي سورة آل عمران قل آمنا
بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم فجاء في الأولى بإلى وفي الثانية بعلى والجواب
أن يقال إن لفظة على تقتضي العلو وهو دليل المباشرة والمقابلة ۝ وإلى تقتضي انتهاء الغاية
فكانت لفظة على أولى بقوله تعالى قل آمنا بالله وما أنزل علينا لأن الخطاب
هنا

هنا للنبي صلى الله عليه وسلم كما قال نزل عليك الكتاب بالحق ۝ وقال نزل به الروح
الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ۝ وكانت لفظة إلى أولى بقوله تعالى قل آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ۝
لأن الخطاب فيه للأمة فإن قلت كان يجب على هذا أن يقال وما أنزل
إلينا وما أنزل على إبراهيم فيؤتى عند ذكر الأنبياء بعلى قلت العرب لغتها
إذا صدرت بشيء أتبعته ما بعده وإن لم يكن موافقا له طلبا للمناسبة ۝ ومنه
قوله تعالى قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون ۝ قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ۝ قل من بيده
ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل فأنى
تسحرون فكان الأصل أن يقال في الآيتين الأخريين سيقولون الله من غير لام
كما قرأ أبو عمرو ولكن جاءت الآيتان باللام حملا على الآية المتقدمة حتى صار
قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم في معنى قل لمن السموات
السبع والعرش العظيم لأنه إذا كان ربها فهي له وكذلك الآية التي بعدها فلذلك
جاء قوله إلى إبراهيم بإلى للمناسبة والموافقة للنسق لما صدر ۝ وجواب ثان وهو
أن يقال إن إلى قد تقع موقع على وإن كان الأصل ما تقدم ۝ ومنه قوله تعالى
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ۝ وجه ذلك أن إلى موضوعة
لانتهاء الغاية في إنزال الوحي قبل التبليغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد التبليغ

إلى الأمة فجاز أن ترد إلي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي حق الأمة والله أعلم وقد تقع
على أيضاً موقع إلى والأصل ما تقدم ومنه قوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله
الناس قالوا نؤمن بما أنزل علينا وتأمل الفرق بين قوله تعالى في هذه الآية قالوا وفي
الآيتين الأوليين قولوا وقل فهما أن تعليم من الله عز وجل لصواب القول والأخرى حكاية
لقول المخالفين فكانت أقبل للمجاز من الأوليين والله أعلم ومن قبيل ما تقدم
قوله تعالى في سورة البقرة ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وفي
سورة الطلاق ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فثبتت قوله تعالى
منكم في الآية الأولى ولم تثبت في الثانية ووجه ذلك أن قلب النبي صلى الله عليه
وسلم خير قلوب الخلق وقد طهره الله عز وجل ونقاه وأزال حظ الشيطان منه فهو
أضوأ القلوب وأنورها وأشرفها وأكثرها لله عز وجل ذكراً وحمداً وشكراً والموعظة
إنما ترد على قلب تتطرق إليه الغفلة فكان ورودها غير لائق في حق من اهتدت
الخلق به وعصم من كل ما يوهم أدنى خيال من الغفلة وإذا عرفت ذلك فاعلم
أن الآية الأولى صدر الخطاب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم فاحتيج فيها إلى زيادة
ضمير المؤمنين حتى تكون الموعظة واردة على قلوبهم لا على قلب المعصوم صلى الله عليه
وسلم فوردت حيث يسوغ إيرادها والآية الثانية لما كانت مصدرة بخطاب
المؤمنين لم يحتج فيها إلى زيادة منكم لأن الخطاب الأول مغن عنه فلو أتى به لكان
حشواً من غير فائدة **ومما ينتظم** في هذا السلك قوله تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح

بالبصر

بالبصر وقال في الآية الأخرى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب لما كانت
نسبة الأمر إلى الله عز وجل حقيقة جاءت نسبة اللمح معها إلى البصر بالباء وهي الحقيقة
تقول لمحت ببصري لأن اللامح في الحقيقة الإنسان والبصر آلة له ولما كانت إضافة
الأمر إلى الساعة مجازاً جاءت معها إضافة اللمح إلى البصر أيضاً مجازاً فجاءت مجردة دون
الباء **وأما المتشابه معنى** فكقوله تعالى الرحمن على العرش استوى فإن استوى له
في اللغة معنيان أحدهما بمعنى علا واستقر كقوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك
على الفلك الثاني بمعنى كمل وتم ومنه قوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى وزاد بعض
الأصوليين معنى ثالثاً وهو معنى استولى وأنشد في ذلك

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وتأول عليه معنى الآية واعترض عليه بأن استولى إنما يستعمل في من كان له مخالف فقهره
وذلك في حق الله عز وجل محال فأما المعنى الأول فلا يصح حمل الآية عليه لتقدسه سبحانه
عن صفات الأجسام وكذلك المعنى الثاني لما يشعر به من حدوث صفة كمال بعد أن لم
تكن وذلك في حق الله عز وجل محال ولحظ بعضهم هذا المعنى الثاني والله أعلم إلا أنه
عبر عنه بعبارة ينتفي معها توهم حدوث الصفة فقال معناه ظهر في صفات كماله ولما
لم يمكن حمل الآية على هذه المعاني المعلومة لغة إلا بتأويل بعيد تنبو الطباع عنه علمنا أن
المراد بها معنى استأثر الله عز وجل بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه أو لم يطلع عليه إلا
من شاء من ملائكته أو أنبيائه عليهم السلام ووجب الإيمان بذلك والوقوف عن الخوض فيه

والبحث عن معناه وهذا هو السبيل المستقيم وطريق السلف رضي الله عنهم فانهم امنوا بها
وامروها على ما جاءت دون تعرض لتاويل ولا بحث عن معنى ولذلك قال مالك رحمه
الله للذي سأله عن هذه الاية فقال له ما معنى استوى فقال الاستوا معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة واذا خاف ان تكون ضالا فحذره من
الخوض في مثل هذا لان الخوض في المتشابهات يدعوا الى الزيغ والضلال واطبق العلماء
كلهم على استحسان جواب مالك رحمه الله في هذه المسئلة وهو اول من افترع هذا
المعنى واقتضب هذا الجواب البديع وانها لفضيلة خصه الله عز وجل بها وقرينة اثره
بها دلت على سمو مرتبته في المعارف واقتفائه لسيرة السلف الصالح وان علمه لم
يكن مقصورا على معرفة الاحكام وتفاصيل الحلال والحرام ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم وطريق النجاة في هذه المضايق ان يقول المكلف
ما تقدم من قول القائل امنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وامنت بالرسول
وبما جاء عن الرسول على مراد الرسول صلى الله عليه وسلم واعلم ان هنا وجها
يجوز ان يتاول الاستواء عليه وهو ان يكون المراد بقوله تعالى استوى تصرف قدرته
في مخلوقاته من اعلى العرش الى منتهى الفرش الى ما لا يعلمه الا هو كما يقال استوى فلان
على سرير الملك والمراد في ذلك نفوذ اوامره وقضاياه في جميع بلاده وليس هنالك
سرير على الحقيقة والله عز وجل اعلم بمراده ومن هذا القبيل ما جاء في الحديث
من ان النار تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط اي حسبي

حسبي

113

حسبي وهذا الحديث يحتمل وجهين احدهما ان يكون الجبار فيه اسما من اسما الله عز وجل
والثاني ان يكون المراد بالجبار فيه اسم جنس الجبابرة فيكون الالف واللام فيه للجنس
فيكون المراد حتى يلقي الله عز وجل فيها الجبابرة ويدخلهم اياها فتكتفي لشدة انتقامها منهم
واما الوجه الاول فيحتمل ان المراد بالقدم خلق يقدمهم الله عز وجل للنار فيملؤها بهم
ويحتمل ان يكون المراد بقوله حتى يضع الجبار قدمه اي يذلها ويقهرها كما يقال وضعت هذا
الامر تحت قدمي اي اطرحته وتجاوزت عنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الا
ان كل دم ومال وماثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هاتين وهذا الوجه احسن
الوجوه في تاويل الحديث وهو مناسب لما تقدم ذكره اخرا في معنى الاستواء واما
المتشابه لفظا ومعنى فمثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى على ان يكون
الضمير عائدا على الله عز وجل لا على جبريل عليه السلام ولا على النبي صلى الله عليه وسلم فالدنو
والتدلي اذا اضيفا الى الله عز وجل كان ذلك من المتشابه معنى لانهما من صفات الاجسام
وذلك لا يليق بجلال الله عز وجل الذي ليس كمثله شيء والقوسان في هذه الاية من
المتشابه لفظا فان الظاهر من القوس في لغة العرب القوس المعروفة وعلى ذلك حمل
الاية بعض المفسرين وقال غيره المراد بالقوس هنا ذراع تقاس بها الاطوال
وقد اختلفوا في قوله تعالى قاب قوسين بعد اتفاقهم على ان القاب القدر فقيل المراد
قدر قوسين عربيتين وقيل المراد قدر الوتر من القوس مرتين وقيل معناه من
طرف القوس الى طرفه الاخر وكذلك قوله تعالى او ادنى فان او من الالفاظ

المشترك والمشترك إذا وقع في القرآن فهو من المتشابه ولذلك اختلف المفسرون في
قوله تعالى أو أدنى فقيل أو بمعنى الواو وقيل بمعنى بل وقيل المراد بقوله أو أدنى طرف
القوس وهو ما وراء معقد الوتر إلى طرف القوس والأولى أن نجعل ذلك من باب التشكيك
الراجع إلى السامعين والمعنى والله اعلم لو اطلعتم على ذلكم لعلمتم قاب قوسين أو أدنى
كما قال في الآية الأخرى إلى مائة ألف أو يزيدون فنبه على هذا الإشارة إلى افراط
القرب حتى يتشكك الناظرون في ذلك وهذا ضرب من البديع ويعرف بالتشكك
ومنه قول ذو الرمه فياظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقاء آأنت أم أم سالم
فإن قلت كيف وردت هذه المتشابهات في القرآن مع قوله تعالى هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين وهي لا بيان فيها في الظاهر وربما أوقعت شكا عند
بعض العقول القاصرة أو اعتقادا لما لا يجوز اعتقاده قلت يحتمل أن يقال في
ذلك والله أعلم أن الخلق كلهم كما تقدم لا يدركون من الأشياء إلا الأسماء وهذه
الأمور السامية عن مدارك العقول لا يمكن التعبير عن حقايقها لأن العبارة المطابقة
لحقايقها ليست معلومة عند الخليقة فلو خوطبوا بها لم يفهموها ولم يدركوا معناها
ولكان خطابهم بها كخطاب العربي بالعجمية فقربت تلك المعاني إلى الأفهام بالأمثلة
التي تعرفها وتدركها حسا ولا تمارى فيها وإليه الإشارة والله اعلم بقوله تعالى ويضرب
الله الأمثال للناس وقوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون
ففهموا من هذه الآية الإشارة إلى افراط القرب ونفوا الكيفية عن ذلك لعلمهم أن هذا
المقام

المقام لا مجال للعقل فيه وإنما حظها فيه الإيمان والتعظيم والانقياد والتسليم وبهذا
الاعتبار يندفع الإشكالات العارضة كلها في متشابه القرآن والسنة والشفاء في ذلك
قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله فلذلك أمروها السلف رضي الله عنهم على ما جاءت
وأمسكوا عن الكلام في تأويلها وامتثلوا في ذلك قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون
آمنا كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب وقد جاء في صحيح البخاري عن عايشة
رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون
في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم
فإن قلت لم لم يصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بصفتهم أو يعينهم فالجواب أن
يقال يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم أضرب عن صفتهم لأنهم من قبايل شتى وأصناف
مختلفة فلو عدد صفتهم لأدى إلى الطول وكلامه صلى الله عليه وسلم مبني على الإيجاز
والاختصار فنبه على الوصف الجامع لهم وهو تتبع ما تشابه من الكتاب فكان ذلك
كالتنبيه على العلة في القياس التي يشترك في حكمها كل ما شارك في وصفها وهذا من جامع
الكلم وأما كون القرآن مع ذلك بيانا فعلى وجهين أحدهما أن يراد بذلك المتشابه
وغيره بيانا أن يفهم منه معنى يليق نسبته بالموصوف كما يقال المفهوم من الاستوا انصرف

القدرة وسريانها في الموجودات ۝ والمفهوم من الآية الأخرى إفراط القرب ۝ وأما أن يراد بذلك ما عدا المتشابه فيكون من باب العام المخصوص ويكون في ذلك كله البيان والهدى ۝ وأما كون بعض الناس قد يتأذى بذلك أو يتشكك فليس بمانع من كونه بيانا وهدى ولا قادحا في الحكم العام كما تقول أن الخبز العام مقيم للبنية ومصح للجسم وقد يأتي مريض يضره أكله ولا يقدح ذلك في القاعدة الكلية **وأما علم** مشكل القرآن ۝ فأما مشكل الإعراب ۝ وأما مشكل اللفظ ۝ وأما مشكل المعنى ۝ فمن الأولى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ۝ فإن قوله تعالى سواء عليهم فيه وجهان أحدهما أن يكون خبرا لقوله تعالى إن الذين كفروا الثاني أن يكون مبتداء وإن كان نكرة لأن الفائدة مقترنة به فعلى الوجه الأول يكون قوله تعالى أأنذرتهم في محل رفع به لأنه الفاعل ۝ وعلى الثاني يكون في محل الخبر وكلا الوجهين فيه إشكال فإن الفاعل يتسلط عليه الفعل ويطلبه ۝ وكذلك الخبر يطلبه المبتدا طلب التلازم والاتفاق لا طلب تباين وافتراق ۝ وقوله تعالى أأنذرتهم فيه همزة التسوية وهي في الأصل همزة الاستفهام والكلام معها مقطوع مما قبله وفي حكم كلام آخر ولا يصلح للأول فيه عمل فكيف يسد هذا الاستفهام مسد الفاعل ومسد الخبر والجواب أن يقال أن هذه اللفظة في هذا المكان في حكم ما خلع عنه الاستفهام ولذلك يسوغ فيها أن يسد مسد الفاعل والخبر وصار التقدير سواء عليهم الإنذار وعدمه ومن ذلك قوله تعالى ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم بفتح أن فإن هذا يهدم قاعدة عظيمة من قواعد النحو وهي قولهم كل موضع تتعاقب عليه الجملتان الاسمية والفعلية

فإن

فإن فيه مكسورة وكل موضع يتفرد بأحدهما فهي بخلافه فهذا الموضع مما يتعاقب فيه الجملتان وقد جاءت فيه مفتوحة وأيضا فإن أن إنما تفتح إذا وقعت موقع المفرد لا موقع الجملة وهنا وقعت موقع الجملة باتفاق والجواب أن يقال أن أن هنا في موضع مبتداء محذوف الخبر وقدره بعض النحاة بحذف الجر فقال معناه فعليه أن له نار جهنم ويجوز أن يجعل أن خبر مبتداء محذوف ويقدر بالاسم فيقال المعنى فحكمه أن له ۝ وكذلك قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه على قراءة من قرأ بالفتح وأما قراءة الكسر فلا إشكال فيها **وأما مشكل اللفظ** فمثل قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف فظاهره أنه تفعل من الخوف ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه جاءه رجل فقال

سع تخوفني مالي أخ لي ظالم ۝ فلا تخذلني اليوم يا خير من بقي ۝

فقال له معنى تخوفك تنقصك قال نعم قال الله أو يأخذهم على تخوف أي تنقص من خيارهم وروى عنه أيضا أنه قال ما كنت أعرف معنى قوله تعالى فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلي رجلان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها فقلت له ما معنى فطرتها قال ابتدأتها ۝ ومنه قوله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا أي أفلم يعلم وهي لغة هوازن **وأما مشكل المعنى** فمثل قوله تعالى فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ۝ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ۝ والإشكال في الآيتين من وجهين أحدهما أن السموات تطوى يوم القيامة لقوله

تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ۝ والأرض تبدل لقوله تعالى يوم تبدل الأرض
غير الأرض ۝ والثاني في وجه الاستثناء في الأبدين ۝ أما الأول فقيل المراد بذلك سماء
الجنة وعلى هذا فالمراد بسماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبدا وأما الثاني فإن المراد والله
أعلم في حق أهل النار الوقت الذي تفتر النار عنهم فيه على ما ذكر بعضهم من أن الله عز
وجل يبعث جبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة ليطلع على أحوال العصاة من
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه أعلم بحالهم فإذا اطلع على النار خمدت بقدرة الله
عز وجل فيقول أهل النار من هذا الذي رحمنا الله عز وجل به فيقال جبريل أو غيره فحينئذ
يقول العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ نبينا صلى الله عليه وسلم السلام
منا وعرفه بأحوالنا فحينئذ يشفع النبي صلى الله عليه وسلم في العصاة فيخرجون من النار
بفضل الله تعالى وبركة نبيه عليه السلام ۝ وأما في حق أهل الجنة فالمراد والله أعلم الوقت
يزورون فيه ربهم جل جلاله وتقدست أسماؤه ويكشف الحجب عن وجهه الكريم
ويتجلى لهم فإنهم يكونون في ذلك الوقت في نعيم أعظم من نعيم الجنة بل لا يقاس به
نعيم ولا نعيم أجل منه ۝ ويغيبون عن نعيم الجنة فلا يحسون به لما غمرهم من النعيم الذي
لا تحيط الأفكار بكنهه ولا تبلغ الألسنة إلى وصفه ۝ واعلم أنه قد تركب بعض هذه
الأقسام فيأتي الإشكال في اللفظ والمعنى ۝ كقوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وهذا
على وجهين إما أن يكون المراد علمهم في هذه الدار فيكون المعنى أن علمهم في هذه الدار تساوى في علم
اليقين بالآخرة أي كلهم يشك فيها أو يجحدها وإما أن يكون المراد علمهم في الآخرة يتساوى في
تيقن

تيقن الآخرة يوم القيامة ففي الآية حذف على التقديرين ۝ فعلى الأول تقديره تساوى
عليهم في إنكار الآخرة ۝ وعلى الثاني تساوى عليهم في تيقن الآخرة حين عاينوها ۝ وأما
اللفظ فإن قوله تعالى ادارك فعل معتبر وأصله تدارك ثم زيدت عليه ألف للمبالغة وأدغمت التاء في
الدال واجتلبت همزة الوصل ليتوصل إلى النطق بالساكن ومثله قوله تعالى فادارأتم فيها
ومعنى تداركوا في اللغة تلاحقوا واجتمعوا ۝ ومنه قوله تعالى حتى إذا اداركوا فيها جميعا
ومن هذا القبيل قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم قيل معناه ردفكم واللام زائدة
والمعنى تبعكم ولحقكم ويجوز أن يكون التقدير ردف بسالفا لكم أي عذابا بسالفا لكم
ثم حذف المفعول ۝ وحذف المفعول أسهل من جعل اللام زائدة ۝ وقد يأتي الإشكال
في الإعراب واللفظ كقوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا قيل التسنيم أشرف شراب في
الجنة يشرب به المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة ۝ وفي انتصاب قوله تعالى عينا أي
مرتفع عليها فوضع المصدر موضع اسم الفاعل ۝ الثاني أنه منصوب على الاختصاص بإضمار
أعني ۝ الثالث أنه منصوب على الحال أي ومزاجه من تسنيم في حالة كونه عينا أي جاريا
وهذا على أن التسنيم هنا معرفة لأن المراد به شراب بعينه أو على رأي من يجيز الحال
من النكرة إذا أفادت ۝ ويجوز أن يكون قوله عينا منتصبا على التمييز المنقول على الفاعل
أي من شراب منبعه عينه أي مرتفعه ۝ وقد يأتي الإشكال في اللفظ والإعراب والمعنى
في آية واحدة كقوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين الآية فإنها تدل
بظاهرها على أن خلق السموات والأرض كان في ثمانية أيام ۝ وقوله تعالى الله

الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدل على خلاف ذلك
والجواب عن هذا الإشكال أن يقال قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين معناه في تمام أربعة أيام فانك إذا
قلت سار زيد إلى البصرة يومين وخمسة أيام احتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد سبعة
أيام على ظاهر اللفظ ۝ والثاني أن يكون المراد خمسة أيام منها اليومان المتقدمان وكذلك
إذا قلت سار زيد إلى البصرة يومين واجتهد في المسير إليها خمسة أيام ويدل على
صحة احتمال اللفظ لذلك قوله تعالى فصيام ثلثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم
تلك عشرة كاملة لما كان قوله تعالى وسبعة إذا رجعتم محتملا أن يكون أصلا فتكون
الجملة عشرة أو تكون الأولى من السبعة ويكون المراد بصيام السبعة تمامها جاء
قوله تعالى تلك عشرة كاملة رافعا لهذا الاحتمال ۝ وبه صار اللفظ نصا في العشرة
لا يحتمل تأويلا ۝ فاما لو قلت سار زيد إلى البصرة يومين وخاط الثوب في خمسة أيام
لم يدخل الأول في الثاني للمباينة ۝ وكذلك لو قلت سار إلى البصرة يومين وإلى الكوفة ثلثة
أيام ۝ ومن قبيل الآية الأولى قوله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة وأتممناها
بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وبه تظهر الفائدة في قوله تعالى فتم ميقات ربه
أربعين ليلة وبه صار نصا في الأربعين ۝ وأما إشكال الإعراب في الآية ففي قوله
تعالى سواء للسائلين وفيه أقوال أحدها أنه منصوب على الحال ۝ وذلك من وجهين
أحدهما من الأقوات ۝ والثاني من قوله تعالى أربعة أيام لأنه صار كالمعرفة لأن المراد
أيام

أيام معلومة فالتقدير على الأول ۝ وقدر فيها أقواتها مستوية للسائلين على ما سبق في علمه
وعلى الثاني في أربعة أيام مستوية أي في حال استوائها وتمامها وليس المراد على قوله
الأول الاستواء في القدر فان الأرزاق مختلفة في القدر وانما المراد والله أعلم استواؤها
في ايصال رزق كل ذي رزق إليه ۝ والوجه الثاني أنه منصوب باضمار فعل أي جعلها سواء
وفي قوله تعالى وحفظا إشكال أيضا فان عطفه على قوله بمصابيح لا يصح ولا ينتظم
فوجب أن يقدر له فعل ينصبه أي وجعلناها حفظا وأما إشكال اللفظ في الآية فان قوله
تعالى سواء ورد مفردا مذكرا بعد ذكر الأيام وذكر الأوقات وهي مؤنثة والجواب
أن يقال ان هذا اللفظ أجرته العرب مجرى المصدر فلم تثنه ولم تجمعه ولم تؤنثه وخالفت به
أمثاله ولذلك قالت هذان لا سواء أي ليسا مستويين فاما قولهم سواسية فقليل ۝
وشاذ ومستنكر لفظا **وأما علم لطائف القرآن** واشارته فمثل قوله تعالى وإذا
سألك عبادي عني فاني قريب إشارة إلى أنهم لما اختصوا بالاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم
حتى خصهم بتشريف النسبة إليه فقال عبادي قربهم الجليل جل جلاله بغير الواسطة فقال
إني قريب ولم يقل قل لهم إني قريب كما قال في غير هذه الآية ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفو وأمثال ذلك كثير ۝ ومن ذلك ۝ قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
قال هي عصاي إلى قوله فاذا هي حية تسعى فيه إشارة إلى أن كل من سكن إلى غير الله عز وجل
فقد يكون إلا غير مسكون إليه فان العصا عادت حية يفر منها بعد أن كان يسكن إليها فكان
في ذلك إشارة إلى أن السكون إلى غير الخالق جل جلاله مضر غير نافع ۝ ومن ذلك ۝

أيضا قوله في قصة يوسف عليه السلام إخبارا عن إخوته لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا
إذا لخاسرون ۝ وفي الآية الثانية قول يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه إلا كما
أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين ۝ فلما توكل على الله عز وجل رجع
إليه الولد الأول والثاني ۝ **وأما منافع القرآن** فمثل ما جاء أن فاتحة الكتاب رقية
من السم ۝ وأن آية الكرسي من قرأها إذا أوى إلى فراشه كان عليه حافظ من الله
عز وجل حتى يصبح وهذا في صحيح البخاري ۝ ومثل ما جاء في تفسير قوله تعالى وإذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أنها ثلاث آيات إحداها في
النحل وهي قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم
الغافلون ۝ والثانية في الكهف وهي إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ۝
والثالثة في الجاثية وهي قوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم بسمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة ۝ وأن رجلا أسره الديلم فعلمها فخرج وخرجوا في أثره يطلبونه
فكان يسمع كلامهم ولا يرونه ۝ واتفق لآخر أسرته الروم مثل ذلك ۝ ومثل ما روي أن بعض
الخلفاء نزل على مدينة من مدائن الروم فقارب أخذها فصالحه أهلها على أن يسلموها بعد
أيام فلما كان اليوم الذي اتفقوا عليه أن يدخلها فيه طلع قسيس على الحصن فقال لهم ليس
اليوم ميعادنا مع الأمير فما أمسكه عنا فقالوا له إنه محموم مريض شديد المرض
فقال لهم عندنا شيء إن لبسه شفي ويرحل عنا فشاوروا الأمير فأجابهم إلى ذلك فأعطوه
برنسا فلبسه فلما لبسه شفي ورحل عن القوم وبقي في نفسه شيء من الحصن فلما كان
العام

العام القابل نزل عليهم فافتتحها ونادى بالقسيس وأخذ البرنس ففتحه فوجد فيه بطاقة فيها
مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ۝ بسم الله الرحمن الرحيم
يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ۝ بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة ۝ بسم الله الرحمن الرحيم اسكن أيها الوجع والضربان وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع العليم ۝ بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ۝ وهذه الرقية مجربة النفع
وأما علم الطب فمن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء
للناس وانظر إلى ما يركبه الأطباء من معاجين وغيرها فلا يكاد تجد فيها شيئا يستغني
عن العسل **وأما علم** تعبير الرؤيا فاعلم أن كل ما مدح في الكتاب العزيز أو كان من
أوصاف المؤمنين فهو محمود في الرؤيا وما كان على العكس فهو على العكس من ذلك وسيأتي
لهذا مزيد بيان في الباب الأخير إن شاء الله عز وجل ۝ ومن غريب استنباط الرؤيا من
القرآن ما أخبرني به الوالد نور ضريحه أن صاحب القيروان وأراه المعز بن باديس
أو أحد أولاده والله أعلم رأى أن النجوم اجتمعت فكتبت في السماء واوين وحرف
الجر الذي هو في وثلث واوات بعدها فسأل عن ذلك أبا الحسن علي بن أبي طالب العابر
القيرواني فاستنظره حتى ينظر ثم أتاه فأخبره أن ملكه يذهب لعشرة أعوام
فقال ومن أين أخذت ذلك قال نظرت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأخبار
وفي جميع ما يدل على التفسير فلم ألف شيئا فقلت الله عز وجل يقول في كتابه العزيز ما

فنظرت في الكتاب الطور

فرطنا في الكتاب من شيء فوجدت هذه الآية والطور وكتاب مسطور في رق منشور
والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع
فعرفت أن ذلك تأويلها قال ومن أين أخذت أن ذلك يكون لعشرة أعوام قال لأن
الواو من حروف العطف وحروف العطف عند النحويين عشرة وأما علم نظم القرآن
فهو أحد الوجوه التي يعلم بها إعجاز القرآن ولا بد من ذكر نكتة منه تنبئ عن المقصود ٥
ومن ذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب وفيه إشكال فإن اسم الإشارة
الذي هو ذلك إشارة البعيد والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أنزل إليه الكتاب
فمقتضى النظم أن يقال هذا الكتاب لأنه قريب منه صلى الله عليه وسلم والجواب أن يقال
الإشارة بقوله ذلك والله أعلم إلى ما تقدم نزوله قبل هذه السورة إلى هذه السورة وغيرها
مما يسبق في علم الله عز وجل أن ينزل فإن هذه السورة نزلت في أول قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة وحينئذ ابتدئ نزول الأحكام فصار ما تقدم نزوله في حكم البعيد ٥ فكان الأليق بالإشارة
إلى ما تقدم نزوله بمكة وإلى ما ينزل الآن وما ينزل بعد لفظة ذلك لا لفظة هذا والله أعلم
وقوله تعالى وعلى سمعهم بالإفراد لأن السمع في أصل الوضع مصدر سمع ثم تسمى به الأذن
مجازا وجمعه باعتبار الوجهين لا يجوز أما باعتبار الأصل فإن المصادر لا تجمع إلا بتأويل ولا حاجة
إليه هاهنا ٥ وأما باعتبار المجاز فإن قياس جمعه أسموع وذلك لم يسمع فيه ٥ وقد جاء قولهم
أسماع إلا أنه متروك لوجهين أحدهما أنه قليل ٥ والثاني شاذ في بابه لأن فعلا الصحيح الساكن
العين لا يجمع على أفعال إلا شاذا وقوله تعالى لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده

بلغ مقابلة

جا ههنا لفظة لمولود له ولم يجئ لفظ الوالد كما جاء في الوالدة لأن الأمور في هذه الدار مبنية على
الظاهر وولادة المرأة أمر محقق فإن أمارات الحمل والوضع لا تخفى والوالد أمر غيب فكونه
والدا لا يطلع عليه ولا إمارة تدل عليه إلا من جهة الظاهر فكان اللفظ الذي يصدق
عليه باعتبار الحق في نفسه قوله تعالى ولا مولود له ٥ وجاء لفظ الوالد في الآية الأخرى
وهي قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
لأن ذلك إخبار عن أمر الآخرة التي تبدو فيها الحقائق ويعرف الوالد من غيره والله أعلم ٥
وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا
فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ٥ وفي الآية الأخرى
من معروف ٥ بالتنكير وذلك والله أعلم لأن الإشارة بالتعريف وقعت إلى النكاح
أي ما يفعلن (بأنفسهن) من النكاح بالمعروف فصار المعروف هنا مقصودا به أمر معين فكان الأليق
تعريف المعروف ٥ المنسوب إليه ٥ وفي الآية الأخرى وقعت الإشارة إلى ما فعلن في
أنفسهن مطلقا فكان الأليق تنكير قوله من معروف ٥ وكذلك جاء الأول بالباء التي
تقتضي الإلصاق ٥ والثاني بمن التي هي لابتداء الغاية ٥ ويؤيد ذلك أن حكم العدة
بالأشهر والأيام في الآية الأولى ناسخ لحكم العدة في الآية الثانية فكان النكاح من
ثمرة الأولى لا الثانية ولا يمنع من ذلك كون الآية الثانية نزلت قبل الأولى لأن الله
عز وجل عالم بما يؤول إليه الحكم والله أعلم بما ينزل فنزلت الأولى مع العلم بأنها تنسخ
وجاء قوله تعالى من معروف فيها منكرا على حسب ما يؤول إليه الأمر مما يسبق علمه في

الأول وقوله تعالى فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شيء مما كسبوا ٥ وفي الآية الأخرى لا يقدرون مما كسبوا على شيء ٥ يقال ٥ ما الفائدة
في تقديم قوله تعالى على شيء في الآية الأولى وتأخيره في الثانية والجواب ٥ أن يقال الآية
الأولى هي والله أعلم في صفة المنافق فإنه قال فيها كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر والمنافق ينتفع بما يعمل في الدنيا لأنه تحقن بذلك دمه وتنكح إليه إذا خطب
وتجري عليه أحكام الإسلام فكان الأليق بحاله تشبيه عمله بتراب على صفوان وإذا
جاء الموت ذهب ذلك كله كما يذهب التراب عن الصفوان إذا أصابه الوابل وهو
المطر الغزير فلما كانت هذه الحالة يظهر فيها للعمل ثبوت في الدنيا وقع التشبيه بما يشعر
بالثبوت وكان الأليق بالنظم تقديم قوله لا يقدرون على شيء قبل قوله مما كسبوا
أي لا يقدرون على شيء من ذلك الثابت في الظاهر وكذلك كان إطلاق الشيء
على الموجود بوضع الاتفاق وإنما الخلاف في إطلاقه على المعدوم ٥ وأما الآية
الأخرى فإنها في صفة الكافر فإنه تعالى قال مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف فلما كان الكافر لا ينتفع بشيء من عمله لا في الدنيا ولا في
الآخرة لم يكن لعمله حالة يتوهم فيها ثبوت ألبتة فكان الأليق تشبيهه بالرماد من وجوه
أحدها ما يدل عليه من عمل أهل النار ٥ الثاني أنه بالشبه إلى التراب ألطف أجزاء
الثالث أنه قريب الشبه من الهباء المنثور لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا فتكون هذه الصفة فيه دالة على المثال ٥ الرابع أن التراب ربما ينتفع به في
البناء

البناء وغيره والرماد لا ينتفع به في الغالب فكان الأحسن هنا تقديم قوله مما كسبوا لما يشعر
به التشبيه من الانتفاء بخلاف الأول المشعر بالثبوت ولذلك والله أعلم جاء هنا قوله
اشتدت به الرياح في يوم عاصف أي في تلك الحالة دون تأخير فهذا إشعار بعدم المنفعة
والثبوت جملة ولذلك لم يأت معه فاء التعقيب ٥ كما أتت في الأول ولا جرى ذكر المكان
الذي استقر عليه كما ذكر الصفوان الشديد الملابسة في الأول ٥ وجاء ذكر الصفوان ٥ في
الأول إشارة إلى أن ذلك العمل لا يصدق له بجملته وأن ذلك الفعل لا يؤثر منفعة لا في
قلب ذلك المنافق ولا في بدنه وإنما له أثر اللصوق لا العلوق ولذلك جاء الماء أذهبه
ولم يبق منه شيئا بخلاف التراب إذا كان على الأرض فإن الماء ربما لم يذهبه بجملته بل تبقى
منه بقية ويؤيد ما تقدم ذكره في الكافر قوله تعالى مثل الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ٥ فلما كان السراب لا ثبوت له في الحقيقة
ولا وجود وإنما هو خيال ماء يلوح للبصر ولا حقيقة له شبه به عمل الكافر الذي لا حقيقة
له كما جاء تشبيهه بالرماد الذي تذروه الرياح وتشتد به في يوم عاصف لأنه عمل لا
يثبت له انتفاع لا في الحال ولا في المآل والله أعلم وقوله تعالى إذا تداينتم بدين إلى
أجل مسمى فاكتبوه يقال ما الفائدة في قوله بدين ولفظ تداينتم يدل عليه وأجاب بعضهم
عن هذا السؤال بأن الفائدة في ذلك أن يكون الضمير في قوله تبارك وتعالى فاكتبوه
عائدا عليه وقد يقال على هذا الجواب الضمير يعود على ما يدل عليه اللفظ كما يعود على
الملفوظ به وقد جاء ذلك في قوله تعالى على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى فعاد

الضمير على العدل الذي دل عليه اعدلوا فهلا كان هنا كذلك واذا ظهر هذا الاعتراض
فالجواب ان يقال ان لفظ تداينتم يحتمل وجهين احدهما ان يكون بمعنى تعاملتم بالدين والثاني
ان يكون بمعنى تجازيتم كما قال في بيت الحماسة دناهم كما دانوا ومنه قولهم كما
تدين تدان فجاء قوله تعالى بدين لرفع الاجمال ودفع الاحتمال والله اعلم وقوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت يقال ما الفائدة في الزيادة في الفعل الثاني دون الاول
فيحتمل ان يقال الاصل في الاعمال فعل الطاعات لقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه فدل على ان فعل الطاعة
هو الاصل فلم يحتج الفعل معها الى زيادة على الاصل فكان ايراد الزيادة لايقا بالموضع الذي
حصلت الزيادة فيه وهي اكتساب المعصية وهذا يلاحظ اصلا يقرره النحويون
وهو ان الاصل لا يفتقر الى علامة بخلاف الفرع وعليه جاء قولهم قام زيد وقامت
هند وقوله تعالى في هذه السورة ويقتلون النبيين بغير الحق فيه سؤالان
احدهما ما الفائدة في قوله تعالى بغير الحق وقتل الانبياء لا يكون ابدا الا كذلك الثاني
ما الفائدة في تعريف الحق في هذه الاية وتنكيره في الاية التي في ال عمران والجواب
عن الاول ان يقال ان التقييد بذلك راجع اليهم والى اعتقادهم اي انهم قتلوهم مع
اعتقادهم انهم لا يستوجبون القتل وليسوا ممن غلط في ذلك ولا ممن توهم لشبهه
ان قتلهم جائز بل ايقنوا ان ذلك على غير الحق ثم ارتكبوه وهذا اشد في وصفهم بالعتو والجراة
على الله عز وجل وعن الثاني ان الفائدة في تعريف الحق هنا الاشارة الى انه معهود معلوم
لانه

لانه في وصف قوم مخصوصين فانه قال جل وعلا ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق فدل على انه حق معهود فكانت الاشارة اليه مخصصة كما
كان ذكر الفاعلين مخصصا واما الاية التي في ال عمران فلانها لما لم يكن لقوم مشار
اليهم في ما سلف بل هي حكم عام جاء بالفعل المضارع وهو يعطي الحال الدائمة فيدخل
فيه من كان ومن يكون وذلك قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس جاء ذكر الحق فيها منكرا لان الوصف
لما كان بصيغة الاستقبال الذي يدخل فيه كل من اتصف بتلك الصفة في الحال والاستقبال
كان ذلك في حكم الموصوف للنكرة وخرج عن حد التعريف والعهد فجاء الحق منكرا لاجل
ذلك للمشاكلة في المعنى وعدم العهد الموجب للتعريف والله اعلم فان قلت فقوله
تعالى في سورة ال عمران وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق جاء فيه ذكر الحق منكرا مع انه في قوم
مخصوصين قلت الوصف هنا وان كان لقوم مخصوصين الا انه لما اشتمل على
الاشارة الى حالهم التي كانوا عليها وهي حرصهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم وسعيهم
في ذلك حتى سموه في الذراع وهموا بالقاء الصخرة عليه حتى اوحي اليه بذلك فقام من مكانه
ذلك وعلى الاشارة الى ابائهم الذين اذوا الانبياء السابقين فان هذه الاية في صفة اليهود
لعنهم الله كان الاليق هنا تنكير الحق لانه ليس بحق معهود كما تقدم ولذلك جاء ذكر الانبياء
هنا جمع الكثرة بخلاف الاولين والله اعلم وقوله تعالى في اول سورة البقرة هدى

للمتقين في وصف الكتاب العزيز ۝ وقوله في آل عمران هدى للناس في وصف التوراة
والإنجيل يقال هذا يؤذن بأن من اهتدى بالكتاب العزيز أقل ممن اهتدى بالتوراة والإنجيل
وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أُري أمة موسى عليه السلم ثم أمة عيسى
عليه السلم ثم أمته بعد ذلك فكانت أكثر من كل أمة منهما ۝ وقد قال بعض
العلماء في الجواب عن هذا الإشكال أن الآية الأولى خاصة ۝ والثانية عامة والخاص
يبين العام كأنه قال هدى للناس المتقين ۝ وهذا الجواب فيه نظر وعندي أن إحدى
الآيتين لا تخص الأخرى بل كل واحدة منهما منفردة بحكمها وقد برز معناها ومدلولها على
نحو ما سبق به الإخبار في الأزل وهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لما تضمنت
من الإخبار بالغيب ۝ وبيان ذلك أن وصف هذه الأمة بالتقوى دليل على تمكن الإيمان
والتوحيد في قلوبهم ولذلك لم يقع من هذه الأمة والحمد لله إشراك بالله عز وجل
ولا عبادة لغيره ولا خلاف على نبينا صلى الله عليه وسلم ولا سُمع أن طائفة قط ولا
جماعة ارتدت عن آخرها من هذه الأمة ۝ وأما اليهود فإنهم عبدوا العجل في زمن نبيهم
صلى الله على نبينا وخالفوا عليه وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون
وقالوا عزير ابن الله ۝ والنصارى رجعوا كلهم عن دين المسيح صلوات الله على نبينا وعليه
فإن دينه الذي جاء به التوحيد فرجعوا كلهم عنه وقالوا بالإشراك وانقسموا في ذلك على
ثلاث طوائف كلهم مشرك على ما تقدم ذكره وهذا كله دل عليه وصفهم بالناس فإنهم
لم يخصوا بصفة الإيمان ولا بصفة التقوى وإنما خصوا بصفة يشاركهم فيها جميع بني
آدم

آدم فلم يتميزوا بوصف ينبئ عن تميزهم بالدين وجاء ذلك الوصف الكريم للمؤمنين ولذلك
والله أعلم قال في وصفهم كنتم خير أمة أخرجت للناس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا تجتمع أمتي على ضلالة فإن قلت ــــ التقوى إنما هي صفة بعض المؤمنين لا كلهم
فإن المتقي هو الخائف من الله عز وجل الشديد الخوف الورع في دينه ۝ ولذلك جاء أن المتقي لا يكون
متقيا حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس قلت ــــ التقوى يطلق باعتبارين أحدهما
هذا الذي ذكرته ۝ والثاني يطلق والمراد بها الإيمان لأن كل مؤمن خائف من الله عز وجل
وإن كانت درجات الخوف تتفاوت فكل مؤمن يخاف الشرك أشد الخوف
ويخاف كل ما يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم أو يؤلم قلبه ويحمل الأذى والعيب في
نفسه وفي أعز الناس عليه ولا يحمل ذلك في شيء مما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم
لا من خدمه ولا دابته فضلا عن غيرها وهذا هو المراد بالتقوى في حق عموم المؤمنين ۝
وكلهم يحمد الله عز وجل بهذا الوصف ۝ ويؤيد ذلك في هذه الآية المباركة وجهان أحدهما
ما ينالهم من الأمراض والمصائب وهم مع ذلك يحمدون الله عز وجل على ذلك ولذلك
جاء في صفتهم الحمادون يحمدون الله عز وجل على السراء والضراء كما تقدم وهذا أمر
لا يوجد في غيرهم من الأمم فلا تجد أمة تحمد الله على السراء والضراء إلا المسلمين
خاصة وهذا من خالص التقوى ۝ الثاني أنا نرى الجماعات الكبار وأهل المدن الكثيرة
تأخذهم الأعداء من النصارى وغيرهم ويؤسرون وينالهم من العذاب والضيق
والإلقاء في المطامير وغير ذلك ما تنقص عنه العبارة ولا يسمع أن جماعة منهم قط

ارتداد عن الدين ۝ ولو نالها ما نالها وإن كان قد يقع من بعض اشخاص منهم ارتداد فهو
نادر قليل لا اعتبار به ۝ وقوله تبارك وتعالى فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين ۝ وفي الاية الاخرى فاخذتهم الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ۝ وكذلك حيثما
وقع في القران ذكر الصيحة جاء لفظ الدار مجموعا ۝ واذا وقع ذكر الرجفة جاء مفردا
وذلك والله اعلم لان الصيحة لا تأثير لها الا في قلوبهم فتغيب الديار على حالها لم تتغير فجاء لفظها
مجموعا ۝ واذا كانت الرجفة تزلزلت الارض فربما سقطت الديار وربما لم تسقط
فكان الاليق هنا افراد الدار اما باعتبار السقوط فظاهر لان الديار صارت دارا
واحدة ۝ واما باعتبار عدم السقوط فان الزلزلة لما شملتها عادت في حكم الدار الواحدة
التي تحركت بجميع اطرافها فان قلت ۝ قد جاء ذكر الرجفة والصيحة في قصة واحدة وهي
قصة ثمود فما وجه ذلك قلت ۝ قوم صالح عليه السلم هم الذين اهلكوا بالصيحة
وقوم شعيب عليه السلم هم الذين اهلكوا بالرجفة الا انه جاء في القصتين اختلاف
اما قصة ثمود فانه جاء في الاعراف قوله تعالى وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝ وجاء في سورة هود عليه السلم
فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ۝ فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين
امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ۝ واجاب بعض العلماء عن هذا الاشكال
بان المراد بالرجفة في الاية الاولى الصيحة ۝ وعندي ان المراد بذلك الرجفة على حقيقتها

والمعنى

123

والمعنى والله اعلم ان تلك الصيحة اثرت رجفة في الارض وزلزلة فذكرت احداهما
في اية وذكرت الاخرى في اخرى وجرى حكم النظم بالديار جمعا على اعتبار الصيحة
وافرادا على اعتبار الرجفة لما تقدم ذكره ۝ وان كانت القصة واحدة ۝ واما الاية
الثانية فان الرجفة جاءت في ذكر قوم شعيب عليه السلم في سورة الاعراف فقال
تعالى وقال الملأ الذين استكبروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝ والجواب عن هذا الاشكال
كالجواب عن الاول ۝ وجاء في سورة الشعراء في قصة شعيب عليه السلام
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة ۝ والجواب عن هذا الاشكال ان شعيبا
عليه السلام بعث الى طائفتين احداهما اهل مدين وهم الذين اهلكوا بالرجفة والاخرى
اصحاب ليكة وهم الذين اهلكوا بعذاب يوم الظلة ۝ قيل اصابتهم حر شديد فبعث
الله سبحانه سحابة فخرجوا يستظلون بها وهي الظلة فاخذت انفاسهم فهلكوا وقيل امطرت
عليهم نارا فهلكوا والايكة هي الغيضة وهي الشجر الكثير الملتف ۝ وجاء في هذه السورة
ليكة باللام وفي سورة ق بالالف واللام وهما بمعنى واحد والله اعلم الا ان ليكة
اسم وضع علما على تلك الغيضة ولذلك امتنع من الصرف والايكة بقي على اصله فكان
منصرفا ولذلك وجدت الالف واللام فيه ۝ ومثل هذا قولهم الالاهة والالاهة
قال ۝ واعجلنا الالاهة ان تؤوبا ۝ وقيل ان الايكة الغيضة وليكة اسم
القرية والله اعلم ۝ واعلم ان من العلماء من يرى ان اصحاب الايكة هم اهل مدين

وانها قصة واحدة وانهم عذبوا بالحر سبعة ايام ثم بعث الله عز وجل عليهم سحابة فخرجوا اليها
يستظلون بها فصيح بهم صيحة فهلكوا بها الا ان الاول اولى من وجهين احدهما انه قال
في قصة مدين والى مدين اخاهم شعيبا ولم يقل ذلك في اصحاب الايكة ٥ الثاني
ان الظاهر انهما قصتان لتباين المكان والعذاب ولا يعدل عن الظاهر الا بدليل والله
اعلم بمراده وقوله تعالى اخبارا عن المسيح صلوات الله عليه ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ٥ يلوح للناظر اولا ان النظم يقتضي
ان يقال فان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم فانه الملايم وليس ذلك بصحيح وبيانه
ان الاخبار انما هو عن خطاب الله عز وجل للمسيح في الآخرة ودليل ذلك قوله قبل هذا
اذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الى
قوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد وهذا خطاب في قوم مشركين ٥ فلو كان في الدنيا لامكن
ان يحتج في الاية فانك انت الغفور الرحيم لاحتمال ان يتوبوا قبل ان يموتوا واما بعد
موتهم على الشرك فلا يمكن ايراد ذلك فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فانظر وفقك الله الى تصديق الكتاب بعضه بعضا ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وكان لا يليق هنا العزيز لانه الذي
غلب امره ونفذت مشيئته وان عفا عنهم فلا ينقص من ملكه شيء فالحكيم الذي
يضع العفو موضعه والعقاب موضعه لا مدبر سواه ولا اله غيره ويؤيد
ذلك

ذلك ان خطاب ابرهيم عليه السلام لما كان في الدنيا قال فيه فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم وقوله تعالى اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم
لي ساجدين وقوله تعالى يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقوله تعالى اني ارى
سبع بقرات سمان والاشكال من وجهين احدهما ان يقال ما الفائدة في ذكر
قوله في المنام في اية ابرهيم عليه السلام دون غيرها ٥ الثاني لم جاءت اية يوسف
عليه السلام بلفظ الماضي والاخريان بلفظ المضارع والجواب عن الاول
ان يقال انما جاء ذكر المنام لان قوله ارى يحتمل ان يكون من الراي والاعتقاد ومن
رؤيا المنام فجاء بقيد المنام لرفع هذا الاحتمال ٥ والايتان الاخريان لا يمكن
ان يرى ما فيهما في الدنيا فلم يحتج فيهما الى ذكر المنام ٥ واما كون الاولى بلفظ الماضي
بخلاف الاخريين فهو والله اعلم دليل على ان الرؤيا في قصة يوسف كانت مرة
واحدة وفي الاخريين تكررت فما قطع الرائي بانقطاعها بل ما زال يراها ويغلب على
ظنه انه يراها فيما يستقبل ايضا فجاء فيها لفظ المضارع الذي يعطي الحال الدايمة
والله اعلم وقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون وذلك والله اعلم للطيفة وهي ان الفقه عبارة عن التنبيه للشيء والشعور
به بادنى سبب واقرب اشارة وهذا في كون خزائن السموات والارض لله عز وجل

ظاهر يدرك بادنى تامل واقرب نظر ۝ واما العلم فانه يكون بتحرير الادلة وتحقيق
المباحث وذلك جاء في قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لان عزة الرسول صلى
الله عليه وسلم وعزة المؤمنين امر لا يدرك الا بعد النظر في معجزاته صلى الله عليه وسلم
وقيام الدلالة على صدقه في جميع ما يخبر به فان قلت عزة الله عز وجل تدرك بادنى
تامل كما يدرك كون خزائن السموات والارض له فكيف جاء فيها قوله يعلمون قلت قد تقدم
ان العرب تساوي بين المتسوقات في الحكم وان كانت متفاوتة المراتب وسياق الاية
انما ورد لبيان عزة الرسول عليه السلام وعزة المؤمنين ولكن لما كانت عزته من الله عز
وجل جاءت عزة الله عز وجل مصدرا بها لبيان هذه الفايدة وفايدة اخرى وهي انها لا
تنقضي ولا تبيد ۝ وفايدة اخرى وهي انها لا تغلب ومغالبها مغلوب الى يوم القيمة
ونظير هذه الاية قوله تعالى في سورة البقرة واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا
انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ۝ واذا قيل لهم امنوا كما
امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ۝
فلما كان افسادهم في الارض امرا ظاهرا يدرك بادنى نظر خص بالشعور وهو
الفطنة والادراك كما يحس الانسان بشعاره وهو الثوب الذي يلي جسده ولما كان
كونهم سفهاء انما يظهر بعد اقامة الدلالة على صحة الايمان وانه الدين الحق الذي لا يقبل
سواه خص بالعلم والله اعلم وهذا القدر كاف في الاشارة الى النظم واعلم
ان من جوامع الكلم في الكتاب العزيز ايات كثيرة منها قوله تعالى وذروا

ظاهر

ظاهر الاثم وباطنه وقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ۝
وسال رجل اخر فقال له الله عز وجل يقول في كتابه العزيز ما فرطنا في الكتاب من شيء
فاين ذكر الفلفل في القران فقال في ما يغلب على ظني والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وذلك يشمل الفلفل وغيره من جميع ما يجلب فيها ولم ينص عليه في الكتاب العزيز
وهذا جواب حسن لو كان الجواب بقوله تعالى ما في السموات وما في الارض لكان مانعا ايضا
ومنها قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار ۝ وقوله جل جلاله فلا اقسم بما
تبصرون وما لا تبصرون الى غير ذلك من الايات واعلم انه قد تقدم في تفاريع
اللغة ذكر المثنى والمكنى والمبني ولابي عبيدة معمر بن المثنى في ذلك تصنيف اما المثنى
فكقولهم القمران في الشمس والقمر ۝ واما المكنى فكقولهم ابو الحرث في كنية الاسد وابو
الحصين في كنية الذيب ۝ وام جبين وهي دويبة على قدر كف الانسان ۝ واما المبني
فكقولهم ابن جلا في الصبح وابن عرس الحيوان معروف

واما السنة

فقد تقدم ان الكلام يتفرع فيها الى المتن ۝ والطريق ۝ وان الطريق تفرعت عنه
معرفة الرواية ۝ واعلم ان اصنافها ثلثة القراءة ۝ والمناولة ۝ والاجازة ۝
اما القراءة فاما ان تكون من الشيخ وهي ارفع اقسام الرواية والاصل في ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لابي ان الله امرني ان اقرا عليك فبكى ابي رضي الله عنه
وقال او ذكرت هناك فقراءة النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليأخذ القراءة من

لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله
وكذلك قال صلى الله عليه وسلم أقرأكم أبي ۵ وأما أن يكون من التلميذ على الشيخ وهي
المرتبة الثانية والشيخ مع ذلك اما مستند الى حفظه أو ناظر في أصل كتابه وكلا
الوجهين سائغ وهل يفتقر هنا إلى أن يقول الشيخ كما قرأت أو صواب ما قرأت اشترط
ذلك قوم والصحيح ان ذلك لا يحتاج اليه وهذا هو المروي عن مالك رحمه الله لأن
قرينة جلوس الشيخ للاستماع مغنية عن ذلك وسكوته كاف في الاذن لانه من العلوم
أن لو كانت مخالفة لنبه عليها أما لو فرضنا وقوع غفلة من الشيخ في اثناء
السماع فهاهنا يحتاج إلى الاذن في ذلك المحل خاصة ۵ وهل يكفي ان يستنيب الشيخ
عدلا ضابطا ينظر بحضرته في كتابه ۵ اما إن كان لعذر من مرض الشيخ أو ضعف
بصره أو سماعه فلا ينبغي أن يختلف في ذلك ۵ وأما لغير عذر ففيه اختلاف
والأولى عدم جوازه لانه عدول عن اليقين الى الظن من غير موجب ۵ وهل يكفي في
السماع من المحدث عن الاذن في الرواية أو لا بد ان يقول اروه عني الأولى ان يقال
ان جلس للاسماع فلا يفتقر وان لم يجلس فاما ان يعلم من حال الشيخ انه لا يذكر الحديث
على الاسياق لفظه لحفظه وضبطه فلا يفتقر ۵ أو لا يعلم فيفتقر لاحتمال ان يورد
الحديث بالمعنى أو ترك بعض الفاظه مما ندعوا الحاجة اليه ويرى هو ان الحاجة لا تدعوا
اليه ۵ وأما أن تكون القراءة من قارئ آخر والتلميذ يسمع فحكم ذلك حكم قراءة التلميذ
لكن الاحسن عند الابلاغ البيان بان يقول حدثني سماعا أو سماعا عليه ۵ وأما

المناولة

المناولة فمعناها أن يقول الشيخ هذا الكتاب روايتي أو صححته فاروه عني ۵ فاما إذا
قال هذا الكتاب صححته فاروه عني فان الرواية جائزة وهي أرفع انواع الرواية بعد
السماع عند بعض المحدثين وأما إن قال هذا الكتاب روايتي فان مراده انها النسخة
التي رواها عن شيخه وضبطها وأتقنها وأعطاها التلميذ فلا شك في الجواز ۵ وأما إن
لم يعطها التلميذ أو أشار الى غير نسخة روايته فهذا يجري مجرى الاجازة ممن أجازها
مطلقا أجازها هنا ۵ ومن قيدها بشرط أن يصحح فانه على نسخة الشيخ أو نسخة صححت عليها
شرط ذلك أيضا في هذا المكان وهو الصحيح ۵ وأما الاجازة فاما مطلقة وأما
مقيدة وكلتاهما إما عامة وإما خاصة أما المقيدة فمثل أن تقول اجزت لك
أن تروي عني كتاب مسلم مثلا أو جميع ما رويته فهذا ان وجد نسخة الشيخ أو صحح عليها جازت له
الرواية ۵ وان لم يجد ففيه خلاف والأصح انه لا يجوز وإذا عرفت ذلك فاعلم انهم
اتفقوا على أن الراوي في المرتبة الأولى له ان يقول حدثني وأخبرني وشافهني وسمعت
منه ۵ وهل يقول حدثني في المرتبة الثانية أو يقتصر على قوله أخبرني فيه خلاف
سببه النظر في ان القراءة على الشيخ هل تنزل منزلة السماع منه أو لا ۵ والأولى في
هذه المرتبة أن يقول حدثني أو أخبرني قراءة عليه وان كان القارئ غيره كان سماعا
عليه ۵ وأما المرتبة الثالثة فحكمها أن يقول حدثني أو أخبرني مناولة وكذلك
الاجازة لا بد من التصريح فيها بالاجازة فان كانت الاجازة مكاتبة بين ذلك أيضا
فقال فيما كتب به الي وهل يسوغ له الرواية إذا رأى حديثا بخط الشيخ مسندا عن

شيوخه اما إن كان أجازه إجازة مطلقة فالجواز والا المنع فان كان الحديث غير مسند
فلا يسوغ الرواية كانت الإجازة حاصلة أو لم تكن لاحتمال ان يكون الشيخ نسيه ولم
يروه أو كتبه حتى ينظر فيه لكن له أن يقول رأيت بخط شيخي كذا ومنع ذلك بعض
العلماء من الرواية بالخط لاشتباه الخطوط ولا ينبغي إطلاق المنع من ذلك على ما إذا
أشكل عليه خط شيخه او يستراب فيه لمشابهته لغيره واما إذا قطع بذلك
فلا يمنع وهل إذا رأى حديثا في بعض الكتب المشهورة كالبخاري مثلا وكانت
نسخة مصححة يجوز له روايتها أو لا المتقدمون على ان العمل به يلزمه ولا يجوز له
روايته ٥ ورأى بعض المتأخرين من أهل عصرنا ان هذه الكتب المشهورة كالبخاري ومسلم
والمدونة وغيرها لا يفتقر فيها إلى رواية لأنها منقولة تواترا **واما شروط**
الرواية فاما في الشيخ أو في الراوي اما الشيخ فالاسلام ٥ والبلوغ ٥ والعقل ٥
والضبط ٥ والعدالة ٥ واما الراوي فإما حالة التحمل واما حالة الأداء اما حالة
التحمل فالاسلام ٥ والتمييز ٥ والضبط ٥ وقد يكتفي بذكر الضبط عن التمييز فانه يتضمنه
واما حالة الأداء فيشترط بها زيادة على ذلك ٥ البلوغ والعقل والعدالة ٥ **واما
المسند** فهو ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على قسمين متصل الإسناد وغير
متصل اما الأول فعلى قسمين أحدهما أن يكون لفظ الرواة فيه بقولك حدثنا
وأخبرنا حتى ينتهي إلى الصحابي وذلك محمول على الاتصال ٥ والثاني أن يكون متصلا
بالعنعنة وهو أيضا محمول على الاتصال عند الأكثرين حتى يدل الدليل على خلافه

ورأى

ورأى بعضهم أنه لا يدل على الاتصال الا إذا علم لقاء بعضهم لبعض ٥ **واما غير**
المتصل فهو المنقطع وهو ما يسقط منه راو او اكثر وهل يخص المنقطع بما يسقط فيه
راو او أكثر مما بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم او يعم ما بلغ به النبي صلى الله عليه
وسلم وغيره فيه خلاف واعلم أن منهم من يخص المسند بما اتصل ويخص ما لم يتصل
بالمرفوع وهل إذا كانت ان بين الراويين مكان عن بعد بها الحديث متصلا او لا
فيه خلاف **واما المرسل** فحديث التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم دون
ذكر الصحابي كمثل أن يقول عبد الله بن عامر بن ربيعة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان وقع ذلك ممن دون التابعي فهذا فيه الارسال بحذف الصحابي والانقطاع
بحذف من دون الصحابي واما المنقطع فهو المنقطع وقد تقدم بيانه **واما الموقوف**
فهو المقصور على الصحابي دون أن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم كمثل حديث عائشة
رضي الله عنها فرضت الصلاة مثنى مثنى ٥ ومثل حديث ابن مسعود إنكم في زمان كثير
فقهاؤه فانه يقطع إن هذا كله لا يدرك بالرأي فيعلم انه حديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان صدر مثل حديث ابن مسعود ممن أسلم من علماء أهل الكتاب ٥ كسلمان
وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما فلا يقطع بان ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاحتمال أن يكون ذلك مما في الكتب السالفة واما البلاغ فهو مما انفرد به مالك
رحمه الله كقوله في الموطا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مثل
ما تقدم مما جمع الارسال والانقطاع **واما التدليس** فمعناه أن يكون الراوي

له امام مشهور لقبه وروى عنه ثم روى عنه حديثا لم يسمعه منه ولكنه سمعه ممن روى
عنه فهذا على قسمين احدهما ان يحذف الواسطة ويقول حدثني فلان فهذا لا يحل وهو كذب
والثاني ان لا يقول حدثني بل يقول فلان عن فلان فهذا على قسمين ان كان شانه الاحتياط في
الرواية عن الثقات قبل حديثه وان كان من شانه الاحتياط في ذلك فهو التدليس
واعلم ان الارسال والانقطاع والتدليس كلها ترجع الى حذف راو من المتن فان كان
المحذوف الاعلى من الرواة وهو الصحابي فهو الارسال ٥ وان كان المحذوف هو الادنى وهو
شيخ الراوي وكان حذفه لعدم الثقة به او لارادة القبول بذكر الامام المشهور فهو التدليس
وان كان المحذوف وسطا بين الرتبتين فهو الانقطاع والحديث منقطع ومقطوع ٥ واما
الصحاح فالاحاديث التي رواتها ثقات موثوق بعدالتهم **واما الحسان** فالاحاديث
التي رواتها مشاهير ولم يبلغوا رتبة الاولين في العدالة او كانوا مستورين ٥ واما [العزائب]
فالاحاديث المروية من طريق واحد **واما المسلسلات** فمثل ما روي بعضهم
ان عينه اشتكت قال فغدوت على علقمة فقلت له ان عيني اشتكت فقال لي ان
انظر في المصحف فان عيني اشتكت فغدوت على عبد الله بن مسعود فقلت ان عيني
اشتكت فقال لي ان انظر في المصحف فان عيني اشتكت فغدوت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت ان عيني اشتكت فقال لي انظر في المصحف فان عيني اشتكت
فشكوت الى جبريل عليه السلام فقال لي انظر في المصحف مثل ما رواه الفقيه
الاجل الحافظ الضابط المتقن ابو حفص عمر بن احمد التوزري رحمه الله عن شيخه الامام
الحافظ

الحافظ ابي علي حسين بن محمد الصدفي رحمه الله عن الفقيه الامام الحافظ ابي العباس احمد
ابن عمر بن انس العذري الدلائي رحمه الله بسند بلغ به انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره قال وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم على لحيته وقال امنت بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره
قال وقبض انس على لحيته وقال امنت بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره ثم ذكر عن كل راو
انه فعل مثل ذلك وقال مثل ذلك حتى انتهى الامر الى الفقيه ابي حفص ففعل مثل ذلك
وقال مثل ذلك **واما القاب** الرواة فمثل جاموس وهو محمد بن علي بن حمزة روى عن
يحيى بن اسحق حدث عنه احمد بن الحسن بن الليث ٥ وكالجني وهو عبد السلام بن عمر بصري
يعرف بالجني فقيه يروي عن مالك بن انس رحمه الله ٥ وكجزرة وهو صالح بن محمد بن حبيب
ابن حسان بن ابي الاشرس الحافظ يلقب جزرة وغيرهم ٥ ومن افادات الفقيه
ابي حفص التوزري رحمه الله في الالقاب الضال ٥ والضعيف ٥ فان ظاهر لفظ كل واحد منهما
يؤذن بترك حديثه وليس كذلك ٥ اما الضال فسمي بذلك لانه ضل في بعض طرق
الاسفار قيل انه ضل في طريق مكة ٥ واما الضعيف فلضعف جسمه ورقته
والضال هو معاوية بن عبد الكريم البصري العابد روى عن الحسن بن ابي الحسن وبكر
ابن عبد الله المزني كان يحيى بن معين يقول معاوية بن عبد الكريم الضال ثقة ٥ واما
الضعيف فهو عبد الله بن محمد يلقب بالضعيف يروي عنه النسوي قال ذلك الشيخ ابو
الوليد بن الفرضي رحمه الله قال وجدت في كتاب ابو محمد الضعيف الطرسوسي عن عبد

الوهاب الثقفي يروي عنه محمد بن عبد الله الطولقي الرقي ۝ والضعيف اخر وهو محمد بن
عبد الجبار يروي عن يحيى بن عثمان بن صالح روى عنه غندر ۝ **واما المختلف والمؤتلف**
فمثل أحمد بالحاء وهو كثير ۝ وأجمد بالجيم وهو أجمد بن عجيان الهمداني له صحبة ۝ ومثل نجيح
بفتح الباء المنقوطة بواحدة ونجاء بن مهملين وهو شيخ روى عنه ابن اليسدويي ۝ ونجيح
بضم الباء وبخيمين وهو نجيح بن خراش المقري من أهل قصطيلية يكنى أبا سعيد يروي
عن سحنون ۝ روى عنه أبو العرب بن تميم وذكره في كتابه وذكره أيضا صاحب اختصار
اقتباس الأنوار ونسبه إلى توزر رحمهما الله ۝ ومثل خراث بالخاء المعجمة والثاء
المثناة ۝ وجراب بالجيم والباء المنقوطة بواحدة ۝ فالأول خراث بن جبير له صحبة وابنه
خراث بن صالح بن خراث ۝ والثاني جراب بن عثمان روى عنه اسمعيل بن سالم وأبو
الجراب الأحوص بن جراب ۝ وجراب بن عبد الله التيمي حدث عنه مسعود بن كدام
ومثل خبيب بالخاء المعجمة ۝ وجبيب بالجيم ۝ فخبيب بالخاء هو خبيب بن عدي الذي
بين الركعتين عند القتل وهو مشهور صحابي ۝ وجبيب بالجيم له حديث واحد رواه
نوح بن ذكوان عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء جبيب بن
الحرث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رجل مقراف الذنوب
قال فتب إلى الله يا جبيب قال اني أتوب ثم أعود قال كلما أذنبت فتب قال اذا
تكثر ذنوبي قال عفو الله اكثر من ذنوبك يا جبيب **واما مشتبه النسبة**
فمثل الجفري بضم الجيم وسكون الفاء وهو الجيش بن أبي جعفر الجفري يروي عن أيوب
السختياني

السختياني وقيل له الجفري لانه ولد عام الجفرة وهو بناحية البصرة كانت بها وقعة
بسنة اثنين وسبعين بجيش بعثه عبد الملك بن الثوري ۝ والحفري بضم الحاء وسكون
الفاء وهو يحيى بن سليمان الحفري افريقي من أهل القيروان يروي عن الفضيل بن عياض
قال أبو العرب بن تميم في كتاب طبقات فقهاء افريقية وانما قيل له الحفري لان داره كانت
على حفرة بدرب أم أيوب ۝ ومثل الحرامي والحزامي فالحرامي بضم الحاء المهملة وبالراء المهملة
هو موسى بن ابرهيم الحرامي منسوب إلى بني حرام من الأنصار ۝ والحزامي بكسر الحاء المهملة
وبالزاء هو ابرهيم بن المنذر الحزامي ۝ والضحاك بن عثمان الحزامي وابنه عثمان بن الضحاك
ابن عثمان بن الضحاك الأكبر لأنهم من ولد حكيم بن حزام القرشي المدني وابرهيم بن المنذر
من ولد خالد بن حزام أخي حكيم بن حزام **واما علم** اطراف الحديث فمثل ما صنعه الشيخ
الحافظ أبو مسعود الدمشقي رحمه الله في كتاب اطراف حديثي البخاري ومسلم وهو يدل على
الحفظ البارع والمعرفة بالرواة مثل ما قال في الكتاب ۝ المذكور في حديث جابر
ابن عبد الله بن حرام الأنصاري السلمي من بني سلمة بكسر اللام قال الشيخ أبو مسعود
رحمه الله حديث قلت يا رسول الله ذبحنا بهمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت
ونفر معك فصاح بأهل الخندق الحديث رواه البخاري في الجهاد وفي المغازي عن عمرو
ابن علي ورواه مسلم في الأطعمة عن حجاج بن الشاعر كلاهما عن عاصم النبيل عن حنظلة
ابن أبي سفيان عن سعيد بن مبنا عن جابر ۝ وحديث عطش الناس يوم الحديبية
والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ فجهش الناس نحوه فقال ما بالكم قالوا ليس

عندنا ما نشرب ولا ما نتوضأ منه إلا ماء في ركوة فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور
بين أصابعه أمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال لو كنا مائة
ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وحديث عمرو بن مرة مختصر سألت جابرا عن أصحاب
الشجرة فقال لو كنا ورواه البخاري في علامات النبوة عن موسى بن إسمعيل عن عبد
العزيز بن مسلم عن حصين ۝ وفي المغازي عن يوسف بن عيسى عن محمد بن فضيل عن حصين
وفي الأشربة عن قتيبة عن جرير عن الأعمش ۝ ورواه مسلم في المغازي عن أبي موسى
وبندار عن غندر عن شعبة عن عمرو بن مرة ۝ وعن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن
نمير عن ابن إدريس عن حصين ۝ وعن رفاعة بن الهيثم عن خالد الواسطي عن حصين ۝ وعن
عثمان بن أبي شيبة وإسحق بن راهويه عن جرير عن الأعمش ثلاثتهم عن سالم عن جابر ومثل
ذلك مما اشتمل عليه الكتاب المذكور وقوله إسحق بن راهويه بالراء المهملة وهو
لقب واسمه إبرهيم **وأما مشكل الحديث** فأما مشكل اللفظ ۝ وأما مشكل الإعراب
وأما مشكل المعنى ۝ أما مشكل اللفظ فمثل نهيه صلى الله عليه وسلم أن يضحى بشرقاء
أو خرقاء ۝ أو مقابلة ۝ أو مدابرة ۝ أو جدعاء ۝ فالشرقاء المقطوعة الأذن طولا ۝ والخرقاء
المثقوبة الأذن ۝ والمقابلة المشقوقة طرف الأذن من أمامها ۝ والمدابرة عكسها ۝ وكلتاهما
لا يتصل الشق فيها إلى أصل الأذن ۝ والجدعاء المقطوعة الأذن ۝ ومثل قوله صلى الله عليه
وسلم إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها أي ينضم إليها يقال أرز بفتح
الراء المهملة يأرز بالكسر إذا انضم إلى الشيء ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم لا تتابعوا في
الكذب

الكذب بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل ۝ والتتابع في الشر ۝ والتتابع بالباء المنقوطة بواحدة
في الخير وأمثال ذلك **وأما مشكل الإعراب** فمثل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
الشفاعة إن قعر جهنم سبعين خريفا ووجهه أن هذا جاء على لغة من ينصب اسمين بأن
ومنه قول الشاعر: إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافا إن حراسنا أسدا
من ذلك قوله في حديث رؤيا عبد الله بن عمر في كتاب البخاري لن ترع جاءت فيه لن
جازمة وحكمها النصب إلا أنه جاء على لغة من يجزم بها وبأخواتها من العرب ومنه قول
الأعشى: تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد ۝
وفي رواية أخرى لم ترع وهذه لا إشكال فيها من جهة الإعراب ۝ وفيها أشكال من
جهة المعنى فإن لم لنفي الماضي وليس المراد ذلك إنما المراد أنه لا روع عليك أي لا
تراع في الحال ولا في الاستقبال ۝ ومن ذلك قول ورقة بن نوفل في حديث
البخاري يا ليتني فيها جذعا وذلك على وجهين أحدهما على أن ليت تنصب اسمين وهو
مذهب الكوفيين ۝ والثاني أن يجعل قوله فيها في محل الخبر وجذعا منصوبا على الحال
واعلم أنه يجوز في قوله صلى الله عليه وسلم إن قعر جهنم سبعين خريفا أن يكون قوله
صلى الله عليه وسلم قعر جهنم في حكم الظرف أي أن في قعر جهنم قدر سبعين خريفا فلا يكون
خارجا عن النظائر **وأما مشكل المعنى** فمثل ما في البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلا وهو أعجبهم إلي فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله

بي لا أراه مؤمنا فقال أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت مالك عن فلان
فوالله إني لأراه مؤمنا فقال أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية
أن يكبه الله في النار ۝ فظاهر هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان
يعطي من لم يرسخ الإيمان في قلبه ليتألفه بذلك على الإيمان ويترك من علم أن الإيمان رسخ
في قلبه ۝ وقول النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلما يؤذن أن ذلك الرجل كان
ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه وحمله على هذا أن يعطى مع من أعطي فما وجه قوله صلى الله عليه
وسلم أو مسلما مع كونه صلى الله عليه وسلم حرمه والجواب أن يقال إن قوله صلى
الله عليه وسلم إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه يؤذن أن ذلك الرجل كان أحب
الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أعطاه وأن قول النبي صلى الله عليه وسلم
أو مسلما ليس رد القول سعد إني لأراه مؤمنا وأن كان الرجل كان مؤمنا ۝ وقول
النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان تعليما لسعد ألا يقطع على المغيب ۝ وهو ما في القلب
وإن كانت الرواية في قوله لأراه مؤمنا بضم الهمزة وهو بمعنى لأظنه وذلك ليس
يقطع على المغيب ولكن صدر ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تعليما لسعد وتنبيها له على أن
الأحكام في الشريعة مبنية على الظاهر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن
أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق
وحسابهم على الله ۝ ومثل ذلك في كتاب مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت

مع

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقال يلقحونه
يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظن ذلك يغني شيئا
فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن كان ينفعهم
ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا
به فإني لن أكذب على الله تعالى ۝ وعن رافع بن خديج قال قدم نبي الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه
قال لعلكم لو لم تفعلوه لكان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت فذكروا ذلك له فقال
إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ۝
وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وعن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
مر بقوم يلقحون فقال لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شيصا فقال ما لنخلكم قالوا قلت كذا
وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم فهذا ما في كتاب مسلم ۝ وفي جامع العتبية عن مالك
رحمه الله قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الحوائط وهم يأبرون النخل
ويلقحونها فقال ما عليكم ألا تفعلوا فترك الناس الإبار في ذلك العام فلم تطعم النخل
فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما أنا بشر فاعملوا ما يصلحكم
قال الفقيه القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله في كتاب البيان والتحصيل ۝ وقد
روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة يقرب بعضها من بعض في المعنى منها أنه قال ما
أظن هذا يغني شيئا ولو تركوه لصلح ولا لقاح ۝ وما أرى اللقاح يغني شيئا فتركوه فشيص

فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بزارع ولا صاحب نخل لقحوا وقال إن كان ينفعهم
فليفعلوه فإني إنما ظننت ظنا والظن يخطئ ويصيب أو لا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم
عن الله شيئا فخذوه فإني لن أكذب على الله فقال الطحاوي في روي من ذلك كله إنه ليس باختلاف
يعارض وإنما معناه أنه قال ما قال من ذلك لقوم بعد قوم فحكى كل واحد منهم ما سمع ولم
يكن صلى الله عليه وسلم ممن يعاني ذلك ولا كان من بلد فيه نخل فاتسع له أن ينفي ما توهم
بالظن استحالته وهو أن يكون الإناث من غير الحيوان يأخذن من الذكران شيئا ولم يكن ذلك إخبارا
عن وحي هذا معنى قول الطحاوي قال القاضي أبو الوليد والذي أقول به في ذلك أنه إنما قال
للذين رآهم يأبرون النخل ويلقحونها ما قال لهم مما روي عنه في ذلك أنه قال لهم لما علمه الله
أنه لا تأثير لشيء من المخلوقات في شيء منها بإفساد ولا إصلاح فإن الله عز وجل هو المفسد
المصلح الفاعل لكل شيء إلا أن الله تبارك وتعالى قد أجرى العادة بأن يفسد أشياء من
المخلوقات ويصلحها عند مباشرة غيرها لها ويعلم ذلك من الناس من جربه فوجد العادة
مستمرة عليه كالأطباء الذين يعلمون الأدوية النافعة من الضارة لتجربتهم وتجربة من
تقدم من أسلافهم ولا يعلم ذلك سواهم ممن لم يجرب من ذلك ما جربوه وكذلك
إبار النخل وتلقيحه علم الانتفاع به من جربه من أهل النخل بطول التجربة ولم يعلم به النبي صلى
الله عليه وسلم إذ لم تتقدم له به تجربة فقال ما قال ۝ وقولي كالأطباء الذين يعلمون
الأدوية النافعة من الضارة تجوز في العبارة إذ ليس الأدوية في الحقيقة بنافعة ولا ضارة
وإنما النافع الضار في الحقيقة الله رب العالمين وبالله التوفيق انتهى كلام الفقيه القاضي
أبي

أبي الوليد رحمه الله واعلم أن ما ذكر من كون النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده
علم من عادة الناس لكونه لم تتقدم له به تجربة تبعد في حق من هو دون النبي صلى الله عليه
وسلم ممن أطلعه الله عز وجل من أوليائه على بعض أسرار غيبه فكيف في حق النبي صلى
الله عليه وسلم الذي أطلعه الله على حقائق الأمور وخبايا الصدور ۝ ومصالح الخاصة
والجمهور ۝ فكان خبيرا بما في القلوب وبما غاب عن العيون ۝ وقصرت عن إدراكه
الأفهام والعقول ۝ ويرشد الخلق إلى مصالح دنياهم وأخراهم ۝ وإذا كان ذلك
فالأولى أن يقال في تفسير هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما نبههم فيه على
التوكل مع ترك الأسباب وهو مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام أبيه إبراهيم صلى الله
عليه وسلم الذي قال لجبريل عليه السلام وقد تلقاه في الهواء حين قذف به في النار
أما إليك فلا جوابا عن قوله ألك حاجة فقال له جبريل سل ربك فقال يكفيه من سؤالي
علمه بحالي ۝ ويقال إن السموات والأرض استأذنت ربها جل جلاله أن تنصره فقال
الجليل جل جلاله إن استغاث بكم فانصروه فما استغاث بمخلوق ولا صرف همته إليه بل
قال حسبي الله ونعم الوكيل ۝ وهذا مقام الأفراد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين
أخبر صلى الله عليه وسلم أنهم يدخلون الجنة بغير حساب وقال في وصفهم هم الذين لا
يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن
فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يا رسول
الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وذلك والله

اعلم لعلمه ان مقام عكاشة مقامهم وان الآخرة لا يبلغ ذلك المقام وكان صلى الله عليه وسلم
لا يقابل احدا بما يكره لما جبله الله عز وجل عليه من فرط الحياء وكمال الاخلاق الزكية
فلم يقل له لست منهم او لا تبلغ صفاتهم بل قال سبقك بها عكاشة فاراد صلى الله عليه
وسلم بما قال لاهل تابير النخل ان ينبه الناس على هذا المقام الاعلى فان من صح له هذا المقام
ظهرت الكرامات على يديه ووجد الثمر بلا سبب وكذلك كل ما اشتهاه ٥ وقد
جاء في الكتاب العزيز في قصة مريم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله قيل كان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ٥ وفي حديث خبيب رضي الله عنه
وقد رأته المرأة ياكل قطفا من عنب في غير وقته دليل واضح على ذلك وكان
لانس بستان توجد منه رائحة المسك ويطعم مرتين في العام وذلك ببركة دعوة النبي
صلى الله عليه وسلم له الا ان هذا المقام لما لم يكن مقام الجمهور لم يتيسر الامر فيه فشكا
الناس ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تواخذوني بالظن وبين
المراد والله اعلم بظن ان النخل لا تطعم لاجل ذلك بل المراد الظن بهم اجمعين ان يكونوا من
اهل هذا المقام وبهذا الوجه تندفع الاشكالات العارضة كلها في هذا الحديث بفضل
الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان التوكل لو صح لاغنى عن كل سبب بل لاغنى
عن القوت ٥ كان ابرهيم التيمي يطوي ستين يوما وقد نشاهد مرارا بعض النخيل
يغفل عن تابيرها في بعض الاعوام وتثمر ولا يشيص منها شيء فالذي اوجد ذلك من غير
اللقاح

اللقاح في ذلك العام قادر على ان يجعله في كل عام وهذا ظاهر لمن تامله وكذلك رأينا نخيلا لا
تلقح في بعض الاعوام مرارا ومع ذلك تخرج شيصا فان قلت يبعد هذا التاويل مع
ما تقدم من حديث مسلم الذي قال فيه ما اظن يغني ذلك شيئا قال فاخبروا بذلك
فتركوه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان كان ينفعهم فليصنعوه
فاني انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله فخذوا به فاني
لن اكذب على الله تعالى قلت لا يبعد ان يتاول هذا الحديث على المعنى الذي وقع التنبيه
عليه ويكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما اظن يغني ذلك شيئا ان التعلق بالاسباب
ربما حرم منه العبد ووكل الى الاسباب فان الفعل انما هو الله عز وجل لا لذلك السبب
وان الاسباب لا تغني شيئا وان التوكل اذا صح اغنى عن الوجود باسره ثم لما اخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانهم تركوه ردهم الى مقامهم الضعيف وابان لهم ان قلوبهم معلقة
بالاسباب فقال ان كان ينفعهم ذلك فليفعلوه قوله صلى الله عليه وسلم انما ظننت
ظنا اي ظن هذا المقام الارفع بهم وقوله صلى الله عليه وسلم ولكن اذا حدثتكم عن الله فخذوا
به اي لو اوحى الله الي انهم من اهل هذا المقام الاعلى لم اردهم الى الادون وانما كان
ذلك ظنا لا بوحي ولذلك ردهم اليه ٥ ويؤيد هذا التاويل قوله في حديث مسلم الآخر
لو لم تفعلوا لكان خيرا وهذا يكاد يكون صريحا في الباب وفي التنبيه على اطراح الاسباب
ويقرب منه قوله في الحديث الآخر لو لم تفعلوا لصلح وقوله صلى الله عليه وسلم
انتم اعلم بامر دنياكم اشارة الى نظرهم والتفاتهم الى الاسباب ٥ لا الى مسبب الاسباب

والله أعلم فإن قلت قوله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره الطحاوي ما أنا بزارع ولا صاحب
نخل وإنما ظننت ظنا والظن يخطئ ويصيب يضعف هذا التأويل قلت بل يؤكده
ويقويه فإن قوله صلى الله عليه وسلم ما أنا بزارع ولا صاحب نخل معناه لست متعلقا
بالأسباب فأحملكم عليها وأحضكم على الالتفات إليها بل إنما أنا متعلق بموجدها
سبحانه فإنما بعثت داعيا إلى الله عز وجل وصارفا وجوه الخلق وقلوبهم إليه وكذلك قوله
وإنما ظننت ظنا والظن يخطئ ويصيب راجع إلى ظنه صلى الله عليه وسلم أن يكونوا من
أهل هذا المقام الأعلى والله أعلم فإن قلت كما لا يسوغ خلاف ظنه صلى الله عليه
وسلم في التأبير لا يسوغ أيضا في كونهم من أهل هذا المقام وإذا كان ظن المؤمن
كهانة واتقوا فراسة المؤمن فكيف الأمر في ظن من أيد بالعصمة قلت ليس المراد
بالظن في هذا المكان ما يتعارفه الأصوليون من رجحان أحد المعتقدين على الآخر فإن
ذلك صادق من الأنبياء عليهم السلام لعصمتهم وإنما المراد به رجاؤه صلى الله عليه
وسلم أن يكونوا من أهل ذلك المقام والرجاء قد يوافقه القدر وقد يخالفه والله أعلم

وأما ما جاء من جوامع الكلم في الأحكام فقد ذكر العلماء من ذلك

أصنافا كثيرة منها تتفرع الأحكام أحدها قوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي
واليمين على من أنكر حتى قال بعضهم من عرف المدعي من المدعى عليه لم يخف عليه حكم
وقد ذكر العلماء ثلاث أحاديث جمعت العلم كله أحدها قوله صلى الله عليه وسلم
إنما الأعمال بالنيات والثاني قوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما

مشتبهات

134

مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك
أن يقع فيه والثالث قوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه
ما لا يعنيه فكل واحد من هذه الأحاديث ثلث العلم ووجه بعضهم ذلك
بأن قال الحديث الأول يتضمن النية والثاني يتضمن العمل والثالث يتضمن القول
فكمل بمجموعها الإسلام لأنه نية وقول وعمل ويحتمل أن يقال إن الحديث الأول
يتضمن العبادات والثاني يتضمن المعاملات والثالث تضمن علم الأخلاق وتأمل
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول الذي ذكره في المدونة وهو قوله لا تقبل
شهادة خصم ولا ظنين ولا جار لنفسه تجد كل ما فرعه الفقهاء مما ترد به الشهادة
راجعا إليه وأما ما جاء من جوامع الكلم عنه صلى الله عليه وسلم في الدعاء
فكقوله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك صلاح ديني الذي هو عصمة أمري ودنياي
التي هي حياتي وأخراي التي فيها معادي وأن تجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت
راحة لي من كل شر وقوله صلى الله عليه وسلم سلوا الله اليقين والعافية
قال الشيخ أبو سليمان الخطابي رحمه الله فتأمل هذه الوصية الجامعة تجدها
محيطة بخير الدنيا والآخرة وذلك أن ملاك أمر الآخرة اليقين وملاك أمر الدنيا
العافية فكل طاعة لا يقين معها هدر وكل نعمة لا تصحبها العافية كدر فصار
هذا الكلام على وجازته وقلة حروفه أحد شطريه محيط بجوامع الدين وشطره الآخر

متضمنا مصالح الدنيا ۝ ومما جاء من ذلك في التسبيح قوله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته **واما الطب**
فمما جاء من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم قوله المعدة بيت الداء ۝ والحمية رأس
الدواء ۝ واصل كل داء البردة وهي التخمة ۝ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحبة
الخضراء شفاء من كل داء الا السام ۝ والسام الموت ۝ والحبة الخضراء قيل هي
الشونيز وهو الاشهر وقيل هي البطم ۝ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في القسط
وهو الكست ان فيه سبعة اشفية ۝ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في تقدير
الطعام ثلث للطعام وثلث للماء [للشراب] وثلث للنفس ۝ وهذا قانون عظيم في حفظ الصحة
لمن استعمله ۝ وقد حكي ان بعض المهرة من اطباء الكتابيين قال لبعض علماء المسلمين قد تكلم نبيكم الا في
الطب وقال له بعض ما تقدم ذكره فقال لقد نظرت في جميع اقوال الاطباء فما وجدتها
تدور الا على ما ذكره صلى الله عليه وسلم **واما تعبير الرؤيا** ففي البخاري عن ابي قتادة
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فمن رأى
شيئا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثا وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره
فهذه كلمة جامعة ۝ وقاعدة كلية في الرؤيا وفي الشفاء والحفظ مما يكره منها
وفي البخاري وكان يقال الرؤيا ثلاث حديث النفس ۝ وتخويف الشيطان
وبشرى من الله فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على احد وليقم فليصل قال وكان
يكره الغل في النوم وكان يعجبهم القيد ۝ ويقال القيد ثبات في الدين ۝ وفي
البخاري

البخاري ايضا عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا
انا نائم اتيت بقدح من لبن فشربت حتى اني لارى الري يخرج من اظفاري ثم اعطيت
فضلي عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم ۝ وعن ابي سعيد الخدري انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص
منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب ۝ وعليه قميص
يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين واعلم ان المعبرين على مثل هذه القواعد يبنون
اصول التعبير وسياتي من ذلك في الباب الاخير ما يوضح الغرض منه ان شاء الله عز وجل ۝
واما الحق والحقيقة فاصل ذلك من حديث حارثة بن مالك الزرقي الانصاري
رضي الله عنه حين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت فقال اصبحت
مؤمنا حقا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك
قال عرفت نفسي عن الدنيا فاظمأت نهاري واسهرت ليلي وكاني انظر الى عرش
ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة في الجنة يتنعمون والى اهل النار في النار
يعذبون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عرفت فالزم
واعلم ان هذا الكلام ورد تفسيرا للحقيقة وقد تضمن معنيين احدهما ما حواه
قلبه من اليقين حتى كانه يرى الامر عيانا وعليه يدل قوله وكاني انظر الى
عرش ربي بارزا الى آخره ۝ والثاني ما ظهر عليه من الزهد والاجتهاد في العبادة
وعليه يدل قوله عرفت نفسي عن الدنيا اي اعرضت عنها كراهة لها فاظمأت

نهاري اشارة الى صوم النهار واسهرت ليلي اشارة الى القيام وهذا اثر ذلك اليقين
فالقسم الاول في كلامه اثر القسم الثاني وعلى هذا فيقال الحق هو الايمان والاخلاص
والحقيقة بلوغ ذلك الايمان درجة اليقين وظهور اثره على المريد وهو الزهد والاجتهاد
في العبادة والله اعلم **واما منافع الادعية** والاذكار فمثل ما في حديث الموطأ عن يحيى
ابن سعيد قال أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتا من الجن يطلبه
بشعلة من نار كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فقال له جبريل عليه
السلام أفلا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ
في الارض وما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا
يطرق بخير يا رحمان ومثل ما في الترمذي عن ابان بن عثمان قال سمعت عثمان
ابن عفان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يقول في
صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء
في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء وكان ابان
هذا قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ما تنظر اما ان
الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يومئذ ليمضي الله في قدره ومثل ما جاء عن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا فزع احدكم في النوم
فليقل

فليقل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات
الشياطين وان يحضرون فانها لن تضره فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من
ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه وامثال ذلك كثير واعلم
ان حديث حارثة الذي تقدم ذكره رواه بعضهم ان لكل قول حقيقة وكذلك
جاء في حديث سويد بن الحارث الازدي قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم سابع سبعة من قومي فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى من سمتنا
وزينا فقال ما انتم فقلنا مؤمنون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم (ايمانكم) قال سويد فقلت خمس عشرة خصلة خمس
امرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمس امرتنا رسلك ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية
ونحن عليه ذلك الا ان نكره منها شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الخمس التي
امرتكم رسلي ان تؤمنوا بها قلنا امرتنا رسلك ان نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت قال فما الخمس التي امرتكم رسلي ان تعملوا بها قلنا امرتنا رسلك
ان نقول جميعا لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان نقيم الصلاة ونؤتي الزكوة ونحج
البيت من استطاع اليه سبيلا ونصوم شهر رمضان ونحن على ذلك قال فما الخمس
الخصال التي تخلقتم بها قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق عند اللقاء
والرضى بمواقع القضاء ومناجزة الاعداء فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ادباء فقهاء عقلاء حلماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء يا لها من خصال

ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم
بخمس خصال لتكمل عشرون خصلة قلنا أوصنا يا رسول الله قال إن كنتم كما تقولون
فلا تجمعوا ما لا تأكلون ۝ ولا تبنوا ما لا تسكنون ۝ ولا تنافسوا في شيء عنه تزولون ۝
وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون ۝ واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه
تعرضون ۝ واعلم أن ما زادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما تضمنه
حديث حارثة من الزيادة على حديثهم وهو الزهد واليقين ۝ أما دليل اليقين فقوله
صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ۝ وأما دليل الزهد
فقوله صلى الله عليه وسلم فلا تجمعوا ما لا تأكلون إلى آخره ۝ ولما كان حديث
حارثة يتضمن ذلك قال له صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم ولم يزده ولما كان
حديث هؤلاء لا يتضمن ذلك زادهم والله أعلم فإن قلت في هذا الحديث
إشكال من أربعة أوجه أحدها أنه كما تقدم أن المراد بالحق الإيمان ۝ وهو
باطن في القلب ۝ وأن المراد بالحقيقة أثره من اليقين والاجتهاد في العبادة وههنا
وقع تفسير الحقيقة بالإيمان وما بعده ۝ الثاني أنه قال في الحديث لكل قول
حقيقة ۝ وفي الأول لكل حق حقيقة وهل بينهما فرق ۝ الثالث أن حديث هؤلاء
تضمن زيادة تخلقوا بها ۝ ورسول الله صلى الله عليه وسلم استحسنها في جملة
الخصال وأقرهم عليها ولم تقع في حديث حارثة ۝ وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عرفت فالزم فما وجه ذلك ۝ الرابع أن النحويين يرون أن لا تقع في خبر
كان

كان إلا في ضرورة شعر كقوله ۝ قد كان من طول البلا أن يمصحا ۝ أي يذهب
ويدرس ۝ وقد وقعت في هذا الحديث فما وجه ذلك قلت الجواب عن الأول
أن يقال الحق كما تقدم هو الإيمان ولكن لما كان هؤلاء ممن بلغته الرسل ولم يتلق
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد عرض الحق وأصل الدين عليه حتى ترتفع الواسطة
بينه وبينهم في أمر الدين ومن مثل هذا أخذ المحدثون السماع من الشيخ عند القراءة بعد
الأخذ من الصاحب ۝ وأيضا فإنه صلى الله عليه وسلم نبأهم عما بلغهم الرسل فأجابوا
عن ذلك ۝ وعن الثاني أن يقال المراد بالقول هنا الحق وهو الإيمان فإنه يصدق عليه أنه
قول باعتبار النطق النفساني واللساني أيضا ۝ وعن الثالث من وجهين أحدهما أن
تلك الزيادة ليست من أصول الدين التي لا يتم الإيمان والإسلام إلا بها ولذلك لم
يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بها كل من دخل الإسلام وهي راجعة إلى مكارم الأخلاق
ومحامد الشيم وفيها ما يرجع إلى الجهاد وهو من فروض الكفاية فلذلك لم يقع التنبيه
عليها لحارثة ولا لغيره إلا عند الحاجة إليها ۝ الثاني أن قول حارثة عزفت نفسي
عن الدنيا يتضمن ذلك كله فإن من عزفت نفسه عن الدنيا محبة في الله عز وجل وفي
رسوله صلى الله عليه وسلم تحلى بتلك الشيم كلها لأنها ترضي الله عز وجل ۝ وعن الرابع
أن النحويين إنما منعوا ذلك لاعتقادهم أن هذه الكلمة من أفعال المقاربة لا
تدل بوضعها إلا على مقاربة ذات الفعل ولا يشعر بتأخير فيه بخلاف عسى وأن
موضوعة للاستقبال فلا يليق أن تقع إلا في خبر عسى لا في خبر كاد وقد جاءت

إن في خبر كاد في الأحاديث الصحاح فدل على أن كاد يستعمل استعمال عسى وأن ما
منعوه من ذلك بناء على أصلهم لا يمنع فإن الحديث حجة على غيره ولنقنع الاقتصار على
هذا القدر في جوامع الكلم واختتام هذا القسم بما ذكره البخاري رحمه الله في
ذلك قال رحمه الله ونضر وجهه حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا الليث قال
حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا
أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو عبد الله وبلغني أن جوامع
الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد
والأمرين أو نحو ذلك واعلم أن المعبرين أخذوا من هذا الحديث دليلا عاما على
أن من رأى في يده مفتاحا أو مفاتيح أنه يملك أرضا أو بعضها دارا أو عقارا أو نحو
ذلك والحمد لله والصلاة على رسول الله والسلام

وأما القسم الثاني

في ذلاله جواهر الحكم فاعلم أن ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم كلها جواهر حكم لأنها مشتملة
على مصالح الدنيا والآخرة وقد جمع الله عز وجل في كلامه ٥ الجزالة ٥ والسهولة ٥ والملاحة ٥
والحلاوة ٥ والعذوبة ٥ والمحبة ٥ والقبول ٥ وجمع المحاسن التي تختص بها الكلام
واستيفاء ذلك مما يطول إلا أن المقصود الأهم يحصر من ذلك في أصناف ٥
أحدها الأنباء بالغيوب ٥ الثاني الاطلاع على ما في ضماير القلوب ٥ الثالث
المواعظ الشافية ٥ الرابع الأمثال الكافية ٥ الخامس المخاطبات البارعة ٥
السادس

السادس الوصايا النافعة ٥ السابع ما تفرد به مما لم يسبق إليه ٥ الثامن ما تكلم به
فلم يعلم معناه حتى نبه عليه ٥ أما الصنف الأول فإنه على ثلثة أضرب ٥ الأول
الأنباء بما يسبق زمانه صلى الله عليه وسلم ٥ الثاني الأنباء بما كان في زمانه صلى الله
عليه وسلم ٥ الثالث الأنباء بما يكون بعده صلى الله عليه وسلم في الدنيا وبما يكون
في الآخرة ٥ **أما الضرب الأول** فمثل قوله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله تعالى
الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي وهو حديث البخاري عن أبي هريرة
رضي الله ٥ ونحوه في كتاب مسلم ٥ ومثل حديث البخاري أيضا عن عمران بن حصين قال
إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا
بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل [اليمن] إذ لم يقبلها بنو تميم
فقالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ٥ ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله عز
وجل ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل
شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب
ينقطع دونها وايم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم ٥ ومن ذلك ٥ في البخاري
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد إلا ثلثة عيسى ٥ وكان في
بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم
لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته
فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت من جريج فكسروا

صومعته واتركوه وسبوه ۝ وتوضا وصلى ثم اتى الغلام فقال من ابوك يا غلام فقال الراعي
قالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا الا من طين ۝ وكانت امراة ترضع ابنا لها من
بني اسرايل فمر بها رجل راكب دابة شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك فاقبل على
الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديها يمصه قال ابو هريرة كاني
انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يمص اصبعه ثم مر بامة فقالت اللهم لا تجعل ابني
مثل هذه فقال له ذلك فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الامة يقولون
سرقت زنت ولم تفعل ۝ وفي حديث اخر انه قال للغلام يا بابوس من ابوك
وهو الطفل الصغير وان الامة كانوا يجرونها ۝ واعلم ان هذا الحديث افاد ان
من اثر حق الله عز وجل على حق الخلق كفاه الله ما بينه وبين الخلق وان من فزع
في المهم اذا دهمه الى الصلاة فرج الله عز وجل كربه ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم اذا حزنه امر فزع الى الصلاة وكذلك جريج توضا وصلى واتى الغلام فقال
من ابوك ان دعوة الوالدين ۝ والمومسات في هذا الخبر النساء الفواجر الا ان
فيه اشكالا وهو ان يقال قد جاء ان الطفل الذي شهد ليوسف الصديق عليه
السلام تكلم في المهد وهو الذي قال فيه الجليل جل جلاله وشهد شاهد
من اهلها ۝ وجاء ان طفلا ايضا تكلم في المهد في قصة ذي نواس حين خد
الاخدود للقوم الذين اراد رجوعهم عن النصرانية الى اليهودية فامتنعوا فاحرقهم
فاتت امراة في يدها ولد رضيع فتوقفت عن الدخول في النار فقال لها ولدها
تقدمي

تقدمي فانك على الحق وقال في هذا الحديث لم يتكلم في المهد الا ثلثة والجواب
ان يقال هذا الحديث صحيح ولا يعارضه ما جاء من غير ذلك في غير الصحيح اما ما جا
في قصة يوسف عليه السلم فان الرواية فيه اختلفت عن ابن عباس رضي الله عنه
فروي عنه انه كان صبيا في المهد ۝ وروي عنه انه كان رجلا حكيما ۝ وهذا هو الاظهر
فانه استدل بقرائن الاحوال بقوله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين ۝ وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ۝ ولو كانت
الشهادة بنطق من ليس عادته النطق لكانت كافية ومغنية عن الاستدلال ۝
والله اعلم واما ما جا في قصة ذي نواس مع اهل نجران فهو امر ذكره بعض اهل التاريخ
ولا يعتمد على اقوالهم الا انه جا في كتاب مسلم قال فاتي بامراة لتلقى في النار ومعها صبي
يرضع فقال لها الغلام يا امه لا تجزعي فانك على الحق ۝ وذكر ابن قتيبة ان الغلام الرضيع كان
من سبعة اشهر فعلى هذا يقال في الجواب المراد والله اعلم انه لم يتكلم في بني اسرايل الا ثلثة
فان قصة اصحاب الاخدود كانت بعد انقضا مدة بني اسرايل وظهور المسيح عليه
السلام وانتشار دعوته وملته والله اعلم واما الغريب الثاني فمنه ما جاء انه صلى
الله عليه وسلم افتقد ناقته يعني في بعض اسفاره فارجف المنافقون فقالوا
اخبرنا بخبر السماء وهو لا يدري اين ناقته وما علموا ان الله عز وجل اطلعه على خفايا الامور
وخبايا الصدور الا انه لا يعلم من ذلك الا ما علمه الله عز وجل فلما بلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم قال اني لا اعلم الا ما علمني ربي عز وجل وقد اعلمني انها بالموضع الفلاني

وقد تعلق زمامها من غصن شجرة فذهبوا الى ذلك المكان فوجدوها على الصفة التي قال صلى
الله عليه وسلم وأما الضرب الثالث فمثل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الكوائن بعده كقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ۵ وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري يتقارب
الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله وما هو قال القتل القتل ۵ وكقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري ومسلم لا تقوم الساعة حتى تظهر نار تضيء أعناق
الإبل ببصرى وقد ظهرت هذه النار في عصرنا هذا في سنة خمس وخمسين وستمائة وأضاءت
كما قال صلى الله عليه وسلم أعناق الإبل ببصرى ۵ وقد يقع في بعض الأوهام خلل يقضي بصاحبه إلى
أن يستبعد أن تكون نار بالحجاز فتضيء أعناق الإبل ببصرى وهي من بلاد الشام وبينهما
نحو من مسيرة شهر فيتأول الحديث على أن المراد به حرب تشتعل نارها من الحجاز
إلى الشام وقد ظهر الأمر على نحو ما أخبر به الصادق الذي عرج به لمستوى
والناطق بالحق وما ينطق عن الهوى ۵ أخبرني بعض الفقهاء القادمين من المشرق أنه
كان في ذلك الوقت ببلاد الحجاز فورد عقد من بصرى بشهادة العدول وخطاب
القاضي أنها أضاءت أعناق الإبل ببصرى ۵ ومن ذلك ۵ ما جاء في حديث البخاري
ومسلم من قتال الترك ففي البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن
وجوههم المجان المطرقة وقد ظهر أيضا في هذا العصر على نحو ما أخبر به صلى الله عليه وسلم

وفي

وفي كل عصر تظهر معجزاته صلى الله عليه وسلم من إخباره بالغيوب وغير ذلك وفي أحوال
المطيعين والعاصين بل في كل يوم وساعة تظهر لمن ألهم في أحواله وأقواله متى وافق السنة
أو خالفها ۵ وفي الحديث أيضا لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر ۵ ومن هذا
الضرب ما جاء في البخاري أيضا عن خباب أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعو الله فقعد وهو
محمر وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم
أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين
ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت
ما يخاف إلا الله زاد بعض الرواة والذئب على غنمه ۵ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم يا عدي إنما يمنعك من الإيمان ما ترى بأصحابي من الخصاصة هل رأيت الحيرة
قط قلت نعم قال يوشك أن تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار ۵ ويوشك
أن تفتح على أصحابي كنوز كسرى بن هرمز قال عدي بن حاتم فرأيت المرأة تخرج من الكوفة حتى
تطوف بالبيت بغير جوار وقد كنت في أول خيل أغارت على المدائن ۵ ومن ذلك
أنه رأى على سراقة بن مالك ذرا وهو صغار النمل فقال له كيف بك إذا ألبست سواري
كسرى فلما افتتحت المدائن وأتي عمر رضي الله عنه بحلية كسرى تاجه وسواريه ومنطقته
وعجب الناس من ذلك قال عمر رضي الله عنه إن الذي أدى هذا لأمين فقال له علي بن أبي
طالب رضي الله عنه إنك عففت فعفت الرعية فدعا عمر رضي الله عنه بسراقة بن

مالك فالبسه سواريه وحليته وقال قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
ابن مالك اعرابي من بني مدلج ومن ذلك ان شويلا رجلا من طي سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينفله كرامة بنت عبد المسيح بن بقيلة صاحب الحيرة فاعطاه اياها
وكان الذي لقنه ذلك عدي بن حاتم فانه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما
رفع له من البلدان فذكر الحيرة وكان يعرف قصورها اضراس الكلاب عرف انه صلى الله
عليه وسلم قد اريها وانها ستفتح وكان شويل يعرف بكرامة دهره ان يكثر من ذكرها
ووصف محاسنها فلقنه عدي مسئلتها فلما افتتح خالد بن الوليد رضي الله عنه الحيرة وذلك
سنة اثنتي عشرة من الهجرة في زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قام شويل الى خالد
فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتح الحيرة فسألته كرامة فقال
هي لك وشهد له بذلك فصالحهم خالد رضي الله عنه بعد ان طلبوا الصلح على مائة ألف
ألف وأن يكون للمسلمين ما كان لآل كسرى وعلى أن يدفعوا كرامة لشويل ففعلوا
واشتد ذلك على اهل بيتها وحزنها فقالت ما تخافون على امراة بلغت ثمانين سنة وانما
هذا رجل رآني في شبيبتي فظن ان الشباب يدوم وسألته ان يفاديها بعد ان اراد
قومها ان يخطروا له الفداء فبهتهم فامتنع ان يفاديها الا على حكمه فقالت فلك حكمك
مرسلا فقال لست لام شويل ان نقصتك من الف درهم فاستكثرت ذلك لتخدعه ثم
اتته بها فرجعت الى قومها فاتاه الناس فعنفوه فقال ما كنت ارى ان عددا يزيد على
الف فابوا عليه الا ان خاصمهم وقال كانت نيتي غاية العدد وقد ذكروا ان العدد
يزيد

يزيد على الف فقال خالد اردت امرا واراد الله غيره وناخذ بما ظهر وندعك ونيتك
وفي وصف شرفات (قصور) الحيرة يقول بعض من حضر فتحها رضي الله عنهم

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ... ورجلا فوق اثباج الركاب
حصرنا في نواحيها قصورا ... مشرفة كاضراس الكلاب

ومن ذلك ما في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تقاتلون اليهود حتى يختبي احدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودي فاقتله

واما ما انبأ به صلى الله عليه وسلم من اخبار الاخرة فمثل ما في البخاري عن انس بن
مالك انه حدثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى
عنه اهله انه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل
لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر
الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة
وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس قال واما المنافق والكافر فيقال له ما
كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت
ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد يسمعها من يليه غير الثقلين وعن سمرة بن
جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة اقبل علينا بوجهه فقال
من رأى منكم الليلة رؤيا قال فان رأى احد قصها فيقول ما شاء الله فسألنا يوما فقال
هل رأى منكم احد رؤيا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين اتياني فاخذا بيدي فاخرجاني

إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه الآخر فيعود فيصنع مثله قلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه قلت من هذا قالا انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فإذا اقتربت ارتفعوا كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر ه وفي رواية وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان قلت ما هذا قالا انطلق حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان ه وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشبان ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي في الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا نعم الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ه والذي رأيته في النقب فهم الزناة

الزناة والذي رأيته في النهر آكل الربا ه والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس والذي يوقد النار مالك خازن النار ه والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين ه وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا ذاك منزلك قلت دعاني أدخل منزلي قالا إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك ه وفي البخاري في قصة الجنة عن أبي موسى الأشعري الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلثون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون ه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أعددت لعبادي المؤمنين (الصالحين) ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ه واقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ه وعن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم فيها الذهب (أمشاطهم من الذهب) والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا ه وفي حديث آخر وقود مجامرهم الألوة يعني العود الذي يتبخر به ه وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ه وفي حديث آخر واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب ه وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون

الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله ذلك
منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين
وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى
الريان لا يدخله إلا الصائمون ۝ واعلم أن الأخبار في هذه الأضرب الثلاثة كثيرة لو أطنب
فيها لخرج الكتاب عن حد الاختصار ۝ **وأما الصنف الثاني** فمنه ما جاء عن
عن قباث بن أشيم وذكره الفقيه أبو محمد رحمه الله في الإعلام وذلك أنه قال شهدت مع المشركين
بدرا وإني لأنظر إلى قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيني وكثرة من معنا من
الخيل والرجال فانهزمت فيمن انهزم ولقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه وإني
لأقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء قال فكنت بمكة فلما كان
بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم وقد وقع
في قلبي الإسلام فقدمت المدينة فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو
ذاك في المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت فقال لي يا قباث
ابن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء قلت أشهد أنك
رسول الله وأن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط وما زمزمت إلا بشيء حدثت به
نفسي فلولا أنك نبي ما أطلعك الله عليه فعلمني حتى بايعك فعرض علي الإسلام فأسلمت
وعن وابصة الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد ألا
أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه فأتيته وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه

فتخطاهم

فتخطيتهم إليه فقالوا إليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت دعوني فلأدنو
منه فإنه أحب الناس إلي قال يا وابصة أتسأل أم أخبرك قلت لا بل أخبرني قال جئت تسأل
عن البر والإثم فجمع أنامله ونكث بها في صدري وقال يا وابصة استفت نفسك وإنما
البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر
وإن أفتاك الناس وأفتوك ۝ ومن ذلك ما ذكره ابن هشام في السيرة من أن فضالة
ابن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح
فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله قال
ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت أذكر الله قال فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول والله
ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه ۝ ومن ذلك ما جاء
في إسلام الجارود العبدي وسلمة بن عياض الأسدي مما وقع في اختصار اقتباس الأنوار
وفي غيره عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال لما قدم الجارود العبدي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه سلمة بن عياض الأسدي وكان حليفا له في الجاهلية وذلك
أن الجارود قال لسلمة بن عياض إن خارجا خرج بتهامة يزعم أنه نبي فهل لك أن نخرج
إليه فإن رأينا خيرا دخلنا فيه فإنه إن كان نبيا فللسابق إليه فضله وأنا أرجو أن يكون
النبي الذي بشر به عيسى بن مريم وكان الجارود نصرانيا قد قرأ الكتب ثم قال لسلمة
ليضمر كل واحد منا ثلاث مسائل نسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري لئن أخبر بها إنه

لنبي يوحى اليه فقعد كلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك
ربك يا محمد قال بعثني بشهادة ان لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله والبراءة من كل
ند او وثن تعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وباداء الزكوة بحقها وصوم رمضان
باضالة الحج بغير الجاد من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
قال الجارود ان كنت يا محمد نبيا فاخبرنا بما اضمرنا عليه حين ابدا نا فخفق رسول الله صلى
الله عليه وسلم خفقة كانها سنة ثم رفع راسه وتحدر العرق عنه فقال اما انت
يا جارود فانك اضمرت على ان تسئلني عن دماء الجاهلية ٥ وعن حلف الجاهلية ٥ وعن المنيحة
الا وان دم الجاهلية موضوع ٥ وحلفها مشدود ولم يزده الاسلام الا شدة ولا حلف في
الاسلام الا وان فضل الصدقة ان تمنح اخاك ظهر دابة او لبن شاة فانها تغدو بوفد
وتروح بمثله ٥ واما انت يا سلمة فانك اضمرت على ان تسئلني عن عبادة الاصنام
وعن يوم السباسب ٥ وعن عقل الهجين ٥ فاما عبادة الاصنام فان الله تعالى يقول انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ٥ واما يوم السباسب فقد
اعقبه الله منه ليلة خيرا من الف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من شهر رمضان
فانها ليلة بلجة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبحها لا شعاع لها ٥ واما عقل الهجين
فان المؤمنين اخوة تتكافا دماؤهم يجير اقصاهم على ادناهم اكرمهم عند الله
اتقاهم فقالا نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبد الله ورسوله ثم
قالا يا رسول الله ادع الله لنا ان يجمع لنا الفة قومنا فقال اللهم اجمع لهم الفة قومهم
وبارك

وبارك لهم في برهم وبحرهم ٥ قال الجارود يا رسول الله اي المال اتخذ ببلادي قال وما
بلادك قال ماؤها وعالي نبتها شفا وريحها صبا ونخلها اغلف قال عليك بالابل
فانها حمولة وان الجمل يكون عودا ٥ والناقة ذودا ٥ قال سلمة بابي انت وامي يا رسول
الله فاي المال اتخذ ببلادي قال وما بلادك ٥ قال ماؤها سماح ٥ ونخلها صواح ٥
وقلاعها فياح ٥ قال عليك بالغنم فان البانها جمال ٥ واصوافها اثاث واولادها بركة
وتلك الاكيلة والوبر فانصرفا الى قومهما مسلمين فقال الجارود ٥

ابلغ رسول الله عني رسالة ٥ باني حنيف حيث كنت من الارض ٥
شهدت بان الله حق وسامحت ٥ حصاة فؤادي بالسماحة في النهض ٥
وانت امين الله في كل خلقه ٥ على الوحي من بين القضيضة والقض ٥
فالا تكن داري بيثرب فيكم ٥ فاني لكم عند الاقامة والخفض ٥
اصالح من صالحت من ذي عداوة ٥ وابغض من امسى على بغضكم بغض ٥
وادني الذي والبته واحبه ٥ وان كان في فيه العلاقم من عض ٥
اذب بسيفي عنكم واحبكم ٥ اذا ما دعوتم في الوفاق وفي النقض ٥
واجعل نفسي دون كل ملمة ٥ لكم جنة تغني ومن دونكم عرضي ٥

وقال سلمة بن عياض

رايتك يا خير البرية كلها ٥ نشرت كتابا جاء بالحق معلما ٥
شرعت لنا فيه الهدى بعد جورنا ٥ عن الحق لما اصبح الامر مظلما ٥

نورت بالقرآن ظلماء حندس ۝ وأطفأت نار الكفر لما تضرما ۝
وكنت لنا غيثا مريعا ورحمة ۝ وكنت لأهل العلم بالله معلما ۝
تعالى علو الله فوق سمائه ۝ وكان مكان الله أعلى وأكرما ۝

واعلم أن قوله في الشعر المتقدم فوق أثباج معناه ظهور الجبل ۝ والثبج ما بين الكاهل والظهر ۝
وثبج كل شيء وسطه ۝ والركاب الإبل التي يسار عليها واحدتها راحلة ولا واحد لها
من لفظها ۝ ويقال الركاب الإبل التي تحمل الميرة ۝ ولذلك قالوا رأيت ركابي لأنه
يجلب على الإبل من الشام ۝ وقوله لا دريت ولا تليت أصله تلوت وأبدلت الواو
ياء لموافقة دريت كما قالوا جئته بالغدايا والعشايا ۝ ومعنى تلوت قرأت ويحتمل
أن يكون معناه تبعت ۝ وقيل أصله ائتليت أي قصرت ۝ وقوله عبر الثقلين يعني
الجن والإنس ۝ وقوله تدهده الحجر معناه تدحرج أي ذهب متحدرا ۝ وقوله
يتوقد تحته نارا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون التحت هنا اسما لا ظرفا فيكون مرفوعا
ويكون المعنى يتوقد ناره ۝ والثاني أن يكون ظرفا فيكون منصوبا ويكون الفاعل معه
محذوفا للعلم به أي يتوقد ما تحته نارا فيكون مثل قوله تعالى لقد تقطع بينكم ۝ على
من رأى أن التقدير ما بينكم ۝ والألوة بفتح الهمزة وضم اللام وتشديد الواو وفيها
لغة أخرى وهي ضم الهمزة ۝ وقوله ولقاب قوس أحدكم أي قدره ۝ وقباث بفتح
القاف وتشديد الباء المنقوطة بواحدة وآخره ثاء مثلثة قيل هو من التقبث
وهو أن ينضم بعض الشيء إلى بعض وهو قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح الكناني ويقال
الليثي

الليثي ۝ وقوله وما أرمرمت من أن أي حركت شفتي ۝ ووابصة بالصاد المهملة وهو من
الوبيص وهو البريق وقيل الوبيص بالصاد في ضوء النار في الجمر ۝ والأسدي بفتح السين منسوب
إلى أسد بن خزيمة وهو وابصة بن معبد بن مالك بن عبيد وفضالة بفتح الفاء ۝ والجارود
العبدي منسوب إلى عبد القيس ۝ وسلمة بن عياض الأسدي بسكون السين منسوب
إلى الأسد قبيل من اليمن يقال فيه الأسد والأزد بالسين والزاي ۝ وقوله على ثلثة
مسايل كذا وقع بالهاء ووجهه أنه أوقع المسايل فتوقع الأسولة فلذلك أثبت الهاء
وفي الكتاب العزيز من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها لما كان المراد بالأمثال
هنا الحسنات ۝ روعي المعنى فحذفت الهاء من العدد المذكر كما أثبت هناك مع المؤنث
رعاية المعنى أيضا ۝ وقوله وصوم رمضان بأصالة حج البيت كذا وقع وهو يحتمل
وجهين أحدهما أن يكون مما حذف معه حرف العطف أي وبأصالة الحج ۝ الثاني
أن تكون الباء متعلقة بحال محذوفة من المذكورات قبلها أي موصولة ذلك بأصالة
الحج والله أعلم فإن قلت ـــ وما الفائدة في قوله صلى الله عليه وسلم بأصالة
الحج وهلا قال بالحج أو مع الحج قلت ـــ يحتمل والله أعلم أن هذين لما كانا من
القوم الذين عندهم علم من الكتاب ۝ أما الجارود فقد تقدم ذكره ۝ وأما سلمة
فيما سمع من الجارود وأهل الكتاب كلهم يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام
ويتولونه ويعتقدون شرعته حقا وكان من شرعته الحج وكان ذلك شهيرا
من دينه في الملل حتى المشركون يحجون البيت ويعتقدون أن ذلك من ملة إبراهيم

عليه السلام وكانت الصلاة وغيرها أيضاً من دينه إلا أنها خفيت حتى لم يكن
يعلم منها شيء فإن باصالة الحج تنبيها على ما يتعارفونه بينهم ويقرون بأنه من دين
ابرهيم عليه السلام وبهذه الاشارة تظهر فائدة حذف الواو ولأن الحج صار بهذا
الاعتبار كالأصل الذي بني عليه ما سواه والله أعلم ۝ ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم بغير الحاد إشارة الى قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم
وقوله ابدأنا أي حين ابتدأنا أمرنا يقال بدأنا وابتدأنا بمعنى ۝ وقوله خفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم خفقة أي نعس يقال خفق الرجل إذا حرك هامته من النعاس
وقوله وتحدر العرق عنه كقول عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً أي يسيل ۝ والحلف العهد والمنيحة
هنا الناقة أو الشاة يعطيها الرجل صاحبه يحلبها مدة وهي المنحة مردودة ۝ والرفد
بفتح الفاء القدح الكبير ۝ ويوم السباسب يوم الشعانين ۝ وهو عيد من أعياد
النصارى وقوله صلى الله عليه وسلم وقد أعقبه الله منه ليلة كذا وقع في اختصار
اقتباس الأنوار ووقع في غيره وقد أعقبنا الله والمراد في الوجهين أبدل منه وعوض
وبلجة بفتح الباء مشرقة مضيئة ويقال انها لا تكون مغيمة أبداً وأصل ذلك من البلج
وهو البياض الذي يكون بين الحاجبين والهجين الذي أبوه حر وأمه أمة ۝ ويتكافأ
يتساوى ۝ وقوله ما ؤها وعا وقع مهملاً وأنا أراه وعا بفتح الواو والقصر والمراد
انه يجتمع من عيون ليست بجارية وإنما هي كالشوج فيجتمع قليلاً قليلاً كما يجتمع الوعي

في الجرح

في الجرح وهو المدة وقوله ونبتها شفاء وقع أيضاً مهملاً والظاهر انه شفا بفتح الشين
والقصر والمراد به انه قليل من شفا الشيء وهو حده وحرفه ومن ذلك شفا البير
وغيرها والصبا الريح الشرقية ۝ وقوله ونخلها اعذا بالعين المهملة والذال المعجمة
وهو جمع عذي بكسر العين وسكون الذال ۝ وهو البعيد من الماء والأصل اعذاء
بالمد فقصر للضرورة ولما أبان له صلى الله عليه وسلم صفة بلاده بقلة الماء
والمرعى أشار عليه صلى الله عليه وسلم باتخاذ الابل لشدة صبرها عن الماء والعلوفة
والحمولة الابل التي تحمل عليها ۝ والعود الجمل المسن ۝ والذود جماعة الابل وخصه
بعضهم بالعشرة فما دونها وبالاناث خاصة فقال الذود من الثلاث الى العشر
ولا يكون الذود الا اناثا ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم ليس في دون خمس ذود
من الابل صدقة يرد عليه في الوجهين ۝ وقوله ما ؤها أسباح وقع بفتح
السين وهو والله أعلم بمعنى السيح وهو الجاري على وجه الأرض ويحتمل أن يقال
فيه سباح بكسر السين فيكون جمع سيح ۝ وقوله نخلها ضواح أي بارزة للشمس
يقال ضحى الرجل يضحو إذا برز من الظل الى الشمس ۝ والتلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع
من الأرض ويكون أيضاً ما انخفض ۝ وفياح بفتح الفاء واسعة وفي حديث أم
زرع وبيتها فياح ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم فإن ألبانها جمال كذا وقع بالجيم
ومعناه ظاهر وفيه إشكال ويحتمل أن يكون جمال هنا مصحفا من ثمال
بالثاء المثلثة وهو الغياث أي ان ألبانها غياث للجائع وليست كغيرها من الطعام

كالذي يحتاج الى معالجة بطبخ أو غيره والثمال الغياث على الاطلاق ومنه قول أبي طالب
في صفة النبي صلى الله عليه وسلم تسليما

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

والأكيلة الشاة التي تذبح وتؤكل والربا بضم الراء وتشديد الباء والقصر وهي
القريبة العهد بالولادة وجمعها أرباب بضم الراء وهو من الجموع الشاذة والأولى
أن يجعل اسم جمع لا جمعا واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار على سلمة بالغنم
لما وصف بلاده بكثرة الماء في قوله ماؤها ثجاج وكثرة المرعى في قوله
وبلاعها فياح فان البلاع في الغالب مواضع النبت وحنيف مسلم على دين الحنيفية
دين ابرهيم عليه السلام وحصاه فؤادي أي معرفته وعقله وقوله من بين
الفصيصة والفض أي من بين الناس كلهم والأصل في الفصيص والفض الجماعات
الكثيرة ومنه قولهم جاء القوم بفضهم وفصيصهم أي بجماعتهم كثرها وقلها
والعامة تقول بقطهم وقطيطهم فتغير اللفظ والمعنى ويغضي يكتم ذلك ونبذه
وأصل الاغضاء اطباق الجفون وقوله يحمى أي يحمي ويمنع وهذا الحرف فيه زحاف من العروض
وهو قبض مفاعيلن من الطويل ومعناه حذف رابعه الساكن وهو صالح الا أن
الطبع ينبو عنه والسلامة منه أحسن وفي أول هذه الأبيات أيضا زحاف
آخر يعرف بالخرم بالراء المهملة ومعناه حذف متحرك من أول وتد مجموع وهو الفاء
في فعولن في الطويل وذلك قوله أبلغ وزنه فعلن وأصله عولن من فعولن وقوله
بعد

بعد جوزنا أي ميلنا عن طريق الحق وقوله ظلما الحندس أي ظلما ليل الشرك والكفر
والحندس من الليل الشديد الظلمة وقوله لما نصر ما يحتمل وجهين أحدهما
أن يعود الضمير على الكفر فلا يكون فيه اشكال الثاني أن يعود على النار فيكون
بما ذكرنا فيه المؤنث في الشعر ضرورة كقوله ~ والأرض أبقل ابقالها والمربع الكثير
الخير والبركة ومنه مكان مربع أي مخصب والمعلم العلم الذي يهتدى به من ضل
الطريق وأما الصنف الثالث في المواعظ الشافية فمنها قوله صلى الله عليه وسلم
أيها الناس أقبلوا على ما كلفتموه من اصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر
دنياكم ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته واجعلوا
شغلكم بالتماس مغفرته واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته انه من
بدا بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ولا يدرك منها ما يريد ومن بدا
بنصيبه من ~~الدنيا~~ الآخرة وصل اليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد
وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم وفضول المطعم فان فضول الطعام يسم القلب
بالقسوة ويبطئ بالجوارح عن الطاعة ويصم الهمم عن سماع الموعظة واياكم وفضول
النظر فانه يبذر الهوى ويولد الغفلة واياكم واستشعار الطمع فانه يشرب القلب
شدة الحرص ويختم على القلب بطابع حب الدنيا وهو مفتاح كل سيئة وسبب احباط
كل حسنة وقوله صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان أفضل الناس من تواضع عن رفعة
وزهد عن غنية وأنصف عن قوة وحلم عن قدرة الا وان أفضل الناس عبدا أخذ من الدنيا

الكفاف ۝ وصاحب فيها العفاف ۝ وتزود للرحيل ۝ وتأهب للمسير ۝ ألا وإن
أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه ۝ وعرف عدوه فعصاه ۝ وعرف دار إقامته فأصلحها
وعلم سرعة رحلته فتزود لها ألا وإن خير الزاد ما صحبه التقوى ۝ وخير العمل ~~ما تقدمه~~
ما تقدمه النية ۝ وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه ۝ واعلم أن مواعظه
صلى الله عليه وسلم وكلامه كله فيه دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم من وجوه
أحدها ما فيه من الفصاحة التي تقاصرت درجات البلغاء عنها ۝ الثاني ما فيه من
البيان الواضح الذي يزيح كل ريب وإشكال ۝ الثالث ما فيه من السهولة وعدم
الاستكراه ۝ الرابع ما حبي به من القبول الذي يتلقاه به الأسماع والقلوب
تلقي الظمآن للماء ۝ الخامس فعله في القلوب الفعل الذي لا يخفى على سامع ۝ السادس
ما اشتمل عليه من المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ۝ السابع تنزهه عن المعاني
المطروقة والألفاظ المستعملة المعلومة ۝ الثامن علو سمائه عن حضيض المعاني
التي ليست بمحمودة ۝ والألفاظ التي هي غير مودوقة ۝ التاسع ما اشتمل عليه من
الإرشاد إلى مصالح الدنيا والآخرة ۝ العاشر مصاحبة الصدق له في كل الأحوال ۝
كقوله صلى الله عليه وسلم من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة فإن هذا
وأمثاله متى اعتبره الإنسان وجده صادقا في كل الأحوال ۝ وهذا أدل دليل على
أنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ۝ الحادي عشر ما اشتمل عليه من الحكمة التي تعجز عنها حكم
الحكماء

الحكماء ۝ الثاني عشر ما اشتمل عليه من المعاني التي لا تهتدي العقول إليها كقوله صلى الله عليه
وسلم إياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب شدة الحرص ويختم على القلب بطابع الدنيا
الثالث عشر ما تضمنه من بيان علل القلوب التي لا يطلع عليها إلا نبي ۝ الرابع عشر
ما تضمنه من بيان أسباب تلك العلل والأمراض ۝ وذلك لا يعلمه إلا نبي ۝ الخامس عشر
ما لكلامه صلى الله عليه وسلم في القلوب من الهيبة ۝ والبهجة الداعية إلى المحبة ۝
السادس عشر ما فيه مع ذلك من أصناف البديع التي تروق ببارع حسنها ۝ وتنقع الغلة
بريق مزنها ۝ السابع عشر ما تضمنه من الموعظة الحسنة ۝ والتذكرة المنبهة من
الغفلة والسنة ۝ الثامن عشر سلامته من الحشو الذي قلما يخلو منه الكلام ۝ أو يسلم
منه الأعلام ۝ التاسع عشر ما اشتمل عليه من التزهيد في الدنيا الفانية ۝ والترغيب
في الآخرة الباقية ۝ العشرون ما اشتمل عليه من بيان عيوب الدنيا وغوائلها
كقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار التواء لا دار استواء ۝ ومنزل ترح لا منزل
فرح ۝ فمن عرفها لم يفرح لرخاء ۝ ولم يحزن لشقاء ۝ الحادي والعشرون ما اشتمل
عليه من بيان غيوب الآخرة التي لا يطلع عليها إلا نبي كقوله صلى الله عليه وسلم
إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث ۝ أما من شبهة في الدين ارتكبوها
أو شهوة للذة آثروها ۝ أو غضبة لحمية أعملوها ۝ فإذا لاحت لكم شبهة فأجلوها ۝
باليقين ۝ وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد ۝ وإذا عنت لكم غضبة
فادرؤوها بالعفو ۝ أنه ينادي مناد يوم القيامة من له على الله تعالى أجر فليقم فيقوم

العافون عن الناس ٥ الم تر الى قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله فانظر يا اخي الى ما
اشتمل عليه هذا الحديث من الفوائد الجمة واولها الاعلام بعجيب في قوله انما يوتى
الناس يوم القيامة ٥ ثانيها حصر ذلك في ثلاث ٥ ثالثها قوله انما من شبهة ان تكبوها
وفيه فوائد الاولى قوله من شبهة تقدمها اولا فدل على انها اشد الثلث واعظمها خطرا
الثانية قوله في الدين دل على انها في اصل الاعتقاد لا في فروع ذلك الاصل والشبهة اذا كانت
في الاصل ربما ادت الى الشك فيه فكان ذلك سبب الهلاك في الدين وفي الله الكفاية
الثالثة قوله في الدين فيه اشارة الى ان الشبهة في الفروع لا تبلغ مبلغ هذه ولا تكون
منها من الهلاك ما يكون من هذه الرابعة قوله ان يكبوها وفيه اشارة الى ان هذه
الشبهات لا تميل الطباع اليها ولا تحبها القلوب لانها على خلاف الفطرة والملة الحنيفية
وان المتعمل لها والمعتقد لصحتها مرتكب امرا على خلاف مقتضى الطباع السليمة والعقول
المستقيمة ٥ ورابعها قوله او شهوة للذة اثروها وفيه فوائد الاولى قوله او شهوة
جاذكرها بعد ذكر الشبهة لغلبتها على الناس ومعا اضرنها وعظيم المجاهدة في
مخالفتها ٥ الثانية قوله للذة وفيه اشارة الى ان الشهوة على الاطلاق ليست بمذمومة
كمن يشتهي الطعام ليقيم بنيته ويستعين على طاعة ربه سبحانه ٥ ومن يشتهي
النكاح ليغض طرفه ويحصن فرجه ٥ وانما المذموم شيئان احدهما في حق العموم
والثاني في حق الخصوص ٥ اما في حق العموم فالشهوات المحرمة ٥ واما في حق الخصوص
فالشهوات على الاطلاق وقد جا ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام ان حذر
وانذر

149

وانذر علما امتك اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عني محجوبة ٥ ولذلك
هجرها العباد والزهاد وجاهدوا النفوس فيها اعظم الجهاد وقد قال بعض الشعراء

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة ٥ وكان عليها للخلاف طريق ٥
فخالف هواها ما استطعت فانما ٥ هواك عدو والخلاف صديق ٥

والاكابر منى لنا ولو من ذلك شيئا عوقبوا في الحال قال ابو سليمان الداراني
تشهى ابو الخير العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما
مد يده لياكل اخذت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت في ذلك يده
فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام
الثالثة قوله اثروها اي قدموها وفضلوها ٥ وفيه اشارة الى ان وازع الدين
والعقل يصد عنها ٥ وواعظ الله عز وجل في قلب كل مومن يعارض فيها فمن اجابه
سلم ونجا ٥ ومن اثر الشهوة اي فضلها وقدمها يسلك سبيل الهلاك ٥ ورابعها
قوله او غضبة للحمية اعملوها وفيه فوائد الاولى ان ذكر الغضبة جا بعد ذكر
الشهوة لعموم البلوى بالشهوة دون الغضبة ٥ الثانية قوله للحمية وفيه اشارة
الى ان الغضبة على الاطلاق ليست بمذمومة فانها اذا كانت لنصرة الدين واقامة
الحق كانت محمودة وانما المذموم ان تكون لغير الدين وهي الغضبة للحمية كمن
يغضب لنصر نفسه او قبيلة او صديقه او غير ذلك من الامور التي لا يكون الباعث
عليها شرعيا وهنا يقع التلبيس من الشيطان لعنه الله اذا صادف الغضب بشوبه

الهوى ○ الثالثة قوله اعملوها وفيه إشارة الى ان الغضب لا يضر الا بظهور اثره وهو العمل
بجسبه فان الانسان اذا غضب ولم يصدر منه عن ذلك الغضب شيء فلا اثر للغضب
فان صدر منه فعل فحينئذ يتعلق به الجزاء والعقاب ○ ومن هذا القبيل قوله
تبارك وتعالى ومن شر حاسد اذا حسد ففايدة قوله تعالى والله اعلم اذا حسد
الاشارة الى اعمال حسده وظهور اثره من الكيد والاضرار والله اعلم ○ وخامسها
قوله صلى الله عليه وسلم فاذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين ○ وفيه فوايد
الاولى في قوله لاحت وفيه إشارة الى ان هذه الشبهات لا تتعلق بقلب المؤمن
ولا تلصق به لانها منافرة لما فيه من نور الايمان ○ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لاحت فاخبر انها تلوح كما يلوح الشيء من بعد ○ الثالثة قوله فاجلوها وفيه
اشارة الى وجهين احدهما انها من جنس الظلم ولذلك قال فاجلوها اي كما يجلو
الضياء ظلام الليل ○ الثاني دل على انها اذا تمكنت سودت القلب على قدر
اثرها ○ الثالثة قوله باليقين نبه على فايدة عظيمة وقاعدة جسيمة ○ وهي ان الله
عز وجل اجرى القاعدة بان معالجة الضد بالضد فلما كانت هذه شبهة تورث
الشك كان جلاؤها بضدها الذي هو اليقين وهذه قاعدة كلية معمول بها في
الطب وغيره ولذلك قال شيخنا الفقيه ابو عبد الله قدس الله روحه وقد ذكر
هذا الحديث بين صلى الله عليه وسلم الداء وعلم الدواء فان قلت ـــــ ها هنا
اشكال وهو ان يقال اذا كانت الشبهة تورث شكا في المنظور
فيه

150

فيه فاي يقين يبقى مع الشك حتى تجلى به قلت ـــــ الشبهات اما ضعيفة واما قوية
اما الضعيفة فيجلوها اليقين بنفس المسألة المشكوك فيها كمن يشكك شخصا في
مرض جسمه ويستدل على ذلك بصفرة لونه ونحافة جسمه وقلة طعمه وهو يعلم
من حاله خلاف ذلك بان اعضاءه لم يحدث فيها تغير عما عهده وان الافعال تصدر
عنها بسليمة فهذه الشبهة يجلوها يقينه بصحة جسمه فلا اثر لوقعها ○ واما القوية
التي تورث شكا فتجلى باليقين من ادلة اخرى كمن يشكك انسانا انه مريض
ايضا ويستدل بعدم شهوته للطعام وتوالي العطش عليه وكسله عن الاعمال
فيقول هذه وان اورثت شكا في المرض لانها في بعض الاحوال من اعراض المرض الا
ان عندي يقينا بامر هو ادل على الصحة منها على المرض وهو اني لا اجد عضوا من اعضائي
يتالم ولا فعلا من افعالي يصدر غير سليم فيدفع ذلك الشك بيقين في جانب اخرى من
دلايل الصحة كذلك المشكك في امر الدين ان كانت شبهته ضعيفة درأها
ما عنده من اليقين ○ وسواء سمع دليلا يبطلها او لم يسمع ○ وان كانت قوية
كمن يشكك في الاستواء الذي تقدم ذكره فيقول هذا امر فيه توقف واضطراب
للعقول ○ ولكن هنا آية متيقنة لا شك فيها وهي قوله تعالى ليس كمثله شيء
فاذا انتبه لهذه الآية ذهبت عنه الشكوك كلها باذن الله عز وجل وبركة الاقتداء
برسوله صلى الله عليه وسلم في قوله فاجلوها باليقين وهذا المسلك يسلك الاصوليين
في الرد على من تكلم في بعض الصحابة رضي الله عنهم من المبتدعة فقالوا لا شك ان الصحابة

رضي الله عنهم معدلون بتعديل الله عز وجل وتعديل رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله
تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر الآية وقوله تعالى لقد
رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ۝ وقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس ۝
وقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ۝ وقوله صلى
الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ۝ فهذه
أدلة متيقنة من الكتاب والسنة وما سواها لا يعارضها ولا يثبت الظلم مع
وجود الأنوار ۝ وسادسها قوله صلى الله عليه وسلم وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها
بالزهد وفيه فوائد أحدها قوله صلى الله عليه وسلم وإذا عرضت لكم ~~شهوة~~
دل على أنها مجبولة بالطبع والباعث لها من النفس وهي لاصقة بها متعلقة بسببها
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وإذا عرضت يقال عرض لي فلان في طريقي إذا
قاربك أو دنا منك لأمر يريده من صيد أو غيره ۝ الثانية قوله صلى الله عليه وسلم
فاقمعوها دل على شدة أمرها وقوة تمكنها وأنها متطلعة من النفس تطلع من يرفع
رأسه لينال أمرا فقال فاقمعوها والقمع الرد برغم وكره وأصله والله أعلم من
الضرب بالمقمعة على الرأس ۝ الثالثة قوله صلى الله عليه وسلم بالزهد والترك للدنيا
رغبة في الآخرة وما أعد الله عز وجل فيها لعباده المؤمنين أو حبا في الله عز وجل وأنفة
من الالتفات إلى سواه قال بعضهم

من لم يطهره هواك فإنه بالالتفات إلى سواك مدنس ۝

وأرى

وأرى الركون إلى سواك عواقبا أضحى المقيم بها بصد وتحبس ۝
حجب الأنام بأنفس أمارة أبدا تصد عن الهدى وتوسوس ۝

وسابعها قوله صلى الله عليه وسلم وإذا عنت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو وفيه فوائد
أحدها قوله صلى الله عليه وسلم عنت فإنه وإن كان بمعنى عرض إلا أن فيه زيادة
على معنى عرض وهو الظهور أمامك ۝ ولما كان الغضب يبدر ويسبق حتى قيل فيه أنه
غول العقل أي يذهب العقل معه حتى لا يدري الغاضب ما يصنع ويصدر منه
أمور على غير وجهها قال صلى الله عليه وسلم عنت لكم غضبة ۝ الثانية قوله صلى الله
عليه وسلم فادرؤوها أي ادفعوها فجاء لفظ ادرؤوها لما فيه من معنى المدافعة مناسبا
لما في الغضب من الشدة ولما في قوله عنت من السبق والشدة أيضا ۝ الثالثة قوله
بالعفو وهو الترك والصفح وفيه إشارة إلى أن الغضب يدعو إلى الانتقام والمعاقبة
لمن يكون سبب ذلك الغضب وأن العلاج والمدافعة إنما هي اندفاع ذلك الأثر
حتى لا يبرز ۝ وأما الغضب فيكاد يكون غالبا على الناس ولا يدافعه إلا القوي
من الرجال وفيه أيضا إشارة ثانية إلى أن ذلك المغضوب منه مما يسوغ فيه
العفو ۝ وأما إن كان من الغضب الذي يجب إنفاذ أثره كالغضب على الكفار وأصحاب
الجرائم عند الحدود فإنه لا يبدأ بالعفو ۝ وثامنها قوله صلى الله عليه وسلم
أنه ينادي مناد يوم القيامة من له على الله أجر فليقم وفيه فوائد أحدها الإعلام
بغيب لا يطلع عليه إلا النبي ۝ الثانية الإشارة إلى عظم العفو وجلالة قدره حتى

ينادي به يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ۝ الثالثة الفخر العظيم في قوله من له على الله أجر
الرابعة قوله فليقم وفيه الإشارة بذكرهم وإظهارهم للخلائق حتى يبصروهم في ذلك
الموقف ويتمنى غيرهم أن يكونوا منهم ۝ الخامسة في قوله صلى الله عليه وسلم ألم تر إلى
قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله ۝ وفيه فائدتان إحداهما موافقة الكتاب
للسنة ومعاضدته لها ۝ الثانية فيه دليل أهل السنة في قولهم أنه لا يجب على الله
عز وجل شيء إلا ما أوجبه كرمه ۝ ورد على أهل البدعة القائلين بالصلاح والأصلح
والله أعلم ۝ الثاني والعشرون ما يشرق على قلب المؤمن من النور عند سماع الحديث
الثالث والعشرون ما يكتسبه من الفوائد العظيمة عند التفكر في معانيه ۝ الرابع والعشرون
ما يلحقه من الخيرات وأنواع البركات عند العمل به ۝ الخامس والعشرون ما يعتري قلب
الشاك والمرتاب من الظلم المتراكمة عند سماعه ۝ السادس والعشرون ما يحرمه
من الفوائد عند الإعراض ۝ السابع والعشرون ما يلحقه من المضار وأنواع
الشرور عند التمادي على الإعراض وإن كان لا يفطن لذلك ولا يعرف من أين أتي
الثامن والعشرون ما يستفيده الناظر في معانيه من قيام الدلالة القاطعة على
إعجاز القرآن فإنه إذا اعتبر الحديث فرأى ما فيه من الفوائد ووضع الألفاظ
مواضعها وملازمة الصدق لها في كل الأحوال ظهر له أنها في المرتبة العليا من البلاغة
والفصاحة وأن ذلك كله حق من عند الله عز وجل ثم إذا نظر بعد ذلك في نظم القرآن
ومعانيه رأى نمطا آخر تقوم الدلالة على إعجازه بأدنى تأمل ونظر عند من علت في

البلاغة

البلاغة درجته ۝ ووضحت في سبلها محجته ۝ التاسع والعشرون ما في قراءته من
الثواب الآجل والمنفعة في العاجل ۝ الثلاثون ما يستفيده من بركة دعوة النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وقد ظهر
أثر هذه الدعوة والحمد لله فلا ترى محدثا إلا والنضرة على وجهه لائحة لا تخفى ونورها
لا يخبو على مر الزمان ولا يطفأ ۝ وأما الصنف الرابع في الأمثال الكافية
فمثل قوله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا ۝ ليس الخبر كالمعاينة ۝ السفر قطعة
من العذاب ۝ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ۝ إذا لم تستح فاصنع ما شئت ۝
ما عال من اقتصد ۝ ما نقص مال من صدقة ۝ الدال على الخير كفاعله ۝ ليس الغنى
عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ۝ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ۝ ومثل
قوله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن الطمع فقر ۝ واليأس غنى ۝ والقناعة راحة ۝
والعزلة عبادة ۝ والعمل كنز ۝ والدنيا معدن ۝ ومثل قوله صلى الله عليه وسلم
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ۝ وأوثق العرى كلمة التقوى ۝ وخير
الملل ملة إبراهيم ۝ وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ۝ وأشرف الحديث ذكر
الله تعالى ۝ وأحسن القصص هذا القرآن ۝ وخير الأمور عوازمها ۝ وشر الأمور
محدثاتها ۝ وأحسن الهدي هدي الأنبياء ۝ وأشرف الموت قتل الشهداء ۝ وأعمى
الضلالة ضلالة بعد الهدى ۝ وخير العمل ما نفع ۝ وخير الهدى ما اتبع ۝ وشر
العمى عمى القلب ۝ واليد العليا خير من اليد السفلى ۝ وما قل وكفى خير مما كثر

والعمى ۝ وشر المعذرة عند حضرة الموت ۝ وشر الندامة ندامة يوم القيامة
ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزرا ۝ ولا يذكر الله إلا هجرا ۝ ومن أعظم الخطايا اللسان
الكذوب ۝ وخير الغنى غنى النفس ۝ وخير الزاد التقوى ۝ ورأس الحكمة مخافة
الله تعالى ۝ وخير ما ألقي في القلب اليقين ۝ والارتياب من الكفر ۝ والنياحة من
عمل الجاهلية ۝ والغلول من جمر جهنم ۝ والشعر من النار ۝ والشعر من إبليس ۝ والخمر
جماع الإثم ۝ والنساء حبائل الشيطان ۝ والشباب شعبة من الجنون ۝ وشر الكسب
كسب الربا ۝ وشر المأكل مال اليتيم ۝ والسعيد من وعظ بغيره ۝ والشقي من شقي
في بطن أمه ۝ إنما يصير أحدكم إلى موضع أذرع من الأرض ۝ والأمر إلى آخره ۝ وملاك
الأمر خواتيمه ۝ وشر الروايا روايا الكذب ۝ وكل ما هو آت قريب ۝ سباب
المسلم فسوق ۝ وقتاله كفر ۝ وأكل ماله من معصية الله ۝ وحرمة ماله كحرمة دمه ۝
ومن يتألَّ على الله يكذبه ۝ ومن يغفر يغفر الله له ۝ ومن يعف يعف الله عنه ۝ ومن
كظم الغيظ يأجره الله ۝ ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ۝ ومن يعص الله يعذبه
الله ۝ ومثل قوله صلى الله عليه وسلم ۝ الحياء خير كله ۝ الحياء لا يأتي إلا بخير ۝
المسجد بيت كل تقي ۝ آفة العلم النسيان ۝ وآفة الحديث الكذب ۝ وآفة الحلم السفه ۝
وآفة الظرف الصلف ۝ وآفة الجود السرف ۝ وآفة الدين الهوى ۝ وآفة العبادة
الفترة ۝ وآفة الشجاعة البغي ۝ وآفة السماحة المن ۝ وآفة الجمال الخيلاء ۝ وآفة
الحسب الفخر ۝ ساقي القوم آخرهم شربا ۝ كل معروف صدقة ۝ مداراة الناس

صدقة

صدقة ۝ الكلمة الطيبة صدقة ۝ ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة ۝ الصدقة
على القرابة صدقة وصلة ۝ الصدقة تدفع ميتة السوء ۝ وصدقة السر تطفئ غضب
الرب ۝ صلة الرحم تزيد في العمر ۝ صنائع المعروف تقي مصارع السوء ۝ والزكاة
قنطرة الإسلام ۝ والتراب ربيع الصبيان ۝ واعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم
خير الأمور عوازمها يريد والله أعلم بعوازم الأمور ما انعقد عليه الإجماع أو عمل به
جمهور المسلمين كما قال عليكم بالسواد الأعظم ومن شذ فإلى النار ۝ وقوله صلى
الله عليه وسلم لا يأتي الجمعة إلا نزرا أي قليلا ۝ ولا يذكر الله إلا هجرا بفتح الهاء أي إلا على
بعد وطول أي لا ذكر هجرا وهو عكس ما أمر به في الحديث الآخر حيث قال صلى
الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله ۝ ومعنى قوله رطبا والله أعلم
أن ذلك الذكر يكون متتابعا لأن ذلك الذكر يسقي القلب ويسقي اللسان كما يسقي الماء
الغصن فلا يزال رطبا بذلك فإذا بعد عهده بالذكر جف كما يجف الغصن إذا بعد عهده
بالماء وأيضا فإن مداومة الذكر تخف بها الذكر على اللسان والقلب وتصير كالطبع
يجري على اللسان من غير قصد ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم شر الروايا روايا
الكذب يحتمل وجهين أحدهما أن يكون جمع روية وهي الفكرة ۝ والثاني
أن يكون جمع راوية وهي المزادة التي يحمل فيها الماء ۝ والأصل في الراوية البعير التي
يحمل عليه الماء ثم سميت المزادة راوية باسم البعير ۝ والمراد شر ما يحمل الإنسان
الكذب ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم ومن يتألَّ على الله يكذبه قيل من حكم عليه

فقال ليدخلن الله فلانا النار ولنجحن الله سعي فلان ۞ وفي حديث رؤية عائشة
رضي الله عنها ويل للمتألين من امتي يعني الذين يحكمون على الله عز وجل فيقولون فلان في
الجنة وفلان في النار ۞ والاصل في قوله صلى الله عليه وسلم ويل للمتألين من الألية وهي
اليمين والحديث عام فلا يخصص الا بدليل ۞ والظرف مصدر ظرف اذا برع بالرأي
النجدة والبراعة تناهي الجمال ولا يوصف بها الا الاحداث اما غلام او جارية
ولا يوصف بذلك الشيوخ ۞ والصلف التيه والعجب ۞ وهذا مثل قوله في
الحديث الآخر وآفة الجمال الخيلاء ۞ وقيل الصلف مجاوزة قدر الظرف وادعاء ما
فوق ذلك ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم تزيد في العمر فيه اشكال
وهو ان الله تعالى عز وجل يقول في كتابه العزيز فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ۞ فما الجمع بين الآية والحديث ۞ وقد جاء في الكتاب العزيز
ثلاث آيات احداهما الاولى وما كان مثلها ۞ والثانية قوله تعالى وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ۞ وهما متعارضتان ۞ والثالثة قوله
تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وهي الموضحة للآيتين المتقدمتين والرافعة
للتعارض الذي بين الآيتين المتقدمتين وبين الآية الاولى والحديث وبيان ذلك
ان يقال هذه الآية اقتضت ان هناك اجلين اجل مقضي وهو الذي يقع فيه الزيادة
والنقصان ۞ واجل مسمى عنده لا زيادة فيه ولا نقصان ۞ والمعنى في ذلك والله
اعلم ان الله عز وجل خلق كل انسان على صفة وهيئة من التركيب تقتضي بلوغه

عمرا

عمرا معلوما وجعل له بحسب ذلك اجلا موقتا واطلع على ذلك من شاء من ملائكته
واخفى عنده اجله المحتوم الذي لا يتجاوزه وقضى مع ذلك ان هذا الشخص يبر قرابته
ويصل رحمه فيبلغ الاجل المحتوم وهو زائد على الاجل المعلوم او لا يبر فيموت في الاجل
المعلوم او يخترم دونه فالزيادة والنقصان في الاجل الظاهر ولذلك يرى الرجل يمرض
وينتهي به الحال الى ان يقطع الطبيب وكل من رآه انه لا يعيش او انه مات ثم يتاح
له سبب يكون به برؤه ويعيش بعد ذلك المدة الطويلة وكذلك قد يغرق في
ماء فيرفع ولا حراك به ولا عرق فيه ينبض ثم بعد ذلك يفيق ويعيش ما شاء الله ۞ اخبرني
والدي رحمه الله وغفر له انه كان يقرأ بجامعة حرسها الله على ابن امة الله وكان اماما
في اصول الفقه واصول الدين فجاء صبي فجعل يضرب باب المسجد بالحجارة فقال الصبي
هذا الصبي بات ليلة في القبر وعاش بعد ذلك فقلت له كيف ذلك قال كان
ابوه غائبا فمات الصبي ودفن فجاء ابوه من الغد فقال لامه اين ولدي فقالت له مات
ودفناه فقال لم يمت وذهب الى قبره فحفر عليه فوجده حيا فجاء به الى المدينة على
عنقه وقال له اي شيء تشتهي فقال التمر وكثير ما ينفق هذا لأصحاب السكتات
ولذلك استحب بعض المتأخرين من الفقهاء الا يدفنوا سريعا ۞ ومات رجل بمدينة
تورز فعرف بذلك بعض الاطباء ففصد عرقا في جبهته فجرى الدم حتى فتح عينيه وقام
وهذه قصة مشهورة وهو حي الى الآن فهذا كله من الاجل الظاهر وما بين بعده
من الاجل الباطن ۞ وكذلك ترى الشاب في غاية الصحة والقوة فيقول الرائي له

يعيش هذا ما شاء الله عز وجل فيخترم في ساعة ولهذا ترى الانسان تصيبه المرض ويبلغ
به الحال فاذا اخذ بقول النبي صلى الله عليه وسلم داووا امرضاكم بالصدقة وتصدق
شفي بقدرة الله عز وجل ولم يمت من ذلك المرض وان ترك ذلك او تهاون به او لم يجد من
ينبهه عليه ربما فجأه اجله وصادف الاجل المحتوم ۝ اعرف شخصا مرض في عام
ثلثة وستين وكان عاما فيه وباء في اكثر البلاد وكان الامر فيه بمدينة توزر
حرسها الله شديدا او مرض بعلة البطن وقلما ينجو منها الشيخ فتصدق باربعين دينارا
فصح بعد ان يئس من الحياة وهو الان حي على حال الصحة الكاملة والقوة فالله
عز وجل اذا اراد الزيادة في عمر ذلك الشخص وفقه للعمل بالامر الذي يترتب عليه طول
العمر والعكس والله اعلم ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام يقال ما
الفائدة في كون الزكاة قنطرة ولم سماها صلى الله عليه وسلم بذلك والجواب ان يقال
انما سماها بذلك والله اعلم لان المال مثل بالماء والماء اذا غلب على شيء اتلفه واهلكه
ولا يستطيع الانسان الخلوص منه اذا غمره ولا يسلم المرء من اذاه وضرره الا اذا
عبر عليه على قنطرة ولم يباشره فلما كانت الزكاة تدفع ضرر المال وتمنع مخرجها
من اذاه كانت كالقنطرة المانعة من ذلك لكن يبقى هاهنا سؤال وهو ان يقال
فهلا قال قنطرة المال وما الفائدة في اضافة ذلك الى الاسلام قلت فيه فائدتان
احدهما التنبيه على ان هذه النعمة والمنة مخصوصة بملة الاسلام ۝ الثاني ان
الاسلام عبارة عن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ۝ واقام الصلاة ۝
وايتاء

وايتاء الزكوة ۝ وصوم رمضان ۝ والحج ۝ وهذه كلها اسباب موصلة الى الجنة وعاصمة
من النار ۝ اما الشهادة فهي الاصل التي يبنى عليها ما سواها وهي المانعة من الشرك ۝
والشك والكفر والنفاق وغير ذلك من مهلكات الاعتقادات ۝ واما
الصلاة فانها عماد الدين وتالية الشهادة والصلاة كما قال صلى الله عليه وسلم نور
واما الزكاة فانها طهرة لقلب المؤمن من وصم البخل وللمال من دنس الشوب ۝ واما
الصيام فجنة تحمي من الشهوات وتدفع ضررها ۝ والحج المبرور لا جزاء له الا الجنة
واذا عرفت ذلك فاعلم ان المهلكات اما من جنس الظلمات وذلك شيئان الكفر وما
جانبه ۝ ودافعه الايمان وهو اصل هذه العبادات كلها وهو نور يقذفه الله
عز وجل في قلب من يشاء ۝ الثاني ظلمات المخالفة ودافعها الصلاة كقوله تعالى ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ۝ واما من جنس المغرقات وهي الدنيا كلها وامورها
ولذلك تمثل الدنيا بالبحر والنجاة من ذلك بشيئين احدهما بالسفينة وهي عبارة عن
محبة عترة النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مثل
اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق ۝ والثاني بالقنطرة
وهي الزكاة ۝ واما من جنس المحرقات وهي الشهوات النفسانية ۝ واللذات الجسمانية
والنجاة منها بشيئين احدهما الصيام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الصوم جنة وقال
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء اي قاطع للشهوة كالوجاء وهو الخصا ۝ والثاني الحج فانه يلزم معه الخروج

من الوطن ومفارقة الملاذ والمحبوبات كلها ٥ واذا ظهر ذلك بان معنى الاضافة
في قوله صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام اي هي النازلة منزلة القنطرة
من اركان الاسلام والله اعلم ٥ وقوله صلى الله عليه وسلم التراب ربيع الصبيان
المراد به والله اعلم الاعلام بان ما يفعله الصبيان في حال الرضاع والطفولة من
اكلهم التراب لا يضر احشاءهم ولا يحدث فيها شيئا كما لا يحدث الربيع شيئا في
اجسام الماشية اذا اكلته بل تنمي وتصح

اما الصنف الخامس

في المخاطبات البارعة ٥ فمثل كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر وهو من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاقيال العباهلة ٥ والارواع المشابيب ٥ من اهل حضرموت
باقامة الصلاة المفروضة ٥ واداء الزكاة المعلومة عند محلها في التيعة شاة لا
مقورة الالياط ولا ضناك ٥ وانطوا الثبجة ٥ وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ٥ ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ٥ ووائل بن حجر يترفل على الاقيال امير امره رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسمعوا واطيعوا ٥ وفي بعض الروايات زيادة بعد قوله
صلى الله عليه وسلم وفي السيوب الخمس وهي والتيمة لصاحبها ٥ وفيها ايضا لا خلاط ٥
ولا وراط ٥ ولا شناق ٥ ولا شغار ٥ ومن اجبى فقد اربى ٥ ومثل كتابه صلى الله عليه وسلم
الى اكيدر دومة ٥ وهو كتاب من محمد رسول الله حين اجاب الى الاسلام ٥ وخلع الانداد ٥
والاصنام ٥ مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل ٥ واكنافها ان لنا الضاحية من
الضحل

الضحل والبور والمعامي واغفال الارض ٥ والحلقة والسلاح ٥ والحافر والحصن ٥ ولكم
الضامنة من النخل ٥ والمعين من المعمور ٥ لا تعدل سارحتكم ٥ ولا تعد فاردتكم ٥ ولا يحظر
عليكم النبات ٥ تقيمون الصلاة وتؤتون الزكوة بحقها عليكم بذلك عهد الله وميثاقه
ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين ٥ واعلم ان قوله
صلى الله عليه وسلم في الكتاب الاول الى الاقيال والمراد به الملوك والاصل في
القيل انه الملك دون الملك الاعظم ٥ والعباهلة الذين اقروا على ملكهم ٥ والارواع
الحسان الوجوه ٥ والمشابيب الذين تشرق وجوههم من حسنها كما تضيء النار المشبوبة
والتيعة اربعون من الغنم ٥ والمقورة المسترخية ٥ والالياط الجلود والمراد بذلك الهزيلة
والضناك السمينة ٥ وانطوا بمعنى اعطوا ٥ والثبجة في الوسط اي اعطوا الوسيط من المال
لا من خياره ولا من رذالته ٥ والسيوب الركاز ٥ وهو دفن الجاهلية ٥ وقوله مم بكر
اي من بكر فابدل الميم من النون واري انها كانت لغة اهل حضرموت لانه صلى
الله عليه وسلم كان يخاطب كل قبيلة بلغتها وهي من معجزاته صلى الله عليه وسلم
لانه لم يخرج من مكة ولا طاف في احياء العرب ومع ذلك كان يعرف لغات
العرب كلها وسئل عن ذلك قال ان لغة اسمعيل عليه السلام درست فاتاني بها جبريل
وقوله فاصقعوه اي اضربوه ٥ واستوفضوه اي انفوه وغربوه واصله في الابل
اذا تفرقت من ذعر ٥ ومنه قيل لاخلاط الناس الاوفاض ٥ وقوله صلى الله عليه
وسلم ضرجوه اي سيلوا دمه والمراد به الرجم ٥ والاضاميم الحجارة واحدتها اضمامة

وأصلها الشيء المجموع الذي ضم بعضه إلى بعض ه ولا توصيم في الدين أي لا كسل ولا
فتور ه وبترقل أي تأمر ه وقوله والثجة لصاحبها أي الشاة المفردة الزائدة على قدر
الزكاة ه وقوله لا خلاط أي لا تخلط الماشية لتنقص الزكاة ه والوراط الغش والخداع
وقيل هو أن يخفي إبله من المصدق فيجعلها في ورطة من الأرض وهي الهوة والحفرة ه وقوله
صلى الله عليه وسلم لا شناق الشنق ما بين الفريضتين ه والمعنى لا زكاة فيها والله
أعلم ه والشغار أن يزوج كل واحد من الوليين وليته من الآخر ولا صداق بينهما
والإجباء بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه ه وقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب
الثاني ه الأنداد هي الآلهة التي كانت تعبد من دون الله عز وجل ه وقوله في دومة
الجندل بضم الدال ه والضاحية ما بعد عن العمارة ه والضحل الماء القليل ه والبور الأرض
التي لم تزرع ه والمعامي والأغفال الأرض المجهولة والتي لا علم لها ه والحلقة الدروع ه
والضامنة ما كان في العمارة وداخل بلدهم ه والمعين الماء الظاهر الجاري ه والسارحة
الماشية ه ولا تعدل لا تصرف عن مرعى لا تحشر إلى المصدق ه والفاردة الزائدة
على ما تجب فيه الزكاة ه ولا يحظر عليكم النبات قيل معناه لا تمنعون من الزراعة
حيث شئتم وقيل معناه لا تمنعون من الرعي حيث شئتم وأما الصنف السادس
في الوصايا النافعة فمثل قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له قل لي في
الإسلام قولا لا أسأل فيه أحدا بعدك فقال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم
فقد جمع صلى الله عليه وسلم في هاتين الكلمتين جميع الوصايا النافعة ه ومثل
وصيته

وصيته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر بقوله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
وأعدد نفسك في الموتى ه وإذا أصبحت فلا تحدثها بالمساء ه وإذا أمسيت فلا تحدثها
بالصباح ه وخذ من صحتك لسقمك ه ومن شبابك لهرمك ه ومن فراغك لشغلك ه
ومن حياتك لموتك ه لأنك لا تدري ما اسمك غدا ه وبعضهم يجعل قوله وإذا أصبحت فلا
تحدث نفسك بالمساء ه وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح من كلام ابن عمر
رضي الله عنه ه ومثل وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس ه بقوله احفظ الله
يحفظك ه احفظ الله تجده أمامك ه تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ه إذا سألت
فاسأل الله ه وإذا استعنت فاستعن بالله ه قد جف القلم بما هو كائن ه فلو اجتمع
الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله تعالى لك لم يقدروا على ذلك ه أو يضروك بشيء لم يكتبه
الله لك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعمل بالرضا في اليقين فافعل ه وإن لم تستطع فإن
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ه واعلم أن النصر مع الصبر ه والفرج مع الكرب ه وأن
مع العسر يسرا ه ووصيته لأبي هريرة بقوله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هؤلاء
الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي
فعد خمسا ه اتق المحارم تكن أعبد الناس ه وارض بما قسم الله تكن أغنى الناس ه
وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ه وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ه ولا تكثر
الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ه ومثل قوله صلى الله عليه وسلم اكفلوا
لي بست أكفل لكم الجنة ه إذا حدث أحدكم فلا يكذب ه وإذا وعد فلا يخلف ه وإذا

أو يمن فلا يجن ۝ غضوا أبصاركم ۝ وكفوا أيديكم ۝ واحفظوا فروجكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم
تسليما واما الصنف السابع ما تفرد به مما لم يسبق اليه فمثل قوله صلى الله عليه
وسلم الآن حمي الوطيس أي متوقد الحرب ۝ وأصل الوطيس التنور قال ذلك صلى الله
عليه وسلم في غزاة حنين حين نظر الى شدة قتال المسلمين للمشركين ۝ وقوله صلى الله عليه
وسلم لا ينتطح فيها عنزان حين أمر بقتل المرأة التي كانت تؤذيه صلى الله عليه وسلم ۝ وقوله
صلى الله عليه وسلم مات حتف أنفه ۝ وقوله في المسلم والكافر لا تراءى ناراهما الحديث ۝ أنا بريء
من مسلم نزل مع مشرك لا تراءى ناراهما أمر ببعد المسلم عن المشرك وعدم الطمأنينة اليه
واما الصنف الثامن في ما تكلم به فلم يعلم معناه حتى نبه عليه فمثل ما رواه
أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأهل النار قالوا بلى يا رسول الله قال
كل جظ جعظ قلت ما الجظ ما الضخم قلت ما الجعظ قال العظيم في نفسه ۝ ومثل
قوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل من أهل النار فقال كل قفري قالوا وما القفري
قال الشديد على الأهل الشديد على العشيرة الشديد على الصاحب ۝ وسأله رجل من سليم
فقال أيدالك الرجل زوجه قال نعم إذا كان ملفجا فقال له أبو بكر يا رسول الله ما قال
وما قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال أيماطل الرجل أهله قلت نعم
إذا كان الرجل مفلسا قال أبو بكر يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت
فصحاهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد واعلم
أنه كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله لسانا ۝ وأعظمهم بيانا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

انا

أنا أفصح الناس بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر ۝ ويروى أفصح العرب ۝ وقوله صلى
الله عليه وسلم بيد أني قيل معناه غير أني ۝ وقيل على أني وكلاهما فيه اشكال ۝ والصواب
أن يقال معناه من أجل أني ۝ وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله إنك
أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لغة اسمعيل كانت
درست فأتاني بها جبريل عليه السلام فحفظتها ولذلك كان صلى الله عليه وسلم
يكلم كل قبيلة بلغتها كما تقدم وقال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال
وما يمنعني من ذلك وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ۝ واعلم أن الأحاديث
في هذه الأصناف كثيرة إلا أني آثرت الاقتصار على هذا القدر خشية الإطالة وفيه إن
شاء الله كفاية تهدي الطالب ۝ وتنبه الراغب ۝ بعون الله عز وجل

الباب الثامن

في دلالة خلقه الكريم وخلقه العظيم

هذا الباب على قسمين الأول في دلالة خلقه الكريم ۝ والثاني في دلالة خلقه العظيم ۝ ۝
أما القسم الأول فاعلم أن الله عز وجل كمل خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تكميلا جمع فيه المحاسن
وقرن به المحبة والقبول ۝ والمهابة والجلالة فكان كما قال علي رضي الله عنه في وصفه
صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ۝ ومن خالطه معرفة أحبه ۝ فكانت
خلقته صلى الله عليه وسلم أعدل الخلق وأكملها ۝ وصفاته أحسن الصفات ۝

وأجملها كما قلت فيه قديمًا محبةً وتعظيمًا

جلت صفات محمد عن أن يقاربها بشر   نور الإله أفاضه ملء البسيطة وانتشر

صلى عليه الله ما وافى الصباح وما حشر

وكذلك من دلائل نبوته الصادقة وآياته المثبتة بشرفه في الأزل الناطقة وكل من تكلم في حسن الصفات ومحاسن الخلق ودلائل العقل والكمال من الأوائل وغيرهم إذا اعتبر ما ذكره لم يوجد في صفة شخص على الكمال إلا في صفة سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فمن نظر ما ذكره صاحب السياسة في تدبير الرياسة من دلائل الفراسة في الرجل الكامل الذات الشريف الأفعال والصفات بان له أن تلك الأوصاف الجميلة والخصال الجليلة لم تجتمع إلا في سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخالج خاطره أن ما ذكر من ذلك كان إشارة إليه ورمزًا منبهًا عليه صلى الله عليه وسلم بل أقول إن الله عز وجل جمع ما تفرق في الناس من محاسن الخَلق والخُلق وزاد على ذلك وخص به نبيه صلى الله عليه وسلم فجميع ما ذكره صاحب السياسة وإن اختار الوصف وأجاد الرصف نقطة من ذلك البحر ولمعة من ضياء ذلك البدر وشاهد ذلك ما أثبته في هذا الباب من أوصافه التي بهرت (وانتشرت) في الآفاق واشتهرت كما قيل

ليس فيها ما يقال له   كملت لو أن ذا كملا

كل شيء من محاسنها   كائن في نفسه مثلا

وقد كان

وقد كان كثير من العرب إذا رآه صلى الله عليه وسلم تبين له من صفته أنه الصادق في ما يقول وأنه النبي المبعوث إلى الخلق والرسول وبعضهم يقول إذا لمح محياه وعبق له عرفه الذكي ورياه والله ما هو بوجه كذاب ويوقن بنبوته صلى الله عليه وسلم دون ارتياب وكان كل وصف من أوصافه في الدلالة كافيا ولعوارض الشكوك نافيا وفي ذلك يقول بعضهم

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بداهته تنبيك بالخبر

وفي ذلك أقول

أوصافه كلها تقضي بصحة ما   يدعو إليه وتهدي كل ذي بصر

وإنما البحر حدث عنه لا حرج   ولا مخافة تقصير ولا قصر

بحر خضم بكل الواصفون له   من مطنب في معانيه ومختصر

يغدو البليغ إذا ما خاض لجته   وإن حوى قصبات السبق ذا حصر

وأنا أورد بعون الله من صفاته صلى الله عليه وسلم ما تشهد بجماله شواهد العقول ويتيقن به أنه المبعوث بالشرع المنقول اعلم أن صفته صلى الله عليه وسلم جاءت في الموطا وفي الصحيحين البخاري ومسلم وفي جامع الترمذي وفي كتاب الشمائل للترمذي وفي غيرها من المصنفات فأما ما في الموطا فعن أنس بن مالك أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق وليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون

شعرة بيضاء ۝ وفي البخاري عن أبي إسحق قال سئل البراء أكان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر ۝ وعن أبي جحيفة قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة ۝ وزاد فيه
عون عن أبيه أبي جحيفة قال كان تمر من ورائها المرأة وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه
يمسحون بها وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج
وأطيب رائحة من المسك ۝ وفي كتاب مسلم عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ وما مسست ديباجة ولا
حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة
أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وفي جامع الترمذي عن البراء
قال ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم له شعر
يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين ۝ لم يكن بالطويل ولا بالقصير ۝ وعن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل ۝ ولا بالقصير ۝ شثن الكفين
والقدمين ضخم الرأس ضخم الكراديس طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفيا كأنما انحط
من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله ۝ وعن إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب
رضي الله عنه قال كان علي إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل
الممغط ۝ ولا بالقصير المتردد ۝ كان ربعة من القوم ۝ ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط ۝
كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه تدوير ۝ أبيض مشرب

أدعج

160

أدعج العينين ۝ أهدب الأشفار ۝ جليل المشاش والكتد ۝ أجرد ذو مسربة ۝ شثن الكفين
والقدمين ۝ إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ۝ وإذا التفت التفت معا ۝
بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين ۝ أجود الناس كفا ۝ وأجرأهم صدرا ۝
وأصدق الناس لهجة ۝ وألينهم عريكة ۝ وأكرمهم عشرة ۝ من رآه بديهة هابه ۝ ومن
خالطه معرفة أحبه ۝ يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ۝ وأما ما في كتاب
الشمائل للترمذي فحديث الحسن بن علي رضي الله عنه عن أبي هالة وقد ذكره
الترمذي مقطعا في الكتاب المذكور ۝ وذكره الفقيه أبو محمد في الأعلام موصولا
وكذلك غيره وأنا أورده على ما اختاره من الرواية إن شاء الله عز وجل ۝ فجاء عن
الحسن رضي الله عنه أنه قال ۝ سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ۝ أطول
من المربوع ۝ وأقصر من المشذب ۝ عظيم الهامة ۝ رجل الشعر ۝ إن تفرقت عقيقته
فرق ۝ وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ۝ أزهر اللون ۝ واسع الجبين ۝
أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ۝ أقنى العرنين له نور يعلوه
يحسبه من لم يتأمله أشم ۝ كث اللحية ۝ سهل الخدين ۝ ضليع الفم أشنب ۝ مفلج
الأسنان ۝ كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ۝ معتدل الخلق ۝ بادنا متماسكا
سواء البطن والصدر ۝ عريض الصدر ۝ بعيد ما بين المنكبين ۝ ضخم الكراديس ۝

أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى
ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة سبط القصب
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا زال زال قلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط
من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من
نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه يبدر من لقيه بالسلام قال
قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم
الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير دمث ليس بالجافي ولا
بالمهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيئا لا يذم ذواقا ولا يمدحه ولا
تغضبه الدنيا وما كان لها واذا تعوطي الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء
حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها
واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى
واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام قال فكتمتها الحسين زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأله
عما سألته عنه ثم سأل اباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئا قال
الحسين سألت ابي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه

لنفسه مأذونا له في ذلك وكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله
تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على
العامة بالخاصة ولا يدخر او قال لا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسألتهم عنه واخبارهم بالذي
ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيامة
لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره يدخلون روادا ولا يتفرقون الا
عن ذواق ويخرجون ادلة قال فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا يفرقهم
او قال ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من
غير ان يطوي عن احد بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل
مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجوزه الذين يلونه
من الناس خيارهم افضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة قال فسألته عن مجلسه فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها

وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك يعطي كل جلسائه بنصيبه
لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع
الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس
حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى
فلتاته متعادلين يتواصلون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير
ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون أو قال يحوطون الغريب قال
قلت كيف كانت سيرته في جلسائه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه ولا يجيب فيه قد ترك
نفسه من ثلاث من المراء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم
أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده من تكلم أنصتوا
له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما
يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه
ليستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من
مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام قال قلت

فكيف

فكيف كان سكوته قال كان سكوت النبي صلى الله عليه وسلم على أربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس
وأما تذكره أو قال تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه
شيء ولا يستفزه وجمع له الحذر في أربع أخذه بالحسنى ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى
عنه واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة
فهذا آخر الصفات الكاملة والبركات الشاملة وهي من الدلائل الباهرة
على نبوته صلى الله عليه وسلم من وجوه أحدها ما اشتملت عليه من الصفات
التي جمعت المحاسن في الظاهر الثاني دلالة اجتماعها في الظاهر على كمال صفات
الباطن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال إذا
أبردتم إلي بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم الثالث أن ما يفرق في بني آدم عليه
عليه السلام من تلك المحاسن اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم الرابع أنها مع اجتماعها
فيه صلى الله عليه وسلم كانت على أكمل الوجوه وأتمها الخامس سلامة تلك الصفات
من صفة تباين الحسن ولا تناسب السادس أن تلك الصفات كلها أطبق العلماء
من المسلمين في كل فن ومن غيرهم على استحسانها ومدحها السابع أن العقلاء كلهم
وأرباب الفراسة من الأوائل والأواخر اتفقوا على استحسانها الثامن أن الأوائل
ذكروا من الصفات الحسنة الدالة على كمال الشخص الذي توجد فيه جملة وكلها وجدت
في النبي صلى الله عليه وسلم مع صفات أخر أكمل وأعلى وأجمل التاسع أن ما

ذكروه من ذلك اذا اعتبر مع صفاته صلى الله عليه وسلم كان كالقطرة من البحر ۝ والنفحة
الواحدة من عنبر الشجر ۝ العاشر يظهر مما ذكروه وحرضوا فيه على البحث عن الشخص
الذي توجد فيه والترغيب في صحبته انهم كانوا يشيرون الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه
الذي وجدت فيه تلك الصفات على الوفاء والكمال ۝ واحسن منها معها وان ذلك
كان منهم رمزا الى امره واشعارا بوصفه ۝ واعلاما بانه المبعوث لانقاذ الخلايق
وتكميل الشرايع واخراج الخلق من ظلمة الشبه والضلال ۝ الحادي عشر ما اشتمل عليه
هذا الحديث من محاسن الصفات الباطنة ۝ الثاني عشر ان الاوايل افنوا اعمارهم في تعديد
الاخلاق الجميلة وما اتوا من ذلك الا بنغبة من هذا البحر الغمر ۝ الذي خص به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۝ الثالث عشر ليس الشان في تعديد محاسن الاخلاق وذكرها بل
الشان في العمل بها واستعمالها وذلك لا يكون الا بتاييد رباني ۝ الرابع عشر ليس العجب
ممن استفاد هذه الصفات بمطالعة العلوم ۝ ومصاحبة ذوي الحلوم ۝ انما العجب ممن
اتى بها على اكمل ما سطرت ۝ واحسن ما حررت وقررت ۝ وحوى اوصافها وزاد عليها اضعافها
وما قرا قط ولا خط ۝ ولا برا قلما ولا قط ۝ الخامس عشر ان كل من اتصف بشيء من هذه
الاوصاف لا بد ان يخل بها او ببعضها في بعض الاوقات او يكل عنها او يمل ۝ ولم يرو عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط شيء من ذلك ولا ذكره موالف ولا مخالف ۝ السادس
عشر ان ذوي الاوصاف الحميدة ۝ والخصال الفريدة ۝ قد تكون منهم فلتات تعاب
وزلات يخالفها الصواب ۝ ولم يحك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك
وذلك

وذلك دليل العصمة ۝ وتمام النعمة ۝ وان هذا الحفظ من علام الغيوب ۝ ومثبت القلوب
السابع عشر ان الاوايل طولوا في علم السياسة واطنبوا وما اوردوا من ذلك الا البعض
مما هدى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقواله وافعاله ۝ واقراراته وجميع احواله
ومن تامل اوصافه صلى الله عليه وسلم وسبر سنته وسيرته في جميع الخلايق علم انها
لا تتفق لاحد ولا تجتمع في خلق ۝ وايقن انه الرسول حقا ۝ الكامل خلقا وخلقا ۝ وان
ذلك لا يتهيا الا باختصاص ازلي ۝ وتاييد رباني ووحي الاهي ۝ فالحمد لله الذي هدانا
لملته ۝ وشرفنا باتباع شريعته ۝ ونساله سبحانه ان يمن علينا بمغفرته ورحمته
ويحشرنا مع اتباعه عليه السلام واهل محبته ۝ واما ما ورد من صفته صلى الله
عليه وسلم في غير هذه التصانيف فمثل حديث ابي سعيد وقد تقدم ذكره واذا
عرفت ذلك فلا بد من بيان الالفاظ المشكلة في هذه الاحاديث ۝ اما قوله
في حديث علي رضي الله عنه الممغط بالغين المعجمة فمعناه الذاهب طولا ۝ وقد يقال بالعين
المهملة ۝ والمتردد الداخل بعضه في بعض قصرا ۝ والقطط الشديد الجعودة ۝ والرجل
بكسر الجيم الذي في شعره تكسر قليل وتعطف ۝ والمطهم البادن الكثير اللحم ۝ والمكلثم
المدور الوجه الصغيره وقيل هو الصغير الذقن ۝ والمشرب الذي يشوب بياضه حمرة
والادعج الشديد سواد العين ۝ والاهدب الطويل الاشفار ۝ والمشاش بضم الميم
ملتقى المفاصل وقيل رؤوس المناكب ۝ والكتد مجتمع الكتفين وهو الكاهل ۝ والمسربة
الشعر الدقيق الذي كانه قضيب من الصدر الى السرة ۝ والشثن الغليظ الاصابع

من الكفين والقدمين ۝ والتقلع المشي بقوة ۝ والصبب الحدور ۝ والبديهة المفاجاة
والفخم في حديث ابن هالة العظيم الجليل ۝ والمفخم المعظم والمراد ان فخامته تؤثر في القلب
تفخيمه وتعظيمه ۝ والمشذب البائن الطول في نحافة ۝ والعقيقة شعر الرأس ۝ وأزهر
اللون نيّره كلون القمر ۝ والحاجب الأزج الذي فيه تقويس وطول ۝ وقوله أزج الحواجب
مما جاء فيه الجمع بمعنى التثنية كما قالوا عظيم المناكب ۝ والاقنى المرتفع وسط الأنف
والأشم الطويل قصبة الأنف المرتفع طرفه ۝ والقرن اتصال شعر الحاجبين ۝ وفي
حديث ام معبد أزج أقرن فوصفته بالقرن والجمع بينهما ان القرن على قسمين محمود
ومذموم فالمحمود ان يكون الرجل أبلج وهو النقي ما بين الحاجبين من الشعر ۝ وقد يكون
فيه مع ذلك شعرات خفية وهو المراد في حديث ام معبد ۝ والثاني ان تتصل
نبات شعر الحاجبين وهو المنفي في هذا الحديث ۝ والضليع الواسع ۝ والشنب صفا
صفا الأسنان وبريقها ۝ والفلج تفرق ما بين الثنايا ۝ وبادن أي جيم الجسم ۝ ومتماسك
أي شديد اللحم ليس لحمه برهل ولا مسترخ ۝ وسواء البطن والصدر معتدلهما
ومشيح الصدر بالشين المعجمة ۝ والبا بواحدة عريضه وقيل مشرفه ۝ والكراديس رؤس
العظام ۝ والزندان عظما الذراعين ۝ وقوله وسائر الأطراف بالواو العاطفة والراء
أي باقي الأطراف وسائر بمعنى الباقي وقد تستعمل بمعنى الجميع وهو قليل ۝ ويروى
بنايل باللام من غير واو ومعناه طويل الأصابع ۝ ورحب الراحة واسع باطن
الكف وخمصان الأخمصين يعني ان لحم باطن رجله صلى الله عليه وسلم متجاف عن الأرض

لا ينلها

لا ينالها إذا مشى ۝ وخمصان الأخمصين أي شديد خمص الأخمصين وسمي الأخمص بذلك
لتجافيه عن الأرض تشبيهًا بخمص البطن ۝ وهو ضموره من الجوع ۝ ومسيح القدمين أي
أملسهما ويحتمل ان يريد قلة لحمهما ۝ وقوله ينبو عنهما الماء أي لا يثبت عليهما
للينهما ونعمتهما كما ينبو عن الرجل التي فيها زيت ۝ والتكفؤ الميل الى القصد في المشي
وقيل هو الاهتزاز وعلى هذا يكون اهتزازًا خفيفًا لسرعة المشي ويحتمل ان يكون المراد
بالتكفؤ مطاطأة الرأس وخفض الطرف الى الأرض تواضعًا وخشوعًا ۝ والهون الرفق
والذريع الواسع ۝ وقوله كأنما ينحط في صبب إشارة الى سرعة المشي في سكون
وهدوء مع النظر الى الأرض لأنه حال الذي ينحط في صبب ۝ وقوله يفتتح الكلام ويختمه
بأشداقه قيل هو إشارة الى انه يفعل ذلك لسعة الفم والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم
وهذا فيه نظر فان قوله ضليع الفم يغني عن وصفه ثانيًا بسعة الفم ۝ وانما المراد بهذا
الوصف ذلاقة اللسان وسهولة الكلام والملاحة في البيان وتمكن الحروف في أماكنها
واخراجها من مخارجها ۝ والدمث اللين الجانب ۝ والذواق الطعام ۝ وقوله واذا تعجب
قلبها وقع مهملا وهو يحتمل وجهين أحدهما تشديد اللام والثاني تخفيفها ۝ وقوله اتصل
بها بريد والله أعلم ضمها إليه ۝ وأشاح مال وانقبض ۝ ويفتر يضحك ۝ وحب الغمام
البرد ۝ وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي يأخذ من جزء نفسه ما يرجع
منفعته على العامة بواسطة الخاصة اياهم ما يتعلمون منه صلى الله عليه وسلم
وقوله ويدخلون روادًا أي طالبين للخير والفائدة في حقهم وحق غيرهم ۝ وقوله ولا

يوطن الاماكن ظاهره انه لا يتخذ موضعا معلوما لجلوسه وقيل انما ذلك في الصلاة
ويحتمل ان يقال ان النهي عن ذلك في الصلاة انما كان لقرب العهد بعبادة الاصنام فيكون
ابعادا عن التشبه بذلك فيرتفع الحكم بعد ذلك بارتفاع سببه وذلك اذا بعد العهد
او يقال ان ذلك حكم غير معقول المعنى فيدوم حكمه ه وقوله صابره اي ادام الصبر معه
وقوله لا تؤبن فيه الحرم اي لم تذكر بسوء ه وقوله لا تنثى اي لا تذكر من قولك نثوت الحديث
اذا حدثت به والفلتات الكلمات التي تبدر من الانسان وفيها انتقاد والمراد ان من
تكلم في المجلس بكلمة فيها شيء لا تشاع عنه ولا تذكر بل يتعاطى عنها ويحتمل ان يكون
المراد ان مجلسه صلى الله عليه وسلم سالم من قول يعاب فلبس فيه فلتات فتذكر
فيكون على هذا من باب التجريد وهو من انواع البديع ه ومنه في الكتاب العزيز لا يسالون
الناس الحافا اي لا يكون منهم سؤال فيكون عنه الحاف فنفي السؤال فانتفى الالحاف
والسخاب الذي يرفع صوته ه وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ جاء على التخفيف ه والاصل
مكافئ بالهمز والمراد انه لا يقبل الثناء الا ممن سبق عليه ليد سبقت اليه من النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه من مسلم وهو راجع الى معنى الاول فان كل مسلم للنبي
صلى الله عليه وسلم من الايادي ما لا يكافيه احسان ه ولا يبلغ وصفه لسان
وقيل المراد من مقتصد غير متجاوز حد المدح ه وقوله حتى يجوز اي حتى يخرج عما يجب
وفي اخرى حتى يجوز ومعناه والله اعلم حتى يجاوز قدر الحاجة ه ويستفزه يستخفه ه وابو
نفيل بضم النون وفتح الفاء وكان حبيب ممن اعترض ابرهة وقاتله في قبيلة من خثعم فتهزم

دماهش

وماهش ليصده عن البيت فهزمه ابرهة واخذه اسيرا فلما هم بقتله قال له لا تقتلني
فاني دليلك بارض العرب وها تان يداي لك على قبيلتي خثعم بالسمع والطاعة فابقاه
وخرج معه يدله ه وقوله اصعد اي اذهب ويشتد يجري **واما القسم الثالث**
فاعلم ان الله عز وجل اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق اكملها ه ومن المفاخر اشرفها
وافضلها ه ولذلك قال جل جلاله في وصفه في كتابه العزيز وانك لعلى خلق عظيم ه وانزل
عليه في الكتاب خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سال جبريل عليه السلام عن تاويل هذه الاية لما نزلت فقال حتى اسال العالم ثم ذهب
ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك ه وتعطي من حرمك ه وتعفو عمن
ظلمك ه وقالت عايشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه ه وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق ه ومن تتبع سيره صلى الله عليه وسلم واحواله قام له منها الدليل القاطع
على ان ما اختص به من ذلك صلى الله عليه وسلم دليل على صحة نبوته صلى الله عليه
وسلم ه وعلو مكانه عند ربه عز وجل ومنزلته ه وانا اشير في هذا القسم الى بعض تلك
الاوصاف ليكون دليلا على ما عداها ه ونورا يسلك بالقلوب سبيل هداها ه ان شاء
الله عز وجل فاقول والله المستعان ه واعلم ان اصل الشرف والفخر في الدنيا والاخرة
شيئان احدهما الجنس والثاني الاحسان اما الجنس فاما في الصفات
الظاهرة ه واما في الباطنة ه اما الصفات الظاهرة فقد تقدم منها ما فيه كفاية

وها هنا زيادة عليها وهي وجوه جملية وتفصيلية اما الجملية فالاول
ان يقال ان الله عز وجل جعل ذات نبيه صلى الله عليه وسلم نورا وقد بين ذلك في الكتاب
العزيز بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا ولذلك كان الذباب لا ينزل على جسمه ولا ثيابه وكان صلى الله عليه وسلم
اذا وقف في الشمس لا يرى له ظل وفي ذلك فوائد احدها انه كان نورا فان النور
لا ظل له الثانية ان جسمه كان نورانيا ايضا الثالثة صيانة ظله عن ان تطأه الاقدام
فحفظ الجسم الكريم وحفظ ظل ذلك اكراما له صلى الله عليه وسلم الثاني ان النور
كان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك صاحب الفصول ان نورا كان يضيء
عن يمينه صلى الله عليه وسلم وعن يساره حيث ما جلس وقام قال وقد يتبع ذلك النور
يسطع من قبره الى يوم الساعة الثالث قول انس رضي الله عنه يوم دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وما نفضنا ايدينا من تراب رسول
ويوم مات اظلم منه كل شيء
الله صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا قلوبنا الرابع ان الله عز وجل ارسله رحمة للعالمين
وذلك في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فاما للامة واما لسائر الامم واما في
الاخرة اما للامة فلا خفاء بذلك واما لسائر الامم فبوجهين احدهما حقن دمائهم
واموالهم بالجزية الثاني رفع القتال اللازم لهم بالمجاورة فان الامم كانت قبل
ظهور ملة الاسلام متجاورة لا حاجز يحجزها عن المعاداة والمقاتلة فكانت الفتن
بينها دائما والقتال في كل الاحيان لازما فلما جاء الحق وظهرت امة النبي صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم على الامم وملكت خير بقاع الارض ومواضع الدنيا وهو وسط المعمور وصارت
ممالكها نطاقا من المشرق الى المغرب صارت حايلة بين تلك الامم المتقابلة والفرق
العادية المتقاتلة فسلمتهم الرحمة برفع القتل والقتال عنهم واما في الاخرة فالخلائق
اذا اجتمعوا يوم القيامة في الموقف وتناهى بهم الكرب والجمهم العرق طلبوا من
يستشفعون به الى ربهم جل وعلا حتى يتجلى للفصل بينهم وانقاذهم من موقفهم فياتون
ادم عليه السلام فيقول لست لها اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقول
لست لها اذهبوا الى ابرهيم فياتون ابرهيم عليه السلام فيقول لست لها اذهبوا
الى موسى فياتون موسى عليه السلام فيقول لست لها اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى
عليه السلام فيقول اذهبوا الى محمد فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها
ويشفع لهم الى ربهم جل جلاله كما في الحديث فيشفعه الله عز وجل ويتقدم النبي
صلى الله عليه وسلم وامته قبل الامم للحساب ثم يشفع بعد ذلك في خروج العصاة
من امته من النار فله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات احدها في انقاذ الخلائق
من هول الموقف الثانية في تقديم امته على سائر الامم في الحساب الثالثة في
انقاذ العصاة من امته من النار والشفاعة الاولى هي المراد عند بعض العلماء
بالمقام المحمود الذي يغبطه صلى الله عليه وسلم فيه الاولون والاخرون فقد بان ان
الله عز وجل جعله رحمة للعالمين في الدنيا والاخرة روي انه صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم امنت العاقبة

حين أرسلني الله عز وجل إليك ۝ وفي رواية أخرى حين أثنى الله عز وجل عليه بقوله ذي
قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ۝ الخامس أن الله عز وجل شرف ذاته
وجسمه بالشرف الذي لا يدرك قدره بأن أسرى به إلى الملأ الأعلى فخرق السبع الطباق
وجاوزها إلى سدرة المنتهى وإلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ۝ وهو صريرها
وصوتها عند الكتب ۝ السادس أن الله عز وجل جعل ذاته صلى الله عليه وسلم
بحيث يعرف قدرها فضلها وتقر بنبوتها الحيوانات التي ليست بناطقة وجاء في ذلك
من الأحاديث ما فيه كثرة كتكلم الضب وتكلم الذئب والحمار والجمل وغير
ذلك ۝ السابع طاعة النباتات وحنينها إليه كحنين الجذع وطاعة الأشجار التي
دعاها فأقبلت ثم أمرها فعادت إلى أمكنتها بقدرة الله عز وجل ۝ الثامن تسليم
الجمادات عليه صلى الله عليه وسلم كتسليم الأشجار والأحجار ۝ التاسع تسبيح
الحصا في يده وتأمين أسكفة الباب حين دعا صلى الله عليه وسلم ۝ العاشر إتيان الشجرة
إليه وهو نائم صلى الله عليه وسلم حين استيقظ فقال صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت
ربها في أن تسلم علي ۝ الحادي عشر نزول العذق وهو العرجون من النخلة حين دعاه
حتى وقف بين يديه ثم أمره فعاد إلى مكانه ۝ الثاني عشر انفراق الشجرة له صلى الله
عليه وسلم في غزاة الطائف ۝ فإنه مر بموضع فيه طلح كثير فسار رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت السدرة نصفين فمر بين نصفيها قال
صاحب كتاب الفصول وبقيت السدرة منفردة على ساقين إلى زماننا هذا وهي

معروفة

معروفة بذلك البلد يعظمها أهله وغيرهم شأنها وتسمى سدرة النبي صلى الله عليه وسلم ۝ الثالث
عشر أن الله عز وجل جعل نوره من لدن آدم عليه السلام ينتقل في أصلاب آبائه ويبدو على
وجوههم الحسنة وتلوح للأبصار كما يلوح نور الشمس وهي محجوبة بالغمام حتى برز النور فيه
صلى الله عليه وسلم فطلعت شمس الهدى وأشرقت الأرض بنورها والحمد لله ۝ الرابع
عشر جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
على حراء فتحرك الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فإنما عليك
نبي وصديق وشهيدان ۝ الخامس عشر طيب رائحته صلى الله عليه وسلم كان
أطيب من كل مسك وعنبر ۝ السادس عشر أن طيب رائحته كان يتميز به
الطريق الذي يسلكه من سائر الطرق فكان إذا مشى في طريق عرف أنه سلكه
صلى الله عليه وسلم لطيب رائحته من غير طيب ۝ السابع عشر إظلال الغمام له
في أسفاره صلى الله عليه وسلم ۝ الثامن عشر انجياش الغمام بدعائه صلى الله عليه وسلم
التاسع عشر ۝ دعا أشاءتين وهما نخلتان صغيرتان فقال اجتمعا علي بإذن الله فاجتمعا
العشرون قال لجابر قل لهاتين الشجرتين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما
اجتمعا قال لهما جابر ذلك فاجتمعا كما أمر صلى الله عليه وسلم ثم أشار إليهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم برأسه هاكذا وهاكذا فرجعت كل واحدة منهما إلى موضعها
الحادي والعشرون انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم فإن قريشا سألته فأراهم
انشقاق القمر شقتين ۝ الثاني والعشرون دعا الشجرة لسراقة وأقبلت تخد

الأرض بعروقها لها قعقعة حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم ثم أمرها فعادت
إلى مكانها ٥ الثالث والعشرون أعطى عكاشة بن محصن جزلا من حطب وقد انكسر
سيفه فقال اضرب به فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن
فقاتل به ولم يزل عنده يشهد به المواقف حتى استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون ٥ الرابع والعشرون رجوع الشمس ووقوفها كما وقفت ليوشع عليه السلم
وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الفصول وغيره وحكاه غيره عن الطحاوي وأنه خرجه
من طريقين عن أسما بنت حبيش أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في
حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت
يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسما فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد
ما غربت ووقفت على الجبل والأرض وذلك بالصهبا في خيبر ٥ قال وهذان الحديثان
ثابتان رواتهما ثقات ٥ الخامس والعشرون كثرة اتباعه صلى الله عليه وسلم
وائتلاف قلوبهم على محبته وأن كل واحد منهم يبذل مهجته وماله دونه صلى الله عليه
وسلم ويحتمل الأذى في نفسه وأبيه وأقرب الناس إليه ولا يحتمل أقل من ذلك في
أقل من ينتسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقرابة أو بصحبة وهذه من الآيات الباهرة
والمعجزات الزاهرة ٥ وإليها الإشارة بقوله تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما
ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم وأما التفصيلية فمنها أن وجهه
صلى

صلى الله عليه وسلم كان كالقمر ليلة البدر بل أبهى وأكمل ٥ وأحسن في العيون والقلوب والعقول ٥
وأجمل ٥ وفي الشمائل عن جابر بن سمرة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ليلة إضحيان عليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فهو كان أحسن عندي
من القمر ٥ وفي الأعلام في هذا الحديث فلهو كان أحسن في عيني من القمر ٥ وفي
كتاب مسلم عن جابر بن سمرة وقد ذكر من صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل
وجهه مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وكان إذا تلقاه
الناس عند قدومه من السفر تلقاه النساء والصبيان ٥ وهم يقولون فرحا به وابتهاجا
بنور وجهه ٥ طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ٥ وجب الشكر علينا ما دعا لله داع ٥
ومنها أن نظره صلى الله عليه وسلم يظهر أثر بركته على المنظور إليه ٥ ونظر إلى معاوية
وهو صغير ليلة أعرس بأخته أم حبيبة فكان من الحلم بالمكان المعروف وولي
الخلافة ٥ ومنها إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم ٥ ومنها اقتران الصدق بقوله على
الإطلاق ٥ قال الله عز وجل وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ٥ وقال له
بعض الصحابة يا رسول الله أنكتب ما تقول قال نعم قال في الرضا والغضب قال في
الرضا والغضب فإني لا أقول إلا الحق ٥ ومن ذلك قوله للرجل الذي لبس الثوبين
ما له ضرب الله عنقه أليس هذا خيرا فقال الرجل يا رسول الله في سبيل الله فقال صلى الله
عليه وسلم في سبيل الله فقتل الرجل في سبيل الله ٥ وقال لآخر كل بيمينك وكان أكل
بشماله فقال لا أستطيع فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يرفع يده إلى فيه بعدها

ومنها بركة ريقه صلى الله عليه وسلم فجاء عن عبد الله بن بريدة قال سمعت ابي يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تفل في رجل عمرو بن معاذ حين قطعت رجله فبرأ ٥ وعن عبد
الرحمن بن عوف قال جاء معاذ بن عفراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل يده وكان
أبو جهل قطعها فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت ٥ ومنها
ان امرأة كانت قليلة الحياء فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن طعام
فاعطاها فقالت انما اريد مما في فمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسئل
شيئا فيقول لا فلما حصل في فمها ألقى الله عز وجل عليها جلباب الحياء والخفر حتى كانت
كالجريدة الخضرة ٥ ومنها انه قال في غزاة خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحبه
الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم
ايهم يعطاها فلما اصبح قال صلى الله عليه وسلم اين علي بن ابي طالب فقيل انه رمد فاتي به
فتفل في عينيه فبرأ فاعطاه الراية ففتح الله عز وجل على يديه ومعنى يدوكون يخوضون
ومنها بركة وضوءه صلى الله عليه وسلم دخلت زينب بنت ابي سلمة وهو يغتسل
صلى الله عليه وسلم فنضح في وجهها فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت
ومنها بركة مسحه على العوسجة في قصة ام معبد فكان من امرها ما كان وسيأتي ذكره ان
شاء الله عز وجل ومنها بركة شعره صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ان خالد بن
الوليد رضي الله عنه كانت له قلنسوة يلبسها في الحروب ولا تفارقه فسقطت
منه في بعض المواطن فقاتل عليها أشد القتال حتى استخلصها فقيل له في ذلك فقال ان فيها

شعرات

فأعطاها ما بيدك

سلم مقابلة

شعرات من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم وبها والله اعلم كان يقوى على الابطال في الحروب
لما رأى لها من اثر البركة والاجابة ٥ وحكي ان رجلا كان له مال كثير من ترك والدين وكان
من ذخائره شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد الولدين للآخر اختر
اما المال كله واما الشعرات فاختار المال كله واخذ الآخر الشعرات وقضى الله ان
اثرى الذي اخذ الشعرات ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وذهب مال الآخر حتى لم يبق
له شيء ٥ ومنها ان الله عز وجل جعل سمعه مدركا لما لا تدركه الاسماع فيسمع حفيف
الملائكة وأطيط السماء وهو صوتها من ثقل ما حملت من الملائكة ٥ ومنها
ان الله عز وجل بعث ملكين شقا صدره عن قلبه واستخرجا منه علقة سوداء وقالا
هذا حظ الشيطان منك وغسلاه بالماء والثلج والبرد واعاداه وقد قالا حين اخرجاه
نعم القلب قلبه وخاطا مكان الشق قال انس وكنت ارى اثر المخيط في صدره صلى الله
عليه وسلم ٥ ومنها بركة يده صلى الله عليه وسلم فكانت اجود بالخير من الريح المرسلة
واسمح من الغمام واطيب من كل طيب ومسك وعنبر ٥ ومنها ان الله عز وجل
قرن البركة والتوفيق بها فكان لا يمس بها شيئا الا ظهرت بركة ذلك فيه فان مس
رأس صبي عرف من الصبيان بطيب عرفها ومس رأس السائب وهو صبي يلعب مع
الصبيان فشاب رأسه حين كبر الا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم ومنها
انه اخذ باذن ابن عباس رضي الله عنه حين قام الى الصلاة مقتديا به صلى الله عليه
وسلم وجعل يفتلها فظهرت بركة اليد المباركة الشريفة في تلك الاذن فكان ابن

عباس رضي الله عنه احفظ الناس وكان يسد اذنيه بالكرسف وهو القطن اذا خرج خشية
ان يحفظ ما يسمع من كلام الناس وحفظ قصيدة عمر بن ابي ربيعة من سماع واحد وهي
ثمانون بيتا وقال للذي كلمه في ذلك بعد ان انشدها بكمالها ان شئت ان اعيدها معكوسة
فعلت ۝ ومنها نبوع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم والاحاديث فيه شهيرة
ومنها انه مسح بركتها في شاة ام معبد وقد بقيت تلك البركة في نسل تلك الشاة
والحمد لله ۝ ومنها تسبيح الطعام في كفه صلى الله عليه وسلم ۝ واما ما تقدم من
ذكر تسبيح الطعام في الاوصاف العامة فذلك كان بحضرته صلى الله عليه وسلم
ومنها ان قتادة بن النعمان اصيبت عينه يوم احد فسالت على خده فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان قريب عهد بعرس فقال يا رسول الله اخاف ان تقذرني
زوجتي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده المباركة عينه وردها الى مكانها
فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت تمرض الصحيحة ولا تمرض المصابة
وفي ذلك يقول احد ولده وقد وفد عليه الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال له
عمر رحمه الله من انت فقال

انا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى احسن الرد ۝
فعادت كما كانت لاول امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد ۝

فقال عمر رحمه الله

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

ومنها انفعال الارض وجواهرها لاعضائه صلى الله عليه وسلم بقدرة الله عز وجل

فمن

فمن ذلك انه مال راسه صلى الله عليه وسلم يوم احد نحو الجبل فانخرق في الجبل على مقدار
راسه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك صاحب كتاب الفصول فقال هو موضع معروف
مقصود ومنها ان في شعاب مكة زادها الله شرفا جبلا اصم فيه اثر ساعده صلى الله
عليه وسلم فانه صلى فيه صلى الله عليه وسلم واستروح في صلاته فلان له الحجر حتى
اثر ذراعاه فيه ۝ ومنها ان الصخرة لانت تحت يده صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس
حتى صارت كالعجين والناس يلمسونه بايديهم الى اليوم ذكر ذلك صاحب كتاب
الفصول ۝ ومنها ان شكل رجله المباركة انطبع ليلة الاسراء في صخرة بيت المقدس كما
ينطبع في العجين ۝ ويقال انها تعلقت برجله صلى الله عليه وسلم حين اسري به وبقيت
الى الان معلقة في الهوى ليكون دليلا الى قيام الساعة على معجزة الانبياء وان الاسراء
كان بجسده صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الامام ابو بكر بن العربي رحمه الله انه كان
يخاف ان يدخل تحتها خشية ان تسقط عليه حتى راى العصاة واهل الذمة يدخلون
تحتها ولا تسقط عليهم ۝ وقد جعل الله عز وجل ذلك اية مثل اية ابيه ابرهيم عليه
السلام وهو انطباع شكل رجله عليه السلام بالمقام بمكة ادام الله عزها وشرفها
ومنها كمال نسبه وشرف منصبه صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل اختاره
من اشرف القبائل نسبا وفي ذلك يقول الشاعر

ما ولدت والدة من ولد اكرم من عبد مناف حسبا ۝

ومنها انه كان ربعة من القوم فاذا مشى مع الطوال طالهم ۝ واما الصفات

الباطنة فمنها ما يتعلق بالقوى ۝ ومنها ما يتعلق بالأخلاق ۝ أما القوى فمنها أن
الله عز وجل أعطاه من قوة النظر ما رأى به الجنة والنار على ما جاء في حديث الكسوف
وغيره وكان يرى صور الملائكة والجن والشياطين ۝ وزويت له الأرض
فأرى مشارقها ومغاربها ۝ وقال صلى الله عليه وسلم سووا صفوفكم فإني أراكم من وراء
ظهري ۝ وحكى تقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء فإن قلت هذا يعارضه ما ذكره صاحب
الروض الأنف من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بأم سلمة رضي الله
عنها دخل عليها في ظلمة فوطئ على زينب بنت أم سلمة فلما كان من الليلة الأخرى دخل
في ظلمة أيضا فقال انظروا زنابكم لا أطأ عليها أو قال أخروا قلت هذا لا يعارض
الأول لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائم الإقبال على ربه معرضا
عما سواه يغلبه الاحتساب الأمر الوارد والمعرض عن الشيء ربما لم يره وإن كان في
مكان الرؤية ومظنتها وأما قوله بعد ذلك انظروا زنابكم لا أطأ عليها أو أخروا
فلا يدل على كونه لم يرها وإنما ذلك من باب التنبيه على الاحتياط والاحتراس ۝
ومن قبيل قوله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل ۝ ومنها أن الله عز وجل أعطاه من
قوة السمع ما يسمع به انفتاح أبواب السماء وما يسمع به أطيط السماء وهو صوتها
من ثقل ما حملت من الملائكة كأصوات الجمال من ثقل الأحمال فقال أطت السماء
وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد لله عز وجل وسمع دويا

فأخبر

فأخبر أن صخرة قذفت في جهنم فهي تهوي فيها ولم تبلغ قعرها أو قال إلى الآن استقرت
في قعرها ۝ وكذلك في جميع القوى فضله الله عز وجل على الناس في ذلك فكان
أكملهم فيها ۝ وصرع ركانة ثلاث مرات وكان أشد أهل زمانه ۝ وأعطي
صلى الله عليه وسلم الفضيلة والزيادة في جميع قواه حتى في النكاح فكان يدور
صلى الله عليه وسلم على نسائه في ليلة واحدة وهن إحدى عشرة امرأة وكان الصحابة
رضي الله عنهم يرون أنه أعطي قوة ثلاثين ۝ وأما ما يتعلق بالأخلاق
فاعلم أن أمهات الفضائل عشر خصال العقل ۝ والعلم ۝ والدين ۝ والجود ۝ والشجاعة ۝
والعفاف ۝ والزهد ۝ والحياء ۝ والتواضع ۝ وحسن المعاملة ۝ أما العقل فقد
فضله الله عز وجل فيه على الخلق وهذا أبين لمن تأمل سيرته وأحواله وسياسة الخليقة
وجاء عن وهب بن منبه أنه قال قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي
صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا ۝ وفي رواية أخرى فوجدت
فيها أن الله عز وجل لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها في جنب عقله
صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا ۝ وأما العلم فقد بان
بالدلائل أن الله عز وجل علمه علم الأولين والآخرين فأخبر بما كان وما يكون إلى
قيام الساعة ۝ وإلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ۝ وبين الشريعة الشريفة
السنية المنيفة الحنيفية السهلة وصار كلامه صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به أصلا
لكل علم ۝ ومددا لكل طائفة تبني على أصوله فروعها ۝ وتؤسس على متونه ۝

قواعدها ولولا بركته صلى الله عليه وسلم وتعليمه الخلائق مصالح دينهم ودنياهم
لكانوا همجاً ۝ ما احسنوا قولاً ولا عملاً ۝ ولا ادركوا من خير الدنيا والآخرة املاً ۝
ومن هذا الباب بلاغته صلى الله عليه وسلم وفصاحته التي هي الغاية التي لا تبلغ اليها
الافكار ومخاطبته لكل قبيلة من العرب بلغتها واصطلاحها ۝ واما الدين فهو صلى
الله عليه وسلم امامه ومرشد الناس اليه ومهداه صلى الله عليه وسلم به اهتدى
الخلائق ۝ وبه عرفوا ربهم جل جلاله ۝ وسلكوا سبيل الهدى وادركوا الطريق اليه ۝
فهو صلى الله عليه وسلم امام الائمة ۝ وهادي الامة ۝ واعلم الناس بربهم واخشاهم
له جل جلاله ۝ (سبحانه وتعالى) واما الجود فانه كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس كفاً ۝ واكرمهم
نفساً ۝ ما سئل شيئاً قط فقال لا وهذا ليس في قدرة البشر وهو معجزة من معجزاته فما من كريم
الا كانت له نبوة ۝ ولا حليم الا عرفت له هفوة ۝ الا سيد الاولين والآخرين ۝ وشرف
فخر الفاخرين ۝ صلى الله عليه وسلم فهو خاتم الانبياء ۝ وخاتم الكرماء ۝ ومتمم مكارم الاخلاق
صلى الله عليه وعلى آله وكان اجود ما يكون صلى الله عليه وسلم في رمضان
لان جبريل كان يدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير
من الريح المرسلة ۝ واما الشجاعة فكان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس
قال علي رضي الله عنه وهو سيد شجعان الارض واسود الحرب كنا اذا احمر البأس
نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون اقربنا من العدو ۝ واما العفاف
فانه صلى الله عليه وسلم اعطي اكمل مراتبه ۝ وافضل مفاخره البينة ومناقبه ۝

فما كست

فما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم قط كف امرأة لا تحل له وكان الرجال
اذا بايعوه صافحوه صلى الله عليه وسلم واذا بايعه النساء يقول قد بايعتكن ولا يصافح احدا
واما الزهد فان الله عز وجل اعطاه منه افضل مواهبه ۝ ومنحه احسن مذاهبه ۝
وبعث اليه اسرافيل عليه السلام فاخبره ان الله عز وجل (خيره) بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فنظر الى جبريل عليه السلام كالمسترشد فاشار اليه ان تواضع لربك فقال
بل نبيا عبدا ۝ وزاد في حديث اخر اجوع يوما واشبع يوما اذا جعت تضرعت
اليك وذكرتك ۝ واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكان صلى الله عليه وسلم لا يلحظ
الدنيا ولا ما كان لها وكان يطوي الايام بالصيام ويعصب بطنه من الجوع
وفتحت عليه خزائن الارض فلم يلتفت اليها وكان يلبس الشملة واتي بذهب من بعض
البلاد ففرقه كله وبقي منه شيء يسير فامتنع عليه النوم في تلك الليلة فسألته
عائشة رضي الله عنها عن ذلك فاخبرها ان ذلك بسبب ما بقي من ذلك الذهب لم يفرق
ثم لم ينم صلى الله عليه وسلم تلك الليلة حتى فرقه ۝ وخرج صلى الله عليه وسلم لصلاة
من الصلوات ثم اشار صلى الله عليه وسلم الى اصحابه ان امكثوا وذهب صلى الله عليه
وسلم ثم عاد فاخبر ان ذهبا كان بقي مما فرق ففرقه ۝ واما الحيا فقد البسه الله
عز وجل اجمل بروده ۝ ونشر عليه افضل اعلامه وبنوده ۝ فكان صلى الله عليه وسلم
اشد حياء من العذراء في خدرها وكان صلى الله عليه وسلم لفرط حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد ۝ واما التواضع فان الله عز وجل وهبه منه ۝ ما يقصر وصفه الالسنة ۝

عنه ۝ وكذلك وهبه من كل خلق جميل ۝ ووصف شريف نبيل ۝ فكان صلى الله عليه
وسلم يجالس المساكين ويحبهم ويقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين ويجيب دعوة من دعاه ويأكل طعامه وتأتيه الأمة فتكلمه لحاجتها فيقف
معها حتى يقضي سؤالها ويتواضع عند اكل الطعام ويقول انا عبد آكل كما يأكل العبد مع انه
سيد ولد آدم وامام الخليقة في كل خصلة جميلة ۝ ومنقبة حميدة ۝ واما حسن
المعاملة فان المراد به حسن المعاملة مع الخلق ۝ وهو المعبر عنه عند الاكثر بحسن
الخلق ۝ وذلك يرجع الى أوصاف احدها الصبر ۝ والثاني الحلم ۝ والثالث الاغضاء ۝
والرابع الوقار ۝ والخامس العفو ۝ والسادس العطاء ۝ والسابع البر ۝ والثامن الوفا ۝
والتاسع اكرام الجليس ۝ والعاشر كف الأذى ۝ واما الصبر فان الله عز وجل
ألبسه من دروعه أكملها ۝ وأعطاه من أوصافه أحسنها وأفضلها ۝ فكان صلى الله
عليه وسلم يصبر على أذى المشركين ۝ وما يقابلونه به ۝ وكانوا يغرون به سفهاءهم
ويحملونه على اذاه صلى الله عليه وسلم فربما حصبوه بالحجارة حتى ندموا قدميه صلى الله عليه
وسلم ومع ذلك لا يشكو الى احد الا الى ربه عز وجل ۝ وكانوا يلقون الفرث ۝ والدم ۝
على بابه صلى الله عليه وسلم بعود ولا يزيد على ان يقول اي جوار هذا يا معشر قريش
وبلغ من اذاهم ان القوا عليه سلا جزور وهو في الصلاة وذلك انه كان يصلي صلى
الله عليه وسلم عند الكعبة وقريش في ناديها فلما رأوه قالوا من يذهب الى سلا ناقة
فلان لناقة نحرت بالامس فيضعه على ظهر محمد وهو ساجد فذهب اشقى القوم ففعل
ذلك

173

ذلك ۝ وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ذاهب الى فاطمة رضي الله
عنها وهي صغيرة فأعلمها فأقبلت حتى نزعت ذلك عن ظهره صلى الله عليه وسلم وحينئذ
دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم عليك الملأ من قريش ثم سمى فقال اللهم عليك
بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وسمى أشخاصا فأهلكهم الله عز وجل
بدعوته وقتلوا ببدر وجروا الى القليب ۝ واما الحلم فقد كساه الله عز وجل أجمل
ملابسه ۝ وخصه بأشرف نفائسه ۝ فكان صلى الله عليه وسلم لا يغضبه شيء ولا
يستفزه كما تقدم ولا يغضب لنفسه ولا لأمر من أمور الدنيا ولا يصدر عنه
غضب الا اذا تعرض للحق فيكون غضبه لله عز وجل حتى ينتصر للحق ۝ وقد جاء عن عائشة
رضي الله عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا
خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك
شيء من محارم الله عز وجل فينتقم لله ۝ وعن انس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذه بردائه
جبذة شديدة قال انس فنظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثرت
بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه فضحك ثم أمر له بعطاء ۝ واما الاغضاء فقد حلاه الله عز وجل بأحسن حلاه
وأعطاه أشرف نحره وأعلاه ۝ فكان صلى الله عليه وسلم يغض طرفه ويتغاضى
عما لا يشتهي وأتاه الرجل الذي قال له اني زنيت فطهرني فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم

فلان اليه وقال له مثل ذلك وبعد ذلك يعرض عنه صلى الله عليه وسلم حتى فعل ذلك
ثلث مرات وجنبذ سال رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فقال ابصاحبكم
جنة فقالوا ما علمنا عليه سوءا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشربت خمرا
فقام اليه رجل فشم فمه فلم يجد به اثر خمر وبعد ذلك اقام رسول الله عليه وسلم
الحد عليه ۝ واما الوقار فقد اعطاه الله عز وجل اشرفه وصفا ۝ والطيبة ذكرا
وعرفا فكان صلى الله عليه وسلم لا يستخفه شي ولا يحركه واي يستخفه شي وهو
المؤيد في كل أحواله ۝ والمعصوم المسدد في جميع افعاله واقواله ۝ ويكفي في هذا
القسم دليلا لا تحرك الجبل تحته صلى الله عليه وسلم وما تحرك بل قال اسكن حراء فما
عليك نبي وصديق وشهيدان ۝ واما العفو فكان صلى الله عليه وسلم اكرم الناس
عفوا واعظمهم صفحا واي عفو اعظم من عفوه صلى الله عليه وسلم عن قريش بعد ان
بالغوا في اذاه ۝ واخرجوه من مكة وقاتلوه ۝ ثم لما اظفره الله عز وجل بهم واظهره عليهم
ودخل مكة في عشرة الاف وخافوا ان يبيد خضراءهم ويحصدهم بالسيف جزاء على
اعمالهم فدخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلى فيها ثم خرج ووقف بباب الكعبة
كالشمس طالعة ليس دونها سحاب واستدار الناس من حوله ۝ واستكفوا له فقال صلى
الله عليه وسلم ما تظنون اني فاعل فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم
اما اني اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
اي لا عتب ولا لوم فلم يعاتبهم على ما كان منهم ولا قرر شيئا من تلك الافعال بل

عفا

عفا عنها وصفح واضرب عن ذكرها جملة وذلك دابه صلى الله عليه وسلم وشانه في امثال
ذلك ۝ واما العطا فكان صلى الله عليه وسلم يعطي عطا من لا يخاف الفقر وكيف
لا يكون ذلك وهو ينفق من خزائن الله عز وجل التي لا تنفد ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لبلال انفق يا بلال ولا تخف من ذي العرش اقلالا ۝ وفي حديث اخر انه قال صلى
الله عليه وسلم لرجل سأله ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شي قضيناه فقال له
عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من
الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ۝ وفي البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون في رمضان
حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول
الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة ۝ وفي كتاب مسلم عن انس ان
رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فاعطاه اياه فاتى قومه فقال
اي قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء لا يخاف الفقر قال انس ان كان الرجل ليسلم ما يريد
الا الدنيا فما يسلم حتى يكون الاسلام احب اليه من الدنيا وما فيها ۝ وجاء عن ابن شهاب
انه قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح فتح مكة ثم قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين واعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب

حدثني سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اعطاني وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي وعن جابر بن عبد
الله قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ۞ وعن عائشة رضي
الله عنها قالت ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فمنعه ۞ وعن اسماء ابنة
ابي بكر رضي الله عنه وعنها قالت انشد ابو بكر رضي الله عنه قول لبيد

اخ لي اما كل شيء سألته فيعطي واما كل ذنب فيغفر ۞

فقال ابو بكر رضي الله عنه هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان هذا
من دلائل معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو ان الشعراء مهما بالغت في مدح الممدوحين
وغلت وجاوزت الحد وغلت ۞ ثم اخذت تلك الابيات التي يبالغ فيها ويستحسن
الشعر لاجلها ووصف بها النبي صلى الله عليه وسلم كانت صادقة في وصفه
او مقصرة عن وصفه وكانت في حق غيره مبالغة ومجازا وعلى خلاف الحق في نفسه
فيظهر بذلك ان جميع ما اعطي الخلايق من الاوصاف الحميدة ۞ والمزايا الفريدة ۞ انما
هو نغبة هذا اليم وغرفة من ذلك البحر الخضم وتأمل قول الشاعر

ما خط لا كاتباه في صحيفته ۞ كما تخطط لا في سائر الصحف ۞

كباري الرياح فاعطى وهي عاصفة حتى اذا وقفت اعطى ولم يقف

تجده قد اجاد المدح وتخير اللفظ والمعنى الا انه اشتمل على غلو وقول لا يصدق في الممدوح
عند الاختبار فاذا استعمل في وصف النبي صلى الله عليه وسلم كان حقيقة لا يشك
فيها

ولا ارهاب وكذلك قول ابي نواس في محمد الامين

علقت بحبل من حبال محمد ۞ امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه ۞ فعيني ترى دهري وليس يراني ۞
فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت ۞ واين مكاني ما عرفن مكاني ۞

وهذا انما يصدق في النبي صلى الله عليه وسلم فان المقتدي به والمقتفي لسنته يأمن من
كيد الشيطان ۞ وجور السلطان ۞ ولذلك قال بعض العارفين اذا اردت السلامة فقدم
النبي صلى الله عليه وسلم امامك فلو اجتمع عليك كل من في الارض يرمونك بالسهام ما
اصابك منها شيء واذا زغت عن طريقه اصابتك السهام من كل وجه ولذلك قال
بعض الحكماء ونظرت من اين جاءني الشر كله فوجدته من معصية ربي سبحانه ۞ وتصديق
ذلك من الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ۞ واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن
ادم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر ۞ ومن
ذلك قول ابي نواس ايضا في الامين

فاذا المطي بنا بلغن محمدا ۞ فظهورهن على الرجال حرام ۞
قربننا من خير من وطئ الحصى ۞ فلها علينا حرمة وذمام ۞

وهذا انما يصدق ايضا في النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك تمثل به العلماء فمن حين بلغ المدينة
وكذلك تمثل اخر بقول ابي الطيب بعد ان نزل عن راحلته

ولما عرفنا رسم من لم يدع لنا ۝ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ۝

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ۝ لمن بان عنه ان نلم به ركبا ۝

والذي في شعر ابي الطيب وكيف عرفنا ولكن هذا المتمثل غير منه اللفظ الاول وانشده
على ما يليق بالحال وكذلك قول ابي الطيب ايضا

اذا كان مدح فالنسيب مقدم ۝ أكل فصيح قال شعرا متيم ۝

لحب ابن عبد الله اولى فانه ۝ به يبدأ الذكر الجميل ويختم ۝

واول ما سمعت هذين البيتين من الوالد قدس الله روحه ونور ضريحه حسبت انهما
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قول الحسين بن الضحاك في المأمون

أيبخل فرد الحسن فرد صفاته ۝ علي وقد أخلصته بهوى فرد ۝

رأى الله عبد الله خير عباده ۝ فملكه والله أعلم بالعبد ۝

انما صدق في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وان كان قوله أيبخل لا يليق أن يخاطب به
النبي صلى الله عليه وسلم وانما الاشارة الى قوله فرد الحسن فرد صفاته والى البيت
الثاني وكذلك اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو وجدتها صادقة في النبي صلى
الله عليه وسلم أو مقصرة حتى كان الشعراء على صفاته صلى الله عليه وسلم
كانوا يعتمدون والى امداحه كانوا يقصدون قال ابو نواس

اذا نحن اثنينا عليك بصالح ۝ فانت كما نثني وفوق الذي نثني ۝

وان جرت الايام يوما بمدحة ۝ لغيرك انسانا فانت الذي نعني ۝

والشعر

والشعر انما يحسن بما يشوبه من الخيال والاستعارة والتشبيه والمبالغة والغلو
والمجاز والكذب حتى قالوا في الشعر أعذبه أكذبه ۝ وهذه المعاني كلها لا يليق
استعمالها في حق النبي صلى الله عليه وسلم لعلو درجته ومنصبه ۝ ولذلك كان مدح
النبي صلى الله عليه وسلم عند الشعراء والبلغاء من أصعب ما يحاولونه فإن المعالي دون
مرتبته والأوصاف دون صفته ۝ وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال
النظم في ذلك ۝ وأما البر فكان صلى الله عليه وسلم ابر الناس واوصلهم وارعاهم
لذمة واحفظهم لعهد ۝ اتاه أبوه من الرضاعة فبسط له طرف ردائه ثم اتته أمه من
الرضاعة فبسط لها طرف ردائه ثم اتاه أخوه من الرضاعة فقام اليه النبي صلى الله
عليه وسلم وأجلسه أمامه ۝ وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها
وانه كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها ۝ واستأذنت عليه اختها فارتاح لها ودخلت
عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة
وأما وفاؤه صلى الله عليه وسلم فليس له كفاء ۝ ولا يعدل به وفاء ۝ وكذلك كل
أوصافه صلى الله عليه وسلم اعطاه الله عز وجل من الصفات الحميدة والخصال الجميلة
غاية شرفها ۝ وخصه ببقاء نسبها الباهر وطرفها فاخلاقه صلى الله عليه وسلم
قسطاس الكمال ۝ وصفاته صلى الله عليه وسلم غاية الجمال ۝ لما قدم سراقة بن

جشعم بالكتاب الذي كتب له حين الهجرة قال سراقة رضي الله عنه فدخلت في كتيبة الأنصار
وهم يقرعونني بالرماح ويقولون إليك إليك حتى دنوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكأني
أنظر إلى ساقه في رجله في غرزه كأنه جمارة فدفعت إليه الكتاب فقال من هذا قلت
سراقة فقال صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ورد أبا بصير إلى المشركين بحكم العقد
الذي عقده صلى الله عليه وسلم مع قريش عام الحديبية وكان يسمى قبل أن يبعث الأمين
لوفائه صلى الله عليه وسلم وكمال أمانته ۝ وفي وفائه صلى الله عليه وسلم وبره يقول
الشاعر فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد ۝

وأما إكرام الجليس فكان صلى الله عليه وسلم من ذلك في الدرجة العليا ۝ والمنزلة
التي جمعت شرف الآخرة وشرف الدنيا ۝ يظن كل جليس يجالسه أن ليس أحد أكرم عليه
منه ۝ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك ۝ وقال أنس ما التقم أحد
أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون هو الذي ينحي رأسه ۝ وما أخذ أحد
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ۝ ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له قط ۝ وما رئي مادا رجليه قط بين أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يكرم
من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب الأسماء إليهم تكرمة لهم ولا يقطع على
أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام ۝ وعن أبي قتادة وفد وفد النجاشي
فقال

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
فإني أحب أن أكافئهم ۝ وأما كف الأذى فإن الله عز وجل إنما فطره على منفعة الخلق
والإحسان إليهم والرفق بهم فكان صلى الله عليه وسلم لا يؤذي أحدا من خلق الله عز وجل
بل هو الشفيق الرفيق على الخلق كلهم وكان صلى الله عليه وسلم لا يقابل أحدا بما يكره ولا يلومه
وإذا عتب على أحد لم يسمه وإنما يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وما بال الرجال يفعلون
وكان أطيب الناس نفسا وأكثرهم تبسما لا يغضب لنفسه ولا لأمر من أمور الدنيا
وإنما كان غضبه لله عز وجل ۝ وانتصارا للحق ۝ وامتثالا لأمر مولاه جل جلاله قال
أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي قط في شيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته ۝ قلت وذلك لحسن خلقه
صلى الله عليه وسلم وما أعطاه الله عز وجل من كمال اليقين ۝ والعلم بأنه لا يجري في
الوجود إلا ما سبق في اللوح المحفوظ ۝ وأما الإحسان فاعلم أن الله عز وجل خصه
من أوصافه بأتمها ۝ وحباه من مزاياه بأخصها وأعمها ۝ وجعل إحسانه دائما لا
ينقطع ۝ وسهلا لا يتعذر ولا يمتنع ۝ وذلك من وجوه عامة وخاصة ۝ أما العامة
فإن الله عز وجل أرسله رحمة للعالمين كما قال عز وجل في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ۝ يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل نالك
من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخاف العاقبة فأمنتها حين أرسلني الله عز وجل
إليك ۝ ومنها ما استفاده الخلق كلهم من العلوم التي أتى بها وظهرت في ملته

صلى الله عليه وسلم ۵ ومنها معجزاته بين الأمم حتى اندفع عنهم القتل والقتال وقد تقدم
ذلك ۵ ومنها شفاعته في انقاذ الخلائق من هول الموقف يوم القيامة ۵ وأما
الخاصة فانها على اربعة أقسام ۵ أحدها ما كان قبل عصره صلى الله عليه وسلم
الثاني ما كان في عصره صلى الله عليه وسلم ۵ الثالث ما كان بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم ۵ الرابع يكون في الآخرة من احسانه صلى الله عليه وسلم ۵ أما الاول
فمن وجوه أحدها ما كان في سالف القدم لآدم عليه السلام حين سأل ربه
جل جلاله بحقه صلى الله عليه وسلم حتى غفر له كما تقدم (سبق) ذكره ۵ الثاني بانتفاع من
آمن به صلى الله عليه وسلم من الامم السالفة قبل أن يوجد ۵ الثالث بدفع الجليل
جل جلاله عن معد بن عدنان ما أصاب العرب من بخت نصر وكان معد ابن اثنتي
عشرة سنة فاوحى الله عز وجل الى ارميا نبي ذلك الزمان ان اذهب الى بخت نصر
فاعلمه اني قد سلطته على العرب ۵ واحمل معدا على البراق كيلا تصيبه النقمة فيهم
فاني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فاحتمل معدا معه على البراق
الى ارض الشام فنشا مع بني اسرائيل وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن
من جرهم ويقال اسمها ناعمة ومن ثم وقع في كتب الاسرائيليين نسب معد ۵ الرابع
بدفعه سبحانه كيد تبع الاول حين غزا في جيوش عظيمة وكان لا يمر بموضع
الا خرج اليه اهله وعظموه وأكرموه حتى انتهى الى مكة زادها الله شرفا
فلم ير من أهلها ما رأى من غيرهم من التعظيم والاكرام فسأل عن ذلك فقيل له ان لهم
بيتا

بيتا يقال له الكعبة يعظمونه وهم يحجون به فنزل بطحاء مكة ووقع في نفسه ان يهدم
البيت ويخربه فابتلاه الله عز وجل بالصداع في رأسه وفتح من عينيه واذنيه وانفه
وفيه ماء منتن الرائحة فلم يصبر على رائحته طرفة عين فجمع علماءه وأطباءه فلم يعرفوا العلة
ولا علاجها فخلا احدهم بوزيره وقال ان صدقني الملك رجوت له الفرج فادخله الوزير على
الملك فقال له هل نويت في هذا البيت أمرا قال نعم نويت ان اخربه فقال له ان وجعك
وبلاك من هذا ان صاحب هذا البيت قوي يعلم الاسرار فاخرج من قلبك جميع ما هممت
به ولك خير الدنيا والآخرة ففعل الملك ذلك ونوى عكسه فبرا بقدرة الله عز وجل من
حينه فآمن بالله عز وجل ۵ ودخل في الحنيفية دين ابرهيم عليه السلام وخلع على الكعبة
سبعة أثواب وهو اول من كسا البيت وقد قيل في تبع الاكبر انه الرايش الذي
تقدم ذكره وشعره الذي يقوله في النبي صلى الله عليه وسلم قال صاحب كتاب من
صبر ظفر ومن اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الف سنة ۵ الخامس بدفع كيد تبع ابي كرب الذي اراد خراب المدينة زادها الله شرفا
وقد تقدم ذلك في اول الكتاب ۵ السادس بدفعه جل جلاله كيد الحبشة حين قصده
أصحاب الفيل فاهلكوا بطير أبابيل كما جا في محكم التنزيل وذلك ان الحبشة لما تغلبت
على اليمن وملكها ابرهه الاشرم بعد ارياط بنى بيتا سماه القليس ثم اراد ان يصرف حج العرب
اليه فغضب لذلك رجل من النساة وهم من بني فقيم من كنانة فخرج حتى اتى القليس
فاحدث فيه أي انه لبس بالمل لا زبد فحلف ابرهة ليهدمن البيت الحرام فاقبل بجيوشه

حتى انتهى الى المغمس بعد ان عارضه جماعة ليصدوه عن البيت فهزمهم فبعث الاسود بن
مقصود في خيل فاتاه باموال اهل تهامة وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وهو يومئذ سيد
قريش وكبيرها فاتاه عبد المطلب يسئله ردها فلما راه اعظمه واجله وكان عبد المطلب
اجمل الناس واحسنهم فاكبره عن ان يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلسه معه على سريره فنزل
عن سريره وجلس تحته واجلسه معه على بساطه الى جنبه ثم ساله عن حاجته فقال حاجتي
ان يرد على الملك مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له كنت اعجبتني حين رايتك
فلما كلمتني في مائتي بعير زهدت فيك تكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك
ودين ابائك فلا تكلمني فيه وقد جئت لهدمه فقال عبد المطلب انا رب الابل
وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذاك ثم خرج عبد المطلب
فاخبر قريشا وامرهم بالتحرز في شعب الجبال خوفا من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب
فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله عز وجل ويستنصرونه
على النجاشي وجنده وقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة الباب

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك ... لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

زاد بعض الرواة بعد هذا البيت ... وانصر على ال الصليب وعابديه اليوم الك

فلما اصبح تهيا ابرهة لدخول مكة وهيا فيله وعبا جيشه فاتى نفيل بن حبيب الفيل
حتى قام الى جنبه واخذ باذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا فانك في بيت الله الحرام
وكان اسم الفيل محمودا واسعد نفيل يشتد في الجبل فبرك الفيل فضربوه ليقوم

فابى

فابى فضربوه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن له في مراقه ورغوه بها ليقوم فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك والى المشرق ففعل
مثل ذلك والى مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف
والبلسان مع كل طائر منها ثلثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص
والعدس لا تصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون
الطريق الذي جاؤا منه وفي ذلك يقول نفيل بن حبيب

اين المفر والاله الطالب ... والاشرم المغلوب ليس الغالب

فخرجوا يتساقطون
بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط انملة
انملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدة تمث دما وقيحا حتى قدموا به صنعاء
وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ويقال ان ما رئيت الحصبة
والجدري بارض العرب ذلك وانه اول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر
وهذا يعضد ما يروى عن بعض الانبياء على نبينا وعليهم السلام من ان ما يحدث من
الحيوانات المفسدة والاشياء المضرة للزروع انما هو من ذنوب الخلق ولذلك
تحدث حيوانات لم تكن تعهد في ما سلف بقدر ما احدث اهل ذلك الزمان من
الذنوب والفساد واعلم ان حبيبا في هذا الخبر بفتح الحاء المهملة وابو نفيل بضم
النون وفتح الفاء وكان حبيب ممن اعترض ابرهة وقاتله في قبيلتيه من خثعم شهران
وناهس فاخذه ابرهة واخذه اسيرا فلما هم بقتله قال له لا تقتلني فاني دليلك

بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبلتي خثعم بالسمع والطاعة فأبقاه وخرج به معه
وقوله إصعد أي اذهب ويسند أي يجري وأما ما كان في عصره صلى الله عليه وسلم
فمن وجوه أحدها بإسلام من أسلم حين ولادته صلى الله عليه وسلم من الأحبار
والرهبان وغيرهم الثاني بإيمان من آمن به من الجان أو هتف بالبشرى في ذلك
الزمان الثالث استسقاء جده عبد المطلب بن هاشم لقريش وسيأتي ذكر ذلك
الرابع بنصر العرب على أهل فارس حين التقوا بذي قار وذلك أن النعمان بن المنذر
لما غضب عليه كسرى ابرويز بن هرمز وجعل ينتقل في الأحياء أودع هانئ بن مسعود
الشيباني أهله وولده وسلاحه وهي الحلقة ويقال بل أودع ذلك هانئ بن قبيصة بن
هانئ بن مسعود فبعث إليه كسرى كتيبتيه دوسر والشهباء على أن يعطوه تلك الحلقة
ويعطوه أولادهم رهنا لما كانوا عاثوا فيه من أرض السواد فامتنعوا من ذلك
والتقوا بذي قار فاقتتلوا صدر النهار أشد قتال ثم هزم الله عز وجل فارس وبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا
واختلف هانئ بن قبيصة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة أو بالمدينة فقيل كان بمكة وهو على
رأس أربعين عاما من مولده صلى الله عليه وسلم بعد أن بعث وقيل بل كان وهو بالمدينة
بعد بدر بأشهر الخامس بما كانت قريش من بركة أمانته صلى الله عليه وسلم فإنه
كان يدعى عندهم الأمين وما منهم أحد عنده شيء إلا أودعه عنده صلى الله عليه وسلم
السادس بإيمان من آمن به بعد بعثته صلى الله عليه وسلم السابع بدفع العذاب

عن

عن أهل مكة مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ودليله في الكتاب العزيز وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الثامن حلول النور والهدى والنصر والظفر بالمدينة حين
حل بها صلى الله عليه وسلم التاسع برفع المجاعة والجدب عن قريش بعد أن أصابتهم سنة
حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والجيف وكان الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينها
وبينه كهيئة الدخان من شدة الجهد وكان ذلك بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم
فإنهم لما استعصوا عليه قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فلما أصابهم الجهد جاء أبو سفيان فقال يا محمد إن قومك قد هلكوا
وإنك تأمر بصلة الرحم فادع الله لهم فدعا الله عز وجل فسقوا وأغيثوا وذهب
عنهم الجهد العاشر بما أفاء الله عز وجل على أهل الإسلام من الغنائم مدة حياته
صلى الله عليه وسلم وأما ما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فمن وجوه أحدها انتفاع
من آمن به صلى الله عليه وسلم ممن جاء بعده إلى قيام الساعة الثاني انتفاع أمته بالكتاب
العزيز الثالث انتفاعها بسنته صلى الله عليه وسلم الرابع بسقيا الناس باستسقاء
عمه العباس رضي الله عنه وسيأتي ذكرها الخامس بالفتوحات التي افتتحت بعده صلى
الله عليه وسلم شرقا وغربا مما زوي له صلى الله عليه وسلم من الأرض السادس
بعصمة أمته صلى الله عليه وسلم من الاجتماع على خطإ السابع بما دفع الله عنهم بدعوته
صلى الله عليه وسلم من الزلازل والفتن الثامن بما دفع عنهم بدعوته صلى الله عليه
وسلم من أن يسلط الله عليهم عدوا من غيرهم ليستفتح بيضتهم التاسع دعوته صلى الله

عليه وسلم الا بعلمكم بالسنين ۝ العاشر ما بسط لهم الجليل جل جلاله ببركته صلى
الله عليه وسلم من النعيم والمكنة في الدنيا ۝ وأما ما يكون في الآخرة من
إحسانه صلى الله عليه وسلم فمن وجوه أحدها أجزاء الحسنة بعشر أمثالها ۝ الثاني
جزاؤها بسبعين وسبعمائة وبما يضاعف الله عز وجل لمن يشاء ۝ الثالث جزاء السيئة بمثلها
الرابع سبعون ألفا يدخلون الجنة من أمته صلى الله عليه وسلم بغير حساب ۝
الخامس ناس من أمته لا يشعر بهم ملائكة الجنة حتى تراهم يطيرون على سورها
فيقولون من أنتم فيقولون نحن قوم عبدنا الله عز وجل سرا فأدخلنا الجنة سرا ۝ السادس
شفاعته صلى الله عليه وسلم في نفر منهم على الخلائق في الحساب ۝ السابع شفاعته
صلى الله عليه وسلم في دخولهم الجنة قبل الأمم ۝ الثامن كرامته بالحوض المورود
الذي آنيته كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ۝ التاسع كرامته
بلواء الحمد المعقود الذي آدم عليه السلام فمن دونه تحته يوم القيامة ۝ العاشر
بشفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الجرائم والكبائر من أمته في الانقاذ من النار ۝ واعلم
أن إحسانه صلى الله عليه وسلم وثبوت جماله الذي فاق بها الأنام ۝ وجل ذكرهما الأيام ۝ أشهر
من الشمس المنيرة ۝ وأوضح منها في ساعة الظهيرة ۝ وأكثر من أن يحيط بها لسان ۝
أو يتسع لجمالها ديوان ۝ ولو أطال مصنفه وأطاب ۝ وأوتي الحكمة وفصل الخطاب ۝
وكيف يحصى قطر الغمام ۝ ووصف من هو واسطة عقد التمام ۝ فالمقر بالعجز في هذا
الباب مستبصر ۝ والمطيل وإن بلغ الغاية مقصر ۝ والبحر لا مثله في هذا البحر قليل
وليس

وليس يصح في الأفهام شيء ۝ إذا احتاج النهار إلى دليل ۝
ولذلك آثرت الاختصار ۝ ورأيت الوقوف على القدر والاكثار

الباب التاسع

في ما دل من الخطوط المرقومة والصور الظاهرة والمكتومة

هذا الباب على قسمين ۝ الأول في الخطوط المرقومة ۝ والثاني في الصور الظاهرة والمكتومة

أما القسم الأول فمنه ما جاء في تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
عن الحسن قال لوح من ذهب مكتوب فيه ۝ عجب لمن يوقن بالقدر كيف يحزن ۝ وعجب
لمن يوقن بالموت كيف يفرح ۝ وعجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها
لا إله إلا الله محمد رسول الله ۝ وعن عمر مولى غفرة قال إن الكنز الذي قال الله عز وجل
في السورة التي يذكر فيها الكهف وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب
مصمت ۝ مكتوب فيه ۝ عجبت لمن عرف الموقف ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم
نصب ۝ عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن ۝ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
ذكر ذلك الطبري في تفسيره وغيره **ومن ذلك** ما جاء في قصة مصرايم ويقال
مصرام ويقال مصر أيضا وهو أحد ملوك مصر وكان من ذرية نوح عليه السلام
قال أبو عبيد البكري رحمه الله وأول من نزل مصر بعد الطوفان مصرايم بن بيصر بن حام
ابن نوح عليه السلام بدعوة سبقت له من جده نوح عليه السلام ۝ روي عن ابن عباس

رضي الله عنه انه قال دعا نوح عليه السلام لمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام
وهو ابو القبط فقال اللهم بارك فيه وفي ذريته واسكنه الارض المباركة التي هي
ام البلاد وغوث العباد التي نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات
وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها وكان السبب في نزوله اياها ان قلبون
الكاهن سال نوحا عليه السلام ان يخلصه باهله وولده بعد ان صدقه وامن بالله
عز وجل فلما انجلى الطوفان قال يا نبي الله اجعل لي رفعة وقرارا اذكر به بعدي فزوج نوح
عليه السلام بيصر بن حام من بنت قلبون فولدت له ولدا فسماه قلبون مصر باسم جده
يعني مصر الملك اول من نزل مصر عند قسمة الارض بين ولد ادم عليه السلام
وبه سميت مصر ويقال في اسمه مصريم ايضا قال فلما اراد نوح عليه السلام قسمة
الارض بين بنيه قال له قلبون يا نبي الله ان بلدي اولى الناس به ابني وابعثه معي امض
به اليه واظهره على كنوزه واوقفه على علومه ورموزه فانفذه معه ومع جماعة
من اهل بيته ذوي ايد وقوة فقطعوا الصخور وبنوا المصانع والمعالم وقيل ان
عددهم كان ثلثين وبنوا مدينة سموها مافة ومافة بلغتهم ثلثون وهي منف
وكشف قلبون عن كنوز مصر وعلمهم خط البرابي واثار لهم المعادن من الذهب والزبرجد
والفيروزج وغير ذلك واطلعهم على عمل الصنعة يعني الكيميا فجعل الملك امرها الى
رجل من اهل بيته يقال له مقطام فكان يعمل الكيميا في الجبل الشرقي فسمي به المقطم وتزوج
مصريم من بنات الكهنة فولدت له اربعة نفر منهم قبطيم واليه عهد بعد
موته

موته وامره ان يحفر له تحت الارض سربا ويفرشه بالمرمر الابيض ويجعل جسده فيه ويدفن
معه جميع ما في خزائنه فحفر له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا
مصفحا بصفائح الذهب له اربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب عليه تاج مرصع
بالجوهر جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ونقشوا في صدر كل تمثال ايات
عظاما واسماء من اسماء الله عز وجل مانعة من اخذه وجعلوا جسده في جرن زبرجد
مصفح بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرام بن بيصر بن حام بعد ماية سنة مضت
من الطوفان ومات ولم يعبد الاصنام ۵ ولا هرم ولا اسقام ۵ ولا حزن ولا اهتمام ۵
وحصن مجلسه هذا بالاسماء العظام الا يصل اليه الا ملك يولد له سبع ملوك يدين
للملك الديان ۵ ويؤمن بالمبعوث بالقران ۵ الداعي الى الايمان ۵ الظاهر في اخر الزمان ۵
وجعلوا معه في ذلك المجلس الف قطعة من الزبرجد المخروط ۵ والف مثقال من الجوهر
النفيس والف برنية مملوة من الدر ووضعوا هناك الصنعة الالهية ۵ والعقاقير
السرية ۵ والطلسمات العجيبة ۵ واكوام سبائك الذهب بعضها على بعض ۵ وصففوا
ذلك بالصخور ذلك العظام ۵ وجعلوا بينها الرمال بين جبلين متقابلين بينهما علامات
وولي قبطيم مصر الملك وانباط مصر بنوه وهو اول من عمل العجائب ۵ وشق
الانهار ولحق البلبلة وخرج منها بهذه اللغة القبطية وملكهم ثمانين سنة ودفن
في سرب تحت الجبل الكبير الداخل وصفح بالمرمر وجعلت فيه منافذ الريح فهي تخرق
فيه بدوي هائل وجعلت فيه اكوام نحاس مطلية بادوية مشتعلة لا تطفا ابدا

ولطخوا جبينه بالمر والكافور والموميا وجعلوه في جرن من ذهب في ثياب منسوجة
بالدر والمرجان وكشفوا عن وجهه وجعلوه تحت قبة عظيمة على عمد من ملونة
وفي وسط القبة جوهرة معلقة كالسراج المضيء وفي كل عمود من تمثال
في يده أعجوبة وجعلوا حول الجرن توابيت مملوءة بالجوهر والدر النفيس ومصاحف
الحكمة وشدوا على جميع ذلك الصخور والرصاص ومروا عليه كما مروا على ناووس أبيه
ومن ذلك ما ذكره صاحب كتاب الديباج بسنده عن الوليد بن
القناص قال أتيت إنطاكية فإذا أسود قد نبش قبرا فأصاب فيه صحيفة نحاس
فيها مكتوب بالعبرانية فجاء بها إلى إمام انطاكية فبعث بها إلى رجل من اليهود
فقرأه فإذا فيه أنا عون بن أرميا الذي بعثني ربي إلى انطاكية أدعوهم إلى الإيمان بالله
فأدركني فيها أجلي وسينبشني أسود في زمان أمة أحمد ومن ذلك ما ذكره الفقيه
أبو محمد رحمه الله في الإعلام من أنه وجد مكتوبا على الحجارة القديمة محمد تقي مصلح رشيد أمين
وذكر ذلك غيره فقال وسيد مكان رشيد ومن ذلك ما وجد في اللوح الذي
تقدم ذكره في أخبار عاد وهو إذا ظهر النبي الأقمر على الجمل الأحمر يدعو إلى رب عنه
ينفر فالويل لمن خالف هداه ولا ملاذ لمن عصاه لا يستنكر منه جل ولا واد
ولا يحدو به إلى الرشاد حاد مخرجه من تهامة يبسط ربع القامة سيفه مسلول
وماله مبذول إن قال صدق وإن نطق رتق فعند ذلك تتضعضع له الملوك وتضحى
به الشكوك صلى الله عليه من نبي غير مشكوك فعند ذلك يترك الرخا ويرتفع
البلا

البلاء ويزيد الذين عنفوا أنا ومن ذلك ما وجد بمدينة رومة ووقع ذكره في كتاب
فتوح الشام المنسوب للواقدي وذلك أن أبا عبيدة بن الجراح حاصر مدينة إنطاكية
وبها هرقل حتى افتتحها وارتحل عنها هرقل في المراكب إلى القسطنطينية وأراد صاحب رومة
الكبرى نصرة هرقل وكان عنده هيكل فيه بيت مقفل لا يدري ما فيه وكانوا يتحامون
فتحه اقتداء بمن سلف من ملوكهم وعلمائهم ووقفوا عند وصيتهم بذلك فلما عزم على
نصرة هرقل واحتاج إلى النفقة أراد فتح ذلك البيت فقال له القيم بأمر الكاهن
إن هذا البيت منذ أقفل سبع مائة سنة قبل ظهور المسيح عليه السلام بمائة وسبعين سنة
وما أحد يلي أمر هذه الهياكل إلا ويوصي ألا يفتح هذا البيت فلا تزل حكمة قد اتبعها من
كان قبلك من الحكماء والملوك فأبى إلا فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيئا إلا صورة بيت
المقدس ومدن الشام وملوكهم وعددهم وفي آخرهم صورة هرقل وكأنه ينظر إلى لوح
بين يديه وفي اللوح باليونانية يا طالب العلم عليك بكثرة القراءة فيه فإنه كلما
تكرر مرور النكت على المسامع تعلمها وكان ذلك أشد لقوته وأحكم لتصرفه
إذ العلوم كلها إنما تستخرج بالعقل والقياس والقياس إنما يكون بكثرة الرياضة فيه
والعلم فطنة التدبير والتدبير موضع العلم والعلم موضع العقل والعقل هو المقتبس
لأشكال العلوم وقد رأينا في الحكم والأسرار الخفية أن سحاب العماية وظل
الضلالة إذا حميت على لجة الأرض خرج مصباح الهداية من أرض تهامة فيذهب بظلام
الجهل المظلم ويدعو الناس إلى دين توحيد الصانع وهو صاحب الجمل الأورق فيذهب

بالأديان وتذلل وتصبق دونه السهل والوهد ٥ فاذا غلبت لطافة نوره على كثيف الظلمة
وانتقل وجهه الى العالم الروحاني وولي بعده رجل نحيف القدرة قلبه منور بنور الصدق
يشد ملته ويصدق شريعته وويل للشام ماذا حل بها من الرجل الأحور ٥ العدل صفته
نزيه مرتعته ٥ وسيفه دزنه ٥ تذهب في ايامه الدول وتحول ٥ وتضمحل الأكاسرة وزول ٥
وأوان ذلك اذا فتح هذا البيت المصور بصور الحكمة ٥ فطوبى لمن شحنت الحكمة في
قلبه ٥ وأشرقت مصابيحها في صميم لبه ٥ واتبع الحق وعرفه ٥ وجانب الباطل وخالفه ٥
وذكر في الكتاب المذكور أن قوف صاحب رومة على هذا المكتوب كان أحد الأسباب
التي أوجبت دخوله في ملة الاسلام ومباينته هرقل واعانته للمسلمين حتى افتتحوا انطاكية
ومن ذلك ما ذكره سهل بن هرون الكاتب في الكتاب الذي ترجمه من كلام الملك
الذي أخبر رعيته بما يكون بعده وذلك بعد أن اجتمع رجال من أهل العلم من رعيته على
مسئلته عما يكون من بعده من تصرف الأزمان ٥ وتنقل الأحوال لبعد والأمور ممدتها
وليقيدوا علمها واستاذنوه في ذلك ٥ فأخبرهم بما أخبرهم به ثم قالوا أيها الملك فأخبرنا
ان شئت عن الكائن بعد الدعوة التي اليها يرجع أمر هذه الأمة ٥ قال تتطاول فيه الأزمنة
وتتناسخ عليه الأمم ٥ ويكثر فيه تصرف الحالات ٥ حتى يصير الأمر الى الأمة الأمية
المحتوم آخر الدهر بدولتها ٥ والرسايل نبوتها ٥ المخلوطا ها ٥ وتجمع كلمتها ٥ وتقيم أعلام
الدين ومنار الحق ٥ وشرايع الهدى ٥ دعوة الحق بمنزلة طاهرة مطهرة يعمل فيها
بالقسط ٥ وتحيا فيها أعلام العدل ٥ وتقوم بها سبل الحق ٥ وتجلوا عن ضيابها ظلام
الباطل

الباطل وشبهات الضلالات التي قد كانت ثبتت أركانها ٥ واشتد في أركان الأرض
احتدامها ٥ فيقوى سلطان الحق على الباطل ٥ ويعود الزمان كدعا كاوله يرضى عن القايم
به ملك السموات والأرض حتى يقبض حميدا مودبا بالحق الأمانة ٥ قاضيا لما يجب عليه
من تبليغ الرسالة ٥ مختارا له فضل المنقلب الى منازل الكرامة ٥ ومحل الروح والرحمة
ثم ذكر بعد ذلك كلاما وقال في آخره تظهر كلمتهم ٥ وتعتز دعوتهم ٥ وتتأكد مملكتهم
يعانون بالرعب ٥ ويمدون بالنصر ٥ ويجتمع لهم ملك أطراف الأرض حتى يكون أمرهم
مرفوعا الى المرفوع المنزل بالجماهة الفاتن الكذاب ٥ واعلم ان قوله عمر مولى غفرة بضم
العين وفتح الميم وغفرة بضم الغين المعجمة وسكون الفاء وعفره بهذه أخت بلال بن رباح رضي
الله عنه ٥ ومصرتم يقع مهملا والقياس يقتضي انه بكسر الميم وكسر الراء ٥ ومصرام بكسر
الراء وبنصر بفتح النون وسكون الباء المنقوطة باثنتين من أسفل ٥ وفي بعض النسخ
بنصر بفتح الباء المنقوطة بواحدة بعدها نون ٥ وقليمون كذا وقع باللام وفي
السيرة في حديث عبد الله بن الثامر اسم يقارب هذا الاسم وهو فيميون بالباء أخت
الواو وهو بفتح الفاء وكسر الميم وقياس هذا أن يكون مثله ويمكن أن يكون صاحب
عبد الله بن الثامر سمي باسم هذا الأول وغيرت اللام منه الى الباء والله أعلم ٥ وما فه
بالقاء أخت القاف ومنف بفتح الميم وسكون النون مدينة معروفة من مدن مصر
ومبقطام وقع مهملا الا ان قوله به سمي المقطم يوذن أن الميم منه مضمومة والأولى أن
تفتح لأنه أخف على الألسنة ٥ وأحرى على قوانين العربية وأوزان لغتها وان كان لم يجي في

لغة العرب ما هو على لغة نبيه لا بل لأن جاء فيها ما هو على لغة فيعلن بالنون كالضيمران
وهو معروف والايهقان وهو الجرجير والجيقطان وهو ذكر الدراج ۝ وقوله في جرن
وقع مهملة وفي بعض النسخ جرن بالجيم والراء المهملة ۝ وذكر بعض المشارقة أن جرن بضم
الجيم وسكون الراء وانه كالتابوت الذي يوضع فيه الميت وكمعلف الدواب ۝ ورأيت في
بعض الأخبار ما يدل على انه كمثل المهراس الكبير من صخر ۝ وقوله ملك يولد له سبعة
ملوك هو والله اعلم عبد الملك بن مروان فانه ولي الخلافة من ولده وولد ولده سبعة
الوليد بن عبد الملك وسليمن بن عبد الملك ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك
والوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وابرهيم بن الوليد بن عبد الملك
وقد وجدت في زمان عبد الملك بمنف سبعة مصاحف مترجمة فحملت اليه مع الحلي
الذي كان معها واخفى اكثره وفسرها له رجل يهودي فكتب منها ما اراد وستر ما اراد
وكان صدر المصحف الأول لهذه المصاحف باسم الرب المحيط بالأشياء وكان
فيه ذكر مبادي الولادات والملوك وما عملوه من الحكم والطلسمات وغير ذلك من
علومهن ذكر ذلك البكري ويحتمل أن يكون ما في هذا المكان مما وجد في تلك الكتب
ويحتمل أن يكون المراد غيره والله اعلم ۝ وقوله ولحق البلبلة يريد الزمان الذي تبلبلت
فيه الألسن واختلفت وذلك فيما ذكر بعضهم في زمن نمرود بن كنعان وانه رد الناس
عن الإسلام وكانوا يتكلمون بالسريانية فامسوا وليس منهم مخلوق يعرف كلام
صاحبه فتبلبلت ألسنتهم فافترقت لغة بني آدم على اثنين وسبعين لسانا لبني سام منها اثنان
وثلثون

وثلثون وسائرها لبني حام وبني يافث ۝ وقيل انما كان تبلبل الألسن في زمن نمرود صاحب
ابرهيم عليه السلام وذلك انه رام الصعود إلى السماء فبنى الصرح حتى ظن انه اسنده الى
السماء ثم ان تقي فوقه ينظر بزعمه إلى اله ابرهيم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فيقال ان الألسنة عند ذلك تبلبلت لفزع الناس
فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا وانما كان لسان الناس قبل بالسريانية والله اعلم ۝ والسرب
بفتح الراء كالطريق تحت الأرض ۝ وقبطيم بفتح القاف وسكون الباء أخت الواو وكسر
الطاء هذا هو الأظهر والأشبه ۝ وزبروا بالزاي أي نقشوا وكتبوا ۝ والناووس موضع الأموات
وقوله لا يستتر منه جبل ولا واد أي صاحب جبل ولا واد ۝ وقوله رتق أي أصلح والرتق ضد
الفتق ۝ وتتضعضع تذل وتخضع ۝ وتضحي تزول ۝ وعنفوانا أي جدة وعنفوان كل شيء
أوله ۝ وقوله اذا حميت بكسر الميم اي اشتدت يقال حميت النار والشمس وأفرد
الضمير اكتفاء باحد الاسمين عن الآخر لتلازمهما ومنه قول الآخر
بها العينان تنهل ۝ وقال حميت اما انه اعاد على السحاب وهو جمع سحابة او انث المضاف
لتانيث المضاف اليه كما قالوا ذهبت بعض اصابعه ۝ وتواضعت سور المدينة ۝ وتضمحل
تتلاشى وتذهب ۝ وقوله فيجلوا ظلماءها وما عطف عليه على انه والله اعلم مفعول قوله
تجلوا وفاعله دعوة الحق أي تجلوا دعوة الحق ظلماءها والضمير في قوله ظلماءها يحتمل
وجهين أحدهما ان يكون عائدا على الأرض فيكون من الضمير الذي يفسره ما يفهم من
سياق الكلام الثاني أن يكون عائدا على الأمة فيكون من معنى قوله تعالى ويخرجهم من

الظلمات إلى النور واخمادها انقادها واشتعالها وأصله من اخماد النار وقوله ويعود الزمان جذعا أي إلى أول أمره كالجذع وهو ابن سنتين من الإبل وقوله ومحل الروح يحتمل وجهين أحدهما فتح الراء وهو برد النسيم وقيل طيب النسيم والثاني الروح بضم الراء والمراد موضع الحياة التي لا موت فيها ٥ وقوله المرفوع المنزل لقتال الفاتن الكذاب يعني المسيح عليه السلام لأن الله عز وجل رفعه إليه وينزله في آخر الزمان لقتال الأعور الكذاب اللعين الدجال

وأما القسم الثاني في الصور الظاهرة والمكتومة

فمنها ما جاء عن كعب الأحبار أن ابرهيم عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع بنيه وهم يومئذ ستة ودعا بتابوت آدم عليه السلام ففتحه وقال يا بني انظروا إلى هذا التابوت فنظروا فاذا في التابوت عدد الأنبياء كلهم أجمعين عليهم وآخر التوابيت تابوت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمراء وإذا هو فيه قايم يصلي على يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من المؤمنين وعن يساره الفاروق مكتوب على جبينه يا زين البرية والخلفاء قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبينه يا زين البرية والخلفاء ومن بين يديه علي بن أبي طالب شاهر سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء وهم أنصار الله عز وجل وأنصار رسوله صلى الله عليه وسلم ومنها ما جاء عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال وجد على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الريحان ومنه فتح عمرو بن العاصي

باب

باب الحصن يعني بمصر صنم من نحاس على خلقة الجمل عليه رجل راكب عليه عمامة متنكبا قوسا عربية وفي رجله نعلان فكانت الروم والقبط وغيرهم إذا تظالمت أو اعتدى بعضهم على بعض تحاكموا حتى يقفوا بين يدي الجمل فيقول المظلوم للظالم أنصفني قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل فيأخذ الحق منك شئت أو أبيت يعني بالراكب النبي صلى الله عليه وسلم ٥ ولما قدم عمرو بن العاصي مصر غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا للمسلمين عليهم قال ابن لهيعة بلغني أن صورة ذلك الجمل الذي كان في ذلك الموضع قد أتى عليه الآف من السنين لا يدرى من عمله ٥ ومنها ما جاء عن علي بن رباح أن جبير بن مطعم كان يدوه أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علم أنهم سيقتلونه خرج حتى لحق بدير من الديارات فكان فيه فذهب أهل الدير إلى رأسهم فأخبروه فقال أقيموا له حقه الذي ينبغي له ثلثا فلما مرت ثلث رأوه لم يذهب فانطلقوا إلى صاحبهم فأخبروه فقال قولوا قد أقمنا لك حقك الذي ينبغي لك فإن كنت وصبا فقد ذهب الوصب وإن كنت واصلا فقد آن لك أن تذهب إلى من تصير إليه وإن كنت تاجرا فقد آن أن تذهب إلى تجارتك فقال ما جئت تاجرا ولا واصلا وما أنا بوصب فذهبوا إليه فأخبروه فقال إن له لشأنا فسلوه ما شأنه فقال لا والله إلا أني من قرية إبرهيم عليه السلام وإلى ابن عم لي يزعم أنه نبي فآذاه قومه وتخوفت أن يقتلوه فخرجت لئلا أشهد ذلك فذهبوا إلى صاحبهم فأخبروه فقال هلموه فأتي به فقص عليه قصته قال فتخاف أن يقتلوه قال نعم

قال تعرف شبهه لو تراه مصورا قال نعم إنما عهدي به منذ قريب فاراه صورا مغطاة
فجعل يكشف صورة صورة ثم يقول اتعرف واقول لا حتى كشف عن صورة مغطاة
فقلت ما رأيت أشبه بشيء من هذه الصورة به كأنه طوله وجسمه وبعد ما بين
منكبيه قال فتخاف أن يقتلوه قلت اظنهم قد فرغوا منه قال كلا والله لا يقتلوه
وليقتلن من يريد قتله وانه لنبي وليظهرنه الله ولكن قد وجب حقك علينا فامكث
ما بدا لك وادع بما شئت قال فمكثت عندهم حينا ثم قلت لو اطلعتهم قال فقدمت مكة
فوجدتهم قد اخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلما قدمت قامت الي
قريش ثم قالوا قد تبين لنا امرك وعرفنا شانك هلم الينا اموال الصباة التي استودعكها
ابوك فقلت ما كنت لافعل هذا ابدا حتى اموت نعير بها ولكن بي في امانته والذي ولاكن دعوني
أذهب فادفعها اليهم فقالوا علي ان عليك عهد الله وميثاقه الا تاكل من طعامه ولا تتبعه
قلت نعم فقدمت المدينة وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فدخلت عليه فقال
لي فيما قال اراك جايعا هلموا طعاما فقلت لا أكل حتى اخبرك فان رأيت ان اكل اكلت
قال فحدثته بما أخذوا علي قال فاوف بعهد الله ولا تاكل من طعامنا ولا تشرب من
شرابنا ٥ ومنها ما جاء عن حاطب بن ابي بلتعة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المقوقس ملك الاسكندرية فقدمت مصر وكان ملكها قد تجرت عنده فجوزني
وبشرني اليه وهو في غرفة جالس ينظر الى سفن في البحر فرفع الرسول الذي معي عصا
فيها كتاب فلم انشب ان دعاني فدخلت عليه فاذا هو رجل به النقرش شاحب

اللون

187

اللون حسن الوجه ضيل الخلق فقال بلسان عربي من انت قلت رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال والله انك إذا لعظيم الشان واذا حوله مجلس ما رأيت شكلا ما انهم
فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراه ثم اقبل على جلسايه وضحك
وقال كتب الي صاحبك يتوددني على دينه فما منعه اذ كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يسال ربه فيسلط علي البحر فيغرقني فيكفي مؤنتي قلت فما منع عيسى وهو
كما قلت إذ اخذه اليهود كما زعمت فربطوه في حبل وحلقوا وسط راسه وجعلوا اكليل
شوك وجعلوا على عنقه الخشبة وطعنوه بالحربة حتى مات فما منعه ان يسال ربه ان ينجيه
منهم ويهلكهم فيكفي مؤنتهم ويظهر هو واصحابه عليهم ٥ وما منع يحيى بن زكريا حين
سالت امرأة فاجرة الملك ان يقتله فقتله وبعث براسه اليها ان يسال ربه ان ينجيه ويهلك
الملك فالتفت الى جلسايه وقال والله انه لحكيم وما يخرج الحكيم الا من عند الحكماء سا
تقولون قالوا صدق ايها الملك قد رأينا ما رأيت فقال اجلس فحدثنا عن حكمك ثم سالني
عن بدء امره صلى الله عليه وسلم وشانه وشان قومه واخراجهم اياه حتى انتهيت الى عهده
فقال كيف فعل وسائرهم من العرب قلت دخل في دينه اكثرهم وهو يقاتل من
بقي فاذا انقضى ما بينه وبينهم عاد لهم قال فما رأيه في عيسى بن مريم قلت يقول هو عبد
الله ورسوله وكلمته قال فمتى صحبته قلت اول من صحبه فعاد فقرا كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرة اخرى ثم امر لي بمجلس حسن حتى اذا كان بعد العشاء
بساعة ارسل الي فدخلت عليه وليس عنده احد فقال لي اجلس يا حاطب فحدثت وسل

ثم قال الا ترى قلت بلى قال والله انها قسيس ولا راهب ولا عالم الا وهو يعلم أن
صاحبك رسول الله لامارة زمانه وصفته وصفة اصحابه ولئن احزن مجلسي
هذا وان شئت لاريتك صفة الرجل الذي ياخذه فقلت قد شئت فاخرج الي
صفة رجل عظيم الهامة واسع الجبين قليل الشعر عريض الصدر واسع الفم قصير
الذراعين طويل العضد عظيم الكعبين والقدمين فقال هل تعرف هذا قلت لا والله
قال فاعرفه ثم رجعت الى المنزل فجاءني شيخ من جلسائه لم يكن يطرف عني فقال اشهد
ان صاحبك رسول الله وانا لاحق به معك والملك يجوزك وممد لصاحبك وباعث معك
فتيانا يجوزونك فقل له ابعث معي شيخا فاذا اكثرت فيما فوق انا اخرج معك فاخرج
فالحق بصاحبك ومكث اياما ثم جوزني فاحسن واهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هدية ثم ارسل معي فتيانا فقلت ابعث معي شيخا فقال ذلك الشيخ انا اخرج معه
فاجوزه ثم ارجع قال وانت فاخرج معه قال فلما كان الليل بعث الى ذلك الشيخ
فقال تخرج معه يا فلان فقال نعم فقال قد عرفت ما اردت وانا والله لوددت لو ان
نفسي تطيب فاخرج معك واذا قدمت على الرجل الصالح فاقرا عليه مني السلام
قال فخرجت فخرج معي والله ما يفتر ان يسألني عما ينبغي ان يعمل به ويستقريني القرآن
فاقريه واعلمه حتى اذا كنا ببعض الطريق اصابه البطن وقدمنا ايلة فاخذه الموت
فقال لي اذا مت فاصنع بي كما تصنعون بموتاكم وانظر الذهب الذي في الخرج فهو لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنته وصليت عليه ثم قدمت على رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم فصلى عليه وترحم   واعلم ان الصورة التي اراه المقوقس اياها كانت
صورة عمرو بن العاص لانه الذي افتتح مصر والاسكندرية سنة عشرين من الهجرة
في زمن عمر بن الخطاب رضي الله   ومنها ما جاء عن رجل من ولد هبار بن الاسود مما راه
عند ملك الصين وذلك ان هذا الرجل خرج من البصرة الى بلاد الهند ولم يزل يتنقل بها
الى ان بلغ بلاد الصين وتوسل الى ان دخل الى ملك الصين ه وذلك بعد ان اخبر الملك انه من
بيت النبوة فبحث عن صحة نسبه فلما تحققه امر بادخاله وقال للترجمان سله عن منزلة
الملوك عندهم فلم يدر ما يجاوب به فقال الملك انا نجد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا
الذي ملك العراق وما والاها لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد
اسمه عندنا ملكا ويعده ملكنا هذا ونجده ملك الناس لا احد اسوس من
الناس منا ولا اطوع للملوك من رعيتنا فنحن ملوك الناس ه ثم ملك السباع وهو
ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس   ثم ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا
ملك الحكمة ه   وبعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض
اتم خلقا من رجاله ه فهؤلاء اعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له
اتعرف صاحبك ان رايته يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت فكيف لي برؤيته
قال فامر بسفط فاخرج ووضع بين يديه وتناول منه درجا فاراني صور عامة الانبيا
صلى الله عليهم اجمعين فلما رايتهم حركت شفتي بالصلاة عليهم فقال للترجمان سله
عن تحريك شفتيه فاخبرته قال ورايت نوحا عليه السلام في السفينة ينجو بمن معه

وعيسى عليه السلام على حماره والحواريون معه قال وفوق كل صورة كتابة طويلة فيها
أسماؤهم وبلادهم وأعمارهم ثم كذلك بسائر الأنبياء عليهم السلام حتى رأيت صورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يحدقون به في أرجلهم نعال عربية وفي أوساطهم حبال
الليف قد علقوا منها المساويك قال فبكيت فسأل عن بكائي فقلت له ذكرت أمر نبينا
صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة فأقام عنده ما أقام ثم زوده وأعاده إلى بلاده
ومنها ما ذكره صاحب كتاب الديباج بسنده عن دحية بن خليفة رضي الله عنه قال
وجهني النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم بكتابه وهو بدمشق قال فناولته كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم فقبل خاتمه ووضعه تحت شيء كان عليه قاعدا ثم نادى فاجتمع البطارقة
وقومه فقام على وسائد ثنيت له وكذلك كانت فارس والروم لم يكن لها منابر ثم خطب
أصحابه فقال لهم هذا كتاب النبي الذي بشرنا به المسيح من ولد إسمعيل بن إبرهيم قال فنخروا
نخرة فأومأ بيده أن اسكتوا فقال إنما جربتكم كيف نصرتكم للنصرانية قال فبعث إلي من
الغد سرا فأدخلني بيتا عظيما فيه ثلثمائة وثلث عشرة صورة فإذا هي صور الأنبياء
المرسلين قال انظر أين صاحبك من هؤلاء قال فرأيت صورة النبي صلى الله عليه وسلم
كأنه ينطق قلت هذا هو قال صدقت فقال صورة من هذا عن يمينه قلت رجل من
قومه يقال له أبو بكر الصديق قال فمن ذا عن يساره قلت رجل من قومه يقال له عمر
ابن الخطاب قال أما إنه نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يتم الله عز وجل هذا الدين
فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق بأبي بكر وعمر يتم الله تعالى هذا الدين
بعدي

189

بعدي ويفتح ومنها ما جاء عن هشام بن العاصي مما رآه عند هرقل قال هشام بعثت أنا ورجل
آخر إلى هرقل حتى قدمنا الغوطة يعني دمشق ونزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه
وإذا هو على سرير له فأرسل إلينا برسول نكلمه فقلنا والله لا نكلم رسولا إنما بعثنا
إلى الملك فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك
قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلمه هشام بن العاصي ودعاه إلى الإسلام فإذا عليه ثياب
سود فقال له هشام ما هذه التي عليك فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم
من الشام قلنا ومجلسك هذا والله لنأخذنه منك ولنأخذن ملك الملك الأعظم
إن شاء الله أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم قال أنتم إذا السمر قلنا وما السمر
قال لستم هم قلنا وما هم السمر قال لستم بهم بل هم قوم يصومون النهار ويفطرون
بالليل فقلنا نحن والله هم قال فكيف صومكم فأخبرناه فملأ وجهه سوادا فقال
قوموا وبعث معنا رسولا إلى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي
معنا إن دوابكم هذه يعني الإبل لا تدخل مدينة الملك فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال
قلنا والله لا ندخل إلا عليها فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا
حتى انتهينا إلى غرفة الملك فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر
لقد تنقضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح فأرسل إلينا ليس لكم
أن تجهروا علينا بدينكم ببابي وأرسل أن ادخلوا فدخلنا وهو على فراش له وعنده بطارقته
من الروم وكل شيء في مجلسه أحمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة فدنونا منه

فضحك وقال ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم واذا عنده رجل فصيح بالعربية
كثير الكلام قال فقال لنا وضحك ما منعكم ان تحيوني بتحيتكم بينكم فان ذلك اجمل بكم فقلنا
ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا ان نحييك بها قال كيف تحيتكم ما
بينكم قلنا السلام عليكم قال فكيف تحيون بينكم قلنا بها قال وكيف يرد عليكم قلنا بها قال فما
أعظم كلامكم قلنا لا اله الا الله والله أكبر فلما قلناها والله يعلم لقد تنفضت الغرفة
حتى رفع رأسه اليها قال فهذه الكلمة التي قلتموها حتى تنفضت الغرفة كلما قلتموها
تنفض بيوتكم قلنا ما رأيناها فعلت هذا قط الا عندك قال لوددت انكم كلما قلتموها
في بيوتكم تنفض كل شيء عليكم واني خرجت من نصف ملكي قلنا لم قال لانه ايسر لشأنها
واجدر الا يكون من أمر النبوة وان تكون من حيل الناس ثم سألنا عما أراد فاخبرناه
ثم قال كيف صلاتكم وصومكم فاخبرناه فقال قوموا فقمنا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير
فاقمنا ثلثا فارسل الينا ليلا فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأعدناه فدعا بشيء كهيئة
الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتا وقفلا فاستخرج
خرقة سوداء فاذا فيها صورة حمراء واذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار
مثل طول عنقه واذا ليست له لحية واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله فقال هل
تعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح لنا بابا آخر فاستخرج منه حريرة
سوداء واذا فيها صورة بيضاء واذا رجل له شعر قطط احمر العينين ضخم المنكبين
عظيم الهامة حسن اللحية فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام

ثم

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت
الجبين طويل الخد ابيض اللحية شارع الانف تخلط شعر الرأس قصد الصورة كبير
الروح كأنه والله حي كأنه يتبسم فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا ابرهيم صلى الله عليه
وسلم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فاذا فيها صورة واذا والله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرفون هذا قلنا نعم هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وبكينا فالله يعلم انه قام قايما ثم جلس وقال الله انه لهو قلنا نعم انه لهو كانما تنظر
اليه حيا فامسك ساعة ثم قال أما والله انه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر
ما عندكم ۝ ثم فتح بابا آخر فاخرج منه حريرة سوداء فاذا فيها صورة ادماء سحماء واذا
رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان مقلص الشفة كانه
غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا موسى عليه السلام والى جنبه صورة
تشبهه الا انه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبل فقال هذا هرون بن عمران عليه
السلام ثم فتح بابا آخر فاخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط الشعر
ربعة كانه غضبان قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا لوط عليه السلام ثم فتح بابا
آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة اجنا أو قال اقنا
خفيف العارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا اسحق عليه
السلام ۝ ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة تشبه صورة
اسحق عليه السلام الا انه على شفته السفلى خال فقال هل تعرفون هذا قلنا لا

قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل
أبيض حسن الوجه أقنى الأنف حسن القامة يعلو وجهه النور يعرف في وجهه الخشوع
يضرب إلى الحمرة فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا إسمعيل جد نبيكم صلى الله عليه
وسلم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم عليه
السلام كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام
ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحمر حمش الساقين ضخم العينين
ربعة متقلد سيفا قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا داود عليه السلام ثم فتح
بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الأليتين طويل الرجلين راكب
فرس قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا سليمان بن داود عليهما السلام ثم فتح
بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا رجل شاب شديد
سواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا قلنا
لا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام قلنا من أين لك هذه الصور لأنا
نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام لأنا رأينا صورة نبينا صلى الله
عليه وسلم مثله فقال إن آدم صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريه الأنبياء
من ولده فأنزل الله عز وجل عليه صورهم وكان في خزانة آدم فاستخرجها ذو
القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال فصورها دانيال في خرق من حرير
فهذه بأعيانها الصور التي صورها دانيال ثم قال أما والله إن نفسي طابت أن أخرج
من

من ملكي وأني كنت عبدا لأيسركم ملكه حتى أموت ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا
فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثناه ما رأينا وما قال لنا وما أجازنا فبكى
أبو بكر رضي الله عنه ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون
نعت محمد صلى الله عليه وسلم ه ومنها ما وجد ببلاد الأندلس قبل افتتاح المسلمين
لها بيسير وذلك أن لذريق ملك الأندلس في ذلك الوقت كانت دار مملكته
طليطلة قال الفقيه أبو مروان عبد الملك بن محمد بن الكردبوس التوزري في كتاب
الاكتفاء في أخبار الخلفاء وقد ذكر لذريق وكانت دار مملكته طليطلة وكان فيها
بيت عليه أقفال فكل ملك منهم يلي الملك يزيد قفلا على ذلك البيت ولم يفتحه قط
ملك ولا علم ما فيه حتى انتهت الأقفال عشرين فلما ولي لذريق هذا قال أريد أن أفتح
هذا الباب حتى أعرف ما فيه فقال له أقاطنه وأقسته لا تفعل ولا تحدث ما
مالم يحدث من تقدمك فقال لا بد من فتحه والوقوف على ما فيه فلم يجد فيه شيئا
غير رق كبير فيه صورة رجال عليهم العمائم وتحتهم خيول مسومة وفي أيديهم
السيوف والرايات على القنى بين أيديهم وفيه مكتوب بالعجمية هذه صورة العرب
فإذا فتحت أقفال هذا البيت ودخل البيت فتحت العرب الجزيرة وملكوا أكثرها
فندم على فتحه وغلقه وهيهات أن يكون إلا ما سبق في علم الله عز وجل هذا ما ذكره
الفقيه أبو مروان رحمه الله وذكر غيره نحوه ه وقال ابن أبي الفياض في تاريخه
أنه لم يجد في البيت شيئا غير تابوت عليه نسج العنكبوت وفي التابوت شقة

مربعة طولها كعرضها نظيفة رقيقة لطيفة فيها تصاوير رجال فرسان معممين متقلدي
سيوف متنكبي قسي لهم رايات مرفوعة تحتها أثار مكتوبة بصف لها أن العرب
يدخلون جزيرة الأندلس يأخذونها ويملكونها وفيها يتسلطون ٥ إذا رأيت هذه الأقفال
مكسورة ٥ ورأيت هذه الشقة منشورة ٥ ورأيت هذه الصورة مشهورة ٥
فملك أهلها ظالم وأمرهم ناهر فلما قرأ الروم تلك الآثار أيقنوا بالهلاك ويئسوا
من الجزيرة وعلموا أنهم خارجين منها وغير باقين فيها ٥ ومنها ما وجد ببلاد الأندلس
أيضا مما ذكره ابن اليسع في كتابه المغرب عن محاسن أهل المغرب ٥ قال أنه كان بقصر
الملك داماس تحت الأرض فيه صور من المرمر تشتمل الحبال والشمال متعممة بالعمائم
وقبل دخول العرب الجزيرة حفروا موضعا لأمر ما فوجدوا الصور وبطليطلة فيلسوف
من الروم وكان عالما بتواريخهم وسيرهم فسألوه عنها فقال ظهور هذه الصور
يدل على ظهور قوم لباسهم هذا الزي ولا بد لهم من مجالها ٥ وكان الذي افتتح
الأندلس طارق بن زياد في سنة ثلث وتسعين من الهجرة النبوية صلى الله على صاحبها
سيد الأمة وخير البرية ٥ فجاز إليها طارق واحتل بجبل منيع سمي جبل طارق إلى اليوم وكان
حلول الجيش بهذا الجبل يوم السبت في شعبان سنة اثنين وتسعين ٥ والتقى لذريق
وقتل وقيل بل فقد فلم يدر له خبر وافتتح طارق فتوحات كثيرة بالأندلس وكان التقاء المسلمين
مع المشركين يوم الأحد لانسلاخ شهر رمضان المعظم فاقتتل المسلمون والمشركون
قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا صبرا عظيما ثم أنزل الله عز وجل نصره على
المسلمين

المسلمين فانهزم المشركون وقتلوا قتلا ذريعا وكانت الهزيمة يوم الأحد لسبع خلون
من شوال ولتسع مضين من تشرين الأول قال ابن أبي الفياض وكانت بجهة
طارق عجوز مسنة تدعي علما من علوم الأعاجم وتقول أن الذي يأخذ الأندلس شيخ ذو طلعة
كذا وكذا فبعث فيها طارق فلما وصلت إليه حكت له ذلك وأعلمته من صفاته أن هذا
الشيخ الذي يأخذها في كتفه اليسرى شامة فانكشف لها طارق وعرض عليها شامة
بكتفه اليسرى كما ذكرت فلما رأتها أيقنت بالهلاك وأنذرت به أهلها وأهل بلدها
وافتتح طارق المدن حتى انتهى إلى طليطلة قاعدة الملك فافتتحها ووجد فيها مائدة سليمان
ابن داود عليهما السلام واختلف المؤرخون في صفتها فقال الفقيه أبو مروان رحمه
رحمه الله أنها كانت قطعة واحدة من زمردة خضراء خرط منها أرجلها وحواشيها
وقال الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق كانت من ذهب مكللة
بالدر والياقوت والجوهر قال وقيل لرجل من أصحاب موسى يقال له أبو جميل كيف
كانت المائدة قال كانت من ذهب تشوبه فضة تتلون حمرة وصفرة وكانت
مطوقة بثلاثة أطواق طوق ياقوت وطوق زبرجد وطوق لؤلؤ وزمرد وقال
ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة وذكروا في صفة المائدة عن عبد الحميد قال كانت
مائدة خوان ليس لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب خليطين فهي تتلون صفرة
وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد قال قلت
فما عظمها قال كنا بموضع والناس معسكرون إذ انفلتت بغل لرجل من موالي موسى

يقال له صالح فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال في العسكر جولة نقطع الاخبية
فتطلع موسى فقال ما هذا ثم امر ان تحمل عليه المايدة فلم يبلغ الى المرحلة حتى نفسخت قوايمه
ومات ٥ وفي كتاب ابن الرقيق ان المايدة كان لها ارجل وكان طارق فابدا من قواد
موسى بن نصير وكان موسى عاملا على افريقية والمغرب من قبل الوليد بن
عبد الملك بن مروان ٥ واختلف في غزو طارق الاندلس هل بامر موسى او بغير
امره ٥ ففي كتاب الامامة والسياسة انه كان بامره ٥ وفي كتاب ابن الرقيق
وغيره انه كان بغير امره ٥ واختلف ايضا في قاعدة الملك بالاندلس حينيذ
فقيل طليطلة وبها كان لذريق وهو قول الفقيه ابي مروان وغيره
وقيل قرطبة وهو قول ابن الرقيق وغيره ايضا واختلف في الوقت التي
فتحت فيه قرطبة فقيل سنة اثنتين وتسعين وقيل سنة ثلث وجاز موسى
الى الاندلس في سنة ثلث وتسعين في شهر رمضان المعظم فكان الفتح الاعظم
فافتتح مدنا كثيرة وكان مظفرا لم يرد له لواء قط ولا هزم له جمع قط وبلغه ان
بالاندلس شيخا كبيرا قد عاينه فاتاه شيخ قد وقعت حاجباه على عينيه من
الكبر فقال كم اتى عليك من السنين قال خمس ماية عام قال ما هذه المايدة
قال مايدة سليمان بن داود عليهما السلام قال فكيف وقعت بالاندلس
قال لما ادعت النصرانية على اليهود قتل عيسى بن مريم صلوات الله عليهما
زحفت ملوكها الى بيت المقدس وحلف بطريش ملك الاندلس ليردمن

البيت

البيت بزبل من بلده فحمل عدو الله الزبل في المراكب حتى رماه في بيت المقدس وغزت
النصرانية من كل مكان فانتهبوا ما في بيت المقدس فصار لاهل الاندلس
الدراري والمايدة وصار لاهل رومة تابوت داود عليه السلام وهو تابوت
السكينة وعصى موسى صلوات الله عليه وحلة ادم عليه السلام
وصار لاهل القسطنطينية الياقوتة قال وما الياقوتة قال ياقوتة ذي القرنين
التي كان يهتدي بها في الظلمات فهذا اول ما ارتجع من بيت المقدس وسيسترجع
كله في اخر الزمان فقال له موسى ابن بلدك قال قرطاجنة قال له موسى
كم اقمت بقرطاجنة قال عمرت بها ثلثماية سنة وبالاندلس مايتي سنة
قال كيف كان خبر مدينة قرطاجنة ومن بناها قال بناها بقية من قوم عاد
الذين هلك قومهم بالريح فعمروها ما شا الله ثم بقيت بعدهم خرابا الف سنة
حتى اتاها النمرود بن كوش بن نمرود الجبار فبناها على البناء الاول ثم احتاج الى الما العذب
فبعث الى ابيه وكان ابوه بالشام والعراق وعمه على السند والهند فارسل اليه
ابوه المهندسين فهندسوا له الما حتى اوصلوه الى مدينة قرطاجنة قال فكم كان
عمره قال سبعماية سنة قال وارتاد لها المهندسون مجرى القناة في اربعين
سنة ولما حفروا اساسه وجدوا فيه حجر عليه مكتوب بالخط الاول هذه
علامة خرابها اذا ظهر فيها الملح قال فبينا نحن ذات يوم في غدير اذا نحن والملح على
الحجر قد عقد فعندها رحلت الى هنا ومن كان على مثل رايي في ذلك

ومنها ما جاء عن جبير بن مطعم انه قال لما بعث الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم وظهر امره بمكة خرجت الى الشام فلما كنت ببصرى اتى بي جماعة من النصارى
فقالوا من اهل الحرم انت قلت نعم قالوا اتعرف هذا الرجل الذي تنبا فيكم قلت نعم
فادخلوني ديرا لهم وفيه تماثيل وصور فقالوا انظر هل ترى صورة هذا الذي بعث
فيكم قلت لا ارى فادخلوني ديرا اعظم من ذلك الدير فقالوا انظر هل ترى صورته فرايت فقلت
لا اخبركم حتى تخبروني فاذا انا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وصورته وصفة ابي بكر
رضي الله عنه وصورته وهو اخذ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل ترى صورته
قلت نعم لا اخبركم حتى اعرف ما تقولون قالوا هو هذا قلت نعم قالوا اتعرف هذا الذي
اخذ بعقبه قلت نعم قالوا نشهد ان هذا صاحبك وهذا الخليفة بعده والله اعلم
ان قوله الى مقوقس كذا وقع والمشهور المقوقس بالالف واللام وهذا يقتضي انه مما
سمي به وهو صفة فيكون كالعباس فيجوز فيه اثبات الالف للمح الصفة وهي الاصل
وحذفهما نظرا الى الحال وهي العلمية ٥ والحجزة منتهى الازار وقيل موضع عقده
والعامة تقول حزة ٥ وقوله والكبكبة الخضراء كذا وقع بكافين وبابن منقوطتين
بواحدة من اسفل وهي الجماعة من الخيل ٥ والمشهور في كتاب السيرة الكتيبة الخضراء
وهي الجماعة من الخيل ايضا وسميت بذلك من التكتب وهو الاجتماع وقيل لها خضراء
لخضرة الحديد ٥ وابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء ٥ وابو قبيل بفتح القاف وكسر
الباء المنقوطة بواحدة ٥ ومتنكبا قوسا اي جاعلا لها على منكبه ٥ وعلي بن رباح يقال

بفتح

بفتح العين وكسر اللام وبضم العين وفتح اللام فقيده ابو محمد عبد الغني الحافظ وابو رباح بفتح الراء
المهملة وبالباء المنقوطة بواحدة وجبير بضم الجيم وفتح الباء ٥ وابو مطعم بضم الميم وكسر
العين ٥ وقوله كان بدوه بفتح الباء اي بدو اسلامه وامره ٥ وقوله اذى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي كراهته اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادر من المشركين
والدبارات جمع دبر على غير قياس فان فعلا المعتل العين بالياء لا يجمع على فعال وارادوا
ان يفرقوا بين هذا الجمع وبين جمع دار فزادوا في الجمع الالف والتاء والله اعلم
فصل جمع جمع ودصبا اي مرضا ٥ واصلا اي زابرا صكرا بقا ٥ ونال لك اي حان
وان والصباة جمع صاب وهو هنا الخارج من دين الى دين وكانوا يسمون بذلك
من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في دينه ٥ وذماتهم لبنهم وسهولتهم وقوله
فجوزا اي اعطاني جائزة وهي الصلة ٥ وقوله جاشتني اي فانتهبت فوضع المستقبل موضع
الماضي ٥ والحنيف المسلم ٥ وان بها راهب اي ما بها راهب والترجمان فيه لغتان
فتح التاء وضمها والفيلة بكسر الفاء جمع فيل وكيشتم هم اي ليشتم اباهم فوضع
المرفوع موضع المنصوب ولا يجوز الا في ضرورة شعر والبراد بن جبل ليست
بالعناق وتنقضت بالقاف اي اهتزت وتحركت حتى سمع لها تنقيض وهو الصوت
واصله صوت المفاصل ويجوز تنفضت بالفاء ٥ والعرق بسكون العين وبسكون
الذال المعجمة العرجون والنزل بضم الزاي الضيافة وخرقة سوداء اي خرقة
سوداء حرير وقوله في صفة ادم عليه السلام ليست له لحية وذلك والله اعلم

لأنه خرج من الجنة تخرج على صور أهل الجنة لأنهم كلهم شباب جرد مرد أي لا لحى لهم
والشعر القطط الشديد الجعودة ٥ وقوله شارع الأنف يحتمل وجهين أحدهما أن يراد
بذلك طوله والثاني أن يراد بروزه وظهوره ٥ ويخلط شعر الرأس أي يخلط السواد
بالبياض ٥ وقوله نصد الصورة أي وسط من الرجال معتدل الخلق ٥ وقوله بالله بالمد
وهمز الاستفهام فيتسم على جهة الاستفهام والهمزة هنا عوض من حرف القسم ونائبة
منابه ٥ وقوله في جواب الله اخبار وقسم وأعيدت فيه همزة الاستفهام وإن كان خبرا
محضا لا حقيقة استفهام حكاية اللفظ المستفهم وإيذانا بأن هذا الكلام جوابه ٥ وأدماء
أي لونها إلى السمرة وشحماء أي يشوبها سواد يسير كأنه يشير بذلك إلى شدة الأدمة
والله أعلم ٥ ومقلص الشفة أي مرتفع الشفة عن الأسنان ٥ ومدهام الرأس
شديد سواده ٥ وفي عينيه قبل أي يميل نظره يسيرا إلى ناحية الأنف وليس بعيب
بل ربما زان في بعض الأوقات وفي بعض الأشخاص وأكثر ما يكون القبل في الخيل
وقوله اجنا بالجيم وأصله اجنأ بالهمز وهو الذي في شخص قامته انحناء يسير
والأقنى الذي في وسط أنفه احديداب وهو من المحاسن ٥ وقوله حمش الساقين
أي دقيقهما ٥ وقوله وكان في خزانة آدم عليه السلام أي وكان ذلك المنزل
ولو قال وكانت لكان أحسن ٥ والذربو وذال معجمة بياء ساكنة وراء مهملة مكسورة
والأفامطة جمع فومط على غير قياس أو يكون جمع نمطا على أنماط وجمع أنماط على
أفامطة والقمط الرئيس من رؤساء النصارى ٥ وقوله تصاوير رجال كذا وقع والصواب

تصاوير

تصاوير بالياء لأنه جمع تصوير ويجوز أن يكون جمع تصورة كتكرمة فلا يحتاج فيه إلى
الياء ٥ وقوله لا ماش كذا وقع بالألف والواقع في حديث المسيح عليه السلام كأنما
خرج من ديماس وهو الكن يريد لنضارته ونعمته والله أعلم ٥ وقيل الديماس الحمام
ولذلك قال يقطر رأسه ماء ٥ وأما الداماس فالمراد به والله أعلم البناء المقبو
المستطيل الذي تقول له العامة الداموس ٥ وقوله يشتمل العباء هي جمع عباءة
وقوله والشمال ريد جمع شملة ٥ وطليطلة بضم الطائين المهملتين ٥ وتشرين الأول
هو اكتوبر ٥ وقوله ذو طلعة كذا أي طلعة صفتها كذا وكذا ولذلك ينون طلعة لأن
ما بعده في حكم الصفة له ويجوز أن يحذف منه التنوين ويضاف على تقدير حذف
أي ذا طلعة وصف كذا ثم يحذف الموصوف ويضاف إلى صفته ٥ والزمرذ بضم
الزاي وضم الميم وضم الزاي وآخره ذال معجمة ٥ وقوله طوق زبرجد وطوق زمرد
يوذن أن الزبرجد غير الزمرد ٥ وذكر بعض أئمة اللغة أحدهما وفسر بالآخر
فدل أنهما واحد ٥ وبطريق بفتح الباء وكسر الراء ويجوز فيه فتح الراء على قياس
أوزان العرب ٥ وقرطاجنة بكسر الجيم هذا هو الجاري على الألسنة وبعضهم يفتح
الجيم منه ٥ والنمروذ بضم النون وبالذال المعجمة كذا قيده بعضهم
والجاري على الألسنة فتح النون وبالذال المهملة ٥ وقوله
والنمريد قياسه أن يكون أيضا بالذال المعجمة وأن تكون النون مفتوحة
ويجوز كسرها حملا على أوزان العرب ٥ ٥

الباب العاشر

في دلائل الكرامات وصوادق المنامات

هذا الباب على قسمين الأول في دلائل الكرامات والثاني في صوادق المنامات
اما القسم الأول فانه على اربعة أنواع الأول في كرامات الصحابة رضي الله
عنهم الثاني في كرامات التابعين الثالث في كرامات من بعدهم الرابع في
كرامات اهل العصر اما النوع الأول فاعلم انه لا بد من تقديم (مقدمة) قبل الخوض
فيه وهي مشتملة على فائدتين الأولى أن كل كرامة ظهرت على يد صحابي أو ولي
او تظهر الى قيام الساعة فانها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فانهم انما نالوها
بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم والمحافظة على سنته وهي دلائل القبول من الله
عز وجل للعبد ورضاه عنه والسر في ذلك والله أعلم ان الله عز وجل اتخذ نبيه
صلى الله عليه وسلم حبيبا وجعل اتباع من اتبعه وسيلة الى محبة الله عز وجل ذلك
المتبع فقال في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ٥ واذا احب العبد أعطاه قبل السؤال ٥
وغمره بانواع البركات والخيرات وجعل الكرامات تظهر على يديه ٥ وفوائد الاحسان
تتسابق اليه ٥ وذلك كله ببركة سيد العالمين ٥ وخاتم النبيين والمرسلين ٥ صلى
الله عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين ٥ وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ٥ الثانية

واعلم

اعلم ان الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا ارفع الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقاما
واوضحهم دلائل واعلاما ٥ وبدوا في مطالع الدين كالشمس التي انوارها باهرة ٥ ودلائل
رفعها وعلوها ظاهرة ٥ لم يعتن بالاكثار من نقل كراماتهم ٥ ولا بالتنبيه على علو مقاماتهم
بل اقتصر من ذلك على لوائح كافية ٥ ولوامع شافية ٥ فاولها ما ظهر من كرامة
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر الصديق رضي الله عنه فمن ذلك
ما جاء في الموطا عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله
يا بنية ما من الناس احد احب الي غنى بعدي منك ولا اعز علي فقرا بعدي منك واني
كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك وانما هو اليوم
مال وارث وانما هما اخواك واختاك فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة يا ابه
والله لو كان كذا وكذا لتركته انما هي اسماء فمن الاخرى فقال ابو بكر ذو بطن بنت
عبد العزيز
اراها جارية فكان ذلك ومن ذلك ما جاء في البخاري عن ابي بكر ان اصحاب
الصفة كانوا اناسا فقراء وان النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة من كان عنده طعام
اثنين فليذهب بثالث ٥ ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بخامس بسادس او
قال ٥ وان ابا بكر انطلق بثلاثة وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة ٥ وابو بكر ثلاثة
قال فهو انا وابي وامي فلا ادري هل قال امراتي وخادم بين بيتنا وبين بيت ابي بكر وان ابا
بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صلى العشاء ثم رجع حتى تعشى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا بعد ما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته ما
حبسك من اضيافك او ضيفك قال او ما عشيتهم قالت ابوا حتى تجي قد عرضوا عليهم
فغلبوهم فخشيت فاختبات فقال يا غنثر فجدع وسب وقال كلوا او قال لا اطعمه ابدا
قال وايم الله ما كنا ناخذ من اللقمة الا ربا من اسفلها اكثر منها حتى شبعوا وصارت
اكثر مما كانت قبل فنظر ابو بكر فاذا شيء او اكثر فقال لامرأته يا اخت بني
فراس قالت ولا قرة عيني لهي الآن اكثر مما كانت قبل ثلث مرار فاكل منها ابو بكر
وقال انما كان الشيطان يعني يمينه ثم اكل منها لقمة ثم حملها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الاجل فتعرفنا اثني عشر رجلا مع كل
رجل منهم اناس الله اعلم كم مع كل رجل غير انه بعث معهم قال اكلوا منها اجمعون او كما
قال ۝ ومن ذلك ما ذكره بعض المصنفين من ان ابا بكر رضي الله عنه عطش في
الغار عطشا شديدا فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب قال ابو بكر فذهبت الى صدر الغار فشربت
ماء احلى من العسل وابيض من اللبن واذكى رائحة من المسك ثم عدت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال شربت فقلت يا رسول الله قال ابشرك فقلت بلى فداك
ابي وامي يا رسول الله قال ان الله عز وجل امر الملك الموكل بانهار الجنة ان خرق نهرا من جنة
الفردوس الى صدر الغار ليشرب ابو بكر قال ابو بكر اولي عند الله هذه المنزلة قال
نعم وافضل والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيا ۝

وثانيها

وثانيهما ما ظهر من كرامة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن ذلك
ما جاء في البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما
قبلكم من الامم ناس محدثون فان يك في امتي احد فانه عمر ۝ لقد كان فيمن قبلكم من
بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فان يكن في امتي احد منهم فعمر ۝
وكفى بهذا الحديث دلالة على الكرامة العظيمة والمنحة الجسيمة ومن ذلك
قصة سارية بن زنيم الخلجي وهي مشهورة وقد اشار اليها الفقيه الاجل الصالح ابو
الفضل بن الفقيه ابي عبد الله محمد بن النحوي التوزري رحمه الله في قوله
وابي حفص كرامته في قصة بسارية الخلج ۝ وقد اختلف في ايراد هذه
القصة وكيفيتها ۝ فالذي ذكره الائمة من اهل الاصول وارباب المعرفة ان عمر رضي
رضي الله عنه قال في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل فاسمع الله عز وجل سارية
صوت عمر وهو مصاف للعدو وقال بعضهم بنهاوند فلاذ بالجبل فكان سبب
سلامة المسلمين ولولاه لاصطلموا وهذا يؤذن ان عمر رضي الله عنه كوشف
بحالهم في تلك الساعة وراهم على ما هم عليه فنادى يا سارية محذرا له ۝ وذكر
بعض المورخين هذه القصة فزاد فيها ان ذلك كان لرؤيا راها عمر رضي الله عنه
وحاصل ما ذكره ان سارية كان في جيش من جيوش المسلمين وذلك سنة ثلث
وعشرين فحاصر دارابجرد من بلاد فارس واستمد اهلها باكراد فارس فدهم
المسلمين امر عظيم وجمع كبير فراى عمر رضي الله عنه في تلك الليلة ما يرى

الناس معسكرهم وعددهم وكانت في ساعة من النهار التي يليها وهم في صحراء وخلفهم
جبل فنادى الصلاة جامعة حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها اجتماعهم قام فقال
أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين وأخبرت بحالهم ثم قال يا سارية الجبل الجبل وأقبل على
الناس فقال إن لله جنودا لعل بعضها أن يبلغهم فسمع تلك الساعة من ذلك اليوم ذلك
الصوت فارتفع سارية وأصحابه إلى الجبل وقاتلوا العدو فهزمهم الله عز وجل
وأقبل البشير بعد ذلك بالفتح فسأله الناس هل سمعوا شيئا فقال نعم سمعنا يا سارية
الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا ه واعلم أن في هذه القصة كرامات
أحدها رؤياهم والمكاشفة بحالهم إما في المنام أو في اليقظة على ما هو الظاهر من كلام
الأئمة وهو أبلغ وأعظم ه الثانية تبليغ صوته إليهم في تلك الساعة قال
صاحب كتاب الفصول فقال سارية هذا صوت أمير المؤمنين يأمرني بالجبل
فابتدروا الجبل فهزم الله العدو ه الثالثة اهتداؤه إلى الاعتصام بالجبل ه الرابعة
يقينه بأن رؤياه حق لا ريب فيها ه الخامسة علمه بأن اعتصامهم بالجبل ينجيهم من
العدو ه السادسة ظفرهم حين امتثلوا أمره ولجؤوا إلى الجبل ه ومن ذلك
قصة الزلزلة قال الإمام أبو المعالي رحمه الله في كتاب الشامل وزلزلت الأرض
في زمنه يعني زمن عمر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه والأرض ترتج وترجف فضربها
بالدرة وقال أقري ألم أعدل عليك فاستقرت من وقتها ه ومن ذلك قصة
النيل وهي مشهورة وذلك أن النيل كان في الجاهلية لا يجري حتى تلقى فيه جارية

عذراء

عذراء في كل عام فلما جاء الإسلام جاء وقت جريان النيل فلم يجر وكان أهل مصر قد أتوا عمرو
ابن العاصي فأخبروه أن لنيلهم سنة وهو أنه إذا كان لثنتي عشرة من بؤونه عمدوا
إلى جارية بكر بين أبويها فأرضوا أبويها منها وجعلوا عليها من الحلي والثياب أفضل ما
يكون ثم ألقوها في النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون وإن الإسلام يهدم ما قبله
فأقاموا ثلاثة أشهر لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو بذلك إلى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك في سنة عشرين وهي السنة التي افتتحت فيها
مصر فكتب إليه عمر رضي الله عنه قد أصبت إن الإسلام يهدم ما كان قبله
وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها في ذلك النيل إذا أتاك كتابي ففتح عمرو البطاقة فإذا
فيها من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري
وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك
فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج
منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل فأصبحوا وقد أجراه الله عز وجل ستة عشر
ذراعا في ليلة وقطع السوء والمكروه عن أهل مصر ه ومن ذلك قصة النار
الخارجة من الجبل وقد ذكرها صاحب كتاب الفصول فقال إن نارا خرجت من كهف
جبل كانت تخرج فتحرق ما أصابت فقيل لعمر فأمر أبا موسى الأشعري أو تميما
الداري أن يدخلها الكهف فجعل أبو موسى يحبسها بردائه حتى أدخلها الجبل فلم تخرج
بعد ذلك ه ومن ذلك أنه عرض جيشا يبعثه إلى الشام فمر به قوم

دبلم شباط فاعرض عنهم ثم اعرض عنهم ثم أعرض عنهم فقيل له في ذلك فقال ما مر
بي قوم ابغض الي منهم ثم اجازهم على كره وعجب الناس بعد ذلك حين ظهر لهم امر تلك
الكراهة واعراض عمر رضي الله عنه وذلك انه كان منهم قاتل عثمان رضي
الله عنه وقاتل علي رضي الله عنه وآخر تتبع قتلة عثمان رضي الله عنه فقتل منهم جماعة
كثيرة وثالثها ما ظهر من كرامة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك
ان رجلا دخل عليه وكان لقي امرأة في الطريق فتأملها فلما دخل على امير المؤمنين
عثمان رضي الله عنه قال يدخل احدكم وفي عينيه اثر الزنا فقال اوحي بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ولكنها فراسة ورابعها ما ظهر من كرامة امير
المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد ذكره في زيادات كتاب مناقب
الابرار وذلك انه قال وروي ان علي بن ابي طالب وولده الحسن والحسين
رضي الله عنهما سمعا قائلا يقول في جوف الليل

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ۝ يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ۝ وعين جودك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن زللي ۝ يا من اليه رجاء الخلق في الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ ۝ فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال علي رضي الله عنه لولده اطلب لي هذا القائل فاتاه فقال اجب
امير المؤمنين فاقبل يجر شقه حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما
قصتك

قصتك قال وبعثني امير المؤمنين الي من امري في ضيق فان تبت لم تقبل توبتي وان
بنيا الشلل يقلني عن نري قال له ولم ذاك قال لأني كنت رجلا مشهورا بالطرب
والعصيان وكان والدي يعظني ويحذرني مصارع الجهال ويقول ان لله سطوات
ونقمات وما هي من الظالمين ببعيد فلما الح في الموعظة ضربته فحلف انه
ليدعون علي ويأتي مكة مستغيثا الى الله عز وجل ففعل ودعا فلم يتم دعاءه
حتى جف شقي الايمن فندمت على ما كان مني اليه وداريته وارضيته الى ان
ضمن لي انه يدعو لي حيث دعا علي فقدمت اليه ناقة فاركبته فنفرت الناقة
ورمت به بين صخرتين فمات هناك فقال له امير المؤمنين رضي الله عنه ان كان
اباك رضي عنك فقال الله كذلك فقام علي رضي الله عنه وصلى ركعات ودعا
بدعوات اسرها الى الله عز وجل ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى وعاد الى
الصحة كما كان ثم قال لولا انك حلفت ان اباك رضي عنك ما دعوت لك
ومن ذلك ان بني دارم اجدبت بلادهم فوفدوا على امير المؤمنين علي
رضي الله عنه وسألوه ان يستسقي لهم فاستسقى فسقوا حتى اخصبت بلادهم
وفي ذلك يقول قائلهم وهو جوبرة بن الهرماس

ابنا امين الله كيما ينبشه ۝ شصائب دهر قد الح عقورها
فجلى ازابي السنين بدعوة ۝ مباركة قد جار فيها جسورها
تركنا بلادا قد اطاف بها الردى ۝ وابنا اليها قد ابان زجبيرها

وَدُجِّنَتْ لَمْ تَبرَحِ الأَرضَ مِن جَونٍ مُطبِقٍ وَلا بَائِسٌ مِنَ الاشفاقِ لا يَا تُطورُها

فَأَضحَتْ بِلاعِ اللهِ حُلوًا مَرِيعَةً وَأَلْقَتْ رَوَابِيهَا يَلُوحُ نَضِيرُها

إِذَا طُوِيَتْ أَنوَاءُ عَامٍ بِبُؤسِهَا بِدَعوَةِ الٰهِ النَّاسِ فَانْجَلَ خُورُهَا

وَانْ خُطَّةٌ عَوصَاءُ عَنَّتْ فَأُعرِضَتْ سَمَوتَ لَهَا حَتَّى يَزُلْ جَسِيرُهَا

وَلا يُلبِسُ الأَملاكُ يَومًا بِنَانَهُ لِقَاضٍ بِمَا الْمُزْنِ فَيضًا صُخُورُهَا

حِبَاءٌ بَنِي الدُّنيَا حَيَاتُكَ فِيهِم وَهُلكُكَ لا تَهلِكْ فَذَاكَ ثُبُورُهَا

وَخَامِسُهَا مَا ظَهَرَ مِن كَرَامَةِ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فِي استِسقَائِهِ عَامَ الرَّمَادَةِ وَذَلِكَ انَّ الأَرضَ أَجدَبَتْ فِي زَمَانِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَكَانَتِ الرِّيحُ تَذرِي تُرَابًا كَالرَّمَادِ لِشِدَّةِ الجَدبِ فَسُمِّيَ عَامَ الرَّمَادِ لِذَلِكَ وَقِيلَ انَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثرَةِ مَن هَلَكَ فِيهِ وَالرَّمَدُ الهَلاكُ فَخَرَجَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بِالعَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَستَسقِي لِلنَّاسِ فَأَخَذَ بِضَبعَيهِ وَاشخَصَهُ قَائِمًا ثُمَّ اومَأَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ اللَّهُمَّ انَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَبَقِيَّةِ آبَائِهِ وَكُبَرِ رِجَالِهِ فَإِنَّكَ تَقُولُ وَقَولُكَ الحَقُّ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَينِ يَتِيمَينِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَحَفِظتَهُمَا لِصَلاحِ أَبِيهِمَا فَاحفَظِ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ فِي عَمِّهِ فَقَد دَنَونَا بِهِ إِلَيكَ مُستَشفِعِينَ وَمُستَغفِرِينَ ۝ ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ استَغفِرُوا رَبَّكُم انَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُم مِدرَارًا إِلَى قَولِهِ أَنهَارًا وَالعَبَّاسُ قَد طَالَ عُمرُهُ وَعَينَاهُ تَنضَحَانِ وَشَيبَتُهُ تَجُولُ عَلَى صَدرِهِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنتَ الرَّاعِي لا

تُهمِل

تُهمِلِ الضَّالَّةَ وَلا تَدَعِ الكَسِيرَ بِدَارِ مَضيَعَةٍ فَقَد ضَرَعَ الصَّغِيرُ وَرَقَّ الكَبِيرُ وَارتَفَعَتِ الشَّكوَى ۝ وَأَنتَ تَعلَمُ السِّرَّ وَأَخفَى ۝ اللَّهُمَّ فَاغِثهُم بِغِيَاثِكَ قَبلَ أَن يَقنَطُوا فَيَهلَكُوا فَإِنَّهُ لا يَيأَسُ مِن رَوحِكَ إِلَّا القَومُ الكَافِرُونَ ۝ اللَّهُمَّ فَاغِثهُم بِغِيَاثِكَ فَقَد تَقَرَّبَ بِيَ القَومُ إِلَيكَ لِمَكَانِي مِن نَبِيِّكَ عَلَيهِ السَّلامُ فَنَشَأَتْ طَرِيرَةٌ مِن سَحَابٍ وَقَالَ النَّاسُ تَرَونَ تَرَونَ ثُمَّ تَلامَّتْ وَاستَتَمَّتْ وَمَشَتْ فِيهَا رِيحٌ ثُمَّ هَرَّتْ وَدَرَّتْ فَمَا بَرِحَ القَومُ حَتَّى اعتَنَقُوا الحِذَاءَ وَقَلَّصُوا المَآزِرَ وَخَاضُوا المَاءَ إِلَى الرُّكَبِ وَلاذَ النَّاسُ بِالعَبَّاسِ يَمسَحُونَ أَردَانَهُ وَيَقُولُونَ هَنِيئًا لَكَ يَا سَاقِيَ الحَرَمَينِ فَأَمرَعَ اللهُ بِهِ الجَنَابَ وَأَخصَبَ البِلادَ وَرَحِمَ العِبَادَ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ العَبَّاسُ بنُ الحُسَينِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي طَالِبٍ

وَمِنَّا ابُو الفَضلِ عَمُّ النَّبِيِّ ۝ ضِيَا الظَّلامِ الَّذِي يَزهَرُ

تُرَاثُ النَّبِيِّ لَهُ قُصرَةٌ فَأَنَّى بِمَفخَرِهِ مَفخَرُ

بِهِ استَشفَعَ النَّاسُ عَامَ الرَّمَادَةِ فِي شِدَّةِ الجَدبِ إِذ أُعسِرُوا

فَكَيفَ الرَّجِيُّ إِلَى مَن بِهِ إِلَى اللهِ نَشفَعُ إِذ أَنجَارُ

وَسَادِسُهَا مَا ظَهَرَ مِن كَرَامَةِ طَلحَةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فَإِنَّهُ لَمَّا استُشهِدَ دُفِنَ عَلَى شَاطِئِ الكَلاءِ بِالبَصرَةِ وَهُوَ مَجلِسُ السَّبغِ فَرَأَى رَجُلٌ مَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ طَلحَةَ بنَ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ حَوِّلُونِي عَن قَبرِي فَقَد آذَانِي المَاءُ ثُمَّ رَآهُ حَتَّى رَآهُ ثَلاثَ لَيَالٍ فَأَتَى ابنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فَأَخبَرَهُ فَنَظَرُوا فَإِذَا شِقُّهُ الأَيمَنُ الَّذِي يَلِي الأَرضَ فِي المَاءِ قَالَ الرَّاوِي فَكَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى الكَافُورِ فِي عَينَيهِ لَم يَتَغَيَّرْ إِلَّا عَقِيصَتُهُ

فانها مالت عن موضعها وذكر غيره انهم اشتروا له دارا من دور أبي بكرة بعشرة آلاف
درهم فدفنوه بها ۝ وذكر صاحب كتاب الفصول في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم
انه أخرج من ذلك المكان بعد ثلثين سنة ولم يتغير منه شيء وسمع علي بن ابي طالب رجلا
ينشد شعر فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ۝ إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر ۝
فقال ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله رحمه الله وسابعها ما ظهر من كرامة الزبير
ابن العوام رضي الله عنه وذلك انه كان يوم بدر معتما بعمامة صفراء متحجرا بها فنزلت
الملائكة يوم بدر على سيما الزبير عليها عمائم صفر وثامنها ما ظهر من كرامة
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وذلك انه كان يوم القادسية متألما من دمل
لم يستطع الركوب لأجله فجلس في قصر يشرف على الناس فقال في ذلك بعض الشعراء
مقالا بلغه رضي الله عنه فقال اللهم اكفنا لسانه ويده فخرس لسانه وشلت يده
وكان سعد رضي الله عنه مجاب الدعوة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا له بذلك فقال اللهم سدد سهمه وأجب دعوته فكان لا يدعو بشيء الا أجاب
الله عز وجل دعاءه فيه ۝ وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون ذلك منه ۝ ولما عزله
عمر رضي الله عنه عن الكوفة بشكوى أهلها وكان عمر رضي الله عنه لعدله وورعه
قال لا يشكو الي أهل موضع عاملهم الا عزلته وذلك والله أعلم لانه رأى ان الصحابة
رضي الله عنهم كلهم عدول والاستبدال ممكن وكان الاولون رضي الله عنهم لا يرغبون في
الولاية وانما يكون امتثالا لأمر أمير المؤمنين وانقيادا لطاعة الله عز وجل ورسوله
صلى

صلى الله عليه وسلم ورجاء لثواب الله عز وجل في ارشاد الخلق وبث السنة فيهم
والعمل بها بينهم واقامة الحق والحكم بالعدل فاذا عزل احدهم كان العزل اليه أحب
اليه من الولاية فلا يؤلم ذلك قلبه ويستبشر به لانه يتفرغ لعبادة ربه فيكون
كما قيل واخرج من بين البيوت لعلني ۝ أحدث عنك النفس في السر خاليا
ولذلك قيل العزلة عبادة فلذلك والله أعلم اختار أمير المؤمنين رضي الله عنه ان يعزل
المشكو عليه اطلاقا بمجرد الشكوى وان كان عنده عدلا ورعا منزها عما قيل فيه لانه
يجمع في ذلك ثلث خلال احداها اراحة المعزول من العهدة والثانية ادخال السرور
عليه لتفرغه لعبادة ربه عز وجل والثالثة رفع شكوى الشاكي وقطع النزاع وكان
مع ذلك رضي الله عنه لا يغفل البحث عن احوال الراعي والرعية حتى يطلع على صدق
الشاكي من غيره فلما عزل سعدا رضي الله عنه ولى مكانه عمار بن ياسر رضي الله عنه
وبعث مع سعد من يسأل عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجدا الا يسأل عنه فيثنون خيرا
ويقولون معروفا حتى دخل مسجد بني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة
ويكنى أبا سعدة فقال اما اذ نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم
بالسوية ولا يعدل في القضية فقال سعد أما والله لأدعون بثلث اللهم
ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن
قال عبد الملك بن عمير من رواة الحديث فانا رأيته قد سقط حاجباه على عينيه من
الكبر وانه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن وفي خبر آخر ان سعدا قال

أعمى شيخ • اللهم ان كان كاذبا فأطل عمره • واعم بصره • وأكثر بنيانه • واشدد فقره • وأهلكه
في مضلات الفتن • فأصابه ذلك كله وكان بعد اذا سئل يقول شيخ كبير مفتون
أصابتني دعوة سعد وأراد عمر رضي الله عنه أن يرد سعدا بعد ذلك الى الكوفة
فامتنع من ذلك وأبى رضي الله عنه وأقبل سعد رضي الله عنه يوما من أرض له
فاذا رجل يسب عليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم فنهاه فكأنما زاده إغراء فقال
له ويلك ما تريد الى أقوام خير منك لتنتهين أو لأدعون عليك فقال هاه فكأنما
تخوفني نبيا من الأنبياء فدخل سعد دارا فتوضأ ودخل مسجدا فقال اللهم ان كان
عبدك هذا يسب أقواما قد سبقت لهم منك الحسنى حتى أسخطك بسبه اياهم
فأرني فيه اليوم آية تكون آية للمؤمنين فخرج بختية من دار قوم فأقبلت نادة لا يصدها
صدر ما شيء حتى انتهت اليه وتفرق الناس فجعلته بين قوائمها ووطئته حتى طفئ
قال الراوي فأنا رأيت سعدا يتبعه الناس يقولون استجاب الله لك يا أبا اسحاق
وتاسعها من كرامة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه وذلك أن مروان
ابن الحكم أرسل اليه ناسا يكلمونه في شأن أروى بنت أويس وكانت شكته الى مروان
في أرض تجاور أرض سعيد بالشجرة فقال سعيد ترونني ظلمتها وقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الأرض شبرا طوقه يوم القيامة من سبع أرضين
اللهم ان كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها وتجعل قبرها في بئر قال فوالله
ما ماتت حتى ذهب بصرها وجعلت تمشي في دارها وهي حذرة فوقعت في بئرها
فكانت

فكانت قبرها • وفي رواية أخرى أن أروى بنت أويس استعدت مروان بن الحكم على
سعيد بن زيد في أرضه بالشجرة فقال سعيد كيف أظلمها وذكر مثل ما تقدم وأوجب
مروان عليه اليمين فترك سعيد ما ادعت وقال اللهم ان كانت أروى كاذبة فأعم
بصرها واجعل قبرها في بئرها فعميت أروى وجاء سيل فأبدى ضفيرتها برا وأخفها خارجا
من حق سعيد فجاء سعيد الى مروان فقال أقسمت عليك لتركبن معي ولتنظرن الى ضفيرتها
فركب معه مروان وركب ناس معهما حتى نظروا اليها ثم ان أروى خرجت في بعض
حاجتها بعد ما عميت فوقعت في البئر فماتت قال وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على
بعض يقولون أعماك الله كما أعمى أروى يريدونها ثم صار أهل الجهل يقولون أعماك الله
كما أعمى الأروى يريدون الأروى التي في الجبل يظنونها ويقولون انها عمياء وهذا
جهل منهم • وعاشرها ما ظهر من كرامة أسيد بن الحضير ويقال ابن حضير أيضا
وذلك أنه رضي الله عنه خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعه
رجل آخر من الأنصار فاذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما
وقيل ان الرجل الآخر عباد بن بشر وأيضا بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه
عنده مربوطة اذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت
الفرس ثم قرأ فجالت الفرس وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ولما أخره
رفع رأسه الى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا

فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح
فخرجت حتى لا أراها قال وتدري ما ذلك قال لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو
قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم **وأما أنواع كرامات**
الصحابة رضي الله عنهم كان منها ما هو على الخصوص وما هو على العموم أما الخصوص
فما يشك ذو لب وبصر ومعرفة ونظر أن كل واحد منهم له من الكرامات ما في بعضه
كفاية وتبصرة للمؤمنين وهداية إلا أن منها ما لم يشتهر لأن مقامات أصحابها
كانت أرفع وأجل فلا يستغرب ما يظهر منهم ولا يتعجب منه لأن مراتبهم السامية
تقتضيه وأحوالهم السنية تستدعيه ۰ ولأنهم رضي الله عنهم كانوا يخفون طاعتهم
وأحيانهم في خدمة مولاهم جل جلاله وتقدست أسماؤه ويبالغون في كتم
أحوالهم وإخفاء أعمالهم الصالحة وأقوالهم فهم لكتم الكرامات وإخفائها
والمبالغة في سترها أشد اجتهادا وأكثر اعتدادا واعتمادا وأما العموم
فمن وجوه أحدها ما منحهم الله عز وجل من الوقوف عند أوامره سبحانه ونواهيه
وثانيها ما وهبهم من المحافظة على طاعته جل جلاله وتعالى علاؤه وطاعة رسوله صلى
الله عليه وسلم ۰ وثالثها ما أعطاهم من محبته جل جلاله ومحبة رسوله صلى الله عليه
وسلم حتى قاطعوا أهلهم وأقاربهم وقتلوا آباءهم وإخوانهم في محبة الله عز وجل ومحبة
رسوله صلى الله عليه وسلم تعرض الجراح يوم أحد لأبي عبيدة فقتله أبو عبيدة واعترض
عبيد بن عمير أخاه مصعبا فقتله مصعب وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت تريد ذلك فمرني أقتله
فإني والله لا أستطيع أن أرى قاتل عبد الله يمشي على الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل نصبر عليه ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل كعب بن الأشرف
من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه وثب محيصة بن مسعود على رجل من تجار يهود كان
يلابسهم ويبايعهم فقتله فجعل أخوه حويصة يضربه ويقول أي عدو الله أقتلته
أما والله لرب شحم في بطنك من ماله فقال محيصة والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك
لضربت عنقك فقال له حويصة أوالله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم قال والله إن
دينا بلغ بك هذا لعجب وأسلم حويصة وقال محيصة في ذلك

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله لطبقت طفراه بأبيض قاضب
حسام كلون المبسك أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرني أني قتلتك طائعا وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

ورابعها ما أعطاهم من فهم كتابه العزيز وخامسها ما أعطاهم من علم السنة
السنية وسادسها ما أعطاهم من الإخلاص في العمل وسابعها ما منحهم من
من الزهد في الدنيا والإعراض عنها وثامنها ما أعطاهم من الدؤوب على العمل وعدم الكسل
والفتور وتاسعها ما وهبهم من إرشاد الخلائق وهدايتهم إلى الحق وعاشرها
ما وهبهم من الشجاعة الكاملة التي بها قارعوا الأعداء وحسموا إلى يوم الفهر الداء
قد ظهرت لهم رضي الله عنهم فيها كرامات منها التأييد بالنصر الدائم ۰ والحفظ

العاصم والفتح الملازم اما النصر الدائم فان الجموع القليلة تغلب الجموع الكثيرة
الجمة باذن الله عز وجل فمن ذلك ان الروم كانت يوم اليرموك عشرين صفا لا يرى
طرفاها وكانت المسلمون ثلث صفوف ويقال ان الروم كانت اربع مائة الف
والمسلمين ثلثين الفا وهزم الله عز وجل الروم وتبعهم المسلمون بالقتل في كل موضع
وسقط الروم في اهوية وهي المكان المنخفض وكان اليوم ذا ضباب فهلك فيها اكثرهم
وسميت تلك الاهوية الواقوصة الى اليوم وقتل بالمعركة نحو من خمسين الفا وتبعهم خالد
ابن الوليد رضي الله عنه يقتلهم في كل ناحية ومكان ومنها اعانتهم بالماء عند العطش
فمن ذلك ان ابا بكر رضي الله عنه بعث العلا بن الحضرمي رضي الله عنه لقتال
اهل البحرين حين ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلك بهم الدهنا
حتى اذا صاروا في بحبوحتها اراد الله عز وجل ان يريهم اية فنزل العلا وامر الناس
بالنزول فنفرت الابل في جوف الليل فما بقي عندهم منها بعير ولا زاد ولا مزاد ولا بناء
يعني الخيام وذلك قبل ان يحطوا قال الراوي فما علمت جمعا هجم عليهم من الغم ما هجم
علينا واوصى بعضنا بعضا ونادى العلا اجتمعوا فاجتمعنا اليه فقال ما هذا الذي
ظهر فيكم وغلب عليكم فقال الناس وكيف نلام ونحن ان بلغنا غدا لم تحم شمسه حتى نصير
حديثا فقال ايها الناس لا تراعوا الستم مسلمين الستم في سبيل الله الستم انصار الله
قالوا بلى قال فابشروا فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم ونادى المنادي بصلاة
الصبح حين طلع الفجر ومنا المتيمم ومنا من لم يزل على طهوره فلما قضى صلاته جثا
لركبتيه

لركبتيه وجثا الناس فنصب في الدعاء ونصب الناس معه فلمع لهم سراب فاقبل على الدعاء
ثم لمع لهم اخر فقال الرائد ماء فقام وقام الناس فمشينا اليه حتى نزلنا عليه فشربنا
واغتسلنا فما تعالى النهار حتى اقبلت الابل من كل وجه فاناخت الينا فقام كل رجل
منا الى ظهره فاخذه فما فقدنا سلكا فارويناها وسقيناها العلل بعد النهل وتروينا ثم تروحنا
قال وكان ابو هريرة رفيقي فلما غبنا عن ذلك المكان قال لي كيف علمك بذلك الماء قلت
انا من اهدى العرب بهذه البلاد قال فكن معي حتى تقيمني عليه فكررت فاتيت على ذلك
المكان بعينه فاذا هو لا غدير به ولا اثر للماء فقلت له والله لولا اني ارى الغدير لاخبرتك
ان هذا هو المكان وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك اليوم فنظر ابو هريرة فاذا
اداوته مملوءة فقال هذا والله المكان ولهذا رجعت بك ملات اداوتي هذه
ووضعتها على شفير الوادي فقلت ان كان ماء من المزن او كانت اية عرفتها وحمد الله
ثم سرنا حتى نزلنا هجر ووصف حرب المسلمين لاهلها وافتتاحها ومنها اجازتهم البحر
ومن ذلك ان العلا واصحابه رضي الله عنهم لما افتتحوا هجر قصدوا الى دارين وندب
العلا الناس اليها وخطبهم فقال ان الله عز وجل قد جمع لكم احزاب الشيطان وشراد
الحرب في هذا اليوم وقد اراكم من اياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا الى
عدوكم ثم استعرضوا البحر اليها فقالوا نفعل ولا نهاب والله بعد الدهنا هولا ما
بقينا فارتحل وارتحلوا حتى اذا اتى ساحل البحر اقتحموه على الخيل والحمولة والابل والفصال
الراكب والراجل ودعا ودعوا وكان دعاؤهم يا اكرم يا حليم يا واحد يا صمد يا محيي

الموتى يا حي يا قيوم لا اله الا انت يا ربنا فاجاز واذلك الخليج باذن الله
عز وجل يمشون على مثل رملة ميثا فوقها ما يغمر اخفاف الابل وبين الساحل
ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر ووصل المسلمون اليها فافتتحوها واستنافوا
الاموال ورجعوا عودهم على بدئهم وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر حتى عبروا

الم تر ان الله ذلل بحره وانزل بالكفار احدى الجلائل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا باعجب من شق البحار الاوائل

وكان بهجر راهب فاسلم يومئذ فقيل له ما دعاك الى الاسلام قال ثلثة
اشيا خشيت ان يمسخني الله عز وجل بعدها ان لم افعل فيض الماء في الرمال
وتمهيد اثباج البحور ودعا سمعت في عسكرهم له دوي في الهواء من السحر قالوا وما هو
قال اللهم انت الرحمن الرحيم لا اله غيرك والبديع الذي ليس قبلك شيء والدائم
غير الغافل والحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم انت
في شان وعلمت اللهم كل شيء بغير تعليم فعلمت ان القوم لم يعانوا بالملائكة الا
وهم على امر الله عز وجل فلقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمعون هذا من ذلك الهجري بعد ومن ذلك ان سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه كان امير جيش المسلمين في قتال الفرس ايام عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فارادوا الاجازة الى المداين مداين كسرى وكانت دجلة تحول بينهم
وبينها وهي كالبحر لا تعبر الا بالسفن فقال لهم سعد رضي الله عنه اني عزمت على
قطع

قطع هذا الماء فقالوا عزم الله لنا ولك على الرشد فاقتحم سعد رضي الله عنه والمسلمون
دجلة وكان المساير لسعد سلمان الفارسي رضي الله عنه فعامت بهم الخيل حتى خرجوا
من الناحية الاخرى ولم يضع لاحد منهم شيء الا رجل سقط له قدح فقال له صاحبه
الذي كان يعاومه معيرا له اصابه القدر فطاح فقال اي والله لعلى جديلة ما كان الله
ليسلبني قدحي من بين اهل العسكر فضربته الرياح والامواج حتى وقع الى الشاطئ
فتناوله رجل برمحه كان يحمي الفراض وهي مواضع الورود والاستقاء من الماء فلما جاء به
العسكر عرفه صاحبه فاخذه وقال لصاحبه الذي عيره الم اقل لك وبلغ ذلك عمر رضي الله
عنه وهو بالمدينة فبعث الى الرجل الذي عير اخاه يلومه ويقول انت القائل
اصابه القدر فطاح يجمع مسلما وكان ذلك لما جبله الله عليه من العدل وتفقد
احوال رعيته والشفقة عليها وتعليمها ما يصلح به احوالها في دينها ودنياها رضي
الله عنه وارضاه وخرجت تلك الخيل تنفض اعرافها والدواب كلها سالمة وكانوا رضي
الله عنهم طبقوا دجلة خيلا ورجلا ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ وكان
الفرس اذا اجهش بالاعياء من القوم اتاح الله عز وجل له رابية او نحوها يقف
عليها حتى يثوب اليه نشاطه ولما عامت بهم الخيل كان سعد رضي الله عنه يقول
حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزمن الله
عدوه ان لم يكن في الجيش ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان رضي الله عنه
الاسلام جديد ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر والذي نفس سلمان

بسره لم تخرج منه افواجا كما دخلنا فيه افواجا فخرجوا منه كما قال سلمان رضي الله عنه لم يفقدوا شيئا
ولا غرق فيه احد الا رجل بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له شقراء قال ابو عثمان
النهدي كاني انظر اليها تنفض اعرافها عريا وصاحبها طاف فثنى القعقاع عنان فرسه اليه
فجره حتى عبر فقال البارقي وكان من اشد الناس اعجزت الاخوات ان يلدن مثلك
يا قعقاع فلم يكن بالمداين اعجب من ذلك وذلك يوم الماء وكان يدعى يوم الجراثيم وكان ذلك
بيانا لما جاء في الكتب السالفة في صفة هذه الامة المباركة انهم يخوضون الى اعدائهم
وتاويلا لرؤيا الموبذان الذي تقدم ذكره وانه راى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى
اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادهم والابل التي رآها في التاويل عبارة عن العرب
فهم الشجعان التي قادوا تلك الخيل العراب ومنها انطاق البهائم فمن ذلك
ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما نزل القادسية مقاتلا للفرس بعث في مقامه
ذلك عاصم بن عمرو واخا القعقاع بن عمرو حتى اتى ميسان فطلب غنما وبقرا فلم يقدروا عليها
وتحصنوا منه في الافدان وغلوا في الاجام فضرب حتى اصاب رجلا على طف اجمة
فساله واستدله على البقر والغنم فحلف له وقال ما اعلم واذا هو راعي ما في تلك الاجمة
فصاح منها ثور كذب والله وها نحن اولا فدخل فاستاق الثيران فاتى بها العسكر فقسم
ذلك سعد رضي الله عنه على الناس واخصبوا اياما وكان ذلك اليوم يسمى يوم
الاباقر وفي ذلك اليوم يقول عاصم بن عمرو رضي الله عنه

وما ذاك يوما قبلنا ثور جمة ودون الذي يخشى اباه وسامر

فلم

فلم ار يوما كان اهنى غنيمة واعجب منه والدهور صبائر

وبلغ ذلك الحجاج في زمانه فارسل الى نفر ممن شهدها منهم زيد بن عمرو والوليد بن عبد
شمس وزاهر فسالهم فقالوا نعم نحن سمعنا ذلك ورأيناه واستقناها فقال كذبتم
فقالوا كذلك ان كنت شهدتها وغبنا عنها فقال صدقتم فما كان الناس يقولون في ذلك
قالوا آية تبشير ليستدل بها على رضى الله عز وجل وفتح عدونا فقال والله ما يكون
هذا الا والجمع ابرار اتقياء قالوا والله ما ندري ما اجنت قلوبهم فاما ما راينا فانا
لم نر قوما ازهد في دنيا منهم ولا اشد لها بغضا ما اعتد على رجل منهم في اليوم
اليوم بواحدة من ثلاث لا بجبن ولا بغدر ولا بغلول ومن ذلك ان زهرة
ابن الحويه لما بعثه سعد رضي الله عنه في اثر الجالنوس انتهى الى البسكر فوجد اهل فارس
قد حفروا منه قدر ثمانية اذرع ليمنعوا بذلك من يتبعهم من المسلمين فهابت الخيل
الاقدام وكانت تحت بكير احد اصحاب زهرة فرس انثى يقال لها اطلال فزجرها
وقال ثبي اطلال فثنت عنقها وقالت وثبا وسورة البقرة وطفقته وتتابعت على
ذلك الخيل في اثرها على القنطرة ومنها زلزلة الارض باعدائهم وذلك ان
المسلمين لما حاصروا حمص والتقى بهم اهل حمص ناهدهم المسلمون وكبروا تكبيرة
تزلزلت معها الروم في المدينة وتصدعت الحيطان ففزعوا الى رؤسائهم والى ذوي
رايهم ممن كان يدعوهم الى المسالمة فلم يجيبوهم ثم كبروا الثانية فتهافتت دور
وحيطان وفزعوا الى رؤسائهم وذوي رايهم فقالوا الا ترون الى عذاب الله

فاجابوهم لا يطلب الصلح غيركم فشرفوا فنادوا الصلح الصلح ولا يشعر المسلمون
بما حدث فيهم فاجابوهم الى الصلح وهذه ايات عليه وعلامة ازلية واعلم
ان الكرامات كما تقدم انما تظهر بالاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم والوقوف عند سنته
والصحابة رضي الله عنهم كانوا من ذلك في الدرجة العالية والمرتبة السامية قال
وذكر الشيخ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الصحابة رضي الله عنهم قال وروى
ابن القسم عن مالك انه سمعه يقول لما دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشام نظر اليهم رجل من اهل الكتاب فقال ما كان اصحاب عيسى بن مريم الذين
قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب باشد اجتهادا من هؤلاء قلت ونحسب ذلك
كانوا ينصرون وتفرق الاعداء منهم لما قدمت الروم على هرقل منهزمة من المسلمين
وهو بانطاكية قال لهم اخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين تقاتلونهم اليسوا بشرا
مثلكم قالوا بلى قال انتم اكثر ام هم قالوا بل نحن اكثر منهم اضعافا في كل موطن قال فما
بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم فقال رجل منهم من اجل انهم يقومون الليل ويصومون
النهار ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ومن اجل انا نشرب
الخمر ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونامر بما يسخط الله عز وجل
وننهى عما يرضي الله عز وجل ونفسد في الارض قال انت صدقتني وفي خبر اخر ان
هرقل لما ارتحل امام المسلمين الى القسطنطينية لحقه رجل من الروم كان اسيرا في ايدي
المسلمين فاتيت فقال له اخبرني عن هؤلاء القوم فقال اجلتك كانك تنظر اليهم
فرسان

فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما ياكلون في ذمتهم الا بثمن ولا يدخلون الا بسلام يقفون
على من حاربهم حتى ياتون عليه فقال ان كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين ولما
بعث يزدجرد الى ملك الصين رسوله بهدايا وطلب منه ان يمده ويعينه على قتال المسلمين
قال ملك الصين للرسول قد عرفت ان حقا على الملوك انجاد الملوك على من غلبهم فصف لي
صفة هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من دياركم فاني اراك تصف قلة منهم وكثرة منكم
ولا يبلغ امثال هؤلاء ما يبلغون الا بخير عندهم وشر عندكم بينكم قال فقلت سلني عما احببت
قال ايوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل ان يقاتلوهم قلت يدعوننا الى
واحدة من ثلث اما دينهم فان اجبناهم اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة
والحرب قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع قوم لمرشدهم قال فما يحلون وما
يحرمون فاخبرته قال ايحرمون ما احل لهم او يحلون ما حرم عليهم قلت لا قال فان هؤلاء
القوم لا يهلكوا ابدا حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم وعن
مطاياهم فقال الخيل العراب ووصفتها نعت الحصون هذه ووصفت له الابل وانبعاثها
باحمالها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وبعث مع الرسول بهدايا يزدجرد
وكتب اليه معه انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجيش اوله بمرو واخره بالصين لما
يحق علي من امدادك ونصرك الا ان هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون
الجبال لهدوها فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهجهم ما لم يهجوا واعلم ان كرامات
الصحابة رضي الله عنهم اكثر من ان يحويها تصنيف او يحيط تاليف والقصد

الاختصار في هذا الموضع اقتصرت على هذا القدر

وهل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعة خفاء

واعلم ان قوله ذو بطن بنت خارجة خفض بطن باضافة ذو اليه اي الولد الذي في بطن
بنت خارجة وقوله بخامس بسادس هو كلام فيه اختصار والله اعلم والمراد ومن
كان عنده خمسة فليذهب بسادس ۝ وقوله ابو بكر بثلثة يعني انه ذهب بثلثة وهو
في ثلثة من العيال ولذلك قال انا وابي وامي ۝ وقوله فلا ادري هل قال امراتي وخادمي
شك من الراوي عن عبد الرحمن رضي الله عنه هل قال ذلك او لم يقله فان كان قاله فيكونون
خمسا اضيف اليهم ثلثة اضيافهم ۝ وقوله فذهبت فاختبات اراد انه اختفى خوفا
من ابيه الصديق رضي الله عنه ۝ وقوله يا غنثر بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح
الثاء المثلثة واخره راء مهملة معناه يا جاهل والغثارة الجهل قال بعضهم ويروى
يا عنتر بفتح العين المهملة وتاء مثناة والعنتر الذباب ۝ وقوله فجدع اي قال جدعا له
والانف مما خصته العرب بالجدع كما خصت الاذن بالصلم وهو قطع الاذن من اصلها
والجدع قطع الانف ۝ وقوله واذا شيء او اكثر كلام فيه حذف اي فاذا شيء مثل
الطعام او اكثر ۝ وقوله انما كان شيطان يعني يمينه اي الشيطان حمله على اليمين
على الامتناع من الطعام واكله بعد اليمين محمول على انه نوى تكفير اليمين ۝ وقوله فتعرفنا
اثني عشر رجلا اي تونا تعرفناهم وهذا اللفظ انما يطلق على من يعرفه بعد توهم وتوقف
ومنه قول الشاعر تعرفوني انني انا ذاكم ۝ وزبنهم ابو سيارة بضم الزاي
المعجمة

المعجمة وفتح النون مصغر قال بعضهم هو مشتق من قولهم زنم العطية اذا اقلها وقيل هو من
الزنمتين وهما الهنتان تحت حنك المعز تنوسان اي تضطربان ۝ والخلجي منسوب الى
الخلج بضم الخاء وضم اللام وهي قبيلة ۝ ونهاوند بفتح النون وفتح الواو مدينة معروفة
قيل معناه وجدت كما هي لانه لم يوجد بعد الطوفان قرية فيها بقية سواها ۝ ولاذ
بالجبل لجا اليه وامتنع به ۝ واصطلموا اي استوصلوا واصله من صلم الاذن وقد تقدم
وكذا ابجرد بفتح الدال ويقال ايضا بكسرها وبعدها راء مهملة وتاء مفتوحة منقوطة
بواحدة وجيم مكسورة وراء مهملة ساكنة واخره ذال مهملة وهي من بلاد فارس ولك
ان تجعل الاعراب في الباء وتضيف صدر الكلمة فيكون اخرها في كل الاحوال مفتوحا
والاعراب متقافيا على الصدر وذلك ان تلزم الصدر الفتح وتعرب الاخير على حكم ما لا
ينصرف ۝ وقوله الصلاة جامعة يجوز فيه وجهان احدهما رفع قوله جامعة على الخبر
والثاني نصبه على الحال والسادة مسد الخبر ۝ وقوله الجبل الجبل منصوب باضمار فعل
اي بادر الجبل اي اعل الجبل ۝ واذا ظهر الفعل لم يسغ تكرير الاسم ۝ وقوله اقري كذا وقع
رباعيا ولعلها لغة فيه والاشهر ان يقال قرا اذا سكن وقر اذا اعترف بالحق ۝ والعذراء
البكر التي لم تفترع ۝ وقوله دلم جمع ادلم وهو الاسود الطويل ۝ والسباط جمع
سبط بكسر الباء وسكونها وهو ضد الجعد ۝ والشق الجانب ۝ وقوله الله بفتح الهمزة
وهي عوض من حرف القسم ۝ وحوثرة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وبالثاء المثلثة
والراء المهملة ۝ والحوثرة في اللغة الغليظ ۝ والهرماس بكسر الهاء وهو من اسماء

الابيد ۝ وقوله في الشعر نتبه بجوزنيه وجهان فتح النون وضم الباء وضم النون وكسر الباء
لانه يقال نث إليه أمره وأبثه اذا أطلعه عليه ۝ والشصائب جمع شصيبة وهي
شدة العيش ۝ والارابي السراع واحدها أرني بضم الهمزة ۝ والحسور الشرور ونجود
ان يريد به الاثر من الجبار وهو الاثر اي بان فيها أثرها ومنفعتها ۝ وأبان وضح وظهر
والحبير النبات ونلج تشفق يقال لاح الامر وخاف ۝ والجور بكسر الجيم وفتح الواو
وتشديد الراء المهملة من الغيث الشديد صوت الرعد وهذا يحتمل وجهين احدهما
ان يكون على اضمار حذف اي تشفق من فقد غيث جور ۝ والثاني أن يريد أن السحب كانت
تاتيهم ويسمع رعدها ولا تمطر فيكون كما قالوا في المثل رب صلف تحت الرعد اي قلة مطر
وقوله ولا ابطا اي بطا والمراد وبعد لأي اي بعد بطء ۝ ونطور تلك البلاد اي نأتيها
ونبلغ جدوى بها وهي أطوارها ۝ والتلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الارض وقد تطلق
ايضا على ما انخفض ۝ والجو الشديد الخضرة من النبات حتى يميل الى السواد ۝ والمربعة
الكثيرة النبات ۝ وآلت رجعت ۝ ونكوت قلت ۝ والخور بضم المعجمة الكثيرة
الامطار ۝ واصل الخور الكثيرة الالبان من الابل والغنم شبه السحب بها يقال
ناقة خوارة وجمعها خور على غير قياس ۝ والخطة القصة ۝ والعوصاء الصعبة
الشديدة الممتنعة ۝ وعنت عرضت ۝ وأعرضت صدت وولت ۝ وسموت علوت
وجسرتها بالجيم اي ركبتها وصعبها وأصله من الجسارة وهي الاقدام على الشيء وهذا
من باب الاستعارة ۝ وقوله ولو تلبس الاضداد يوما بنانه خروج من الخطاب الى
الغيبة

209

الغيبة ويعد من محاسن الكلام ۝ والثبور الهلاك ۝ وقوله رضي الله عنه وقفيه أبايه
بفتح القاف وكسر الفاء وتشديد الياء والمراد به تابعهم من قولك قفا اثره يقفوه
إذا اتبعه ۝ وقوله وكبر رجاله بضم الكاف اي اكبرهم ۝ ومضيعة بكسر
الضاد مفعلة من الضياع كمعيشة وطريرة تصغير طرة وهي هنا طرف السحاب
الذي يبدو اولا وطرة كل شيء حرفه وطرفه ۝ وقصره بضم القاف وسكون الصاد
اي خالصا مقصورا عليه ويقال هو ابن عمي قصرة أو دنيا ۝ والكلا بفتح الكاف وتشديد
اللام والمد موضع مرفأ السفن بالبصرة يقال كلأت السفينة اذا حبستها ۝ وشلت
بفتح الشين ولا يقال بالضم ۝ وقوله لا يستبين بالسرية اي بالسيرة السرية وهي
الشريعة الحسنة ۝ وقوله وعرضه بالفتن معناه والله أعلم وعرضه للهلاك
بالفتن أو للنار ۝ والنجيبة الناقة ۝ والنادة الشاردة ۝ وقوله بالشجرة الظاهر
انه موضع والشجرة التي بويع النبي صلى الله عليه وسلم تحتها عام الحديبية كانت بمكان
معروف ۝ وقوله ضفيرتها الضفيرة السد ويحتمل ان يكون المراد به والله أعلم البناء
الذي يدل على حدها شبه بضفيرة الشعر لتداخل بعض بنائه في بعض والضفيرة في
اللغة أيضا الرمل المستطيل ويحتمل ان يكون علامة للحد ۝ وقوله فرعت راسي
فانصرفت اليه يعني الى ولده يحيى ۝ وقوله فرفع رأسه الى السماء حتى لم يرها وحتى
هنا حالية وأراد أن الظلة حالت بينه وبينها والظلة السحابة وكل ما اظلك من سحابة
أو شجرة أو غيره فهو ظلة ۝ وابن سبيتة بفتح السين المهملة وكسر الباء المنقوطة بواحدة

بعدها ياء ساكنة أخت الواو والذفرى معلق القرط من أسفلها والمراد لطيفت موضع
ذفراه والقاضب بالقاف والضاد المعجمة القاطع والأهوية بضم الهمزة وكسر
الواو وتشديد الياء المكان المنخفض الذي يهوي فيه أي يسقط وقوله وتسميت الواقوصة
إلى اليوم أي لأنها وقصت أعناقهم أي دقتها وكسرتها والدهناء رمال متصلة
في طريق اليمامة إلى الحجاز لا يدرى طولها وأما عرضها فثلاثة أيام ويضرب بها المثل
فيقال أوسع من الدهناء وهي على أربعة أميال من هجر ونجوجها وسطها
والمزاد جمع مزادة وهي القربة التي يستقى فيها الماء ونصبوا في الدعاء بفتح الصاد
أي أقاموا أنفسهم في ذلك وأعملوها والمراد والله أعلم أنهم اجتهدوا في ذلك
وقد يجوز أن يقال نصبوا بكسر الصاد أي تعبوا ويكون المراد أنهم داموا عليه
وطالوه وقوله فقال الرائد ماء كذا وقع بالنصب وهو منصوب بإضمار
فعل أي أرى ماء ويجوز رفعه على إضمار المبتدأ أي هذا ماء والنهل الشرب الأول
والعلل الشرب الثاني بعده وقوله ترحنا معناه والله أعلم سرنا ورحلنا
وذلك بعد الزوال وشذاذ الحرب بضم الشين وذال معجمتين والمراد أفرادها ومتفرقوها
واحدهم شاذ والرملة الميثاء السهلة اللينة وقوله إحدى الجلائل بالجيم أي
الأمور واحدتها جليلة وقوله لعلى جديلة أي عزيمة محكمة وبصيرة قوية وأصل
الجدل إحكام الفتل ومنه الجديل لزمام الناقة وقوله يوم الجراثيم سمي بذلك
والله أعلم لكثرة الجماعات التي عبرت النهر فيه وذلك مأخوذ من وجهين

العلم

أحدهما

أحدهما من الجرثومة وهي الحجارة والتراب المجتمعة في أصول الأشجار والجمع الجراثيم
والثاني من الجرثومة التي هي النمل شبهوا في كثرتهم واجتماعهم والأفدان جمع فدن بفتح
الدال وهو القصر والآجام الغياض وهي مجتمع شجر أو قصب واحدتها أجمة
وقوله على طرف أجمة يحتمل وجهين أحدهما أن يريد ما يقرب منها كما يقال هذا
طرف الميدان أي ما يقرب من مبدئه الثاني أن يريد به موضع الولوج في تلك
الأجمة تشبيها بموضع طرف المجال أيضا وطرف النهر شطه والحجرة بفتح الحاء
المهملة وسكون الجيم الناحية وقوله أباة الظاهر أنه بضم الهمزة جمع آب بالمد
وهو الكاره ويحتمل أن يقال فيه أباءة بفتح الهمزة فيكون المراد به نصب الأجمة
فإن الأباءة بفتح الهمزة والمد القصبة وجمعها أباء ومنه قوله كمعمعة الأباء المحرق
ويكون الأباة في البيت مما وضع من المفرد موضع الجمع للضرورة ومما قصر أيضا
ضرورة وقد يكون الألف واللام فيه للجنس فلا يحمل على الجمع وقوله والدهور
عبابر هو جمع عبرة على غير قياس والله أعلم والزهرة من الحوبة بضم الهاء وسكون
والحوبة بضم أوله وفتح الواو وتشديد الباء واختلف فيه هل هو بالحاء المهملة
أو بالجيم والأول قول سيف بن عمر والثاني قول ابن إسحق والجالنوس بنون دون
دون باء ويقال فيه الجالينوس أيضا وقوله ناهدهم المسلمون أي ناهضوهم
بشدة وقصدوا إليهم وقوله تهافتت معناه تساقطت ويزدجرد بفتح الياء
وفتح الدال وكسر الجيم كذا قيده ثعلب اللبيان بكسر الجيم واعلم أني أختم هذا

النوع بحديث العوسجة الذي تقدم الوعد به فانه مما يتعلق بكرامات علي رضي الله
عنه والحسين أيضا رضي الله عنه وهو ما ذكره الفقيه الأجل أبو مروان عبد الملك
ابن محمد بن الكردبوس التوزري رحمه الله في كتابه المسمى بالاكتفاء في اخبار الخلفاء فقال
وروى عن عبد الله بن عمرو الخزاعي عن هند بنت الجون قالت نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخيمة أم معبد ومعه أصحاب له فكان من أمره في الشاة ما عرفه الناس
فقال في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد وكان يوما قائظا شديد الحر فلما قام من
رقدته دعا بماء فغسل يديه وأنقاهما ثم مضمض فاه ومجه على عوسجة كانت الى
جنب الخيمة ثلاث مرات واستنشق ثلاثا ثم غسل وجهه وذراعيه ثلاثا ثم مسح رأسه
ما اقبل وأدبر مرة واحدة ثم مسح رجليه ظاهرهما وباطنهما والله ما رأيت أحدا
فعل ذلك قبله فقال ان لهذه العوسجة لشأنا ثم فعل من كان معه من أصحابه مثل
ذلك ثم قام فصلى ركعتين فعجبت فتيات الحي من ذلك وما كان عهدنا الصلاة ولا
رأينا مصليا قبله فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت
كأعظم دوحة عادية وأبها ما وخضد الله شوكها وساخت عروقها وعلت
أفنانها واخضر ورقها وساقها ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كأعظم ما يكون
من كمأة في لون الورس المسحوق ورائحة العنبر وطعم الشهد والله ما أكل منه جائع
الا شبع ولا ظمآن الا روي ولا ذو حاجة وفاقة الا استغنى ولا أكل من ورقها
بعير ولا شاة الا سمنت ودر لبنها ورأينا النماء والبركة في أموالنا يوم نزل بنا وأخصب
بلادنا

بلادنا وأمرعت مكننا نسمي تلك الشجرة المباركة فكان ينتابها من حولنا من أهل الوادي يستطبون
بها ويتزودون من ورقها في الأسفار ويحملونه معهم في القفار فيقوم لهم مقام الطعام
والشراب فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقطت ثمارها فاصفر
ورقها فأحزننا ذلك وفرقنا له فما كان الا قليل حتى جاء نعي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو قد قبض في ذلك اليوم فكانت بعد ذلك اليوم فكانت تثمر ثمرا دون ذلك
في الطعم والعظم والرائحة وأقامت على ذلك ثلاثين سنة فلما كان ذات يوم أصبحنا
واذا بها قد أشوكت من أولها الى آخرها وذهبت نضارة عيدانها وتساقط جميع
ثمرها فما كان الا يسير حتى وافا مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أثمرت بعد
ذلك قليلا ولا كثيرا وانقطع ثمرها ولم نزل من حولنا نأخذ من ورقها ونداوي به
مرضانا ونستشفي من أسقامنا فأقامت على ذلك برهة طويلة ثم أصبحنا يوما فاذا
بها قد انبعث من ساقها دم عبيط وورقها ذابلة تقطر ماء كماء اللحم فعلمنا أن قد جرت
داهية فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقع الداهية فلما أظلم الليل سمعنا بكاء وعويلا
من تحتها وجلبة شديدة ورجة وسمعنا صوت باكية تقول

يا ابن النبي ويا ابن الرضي ويا نخبة السادة الأكرمينا

ثم كثرت الرنات والأصوات فلم نفهم كثيرا مما كانوا يقولون فأتانا بعد ذلك قتل
الحسين رضي الله عنه فيبست الشجرة وجفت فكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك
واندرس أثرها وقوله في هذا الخبر خضد معناه ازال وقوله أشوكت أي أخرجت

الشوك ٥ ودم عبيط بالعين المهملة اي طري ٥ واما النوع الثاني في كرامات
التابعين فمنها ما جاء من كرامة أويس القرني فإنه كان به بياض فدعا الله عز
وجل فأذهبه الا قدر الدرهم وقد جاء ذكر أويس في حديث مسلم عن أسير بن جابر كان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اذا اتى عليه امداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى اتى
على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال
فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم قال نعم قال الك والدة قال نعم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد
ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله
لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر له عمر أين تريد قال الكوفة قال
الا أكتب لك الى عاملها قال اكون في غبراء الناس احب الي ٥ ومما جاء من كرامة أويس
أيضا ما جاء عن عبد الله بن سلمة قال غزونا اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ومعنا أويس القرني فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فإذا
قبر محفور وماء مسكوب وحنوط فغسلناه وكفناه ودفناه فقال بعضنا لبعض
لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر ٥ وفي رواية أخرى أن أصحابه تنافسوا
في حفر قبره وكفنه فحفروا فاذا بصخرة محفورة ملحودة فيها ونظروا في عيبته فاذا ثياب
ليس من نسج بني آدم فكفنوه في تلك الثياب ودفنوه في تلك الصخرة ٥ ومنها
ما جاء من كرامة سعيد بن المسيب وروى ذلك عن سعيد علي بن زيد بن جدعان
قال كنت

قال كنت قاعدا في مسجد سعيد بن المسيب اذ جاء رجل فقال سعيد بن المسيب مر قائدك
ينظر الى وجه هذا الرجل فقلت أو تحدثني أنت قال انه كان يتناول عليا وطلحة والزبير
فنهيته عن ذلك فأبى فدعوت الله عليه أن يسود وجهه فسود وجهه ٥ وعن عبد
الرحمن بن القسم قال مالك بن انس قال سعيد بن المسيب دخلت المسجد يوم الحرة ولا
أحد فيه لما حضرت صلاة الظهر سمعت الاذان من نحو القبر فلما حضرت صلاة العصر
سمعته ايضا فلما حضرت المغرب سمعته فدخل رجل فانقطع ٥ وفي رواية أخرى
ثم لم ازل اسمع الاذان والاقامة في قبره صلى الله عليه وسلم حتى مضت الثلاث
ودخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا المؤذنون فأذنوا فسمعت الاذان
في قبره صلى الله عليه وسلم فلم اسمعه ٥ ومنها ما جاء من كرامة الحسن بن ابي الحسن
البصري وذلك انه روي عن حماد بن زيد عن ايوب قال كنا عند الحسن فغم على الناس
هلال شهر رمضان فقال الحسن اللهم ان كانت ليلته فبينه لنا فانجلى عنه الغيم
حتى نظر الناس اليه ٥ وكان رجل خارجي يغشى مجلس الحسن ويؤذيهم فقال الحسن
يوما عند اقباله اللهم قد علمت اذاه لنا فاكفناه بما شئت فخر من قامته فما حمل الى
قومه الا ميتا على سرير ٥ وكان الحسن قد تخوف من الحجاج بن يوسف حتى اختفى
فدعا الله عز وجل حين دخلت الدار للبحث عليه فأعمى الله عز وجل أبصارهم عنه ودخلوا
الدار ست مرات وفي كل ذلك لا يرونه واختلف في الدعاء الذي دعا به فقيل
انه دعا بدعاء إدريس عليه السلام وقد ذكره صاحب القوت ٥ وقيل كان من دعائه

يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي يا رب آبائي الأولين إبراهيم وإسحق ويعقوب
ويا رب عم عليهم مكاني ه وقيل إنه اختفى عند رجل من الصالحين فدعا ذلك الصالح
فقال اللهم اجعله عندك حتى لا يروه فدخلوا عليه مرارا فلم يجدوه ه ومنها ما
جاء من كرامة عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن السري بن يحيى عن رياح بن عبيدة قال
صلى بنا عمر بن عبد العزيز فلما انصرف إذا بشيخ يتوكأ على يد الأمير قال فقلت أصلح
الله الأمير من الشيخ الذي رأيته يتوكأ على يدك قال ورأيته يا رياح قال قلت نعم
قال أحسبك يا رياح رجلا صالحا ذاك أخي الخضر أتاني وأعلمني أني سألي هذا
الأمر وأعدل فيه ه وحين حضرته الوفاة رحمه الله سمع قائلا يقول تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ه
ومنها ما جاء من كرامة صلة بن ابرهيم العدوي عن عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
جرير بن حازم قال حدثنا حميد بن هلال عن صلة بن ابرهيم قال خرجت في بعض قرى نهر
تيري أسير على دابتي زمان فيوض الماء فسرت يوما لا أجد شيئا آكله فاشتد جوعي
فوالله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبة فالتفت فإذا شيء ملفوف في سب أبيض
أي خمار فنزلت إليه فإذا دوخلة من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة فأكلت
منه فلم آكل رطبا قط أطيب منه وحملت نواهن معي قال جرير فحدثني أوفى
ابن قال رأيت ذلك السب مع امرأته ملفوف فيه مصحف ثم فقد بعد فلا
يدرى أسرق أم ذهب أم ما صنع قال ابن الأعرابي أما صلة فكان زاهدا
فاضلا

فاضلا سيد القراء صاحب فكرة وعبادة وكان مجاب الدعوة وله آيات مرويات
قتل في بعض المغازي أول إمرة الحجاج ه ولما دخلت إليه معاذة أدخله ابن أخيه الحمام
ثم أدخله بيتا مطيبا فقام يصلي حتى برق الفجر وقامت معاذة أيضا تصلي فأتاه ابن
أخيه فقال أي عم أهديت إليك الليلة ابنة عمك فقمت تصلي وتركتها فقال يا ابن
أخي إنك أدخلتني أمس بيتا أذكرتني به النار وأدخلتني اليوم بيتا أذكرتني به الجنة
فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت ه وعن ابن المبارك قال حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن
جابر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال له صلة
يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا ه ومنها ما جاء من كرامة عامر بن عبد قيس وهو
عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري وجاء ذلك عن محمد بن واسع عن أبي العلاء يزيد بن
عبد الله بن الشخير قال أخبرني ابن أخي عامر بن قيس أن عامرا كان يأخذ عطاءه فيجعله في
طرف ثوبه فلا أحد من المساكين يلقاه إلا أعطاه فإذا دخل بيته رمى به إليهم
فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها ه وعن جعفر بن سليمان الضبعي قال حدثنا مالك
ابن دينار قال مر عامر بن عبد الله بطريق الشام بقافلة قد قطع عليهم الأسد فجاء
يمشي حتى مس ثيابه فم الأسد ثم جعل رجله على عنقه ثم قال إنما أنت كلب من كلاب
الرحمن وإني لأستحيي من ربي أن أخاف سواه ه وعن ابن وهب قال حدثني مالك
ابن أنس أن عامر بن عبد القيس كان بالشام فأتاه أسد فقام إلى جانبه حتى أصبح
وعن ابن المبارك قال أخبرنا هشام عن قتادة قال كان عامر بن عبد قيس

سأل ربه ان يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء وله بخار ٥ وسأل ربه
أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبالي أذكراً لقي أم أنثى ٥ وسأل ربه أن يمنع
قلبه الشيطان في الصلاة فلم يقدر عليه قال الشيخ أبو عبد الله بن عبد السلام
الأنصاري في كتابه في الرد على بعض منكري الكرامات وقال ابن صالح في
التاريخ عامر بن عبد قيس العنبري بصري تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم
رآه كعب فقال هذا راهب هذه الأمة ٥ ومنها ما جاء من كرامة أبي مسلم
الخولاني عن إسمعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس تنبأ فبعث
إلى أبي مسلم الخولاني فقال أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمداً
رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه قال فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها
أبو مسلم فلم تضره فقيل له أنفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك قال فأمره
بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف
أبو بكر رضي الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية
وبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام إليه فقال ممن الرجل فقال من أهل
اليمن قال ما فعل الذي حرقه الكذاب قال ذاك عبد الله بن ثوب قال أنشدك
الله أنت هو قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكى وجاء به حتى أجلسه فيما بينه وبين
أبي بكر وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم
خليل الله قال ابن عياش فأنا أدركت رجالاً من الأمداد الذين يمدون من اليمن من
خولان

خولان يقولون للأمداد من عنس صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار فلم تضره
وعن اليسري بن يحيى قال قالت جارية لأبي مسلم قد وضعت لك السم في طعامك
فلم يضرك قال فلم قالت أردت أن أتعجل العتق قال اذهبي فأنت حرة وعن اليسري أيضاً
عن سليمان التيمي أن جارية لأبي مسلم قالت له ما زلت أجعل السم في طعامك فلم
يضرك قال إني كنت أقول إذا أردت أن آكل بسم الله خير الأسماء الذي لا يضر
مع اسمه داء رب الأرض والسماء ٥ وذكر صاحب الفصول أن أبا مسلم الخولاني
كان إذا غزا الروم فمروا بنهر قال أجيزوا باسم الله ويمر بين أيديهم فيمرون
بالنهر الغمر ويقول اللهم إنك أجزت بني إسرائيل وأنا عبادك وفي سبيلك
فأجزنا اليوم في هذا النهر ثم يقول اعبروا وإن لم يبلغ الماء من الدواب الركب
في النهر العظيم الكثير الماء فإذا جاوزوا قال للناس هل ذهب لكم شيء فأنا له ضامن
قال فألقى بعضهم مخلاة عمداً فلما جاوزوا ذلك قال الرجل مخلاتي وقعت في
النهر فقال اتبعني فاتبعه فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر فقال خذها
وذكر غيره أنه صنع ذلك في دجلة وهي ترمي الخشب حتى مشى على الماء ثم التفت
إلى أصحابه فقال هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله عز وجل قال
وقال ابن صالح أبو مسلم الخولاني تابعي ثقة من كبار التابعين ٥ قال الحاكم أبو مسلم
الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب قارئ أهل الشام وعابدهم ٥ ومنها ما جاء من
كرامة محمد بن أبي بكر بن شهاب الزهري رحمه الله وذلك أنه قال كنت أسمع

الحديث وانا حدث فكان يخطر ببالي لو حفظت كل ما سمعت فرأيت في المنام
اشرب ماء زمزم فانه لما شرب فقمت فاسبغت الوضوء ثم صليت اربع ركعات
ثم شربته للحفظ فحفظت فما سمعت شيئا فنسيته ٥ ومنها ما جاء من كرامة
مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثني ابي قال حدثنا
سليمان بن المغيرة قال كان مطرف اذا دخل بيته سبحت معه آنيته • وعن
عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة قال كان مطرف وصاحب له يسيران
في ليلة مظلمة فاذا طرف سوطه عنده ضوء فقال له صاحبه انا لو حدثنا
الناس بهذا كذبونا فقال مطرف المكذب اكذب ٥ وفي رواية اخرى
عن قتادة عن مطرف بن عبد الله قال انطلقنا الى عطايانا ناخذه فبينما انا اسير
وابني خلفي وذلك اول عقل رأيت منه فرأيت على سوطي فسبحت فقال امض
ايها الشيخ انما هو آية من آيات الله ثم قلت لو حدثت بهذا ما صدقوني
فقال المكذب به اكذب ٥ وعن جرير بن حازم عن حميد بن هلال العدوي
ان مطرف بن عبد الله نازعه رجل كان بينه وبينه امر فقال اللهم عجل
حتفه فما برح حتى مات فاستعدى عليه بنو عمه الى زياد فقال لهم هل
تناوله بيده قالوا لا قال فهل امر احدا ان يتناوله قالوا لا الا انه دعا عليه
فما برح مكانه حتى هلك فقال لهم ما اصنع دعوة رجل صالح وافقت
قدرا ٥ ومنها ما جاء من كرامة عقبة بن نافع القرشي وعقبة تابعي

وان

وان كان بعض الناس يعده في الصحابة رضي الله عنهم قال الشيخ ابو عمر بن عبد
البر رحمه الله لا تصح له صحبة ٥ ومما جاء من كرامته انه حين اراد ان تختط
القيروان أتى موضعها وكان واديا كثير الاشجار وغيضة من الغياض
الجبار مأوى للوحوش فوقف ونادى الوحوش والحيوانات التي كانت فيها انا نازلون
ان شاء الله فاظعنوا ثلث مرات قال الراوي فما رأينا حجرا ولا شجرا الا خرج من تحته
دابة حتى هبط بطن الوادي ثم قال انزلوا بسم الله ٥ وقيل ان الحيوانات اقامت
تخرج ثلثة ايام وتخرج اولادها فلما انقضت الثلثة الايام لم تخرج منها شيء فعند
ذلك امر عقبة بقطع تلك الغيضة وحرقها واختط المدينة ويقال ان القيروان
اقامت بعد ذلك اربعين عاما ولو طلب فيها حية وعقرب لم توجد ولما اختطها
وكان معه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في موضع القبلة واقاموا
يرصدون سمت القبلة بمطالع الشمس والنجوم فبات عقبة مهتما لذلك فرأى
في المنام قائلا يقول اذا كان غدا فخذ اللواء بيدك فانك ستسمع تكبيرا ولا
يسمعه احد من اصحابك فاتبعه فحيث انقطع فهو موضع القبلة فلما اصبح اخذ
اللواء فسمع التكبير فقال لاصحابه أتسمعون شيئا فقالوا لا فتبع التكبير حتى انقطع
فركز اللواء ٥ وجاء ايضا انه تحير في المكان الذي يضع فيه مأذنة الجامع وهي الصومعة
فرأى في المنام رجلا يؤذن بموضع من الجامع فلما كان من الغد وضع المنار في ذلك الموضع
وكان عقبة رحمه الله مجاب الدعوة والامر في ذلك اشهر من ان يذكر ٥ وجاء انه

حتى اختط القيروان كان معه خمسة وعشرون من الصحابة رضي الله عنهم فطاف على
أقطارها وهو يدعو وهم يؤمنون على دعائه فدعا الله عز وجل أن يجعلها عزا لدينه
ويعمرها بالصالحين من عباده ه ومما جاء من كرامته وإجابة دعوته أنه لما ولي
إفريقية ترك مصر على عبد الله بن عمرو بن العاص وكان عقبة ابن خالة عمرو بن العاص
وعمرو أول من ولاه فقدموا الحمار على سفرة ليأكلونه فجاء من حداة فقال عقبة اللهم
دون عنقها فضربت بنفسها إلى الأرض ولم تزل تضرب بنفسها إلى الأرض حتى
ماتت ه ولما غزا كوار من أرض السودان عطش أصحابه في مفازة فدعا الله عز وجل
فبحث فرسه برجله في صفاء فانفجر ماء فشربوا وسمي ذلك الماء ماء فرس ويقال أيضا
ما الفرس وهو يعرف بذلك إلى عصرنا هذا **وأما النوع الثالث**
في كرامات من بعد التابعين فإنه على قسمين أحدهما كرامات العلماء العاملين
والثاني كرامات العباد العارفين ه أما القسم الأول فإنه على صنفين أما الصنف
الأول ففي كرامة الأئمة الأربعة نضر الله وجوههم وأما الصنف الثاني ففي كرامة
من بعدهم أما الصنف الأول فإنه على ضربين أحدهما عموم والثاني خصوص أما
العموم فاعلم أن الأئمة الأربعة مالكا والشافعي وأبا حنيفة وأحمد بن حنبل
رحمهم الله ونضر وجوههم لهم كرامات أحدها ما خصهم الله عز وجل به من
معرفة كتابه العزيز ه الثانية ما وهبهم الله من التمسك به والوقوف عند حدوده
الثالثة ما منحهم من المعرفة بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ه الرابعة ما أعطاهم
العمل

العمل بالسنة والوقوف عندها ه الخامسة ثباتهم على هذه الصفات المحمودة حتى فارقوا
الدنيا ه السادسة اجتماع قلوب أهل السنة كلهم على محبتهم وتعظيمهم ه السابعة
اختصاص الأئمة في الحرم الشريف زاده الله شرفا بأن لهم أتباعهم ه الثامنة انتشار
ذكرهم وصيتهم في الآفاق ه التاسعة انحصار المذاهب في مذاهبهم العاشرة كثرة من
اهتدى بهم من الخلق ويهتدي إلى قيام الساعة ه الحادي عشرة انقياد الملوك لأوامرهم
والوقوف منهم عند ما أفتوا به ه الثانية عشرة تبرك الناس بقبورهم وائتلاف القلوب
على زيارتها ه الثالثة عشرة كثرة التصانيف التي صنفت على مذاهبهم ه الرابعة عشرة
كثرة من انتفع بتلك التصانيف وينتفع إلى قيام الساعة ه الخامسة عشرة اتفاق الأمة
في مشارق الأرض ومغاربها على إمامتهم ه السادسة عشرة دوام نعمة الله عز وجل
عليهم في طاعته ومحافظتهم على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وإحياء سنته ه
السابعة عشرة ما وضع لهم من القبول عند الخلائق ه الثامنة عشرة زهدهم في
الدنيا ورغبتهم في الآخرة ه التاسعة عشرة إعراضهم عن خطط الرياسة وفرارهم
منها ه العشرون ظهور ما يوكد مذاهبهم ويقويها في كل عصر ويناضل عنها الخصوم
بالتصانيف وغيرها ه الحادي والعشرون حفظ هذه الأحوال عليهم إلى عصرنا هذا
وإلى قيام الساعة إن شاء الله عز وجل ه وأما الخصوص ه فاعلم أن شهرتهم
بالعلم أخفت كثيرا من كراماتهم والله أعلم وأنا أذكر في هذا المكان من ذلك ما تيسر
بعد أن أقدم في ذلك قولا لأحمد بن حنبل يدل على المراد ه فأقول سئل الإمام أبو

عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الأبدال فقال ان لم يكونوا اصحاب الحديث الذين يحفظون
على الأئمة ما جاء عن نبيهم فلا ادري من هم واذا اظهر ذلك فاقول اما ابو عبد الله
مالك بن انس رحمه الله فمن كراماته الحديث الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة
قال سفيان بن عيينة كانوا يرونه مالك بن انس وهذا الحديث صحيح قال الشيخ
أبو عمر بن عبد البر رحمه الله رواته كلهم ائمة ومنها ما ذكره بعض المصنفين
ممن تكلم في شرح الرسالة يحكى ان مالكا رحمه الله اراد دخول الحمام فسأله بن القاسم
ان يتولى خدمته فاسعفه بذلك قال فحط موضعا من جسمه فرأى فيه شيئا فعدل عنه
فقال له مالك تأمله فاني خصصتك به يا بن القسم قال فتأملته فاذا هو مكتوب
باللحم مالك ابن انس علم لدين الله ومنها فراسته في عبد الله بن غانم وعبد الله بن
فروخ والبهلول بن راشد حين قدموا عليه فقال في ابن غانم هذا قاضي بلده وفي ابن
فروخ هذا فقيه بلده وفي البهلول هذا عابد بلده فكانوا كذلك ومنها تقدم
امامته في الحرم الشريف زاده الله شرفا على سائر الائمة واما ما روي له في
المنامات فسيأتي ذكره بعد هذا ان شاء الله عز وجل واما الشافعي
رحمه الله فمن كراماته ما ذكره صاحب الرسالة الإمام ابو القسم القشيري رحمه
الله عن بلال الخواص قال كنت في تيه بني اسرائيل فاذا رجل يماشيني فتعجبت منه
ثم الهمت انه الخضر عليه السلم فقلت له بحق الحق من انت فقال الخضر فقلت
ارید

اريد ان اسئلك فقال سل فقلت ما تقول في الشافعي رحمه الله فقال هو من الاوتاد قلت
فما تقول في أحمد بن حنبل قال رجل صديق قلت فما تقول في بشر بن الحرث قال لم يخلف بعده مثله
قلت باي وسيلة رأيتك قال ببرك بامك واما أبو حنيفة النعمان بن ثابت
رحمه الله فمن كراماته ما ذكره صاحب كتاب الافتخار عن ابي عبد الله الحسين
ابن محمد الداروني قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فانشدته قول
ابي طالب عمه وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فبشر بذلك فقلت له يا رسول الله اي مذهب تأمرني ان اتبع مذهب مالك
أم مذهب ابي حنيفة فقال لي عليك بمذهب مالك ومذهب ابي حنيفة
فانا أخذ بالمذهبين جميعا لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهما واما احمد
ابن حنبل فقد تقدم ذكر كراماته عند ذكر كرامة الشافعي رحمه الله فهذا
القدر كاف في كرامات الائمة الاربعة وأذكر بعده ما جاء من كرامات
من بعدهم من العلماء العاملين وكلهم اتباع مالك رحمه الله لانهم الذين
انتهيت الى أخبارهم فاقول الصنف الثاني في كرامات من بعد الائمة
الاربعة فمن ذلك ما جاء من كرامة ابي عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم
صاحب الامام مالك رحمه الله عن الحرث بن مسكين قال ابن القسم خرجت
الى الاسكندرية ومعي ودايعه أقوام فارسينا في موضع مخيف فخيرت
نفسي بين أن أنام فاضيع الوديعة وبين اليقظة فاخترت اليقظة فلما انتصف

الليل رأيت شخصا ابيض على برذون اشهب يشق البحر حتى وقف على السفينة ثم
قال لي نعم يا ابن القسم فانا نحرسك حدث بذلك عنه الحرث بن مسكين ٥ وقال
الحرث قال لي ابن القاسم لا تحدث بذلك أحدا عني حتى اموت وهذا شان اكثر
الاولياء استتارهم بالكرامات وكراهية اظهارها ولذلك والله اعلم
خفيت في الاكابر لان الرجل مهما كان مقامه اعلى واكبر كانت كتمه
لها اعظم واكبر وايضا فان الناس لا يعجبون من ذلك لعلو مقامه ولا يتوفر
الدواعي على نقله ولذلك كانت اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لم تنقل
تواترا لان امره لما وضح عند اهل زمانه وضوحا لا يبلغ نور الشمس اليه لم يحتج الى
اقامة الدليل عليه ٣ من ذا يريد على النهار دليلا ٥ أم من يشك وقد وعى التنزيلا ٥
ومن كراماته ايضا ما ذكره صاحب كتاب الافتخار عن يعقوب ابن اخي
معروف الكرخي قال رأيت فيما يرى النائم بعد موت معروف كان نخبا يطير
بين السماء والارض عليها قبة بعمارية جلالها حرير للبخت ثلثة ازمة قد اخذ
بكل زمام من ازمة البخت زمرة من الملائكة فقلت بالذي وفقكم
الى ما ارى لمن انتم قالوا نحن خمسون ومائة الف ارسلنا الله عز وجل الى هذين
العابدين نحملهما الى الله اذ جاءت ريح فطارت بجلال العمارية واذا بعمي
معروف الكرخي وبشر بن الحرث الحافي فشخصت انظر اليهما تعجبا نحو من
عمي الالتفاته فنظر الي وانا شاخص فقال يا ابن اخي تعجب مما ترى قلت وكيف

لا اعجب وما رأيت منزلة قط اعجب من هذه قال فلو رأيت عبد الرحمن
ابن القاسم وهو يعبد الله عز وجل بين العرش والكرسي في خيمة من ياقوتة بيضاء
على قصب من الزمرد تحركها نسيم العرش ٥ ومنها ما جاء من كرامة ابي
سعيد سحنون بن سعيد رحمه الله ٥ وذلك انه دفع لاجل ثقاته صرة فيها
دنانير وقال اخرج بهذه فادفعها لاول رجل تلقاه فخرج الرجل فلقي رجلا عليه
ثوب ابيض فدفعها اليه فلما اخذها الفتى شيئا كان يحمله تحته فتامله الرجل
فاذا هي دجاجة ميتة فاخبر سحنونا بذلك فحمد الله عز وجل على ذلك وكان
ذلك الرجل قد بلغ به الحال من الحاجة الى ان حل له تناول الميتة فكوشف
سحنون والله اعلم بحاله فلما اخذ ما اخذ وهي ما كان تحته لان الضرورة التي
كانت اباحت له ذلك ارتفعت ٥ ومنها ما جاء من كرامة ابي محمد عبد الله
ابن وهب وحدث بذلك ابو يحيى زكريا بن يحيى الوقار قال حدثني ابن وهب قال
كنت اتمنى على الله عز وجل ثلثماية دينارا انفقها في طلب الحديث فبينا انا ذات
ليلة قائم اصلي اذا برجل قد اقبل ومعه قرطاس مربوط فوضعه على نعلي ثم ذهب فصليت
عشاء الاخرة ثم اخذت القرطاس فوجدته ثقيلا فطننته دفعه اهلها الي اخ
لي فجئت البيت ففتحته فاذا هي ثلثماية دينار ولا زيد ولا نقص ٥ ومنها
ما جاء من كرامة ابي عبد الله محمد بن سحنون وذلك انه ذهب الى زيارة بعض
الصالحين فلم يقبل عليه ذلك الصالح ولا احتفى به فلما كان من الغد قال ابن

سحنون لأصحابه اذهبوا بنا إليه قال أصحابه كيف تذهب إليه وقد رأيناه لم
يقبل عليك ولا احتفى بك فقال رحمه الله انما نحن زوّاره لله عز وجل فذهبوا إليه
فلما رآه ذلك الصالح مقبلاً قام إليه وأقبل عليه وبالغ في التحفي به والإكرام
له وقال له اني رأيت البارحة في المنام قائلاً يقول لي لم لم تقبل على ابن سحنون وهو ممن
يحبه الله عز وجل ۝ ومنها ما جاء من كرامة أبي عبد الله محمد بن عبدوس صاحب
المجموعة وذلك انه كان مجاب الدعوة قال صاحب كتاب الافتخار دعا على الأمير
ابن اغلب فاستجيبت دعوته فيه ۝ ومنها ما جاء من كرامة أبي عثمان سعيد بن
الحداد الفقيه قال الفقيه أبو محمد بن التبان عرض له بلغم وميل في وجهه فقال لجارية
ناوليني المرآة فنظر وجهه ورمى بالمرآة وقام فتوضأ وصلى ركعتين وقال اللهم
بحرمة الإسلام الذي شيط به لحمي ودمي الا ما رددت إلي ما عودتني من فضلك
واحسانك ثم رفع المرآة فاذا هو على أحسن ما كان ۝ ومنها ما جاء من كرامة
الفقيه أبي محمد بن أبي زيد وذلك أن رجلاً في زمانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال له اقرأ على ابن أبي زيد السلام وقل له جزاك الله عن نبيك خيراً
ومما يحكى من كراماته أيضاً انه كان جالساً مع المؤدب محرز فأتاه آت فقال
له ولدت لك ابنة مشوهة الخلقة فقال للمؤدب محرز ادع الله أن يحسن
خلقها فحرك شفتيه بشيء خفي بعد ذلك فقال ليس بها بأس بل هي حسنة الخلقة
فقال الشيخ أبو محمد لأبي محمد محرز العابد المؤدب ۝ سألتك بالله الا اخبرتني
بالدعاء

بالدعاء الذي دعوت به فقال قلت اللهم بحق ابيها عندك حسن خلقها ۝ وقيل انما أتى
العابد أبو محمد محرز لزيادة الفقيه وكانت له ابنة مقعدة فأخرجها أهل الدار
إليه ليدعو لها فدعا لها فقامت تمشي فعجبوا من ذلك فلما رأى تعجبهم فقال مما ذا تعجبون
ما زدت على أن قلت اللهم بحق أبيها عندك اشفها فقال ان الفقيه أبا محمد رحمه الله
لتواضعه واشفاقه أو لستره بكراماته قال للعابد أبي محمد محرز لما اخبره بما دعا
به هذا الاثر للداعي لا للمدعو به والا فغيرك يدعو بهذا ولا يستجاب واعلم
ان هذه القصة ذكرت على وجهين كما تقدم فيحتمل أن تكون قصة واحدة اختلفت
الرواية فيها ۝ وأن تكون قصتين ويكون الأمر بذلك اتفق مرتين وهو الأظهر والله
أعلم ومنها ما جاء من كرامة الفقيه أبي الحسن القابسي فانه كان يوماً جالساً حتى
قيل له العقرب عند اذنك فقال اياك نعبد واياك نستعين وأخذها بيده فرماها
فرآه بعض الناس فقال هذه رقية للعقرب فمد يده لعقرب بعد ذلك وذكر الآية
فلدغته العقرب فعلم حينئذ ان الأمر للآية مع صدق حال التالي والراقي وصلاحه
وكذلك أيضاً حكي أن الشيخ أبا الحسن رحمه مر يوماً برجل تخبطه الجان وقد
اجتمع الناس عليه فقال افرجوا عنه فدخل إليه فأذن في أذنه فخرج الجان من
فوره فظن بعض من رآه انه يفعل مثل فعله فمر برجل على تلك الحال فأذن في أذنه
فقال له الجان حتى تكون أبا الحسن القابسي ۝ وهذا يؤيد عندك ما تقدم ذكره من
أن هذه الكرامات انما نالوها بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والمحافظة على

بسنته ومتابعته في اقواله وافعاله وان كل كرامة تظهر على يد ولي فهي معجزة للنبي صلى
ومنها ما جاء من كرامة الفقيه ابي بكر بن عبد الرحمن رحمه الله وذلك ان امرأة جاءته
فقالت له ان اسناني تحركت كلها وهي تريد ان تسقط وانا اخاف ان يفارقني زوجي فوجع
لذلك ورقاها ثلثة ايام فقالت المرأة والله ما هو الآن الا كأني ما شددت اسناني وصارت
حجرا كما كانت ٥ ومنها ما جاء من كرامة الفقيه ابي محمد عبد الله بن الفقيه ابي زكريا
الشقراطيسي التوزري رحمه الله وذلك انه لما حج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم
انشد قصيدته المشهورة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي اولها

الحمد لله منا باعث الرسل ۝ هدى باحمد منا احمد السبل

فلما اكملها قام رجل يقال انه كان من الاعراب فقال حق على صاحب هذا القبر ان
ان ياخذ بيد هذا ويدخله الجنة فسمعوا النداء من ناحية القبر نعم ٥ ومنها ما جاء
من كرامة الفقيه ابي الفضل يوسف بن محمد النحوي التوزري رحمه وذلك ان بعض
المتغلبين عدا على امواله واخذها فبلغه ذلك وكان بغير مدينة توزر فانشا في تلك
الليلة قصيدته المشهورة التي اولها

اشتدي ازمة تنفرجي ۝ قد آذن ليلك بالبلج

فرأى ذلك الرجل في تلك الليلة رجلا في يده حربة فقال له ان لم ترد على فلان
امواله والا قتلتك بهذه الحربة فاستيقظ مذعورا واعاد عليه امواله
واما القسم الثاني في كرامات العباد العارفين فمنه ما جاء من كرامة
الشيخ

الشيخ ابي اسحق ابرهيم بن ادهم رحمه الله وذلك انه كان يمشي في برية حتى استوحش
فاذا هو بالخضر عليه السلام فعلمه اسم الله الاعظم وقال له لا تدع به على مسلم
وحكى محمد بن المبارك انه كان معه في طريق بيت المقدس قال فنزلنا وقت القيلولة
في طريق فيه رمانة فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل الرمان يا ابا اسحق
اكرمنا بان تاكل منا شيئا فطاطا ابرهيم راسه فقال ثلث مرات ثم قال يا محمد كن
شفيعا اليه ليتناول منا شيئا فقلت يا ابا اسحق لقد سمعت فقام واخذ رمانتين
فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها وهي حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما رجعنا
مررنا بها واذا هي شجرة عالية ورمانها حلو وهي تثمر في كل عام مرتين وسموها رمان
العابدين ويأوي الى ظلها العابدون ٥ ومما يحكى من كراماته ايضا انه كان في رفقة
فعرض لهم السبع فقيل يا ابا اسحق قد عرض لنا السبع فجاء ابرهيم وقال يا اسد ان كنت امرت
فينا بشيء فامض والا فارجع فرجع الاسد ومضوا ومنه ما جاء من كرامة الشيخ
ابي الفيض ذي النون المصري الاخميمي رحمه الله من ذلك انه سأله سالم المغربي
عن سبب توبته فقال العجب لا تطيقه فقال بمعبودك الا اخبرتني فقال اردت الخروج
من مصر الى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحاري ففتحت عيني فاذا بقبرة عمياء
سقطت من وكرها على الارض فانشقت الارض فخرج منها سكرجتان احداهما ذهب
والاخرى فضة وفي احداهما سمسم وفي الاخرى ماء فجعلت تاكل من هذا
وتشرب من هذا فقلت حسبي قد تبت ولزمت الباب حتى قبلني ٥ وذلك
من كرم

ان رجلا ضرب رجلا فازال بعض اسنانه فتعلق به فمروا على ذي النون فدعا الرجل
فجاء وسنه في يده فاخذها وعمل فيها من ريقه واعادها الى مكانها فعادت كما كانت
بقدرة الله عز وجل ه ومن ذلك ما حكي عن ابي جعفر الاعور قال كنت عند
ذي النون المصري فتذاكرنا حديث طاعة الاشياء للاولياء فقال ذي النون من
الطاعة ان اقول لهذا السرير يدور في اربع زوايا البيت ثم يرجع الى مكانه فيفعل
قال فدار السرير في اربع زوايا البيت ثم رجع الى مكانه قال وكان هناك شاب فاخذ
يبكي حتى مات في الوقت ه ومنه ما جاء من كرامة الشيخ ابي عبد الله الحرث
ابن اسد المحاسبي فانه كان اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك على اصبعه عرق
فكان يمتنع منه ه ومنه ما جاء من كرامة ابي علي شقيق بن ابرهيم البلخي فجاء عن
حاتم الاصم قال كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا ترى فيه الا
رؤوسا تندر ورماحا تنقصف وسيوفا تنقطع فقال لي شقيق كيف ترى نفسك
يا حاتم في هذا اليوم تراه مثل ما كنت في تلك الليلة التي زفت اليك امرأتك
فقلت لا والله فقال لكني والله ارى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت في
تلك الليلة ثم نام بين الصفين ودرقته تحت راسه حتى سمعت غطيطه ومنه
ما جاء من كرامة الشيخ ابي محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله وذكره
صاحب الرسالة عن بعضهم قال دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل
الصلاة فرايت في البيت سبع فجعلت اقدم رجلا واوخر اخرى فقال ادخل لا
يبلغ

يبلغ احد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شيء يخافه ثم قال هل لك في صلاة الجمعة
فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدي فما كان الا قليل حتى
رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم
يخرجون فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون قليل ه ولما مات
سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته وكان في البلد يهودي عمره نيف
على السبعين فسمع الضجة فخرج لينظر فلما نظر الى الجنازة صاح وقال هل ترون
ما ارى فقالوا وما ترى فقال ارى اقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة
ثم انه تشهد واسلم وحسن اسلامه ه وعن ابي نصر السراج قال دخلنا تستر
فراينا في قصر سهل بن عبد الله بيتا كان الناس يسمونه بيت السبع فسالنا
الناس عن ذلك فقالوا كان السباع تجيء الى سهل وكان يدخلهم هذا البيت
ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم قال ابو نصر ورايت اهل تستر كلهم متفقين
على ذلك لا ينكرونه ه ومنه ما جاء من كرامة الشيخ ابي عبد الرحمن حاتم الاصم
وذلك انه قال كنت في بعض الغزوات فاخذني تركي واضجعني للذبح فلم يشتغل
قلبي به بل كنت انظر ماذا يحكم الله فينا هو يطلب السكين من جنبه جاءه سهم
غرب فقتله وطرحه عني وقمت ه ومنه ما جاء من كرامة ابي خير النساج
واسمه محمد بن اسمعيل فمن ذلك انه قال كنت جالسا في بيتي فوقع ان الجنيد بالباب
فنفيت عن قلبي فوقع لي ثانيا وثالثا فخرجت فاذا الجنيد فقال لم لم تخرج مع الخاطر

في قلبي

الاول ه ومن ذلك ما حكاه ابو الحسين المالكي قال كنت اصحب خيرا النساج
عدة سنين فقال لي قبل موته بثمانية ايام انا اموت يوم الخميس وقت المغرب
وادفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنسه قال ابو الحسين وانسيته الى
يوم الجمعة فلقيني من اخبرني بموته فخرجت لاحضر جنازته فرايت الناس يقولون
يدفن بعد الصلاة فلم انصرف وحضرت الجنازة قبل الصلاة كما قال ه قال ابو
الحسين سالت من حضر موت خير النساج عن موته فقال لما حضرت صلاة
المغرب غشي عليه ثم فتح عينيه واومى الى ناحية البيت وقال قف عافاك
الله فانما انت عبد مامور وانا عبد مامور وما امرت به لا يفوتك وما امرت
به يفوتني فدعني امضي فيما امرت به ثم امض لما امرت فدعا بماء فتوضا للصلاة
وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد ومات فذكر بعض الصالحين انه راه في المنام
بعد موته فقال ما فعل الله تعالى بك فقال لا تسألني عن ذلك ولكني استرحت من
دنياكم الوضرة ه ومنه ما جاء من كرامة عتبة الغلام وحكى ذلك الفقيه
ابو عبد الله الطليطلي في كتابه فقال قال ابو سعيد بن الاعرابي في كتاب طبقات
النساك والعباد في ذكر عتبة الغلام فقال انه راى طايرا فقال تعال فجاء حتى
وقع على يده ثم قال له طر فطار ه وذكر غيره انه كان يقعد فيقول يا ورشان
ان كنت اطوع لله مني فتعال واقعد على كفي فيجي الورشان فيقعد على كفه ومنه
ما جاء من كرامة سري بن المغلس السقطي رحمه عن الجنيد رحمه الله قال دخلت
على

على السري يوما فقال لي عصفور كان يجي كل يوم فافت له الخبز فياكل من
يدي فنزل وقتا من الاوقات فلم يسقط على يدي فتذكرت في نفسي ايش السبب فذكرت
اني اكلت ملحا بابزار فقلت في نفسي لا اكل بعدها وانا تايب منه فسقط على
يدي ه ومنه ما جاء من كرامة الشيخ ابي الحسين النوري رحمه الله فذكر عن ابن
عطاء انه قال سمعت ابا الحسين النوري يقول كان في نفسي شي من هذه
الكرامات فاخذت قصبة من الصبيان ثم قمت بين زورقين ثم قلت
وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة من ثلثة ارطال لاغرقن نفسي قال فاخرج لي سمكة
فيها ثلثة ارطال ه ومنه ما جاء من كرامة الشيخ ابي الجنيد بن محمد من ذلك
ما تقدم ذكره عن خير النساج ه ومن ذلك ما جاء عن ابي عبد الله بن خفيف
قال دخلت بغداد قاصدا الى الحج وفي راسي نخوة الصوفية ولم اكل الخبز اربعين
يوما وخرجت ولم اشرب الماء الى زبالة وكنت على طهارتي فرايت ظبيا على راس
البير وهو يشرب وكنت عطشان فلما دنوت من البير ولى الظبي فاذا الماء في
اسفلها فمشيت وقلت يا سيدي ما لي محل هذا الظبي فسمعت من خلفي جربناك
ما تصبر ارجع وخذ الماء فرجعت واذا البير ملآى ماء فملات ركوتي وكنت
اشرب منها واتطهر الى المدينة ولم تنفد ولما استقيته سمعت هاتفا ان الظبي
جاء بلا ركوة ولا حبل وانت جيت مع الحبل والركوة فلما رجعت من الحج دخلت
الجامع فلما وقع بصر الجنيد علي قال لو صبرت لنبع الماء من تحت رجليك

لو صبرت صبر ساعة ومنه ما جاء من كرامة الشيخ ابي بكر الشبلي رحمه الله واسمه
دلف بن جحدر وقيل ابن جعفر وقيل اسمه جعفر بن يونس قال صاحب كتاب
مناقب الابرار وهكذا مكتوب على قبره ٥ فمن كراماته انه قال اعتقدت
وقتا الا آكل الا من الحلال فكنت ادور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت
يدي اليها لآكل منها فنادتني الشجرة احفظ عليك عهدك ولا تأكل مني فاني
ليهودي ٥ ومنها ما حكاه ابو عبد الله الرازي قال رأيت على رأس الشبلي
قلنسوة ظريفة تليق بثوب صوف كان علي فتمنيت ان يكونا لي جميعا فلما قام الشبلي
من مجلسه التفت الي فتبعته وكان عادته اذا اراد ان اتبعه التفت الي فلما دخل
داره دخلت معه فقال لي انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا
بنار فاحرقهما ٥ ومنها انه قال كنت يوما اسير في البادية فاذا انا برجل
جالس في الهواء فقلت له بحق الذي اعلاك على ما ارى ثم وصلت الى هذا الموضع
فقال حلفتني انا رجل انتهيت عن الهوى فاجلسني كما ترى في الهواء ٥ ومنه ما جاء
من كرامة ابي اسحق ابرهيم بن الخواص ٥ وذلك انه قال دخلت البادية مرة فرأيت
نصرانيا على وسطه زنار فسألني الصحبة فمشينا سبعة ايام فقال لي يا راهب الحنيفية
هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت الاهي لا تفضحني في هذا الكافر
قال فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فاكلنا وشربنا ومشينا
سبعة ايام ثم بادرته وقلت يا راهب النصارى هات ما عندك انتهت النوبة
اليك

اليك فاتكأ على عصاه ودعا فاذا بطبقين عليهما اضعاف ما كان على طبقي قال فتحيرت
وتغيرت وابيت ان آكل والح علي فلم اجبه فقال كل فاني مبشرك ببشارتين احداهما
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وحل الزنار والاخرى اني قلت
اللهم ان كان لهذا العبد خطر عندك فافتح علي بهذا ففتح قال فاكلنا ومشينا وحج
فاقمنا بمكة سنة ثم انه مات فدفن بالبطحاء قال ابرهيم دخلت خربة في بعض اسفاري
في طريق مكة بالليل فاذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فان حولك
سبعين الف ملك يحفظونك والاخبار في هذا النوع كثيرة ورأيت الاقتصار على
ما ذكرته ففيه غنية ان شاء الله عز وجل واما ما جاء من كرامات
اهل هذه البلاد الجريدية ممن تقدم عصرنا فمن ذلك ما جاء من كرامة الشيخ
ابي الفضل بن محمد البسكري رحمه الله وذلك ان ثلثة اشخاص من اهل نفطة
ذهبوا الى زيارته احدهم الشيخ ابو علي ٥ والثاني الشيخ ابو الحسن بن دونه ٥ والثالث
رجل آخر فلما دخلوا عليه وسلموا وجلسوا بين يديه قال للشيخ ابي علي انت يا ابا
علي ولي ظاهر فقال له يا سيدي لعل ان اكون وليا خفيا فقال لا بل ولي ظاهر
وقال للشيخ ابي الحسن انت يا ابا الحسن ولي خفي وقال للآخر هذا لا يجيء منه
شيء ولا يصلح ابدا انه اخفى شيئا عنه تخبرني به اخرج ما تحتك ايها الرجل فكانوا
كما قال ولم يفلح ذلك الرجل ولا احد من ذريته الى الان فيما بلغني ومما
حكي من ذلك ان الشيخ ابا الفضل حين حضرته الوفاة اوصى الا يصلى عليه الا

رجل يقدم عليهم من مكان غيبته لهم فأخرجوا جنازته إلى ظاهر البلد وجلسوا ينتظرون
الرجل الذي ذكر فبيناهم كذلك أقبل الشيخ أبو علي قدس الله روحه من الجهة
التي وصف فصلى عليه والناس يتحدثون بأن الأرض طويت حتى مشى من نفطة إلى
بسكرة وصلى عليه ۵ ومنها ما جاء من كرامة الشيخ أبي علي النفطي قدس الله روحه
وهو حسن بن محمد السبتي ۵ فمن ذلك ۵ ما أخبرني به شيخنا الفقيه الصالح أبو
عبد الله الطولقي رحمه الله قال كنت يوما في زمن الشباب مضطجعا حتى انصدع
عرق في صدري وجرى بالدم وبقي يجري مدة وأعياني علاجه ۵ وكان ينقطع أحيانا وكنت
مهما أكلت التمر أو الخل ۵ أو باشرت الريح جرى فيفني جسمي لذلك وكنت أتمنى
أن أجد طبيبا أشارطه على البرء بخمسماية دينار ۵ فرأيت في ليلة من الليالي وذلك
بعد موت الشيخ أبي علي بمدة كأني جئت إلى مسجده وفيه قوم فسألوني أن
أصلي بهم ففعلت فلما قضيت الصلاة أتوني بطبق فيه تمر قال فأردت الأكل
منه ثم تذكرت علتي فامتنعت من الأكل منه ثم خرجت من المسجد فوجدت
موضعا فيه قوم جلوس والشيخ أبو علي جالسا قريبا من طرفهم فأتيته فقلت
يا سيدي بي علة قد عجز فيها الطب وأنا أتوسل إلى الله عز وجل بك فيها وكان
مستندا إلى الحائط فقال هكذا عن الحائط وقال إلى برأسه وقال لي ادن فدنوت
منه فقال لي افتح فمك ففتحت فمي فتفل فيه فامتصصت ذلك الريق وأنا أجد
برده في صدري وأظنه أنه قال فعل ذلك ثلث مرات قال فانتبهت فلم أجد

لذلك

لذلك الألم أثرا ولا عاودني بعده وسافرت الأسفار الطويلة وباشرت
الغبرات وأنا أكل الآن الخل الثقيف وأكل التمر في كل ليلة بعد العشاء وما رأيت
شيئا من ذلك قال وأرجو أن يكون لذلك الريق أثر في الباطن كما كان له أثر في
الظاهر ۵ ومنه ما أخبرني به رجل من أهل الجبر وكان جنانا قال قلت للشيخ
أبي علي قدس الله روحه إني أحب أن أخدمك فلعل أن تعطيني جنة من جناتك
فقال نعم فأعطاني جنة لبعض حفدته فلما كان أوان الغلة جاء الشيخ فطاف على
أقطار الجنة ثم دعاني فقال كل مما شئت من هذه النخيل إلا من كذا وكذا
الصنفين عينهما قال فقلت له نعم فلما كان في الأيام اشتهت نفسي الأكل من نخلة مما
نهاني عنه فعلوت فيها لأكل منها فلما حاولت الدخول إلى قلبها سقطت إلى
الأرض ملتصقا بها فانسلخ صدري منها قال وكنت أحس كأن خلف ظهري حين
سقطت كف انسان يمنعني عنها أن أبعد عنها فلما صرت إلى الأرض أدركني الندم
وقلت هذه عقوبة مخالفة الشيخ وخفت أن يكون كوشف بأمري فقلت أمشي
إليه حتى أخبره كوشف بأمري أو لا قال فلما ضربت الباب قيل من قلت فلان قال
ادخل فلما وقع بصره علي قال لي أحمر وجهك من أكل البسر فقلت يا سيدي أنا
تائب إلى الله عز وجل قال فقال لي ادن فدنوت منه فأدخل يده إلى المكان الذي
انسلخ في صدري ومسح بها عليه وقال إياك أن تعود ۵ ومنه أن رجلا من
الجنانين كان الشيخ أبو علي بات عنده ليلة فسأله عن حاله فذكر له ضيقا وما

بحايله في دنياه قال فقام في الليل الى ارض كانت مزروعة في الجنة فجعل يمشي فيها
من اولها الى آخرها ويقول ما شاء الله ان يقول قال الرجل فبعث من تلك الارض
بما كان سبب غنائي. ومنه ان الشيخ ابا عبد الله بن عثمان بن مهدي ركب البحر
وكان معه شيء من تراب قبر الشيخ ابي علي فهال عليهم البحر فالقى ذلك التراب في
البحر فسكن البحر بقدرة الله عز وجل ۝ وذكر ان بعض الطلبة سمع بهذه الحكاية فسافر
في البحر فاتفق له مثل ذلك سواء ۝ ومنها ما جاء من كرامة الشيخ ابي الحسن بن
ابن دونه النفطي رحمه الله وذلك ان بعض الناس عزم على الايقاع بجماعة من اهل
نفطة وخرج من مدينة توزر لاجل ذلك فعرف بذلك الشيخ ابو علي فاخبر بذلك
الشيخ ابا الحسن فقال له الشيخ ابو الحسن ما يأتي ولا يصل فاتى بعد ذلك ان
فاخبر انه واصل فاعاد الشيخ ابو علي على الشيخ ابي الحسن واخبره بما قال الرجل
فقال له ما يأتي ولا يصل فبعد ذلك أتى من اخبر انه حين انتهى الى نصف الطريق
سقط عن دابته فانكسر فخذه فكر راجعا من هناك ۝ ومنها ما جاء من كرامة
الشيخ الفقيه ابي يحيى ابي بكر بن غرداي التوزري رحمه الله وذلك انه كان
رجلا اعمى وكان يخبر بامور تدل على مكاشفات عظيمة ويقول للشخص فيما بلغني
على راسك وصفته كذا ومما ظهر من كراماته انه كان في رفقة في بعض الاسفار
فضلت الرفقة عن الطريق وتحيروا في ذلك ولم يهتدوا الى طريق فنزل عن دابته
ووقف ساعة ثم استقبل جهة من الجهات وامها وقال اتبعوني فاتبعوه فاهتدوا

الى

الى الطريق ۝ ومنها ما جاء من كرامة الشيخ ابي علي الحسين بن علي بن العنابس التوزري
رحمه الله وذلك انه كان من عباد الله الصالحين ممن تفتح له ابواب المدينة فيخرج
ليلا للسياحة اخبرني بذلك والدي رحمه الله فهذا ما رأيت ايراده في هذا الموضع
واختم هذا القسم بحكاية جاءت عن ابي تراب النخشبي لما يتعلق بها من الفوائد
فجاء عن ابي علي الروذباري قال سمعت ابا العباس البرقي يقول كنا مع ابي تراب
النخشبي في طريق مكة فعدل عن الطريق الى ناحية فقال له بعض اصحابه انا عطشان
فضرب برجله فاذا عين من ماء زلال فقال الفتى احب ان اشربه في قدح فضرب
بيده الى الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض كاحسن ما رأيت فشرب وسقانا
وما زال القدح معنا الى مكة فقال لي ابو تراب يوما ما تقول اصحابك في هذه
الامور التي يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت احدا الا وهو يؤمن بها فقال من
لا يؤمن فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا فيه فقال
بل قد زعم اصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون
اليها فاما من لم يقترح ذلك ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين فهذا ما جاء عن تراب
قال الشبلي من فني عن نفسه وقام الحق بتوليه لا ينكر له قلب الاعيان
وايجاد المفقود وانشد

له راحة لو مست الصخر انبعثت ۝ جوانبه ماء واورق يابسه ۝
اذا وجهه او نابه او فعاله ۝ تجلين في ليل تجلت حنادسه ۝

وأما النوع الرابع في كرامات أهل العصر فمن ذلك ما جاء من كرامة الشيخ الفقيه
الإمام أبي عبد الله بن ميمون القسطلاني إمام الحرم الشريف بمكة زادها الله شرفا وعزا
وذلك أنه كان بمكة عام مجاعة شديدة قحطة فورد شخص من مدينة مصر بطعام ليفرقه
بمكة وكتب اسم الفقيه الإمام فيه بعشرة أرادب وأعلم بذلك فلما كان عند التفرقة لم
يبعث له بشيء فوجد في نفسه من ذلك فلما كان في تلك الليلة رأى كأنه أتى إلى دار حسنة
فوجد فيها شيخا وبين يديه ثوبان أحدهما نقي والآخر وسخ فقال له خذ واحدا منهما
فأخذ النقي فقال له وإذا كنت تعرف هذا فلأي شيء تلتفت إلى الأوساخ فانتبه من منامه
وحمد الله عز وجل على أن أيقظه ونبهه ثم رأى ثانية أنه أتى إلى دار حسنة فوجد فيها
شيخا فعلمه هذا الدعا المبارك وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وهب لنا من
رزقك الحلال الطيب الواسع ما تصون به وجوهنا عن التعرض لأحد من خلقك
واجعل لنا إليه طريقا سهلا من غير تعب ولا نصب ولا منة ولا تبعة وجنبنا اللهم
اللهم الحرام حيث كان وأين كان وعند من كان واقبض عنا أيديهم واصرف عنا
قلوبهم حتى لا نتقلب إلا فيما يرضيك ولا نستعين بنعمتك إلا على ما تحب يا رب
العالمين فاستيقظ وقد حفظ الدعاء فقيده في الحال خشية النسيان وكتب إلى بعض أصحابه
الفقها بمدينة مصر يعلمه بهذا الدعا فوصل كتابه إليه بعد ذلك يخبره أنه كان عليه دين
ثلثماية دينار فلازم المواظبة على ذلك الدعا فأتاه رجل فقال كم دينك قال
ثلثماية دينار فقال هذه ثلثماية دينار تقضي بها دينك وهذه خمسون تصلح
بها

بها حالك ومن ذلك ما جاء من كرامة الشيخ أبي عبد الله بن وادان حفيد الشيخ
أبي علي رحمه الله وذلك أن بعض الناس تعرضوا لأذاه فأتاه رجل يعرف بالتمابيل
فقال له لا تعرض للصالحين ولا لذرية الصالحين فازدرى به واستخف فلما خرج من
عنده تكونت في ظهره حبة كالعدسة فحكها فزادت فكان منها أكلة هلك بها في أيام
يسيرة ومن ذلك ما جاء من كرامة الشيخ أبي حريز محفوظ بن حريز بن محفوظ
صاحب الزاوية بمسجد بوفه رحمه الله ويعرف هذا المسجد قديما بمسجد ابن عباس
وذلك أن الحاج مخلوفا وكان من الصالحين كان يخدم الشيخ أبا حريز وكانت برأس
العين شجرة من تين عظيمة الجرم يجتنى منها فواكه كثيرة فذبلت في وقت أغصانها
وقاربت الجفاف فقال الحاج مخلوف لأصحابها أتجعلون للشيخ أبي حريز منها
نصيبا فلعل الله أن يعيدها إلى حالها وما عهد منها فقالوا نعم فعادت إلى حالها
فكان الحاج يجتني منها نصيب الشيخ ويحمله إليه حيثما كان فاتفق أن كان
الشيخ في وقت بمدينة الحمة فأخذ نصيب الشيخ وذهب به إلى الحمة وكان يقرأ
في الطريق سورة يس فلقيه أعراب في الطريق فقالوا ما هذا الذي معك قال تين
قالوا لمن قال للصالحين قالوا مرحبا وسهلا بالصالحين فقال له أحدهم إن لقيك
أحد ممن تخاف منه فقل أنا رفيق خنفوش فلقيه بعد ذلك جماعة فقال أنا
رفيق خنفوش فسبوا المذكور وعزموا على أخذه فتذكر أنه إنما أتى من كونه اعتمد على مخلوق
فقال يا الله يا ياسين يعني بذلك السورة التي كان يقرؤها فوافق ذلك اسم

رجل منهم فقال له ومن أعلمك أني يا سيدي فقال خلوا عنه فإنه رفيقي فخلوا عنه
ومضى فلما وقع بصر الشيخ أبي حسن عليه قال له لما خففت خففت عليك ۵ ومن
ذلك ۵ ما حكاه شيخنا الفقيه أبو عبد الله رحمه الله أن امرأة حاملا كانت عنده
اشتهت تمر الجرة الذي يجلب من بسكرة قال فبعث إلينا الشيخ أبو حسن نحضر عنده
لعقد نكاح فأحضر طعاما وأحضر طبقا فيه تمر الجرة ولما أردنا الانفصال أعطاني
منه قبضة ويغلب على ظني أن الفقيه رحمه الله قال وقال أعط هذه لمن اشتهاها
ومنها أنه كان جالسا بسطح المسجد فأقبل عصفور فدعاه الشيخ فأقبل إليه وهو
يمكو حتى انتهى إليه وجعل ينقر بمنقاره في رجله فسجد الشيخ شكرا لله عز وجل ۵
ومن ذلك ۵ ما جاء من كرامة الشيخ أبي عبد الله بن علي الكحلي رحمه الله وكان صاحب
كرامات ومكاشفات فمنها ما أخبرني به شيخنا الفقيه الصالح أبو عبد الله
رحمه الله قال كان رجل يزدري الشيخ أبا عبد الله فقال له يوما أنت تقول
إنك مكاشف وصالح فإن كان حقا ما فأخبرنا بما تلد زوج الفقيه وكانت حاملا
فأدخل رأسه في طوقه وأخرجه ثم قال نعم تلد طفلة ويكون فيها نكد ثم تلد بعدها صبيا
قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله رحمه الله فكان كذلك ولدت طفلة وكان فيها نكد
ثم ولدت بعدها أبا بكر يعني ولده الفقيه أبا يحيى رحمه الله ۵ وأخبرني بعض
أصحابنا العدول أنه كان ممن يزدريه ويحتقره قال فرأيت في المنام رجلين
أتياني بملزم من ملازم التسفير ففتحاه وذكرا أنهما جعلا رأسه بين ضلعيه وشدا
عليه

227

عليه شدا عظيما وهما يقولان أنت تزدري بالكحلي ۵ وأخبرني بعض قرابته أنه كان في حال
الصغر يعبث بعصفور فرآه الشيخ أبو عبد الله فنهاه فلم ينته فطار العصفور من يده وطار
وصار في أعلى الدار قال فبكيت فلما رأى بكائي قال لي تتوب قلت نعم فرفع رأسه إلى العصفور
فنزل حتى استقر بيدي ۵ وأخبرني من أثق به أنه كان يقول أنه علم الاسم الأعظم في المنام
~~وأخبرني~~ وقال بعض أكابر أصحابه علمني إياه فقال لم يؤذن لي في ذلك ۵ وأخبرني من
أثق به أنه يسمر معه ليلة بمسجد العلائي قال وتحدثنا في الصالحين الذين تفتح لهم
الأبواب فشغلني بالحديث حتى مضى جزء من الليل ثم قام وذهبت معه لأشيعه فانتهى
إلى الزقاق الذي كان يسكن فيه فوجد باب الزقاق مغلقا فقال لي ادفعه فدفعته
فوجدته مغلقا فقال لي تنح عنه ثم دنا منه قال المخبر بهذه الحكاية أما الباب فما
فما انفتح له ولكن انفتح فيه باب دخل منه وعاد إلى هيئته كما كان ثم قال لي من داخل
الباب امش بالعافية ۵ ومما يحكى من كراماته أيضا أنه ذهب يوما إلى رأس
العين ومعه أحد أكابر أصحابه وكان معهما طعام فأرادا أكله فسألا عن صاحب لهما
فقيل إنه مسجون في طلب بمال فقال الشيخ أبو عبد الله أو قالا معا ما نأكل حتى يأتي
يأتي وقاما فتوضيا وأقبلا على صلاتهما (الصلاة) فبينا هما كذلك في صلاتهما جاء الرجل
فقالا له كيف اتفق لك فقال لا أدري إلا أني [illegible] وأحضرت بين يدي
المطالب بالمال فقال لي تؤدي هذا المال قلت نعم تؤدي قال لي اذهب في أمان
الله عز وجل ۵ وأخبرني بعض قرابته أنه كان ممن يستزري به ويستخف أمره

فرأى في المنام رجلا باعه من نصراني وقال انت تستخف بولي الله قال فانتبهت
ولم اعتبر بذلك فذكر انه رأى بعد ذلك انه بيع من النصراني الى يهودي وقيل له مثل
ذلك ه واخبرني ايضا ان الشيخ ابا عبد الله رحمه الله كان يصلي يوما فلما يسلم
قال مات اخي وكان اخوه بمدينة نفطة فقيل له ومن اين عرفت قال رأيت اخي
في الهواء يذب فاتى الخبر بعد ذلك بموته ه ولما ان الجراد جاء في عام فقال ما ينزل
في جنتي ولا يدخلها فكان كذلك لم ينزل في جنته منها شيء ه ومن ذلك ما جاء من
كرامة الشيخ ابي هلال عبد الله البغدادي رحمه الله فمنها انه يسقط من موضع
عال في الجبل ونزل الى الارض يمشي على قدميه ولوحه في يده وكان ذلك في حال
الصغر ومبتدا امره والله اعلم ه ومنها انه اتى الى مدينة توزر ومعه جماعة فنزل
البلاء على احد الجانبين ولم يكن عنده ما يكفيهم لطعامهم فاخبر الشيخ بذلك فقال اذا
تهيا فأتني به فلما تهيا قال الرجل فاتيته به فاخذه ودعا فيه ما شاء الله عز وجل ثم دعاهم
فاكلوا كلهم من ذلك الطعام حتى شبعوا وذكر ان الطعام كان قدر صاع والرجال
كانوا خمسة عشر ه ومنها ان قوما تعرضوا لاذاه وعاملوه معاملة لا تليق
بمثله فدعا عليهم فماتوا عن اخرهم ولم يبق منهم مخبر لا من الرجال ولا من النساء
ولا من الصغار ولا من الكبار الا شخصا واحدا ه ومنها انه كان فيما يقال ه
واشتهر في وقته يعطي الفاكهة في غير اوانها ويحكى عنه امور من قلب الاعيان كثيرة
واعرف شخصا كان في ذلك الوقت يجهل ما يقال عنه ويزدريه ويكثر القول في

ذلك

ذلك وبعده فما كان الا قليل حتى حل بذلك الرجل خطب من خطوب الدهر شرده عن اوطانه
وكابد فيه من ضروب الشقا والمصائب ما فيه عبرة لمن اعتبر ه وواعظ زاجر لمن ازدجر
ومن ذلك ه ما اخبرني به بعض الاصحاب قال مر الشيخ ابو هلال بجماعة يريدون
ان يرفعوا نخلة كبيرة للغراسة فدخل اليهم وجعل يده على النخلة ويقول بسلامة سلامة
مرارا قال فرفعوها بعد ذلك فسقطت ولم تصب احدا منهم وسلموا كلهم منها ومن
ذلك ه ما ظهر من كرامة الشيخ الفقيه ابي الحسن علي بن عمران رحمه الله وذلك
ان بعض الناس هم بالايقاع به وعزم على ذلك في يوم معلوم نبه عليه اصحابه
ومن واطاه على مراده فلما كان في غداة ذلك جاء من امر الله عز وجل ما حل بذلك الرجل
منه ما اراد ان يوقعه بالفقيه وزاد الله عز وجل قدر الفقيه رفعة وعلوا ه ومنها
ان شخصا شكا اليه برجل واخبره انه اضر به فقال له الفقيه رحمه الله انه فعل
كذا وكذا وذكر امورا مما فعلها ذلك الرجل بالناس ه ثم قال له ان طالت بك حياة
فستراه يفعل به جميع ما فعل فطال عمر ذلك الرجل حتى راى جميع ما اخبره به الفقيه
رحمه الله قد حل بذلك الرجل وكان ذلك بعد وفاة الفقيه رحمه الله ه ومنها
انه ورد عليه امر يزعجه عن مكانه ويخرجه من اوطانه فاعلم بذلك فاخبر ان ذلك
لا يكون فكان كما قال رحمه الله ه وكان هذا الفقيه رحمه الله له من الشيخ
ابي علي النفطي قدس الله روحه مكان رفيع وهو الذي اشار بتوليته الفتيا ودعا
له وظهرت بركة تلك الدعوة عليه ظهورا عرفه الخاص والعام ولما سعي في عزله

عن الفضل وعزل كتب إليه الشيخ أبو علي قدس الله روحه
نعم الذبح المفدا ببلوغ أغراض العلا ۝ مرحبا بمن قدمه فضله وأخره عدله
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم ۝ وشاهدت عجبا يوم وفاته رحمه الله حين أحضرت
جنازته واجتمعت الخلائق عليه فرأيت كل من حضر جنازته بكى عليه من صديق وعدو
فما رأيت باكيا قط أكثر من ذلك اليوم ۝ ومن ذلك ما ظهر من كرامة الشيخ
الفقيه أبي محمد عبد العزيز العجلاني القابسي رحمه الله وكان هذا الفقيه رحمه الله
من أئمة الدين وعباد الله الصالحين ۝ وممن استفاد على الفقيه الإمام أبي الحسن
الأبياري رحمه الله وهو شيخ الشيوخ بهذه الجهات عليه استفاد شيخانا
الفقيهان الأجلان أبو عبد الله رحمهما الله وغيرهما فمن كراماته أنه دعا أنه
يريه الله عز وجل وليا من أوليائه فأما رأى في المنام أن قيل له غدا يأتيك أو وقع
ذلك في نفسه فصلى الصبح في المسجد مستقبل القبلة ورأسه في طوقه فدخل الطلبة
برسم القراءة فلما عاينوه على تلك الهيئة هابوا الإقدام عليه فسلموا وجلسوا
حتى دخل الشيخ أبو عبد الله الكحلي رحمه الله فجلس إلى الفقيه وقال له بعثت إليك
وقيل إنما قال له ما الذي أردتني له ثم قال له إن زوجك حامل وستلد ولدا
فسمه عبد الرحمن ۝ قال الطلبة في ما أخبرت عنهم ما كنا علمنا بحمل زوج الفقيه
حتى سمعناه من الشيخ أبي عبد الله رحمه الله ثم كان الأمر كما ذكر ولدت ولدا وسماه
الفقيه

229

الفقيه عبد الرحمن وكان الفقيه بعد ذلك يعظم الشيخ أبا عبد الله تعظيما عظيما وكان
هذا الشيخ الفقيه رحمه الله مجتهدا في العبادة أخبرني بعض جيراننا (جيرانه) ممن أثق به أنه كان ينام
في سطح داره في ليالي الصيف فكلما استيقظ من نومه وجد الفقيه رحمه الله قائما يصلي
ومن ذلك ۝ ما ظهر من كرامة شيخنا الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الطوفي
رحمه الله ۝ فمنها أن رجلا آلم قلبه وأسمعه كلاما شق عليه وبلغني ذلك فتألمت
له فبعث الله عز وجل رجلا في ذلك اليوم ففعل بذلك الرجل أضعاف ما فعل حتى
شفى النفوس منه من غير تسبب من الفقيه رحمه الله في شيء من ذلك ۝ ومنها أن رجلا
تعرض لأذاه فآلمه ذلك حتى أصابه منه مرض نفساني ردفه مرض جسماني لزم منه
داره فلم يلبث ذلك الرجل إلا يسيرا حتى توفاه الله عز وجل ۝ وأراح الفقيه رحمه
الله منه ۝ ومنها أن رجلا أبى عليه فذكر عن شخص محاولة يريد بها مضرة جماعة من
الناس فقال الفقيه رحمه الله أسأل الله أن يشغله بالبلاء عن العافية فكان كذلك ولم
يتم له مراد فيما أراده ۝ ومنها أن رجلا من خدمة السلطان آذاه بلسانه فبلغني
ذلك فتألمت له ألما شديدا وخفت أن ينال الفقيه بسبب ما ظهر من ذلك الرجل
أذى فلما كان في تلك الليلة رأيت في المنام كأن ذلك الرجل طلع من موضع تحت
الأرض فيه نهر وعليه أطمار رثة ورجله مكسورة فجلس تجاه شخص ليسلم عليه فسلم
عليه ودعا له فقال في دعائه الله يجمع لك بين خير الدنيا والآخرة فقال له بانتهار

لا شيء الا خبز الدنيا فقط فاستيقظت من المنام بعد شيء اخر رأيته ولما اصبح اتيت
الفقيه قدس الله روحه اخبرته بما بلغني وسألته له وبهذا المنام فبشر بذلك فلما كان بعد
بعد مدة قريبة حل بذلك الرجل والعياذ بالله من النكال والهوان والميتة السيئة ما
يستعاذ بالله عز وجل منه ○ ومنها اني رايت في المنام بعض الليالي كاني امشي في طريق
داره حتى قيل جا عبد الله بن عمر ونزل في دار الفقيه الطولقي فظننت اني في اليقظة فعجبت
من مجيئه وكونه عاش ستمائة بسنة فذهبت للسلام عليه فابيننا دنت عليه فعند
ما دخل الاذن انتبهت من منامي ○ ومنها ما اخبر به رحمه الله قال كنت ليلة في
الصيف نائما في السطح فانتبهت من النوم فقالت لي نفسي الساعة تجوز العقرب
من هنا فتوكات على الوسادة وانا انظر فاذا العقرب مقبلة فقتلتها ○ ومنها انه
قال كنت ليلة اصلي في الحجرة وهو مكان مرتفع فقارب السراج ان يطفا فطلعت الامة
من اسفل الدار كانما القي ذلك في بالها فاصلحته ورجعت ○ ومن ذلك ما اتفق لي معه
رحمه الله مرارا عديدة وهو ان اكون في منزلي مستغرقا في مطالعة او كتب حتى يقع في
بالي ان امضي اليه فاترك ما اكون فيه وامضي فاجده جالسا فاذا راني قال الان والله
اردت ان ابعث اليك فكنت اعلم انه تحركني بهمته ○ ومن ذلك ما ظهر من
كرامة شيخنا الفقيه ابي عبد الله بن ابي القسم بن شمدون رحمه الله ○ فمنها ان بعض
الناس كان في قلبه منه شيء فحماه الله عز وجل منه واحوج ذلك الشخص اليه

ومنها

ومنها انه كان يتفرس في بعض طلبته ويقول هذا يكون منه كذا وكذا فخرج جميع ما قال في
ذلك الشخص على نحو ما قال فانقوله في ذلك قريبا مما اتفق للامام مالك رحمه الله في
عبد الله بن غانم وعبد الله بن فروج والبهلول بن راشد وقد تقدم ذكر ذلك ويقال عوض
عبد الله بن فروج في تلك القصة علي بن زياد التونسي ○ ومنها ان رجلا من اهل تقيوس
راى في الليلة التي توفي فيها الفقيه رحمه الله في المنام قائلا يقول مات ابن شمدون
وغسله النبي صلى الله عليه وسلم قال فتعجبت من ذلك وقلت كيف غسله النبي صلى
الله عليه وسلم بيده قال نعم وطهره قال فلما كان من الغد قدم رجل من توزر فقلت ما
الذي زاد هناك من الخبر قال مات الفقيه ابن شمدون ○ ومن ذلك ما ظهر من
كرامة الشيخ ابي عبد الله محمد بن ابي بكر العطار ○ فمنها انه طولب مع جماعة بمطلب
فحضرت صلاة المغرب فقام الى الصلاة فلما قضى صلاته دعاه الرجل المطالب فقال
له انك لما قمت الى الصلاة قلت اللهم ان كان قيامه اخلاصا لك فالق في قلبي منه مودة
ورحمة وان كان قيامه رياء فليرني انه رجل صالح فيسلطني عليه وقد القى الله عز وجل
في قلبي منك مودة ورحمة اذهب في امان الله عز وجل وكان هذا في حال شبابه رحمه الله واول
ابتداء امره ○ ومنها ان رجلا كان ياتي الى زيارته وليس ذلك مقصده وانما ياتي
لامر اخر ويجعل ربما الشيخ في حكم التبع لذلك الامر فكان الشيخ مهما اتاه يقول له الله
عز وجل يجعل زيارتك لوجهه وكان الرجل لا ينتبه لما يقول له حتى وقع في نفسه بعد
ذلك انه يكاشف بحاله فيدعو له بالاخلاص ويشعره ان تلك الزيارة ليست

خالصة من غرض وعرض ۵ ومنها ان رجلا كان من أهل مسجد بوقة في زمن الشيخ ابي حريز وكان
مجتهدا في العبادة والاقتفاء للسنة وما له همة الا الصلاة واستقبال القبلة والحضور
دايما حتى حصل له مقام عال في الكرامات والمكاشفات ۵ وكان في أكل الحلال محافظا
على ذلك وكان يخبر بأمور تدل على مكاشفة عظيمة فقال يوما وهو بالمسجد ترى
الشيخ ابا عبد الله العطار طلع الى نخلة في جنته بطرف الجنات على السبخة فأراد ان يقطع
تمرها فأذن عليه مؤذن المغرب فنزل وتركها وهو يتوضا للصلاة في ساقية فلما جاء
الشيخ ابو عبد الله رحمه الله من الغد اخبر بذلك فقال له رأيتني يا مقصص فنفدت
كلمته في ذلك الرجل وقصت أجنحة إرادته بعد ذلك وتغيرت حاله عما كان عليه
وسلب جميع ما كان فيه وقيل بل الشيخ أبو عبد الله ابتداه بالاعلام قبل أن يعرف وقال
له لأي شيء تكون كشافا وهذا الانكار من الشيخ رحمه الله جرى على منهاج القوم في
كتم هذه الكرامات واخفايها والتستر بها وعندهم أن من يلحظها ويبتهج بها يحجب
بها ويسلبها بعد ذلك ۵ ومن ذلك ما ظهر من كرامة الشيخ أبي الحسن علي بن
عبد الله الصقلي رحمه الله تلميذ الشيخ أبي حريز ووارث مكانه بعده وذلك أن رجلا من
حملة القرآن العزيز اصابته جنابة وانساه الشيطان ذكرها فدخل المسجد وهو غافل
فلما سلم على الشيخ أبي الحسن قام فاعطاه طفلا وقال له اذهب فاغتسل واغسل راسك
وجنبيك تاتي فتنبه الرجل حينئذ لجنابته فخرج واغتسل ورجع ۵ ومنها ما اخبر
به بعض قرابته انه كان يمشي يوما غافلا عن ذكره حتى وقع بباله أن يمضي اليه قال

فذهبت

فذهبت فوجدته قد هيأ ما يصنع به طعاما لأصحاب اراد ان يخرج بهم الى جنة كان فيها ذلك
الرجل فقال اني دعوت الله عز وجل أن ياتيني بك في هذه الساعة لأجل ما ترى ۵ ومنها
انه لما قربت وفاته جمع أهل المسجد وصنع لهم طعاما وتحلل منهم فتوفي بعد ذلك بأيام
يسيرة

وأما القسم الثاني في صوادق المنامات

۵ فاعلم انه على
ستة أصناف ۵ الأول ما سبق عصره صلى الله عليه وسلم ۵ الثاني ما كان
حين الحمل به صلى الله عليه وسلم ۵ الثالث ما كان حين ولادته صلى الله عليه وسلم ۵
الرابع ما كان بعد ولادته صلى الله عليه وسلم ۵ الخامس ما كان بعد بعثته صلى الله
عليه وسلم ۵ السادس ما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ۵ واعلم انه لا بد
من تقديم مقدمة قبل الخوض في هذه الأصناف فأقول اعلم انه جا في الحديث
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رآني في المنام فقد رآني حقا ان الشيطان لا
يتمثل بي وقد اتفق عليه البخاري ومسلم ۵ وقوله صلى الله عليه وسلم حق وصدق لا
ريب فيه فانه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى وقد أورد بعض الناس على
هذا الحديث سؤالا مشكلا وهو أن يقال يحتمل أن يراه صلى الله عليه وسلم جماعة
في ليلة واحدة في وقت واحد على صفات مختلفة وهيئات متفاوتة فما وجه الحديث
مع ذلك والجواب ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نور والنور لا تختلف
صفته انما قلنا أنه نور لوجوه احدها ان ذلك جا في تفسير قوله عز وجل قد جاكم من
الله نور وكتاب مبين ۵ فالنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ذلك الزجاج وغيره ۵ الثاني

قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا فجعله الجليل جل جلاله سراجا منيرا كما جعل الشمس سراجا ۝ ولما لم يصف الشمس
بالانارة ووصف بها سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم علمنا ان نوره
صلى الله عليه وسلم اضوا من نور الشمس واعظم وقد افاد هذا الوصف فوائد
احدها ان انارة الشمس في هذا العالم وحده وانارة النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا العالم وفي غيره ۝ الثانية ان انارة الشمس في الدنيا وانارة النبي صلى الله عليه
وسلم في الدنيا والاخرة ۝ الثالثة ان هذا النور الشريف لا يلحقه تغير ولا نقصان
ولا كسوف بخلاف نور الشمس ۝ الرابعة ان هذا النور محروس يوم القيامة من التغيير
والتكوير بخلاف نور الشمس والكواكب ۝ فان الشمس تكور والكواكب تنكدر الخامسة
ان انارة النبي صلى الله عليه وسلم في الابصار والبصائر وانارة الشمس متعلقة
بالابصار فقط ۝ السادسة ان اثر نور النبي صلى الله عليه وسلم يبدو على ظواهر
الاجسام وبواطن القلوب ۝ واثر نور الشمس انما يبدو على الاجسام فقط بان ان
وصفه صلى الله عليه وسلم اقوى من نور الشمس واعظم فان قلت يحتمل ان
يكون ترك الوصف بالانارة في الشمس لان الانارة فيها بينة يحسها كل احد بخلاف
الانارة في سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم ولذلك كفر به من كفر
بخلاف نور الشمس فانه لا ينكره احد فكان الوصف هنا لابانة ذلك للاذهان
القاصرة عن ادراكه قلت الاذهان القاصرة عن ادراك نور النبي صلى الله
عليه

عليه وسلم هي كالابصار العمي التي لا تدرك نور الشمس ولا تعتد بما من اشراقها واضائها
خبر والا فقد كان كثير من الناس اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم دله نوره وجمال
وجهه واشراقه وكمال خلقه على صدقه فآمن به وصدقه من غير نظر ولا فكر ولا
زيادة على نظره (رؤيته) صلى الله عليه وسلم ۝ وقد جاء ان عبد الله بن سلام لما سمع بقدومه المدينة
اتاه قال فلما رأيته علمت انه ليس بوجه كذاب هذا مع ما كان عنده من
تحقيق صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة لكن اراد ان ظاهر وصفه كاف في الدلالة
على صدقه لمن لم يكن عنده علم من وصفه صلى الله عليه وسلم ۝ الدليل الثالث على انه
صلى الله عليه وسلم نور ما جاء من انه كان صلى الله عليه وسلم اذا وقف في ضوء
الشمس او القمر لا يرى له ظل ۝ وفي ذلك فوائد احدها ان ذلك معجزة له صلى الله
عليه وسلم خارقة للعادة ۝ الثانية الدلالة على انه كان صلى الله عليه وسلم نورا
الثالثة التنبيه على تنزه جسمه عن الكثافة الارضية ۝ الرابعة التنبيه على ان الاسرا
كان بجسمه صلى الله عليه وسلم كما قال بعضهم اسري بجسمه لغلبة الروحانية عليه
كما قيل

ثقلت زجاجة اتتنا فرغا ۝ حتى اذا امتلأت بصرف الراح ۝
خفت فكادت ان تطير بما حوت ۝ ان الجسوم تخف بالارواح ۝

الخامسة التنبيه على علو قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه جل جلاله بان صان
الله عز وجل ظله صلى الله عليه وسلم عن ان تطاه الاقدام ۝ السادسة التنبيه
على عصمته صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى والله يعصمك من الناس

فانه إذا عصم ظله صلى الله عليه وسلم فجسمه من باب الأولى ○ السابعة التنبيه
على ان جوهر ذاته صلى الله عليه وسلم الطف الجواهر ○ واشرفها في الباطن والظاهر ○
فانا متى اخذنا شيئا من الجواهر النفيسة التي جمعت الصفا والرقة والتشفيف عما
وراءها كالياقوت والبلور والبها وقابلنا بها ضوء الشمس ان لها ظل فدل على أن
جوهر ذاته صلى الله عليه وسلم أضوء الجواهر واشرفها وأصفاها رقة والطفها
الدليل الرابع على انه صلى الله عليه وسلم نور ان الذباب كان لا ينزل على جسمه ○ ولا
على ثيابه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ولذلك كبد صلى الله عليه وسلم راسه
في إحرامه بالغسل واعلم ان في ذلك ايضا فايدة أخرى وهي التنبيه على ان هذا
الجسم الكريم أطهر الأجسام وأنقاها وازكاها باطنا وظاهرا وأنقاها وان طهارته
الطهارة الكاملة حسا ومعنى التي لا يشوبها شوب عارض التنبه ولا توهمه
وذلك ان الذباب انما ينزل في المواضع التي يمكن أن يكون فيها قذر ولما كان محل الجسم
الشريف جسما نورانيا زاهرا ○ ومطهرا باطنا وظاهرا ○ ومنزوعا منه حظ الشيطان
واثر عدم الالتفات الى الدنيا بالجملة لم ينزل الذباب عليه لأنه محل المطلوب به
ولا بمسكن وجوده فيه ○ الدليل الخامس انه لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم
قط أنه اصطلى نارا ولا قربت منه لطفيت فان النور يطفي النار ○ ولذلك إذا
وضعت جمرة في الشمس تطفا ○ ولذلك تقول النار يوم القيمة للمؤمن جز
يا مؤمن فقد اطفا نورك لهبي فان قلت انما لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم
ذلك

ولو في بيت مسرج

ذلك لأن بلاد الحجاز مفرطة الحر واهلها لا يحتاجون في الشتاء الى اصطلاء في الغالب
قلت بلاد الحجاز وان كانت حارة فالمدينة ليست بحارة كذلك بل البرد بها في
الشتاء واهلها يضطرون الى اصطلاء النار لاجل ذلك مما اخبر به من يوثق بخبره
من الحجاج وقد اقام بها صلى الله عليه وسلم عشرة أعوام ولم يرو عنه شيء من ذلك
وانما قلنا ان النور لا تتغير صفته لأنها لو تغيرت لخرج عنه النورية التي خلق عليها
ولو خرج النور عن صفته من الاشراق والاضاءة والبها لم يكن نورا ولذلك اذا ظهر
الكسوف العام على الشمس قلنا ذهب نورها ولا نور فيها البتة واذا وضح ذلك
فاقول اذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سراج ونور كان صلى الله عليه وسلم
مبرا من طرو التغيرات على ذاته السرية الشريفة الباهرة الاشراق ○ الزاهرة
النور في جميع الآفاق ○ وكان نور الشمس في هذا العالم مثل نوره صلى الله عليه
وسلم في العوالم كلها فلما ان الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة
واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طلعت الشمس
واستوت أو توسطت كبد السماء رآها كل من في المشرق والمغرب وكانت
رؤيتهم مختلفة فقوم يرونها على اشراقها إذا لم يحجبها عنهم سحاب ○ وقوم يرونها
محجوبة وآخرون يرونها مصفرة أو محمرة أو كدرة أو على غير ذلك من الصفات وذلك
كله لأسباب خارجة عنها من رياح او غبرها او تشويش في البصر او عارض
مرض او خلط غالب على ما هو معلوم عند كل احد وحقيقة الشمس في ذلك

كله واحدة وصفتها لم تتبدل والاضاء والانارة والاشراق لم يفارقها وما
ظهر انما هو راجع الى حال الناظر لا حال المنظور اليه وكذلك النبي صلى الله عليه
وسلم ربما رئي في ليلة واحدة في ساعة واحدة على صفات مختلفة فراه هذا بثياب
خضر وراه الاخر بثياب بيض وراه اخر شابا وراه اخر وراه اخر قايما
وراه الاخر ماشيا او جالسا وذلك كله في وقت واحد وهذه كلها احوال
لا تتغير بها الذات الشريفة ولا توجب فيها اختلافا وصورته صلى الله عليه
وسلم هي الصورة التي اختارها الله عز وجل له وخصه بشرفها لا تتبدل حقيقتها
ولا تختلف كما لم تختلف حقيقة الشمس عند تلك العوارض وانما هذه كلها صفات
بحسب الرائين وهي والله اعلم راجعة الى وجهين احدهما بيان ما تدل
عليه الرؤيا في حق الرائي من خير او شر فانه صلى الله عليه وسلم بشير ونذير
ولذلك كان من راى النبي صلى الله عليه وسلم مريضا وكانت الرؤيا خاصة
به دل على مرض قلب ذلك الرائي في الدين وشكه فيه وان كانت الرؤيا في
محفل وجمع دل ذلك على مرض دينه صلى الله عليه وسلم وشرعه في ذلك المكان
وكذلك القول في الموت فبان ان هذه الاوصاف راجعة الى حال الرائي بل انما
تدل عليه الرؤيا كمثل ما تقدم من رؤيته صلى الله عليه وسلم مريضا في جمع ومحفل
ومثل ما اذا رئي شاكيا فانه ربما دل على ذلك العام عام حرب واذا رئي صلى
الله عليه وسلم شيخا فربما دل على انه عام سلم فانه صلى الله عليه وسلم ابتلي في

اول

اول امره بالحروب وفي اخر امره بالمسالمة الناس (الخلايق) ودخل الناس في دين الله افواجا واذعنت
له الملوك ورضته بالهدايا فان قلت بقي ههنا اشكال واحد وهو ان يقال
الشمس اذا رؤيت انما ترى في محلها من السماء ويتساوى الناس كلهم في ذلك والنبي
صلى الله عليه وسلم جسمه بالمدينة ويراه راء بالمشرق بمكان من المشرق ويراه
اخر بالمغرب بمكان من المغرب ويراه اخر بالمدينة واخر بمكة وغير ذلك من الافاق
فما وجه ذلك فالجواب ان يقال ان كان الله عز وجل اجرى العادة في المنام
بانه لا يرى نبيه صلى الله عليه وسلم لشخصين في ساعة واحدة فقد اندفع الاشكال
وان كان اجرى العادة بذلك فيقال في الجواب القدرة صالحة وعالم الغيب لا يقاس
على عالم الشهادة وكذلك احوال المنام لا يقاس على احوال اليقظة فانه من باب
قياس الغائب على الشاهد وهو باطل باتفاق المحققين من الاصوليين وغيرهم وايضا
فقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم نور والنور يرى في امكنة في ساعة واحدة
وفي اقل من طرفة عين واعتبر ذلك بالبرق فانه يشق من المغرب الى المشرق
في اقل من لمح البصر فكذلك القول في رؤيته صلى الله عليه وسلم في المشرق والمغرب
في ساعة واحدة فاندفع الاشكال بفضل الله عز وجل وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم
تسليما واذا ثبت ذلك فاقول اعلم ان اصل عبارة الرؤيا مقتبس من الانبيا
عليهم السلام لانه من علوم الغيب التي لا مجال للعقول فيها اصولها ترجع الى ثمانية
اقسام احدها الكتاب العزيز ويلحق به ما يسبق من الكتب المنزلة الثانية

سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتخلق بها من جاء من سنن الانبياء عليهم السلام الثالث
اشتقاق الاسم الرابع ما يدل عليه طبع ذلك الشيء وجوهره الخامس العادة الجارية
الجارية في اهل ذلك الزمان السادس الصناعة السابع الزمان الثامن الامثال
والاشعار اما القسم الاول فاعلم ان كل ما مدح في الكتاب العزيز فهو محمود في الرؤيا
وكلما ذم فيه فهو مذموم في الرؤيا وكذلك كل ما كان من اوصاف المؤمنين فهو محمود فيهما
وكل ما كان من اوصاف الكافرين والمنافقين فهو مذموم فيهما وذلك على وجهين
احدهما ان يرى الرائي ذلك الشيء في المنام والثاني ان يرى نفسه يتلو الاية التي
فيها ذكره وكلاهما صحيح وصدق ومن هاهنا يوخذ وجه الدلالة على صدق الرسالة
لقوله تبارك وتعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا بد من الاشارة
الى شيء من ذلك ليكون دليلا على غيره ان شاء الله عز وجل فاقول ـــــ تامل قوله تعالى
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين لما وصفه تعالى بانه لا ريب فيه كان
التصديق به واليقين بانه من الله عز وجل محمودا في اليقظة والمنام وكان عكس
ذلك بالعكس من ذلك فمن راى كانه شك في القران او عارضه او رد حرفا منه
كان دليلا رديا في حقه ومعربا عن فساد دينه اما في الحال واما في المآل ولما
قال جل جلاله هدى للمتقين كانت رؤية القران للمؤمنين محمودة على الاطلاق
فمن راى كانه اعطي مصحفا فذلك دليل صالح في امر دينه وربما دل على انه يرث ميراثا
لقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وكذلك تلاوة القران

صالحة

صالحة اذا لم يجد ما قرا وكانت دون تبديل ولا لحن ولا تغيير وربما دلت قراءته على انه
يامر بمعروف وينهى عن منكر او يحكم بحق او يشهد به لان هذه المعاني كلها موجودة
في الكتاب العزيز فاما ان ما قرا فان كانت اية تدل على بشارة كانت بشارة له وان
كانت خلاف ذلك كان الامر بالعكس ولما خص جل جلاله بهذا الهدى المتقين
دل على ان الكافرين والمنافقين خلاف ذلك فانقسمت رؤيتهم بالقران وتلاوته
الى قسمين احدهما الوعيد والانذار لانه نذير للكافرين والثاني الايذان باسلام
الكافر ان سبقت له السعادة وهذا يرجع الى القسم الاول لانه صار من المؤمنين
بالمآل فكان القران هدى له وقد تقدم ان المراد بالمؤمنين المتقون ولما كان
لفظ المؤمنين قد يخص الصالحين الخائفين في اصطلاح دل على ان تلاوة القران ايضا
واعطاؤه في حق اهل الفساد والفسق ينقسم الى قسمين احدهما بشرى من الله عز
وجل بالتوبة والانابة الى الطاعة والثاني الانذار والتخويف من عقاب الله عز
وجل راى بعض الناس وكان يروم سفر النيل مرتبة كانه راكب فيلا فسر
بذلك وقال الفيل من مراكب الملوك ودليل على المرتبة فاخبرت الوالد رحمه
الله بذلك فقال لي بل ذلك ردي في حقه فان الله عز وجل يقول في كتابه العزيز
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى تمام السورة فكان كذلك سلب الرجل
في الطريق وانفقت عليه امور وراى غيره كان رجلا من الصالحين الاموات
جالس في موضع من دار الرائي وكانه يقوم الى صلاة العصر ويقول للرائي

ثم تاخذ بركة الدعاء فاتفق لذلك الرائي بعد ذلك ان اصابه غم وكدر وكانت
عقبى امره خير وسرور وكان ذلك دليل الرويا لقوله ثم تاخذ بركة الدعاء فدل
ذلك الى الشدة الى نفسه لان الدعاء انما يكون عند الشدايد وحكى ذلك الرائي
هذا المنام لبعض اصحابه فقال ذلك الصاحب بعد ذلك كنت عجبت من
هذا المنام في نفسي وقلت هذان رجلان صالحان فكيف يقومان لصلاة العصر
وصلاة العصر تودن بشر في الرويا قال فرايت في المنام رجلا كان مشهورا بالتعبير
بمدينة توزر حرسها الله يقال له ابن عبد العزيز وله مدة طويلة منذ توفي رحمه
الله فقلت له رجلان صالحان احدهما حي والاخر ميت قاما لصلاة العصر في المنام
وكيف يكون ذلك وصلاة العصر مكروهة عند المعبرين فقال هذا ما فيه
شي لانهما صالحان ۵ وهذا مثل قوله تعالى والتين والزيتون قلت واي
شبه بين هذا وذلك قال سورة العصر فيها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وهذه فيها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان هذه من غرايب
التعبير التي لا توجد في الكتب وقد دلت على فوايد احداها ان العصر انما
كرهت لقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر فدل على ان الرائي لذلك
قد يناله مكروه ۵ الثانية ان ذلك في حق الكفار والمنافقين اشد وربما
تكون عقباهم الى الهلاك ۵ الثالثة ان اهل الصلاح يسلمون من ذلك لقوله
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ۵ الرابعة ان قوله تعالى وتواصوا

بالحق

بالحق وتواصوا بالصبر اشارة الى انهم ينالهم مكروه من عدو ومخالف للحق
او لما هم عليه يصيبهم هم وغم ۵ الخامسة الاشارة الى ان لهم العاقبة الجميلة والظفر
اما ما يصيبهم من الغم فلقوله تعالى وتواصوا بالصبر والصبر لا يكون الا على
المكروه ۵ واما العاقبة الحميدة فلقوله تعالى والله مع الصابرين ۵ ومن كان
الله معه فلا يخاف احدا ولا يغلب ابدا ۵ السادسة افادت الرويا فيما بين هذه
السورة التين والزيتون لاشتراكهما في ذكر الانسان ووصفه بما يوصف به
واخراج الذين امنوا وعملوا الصالحات من ذلك فيهما ۵ السابعة التنبيه على
رويا التين في النوم مكروهة وانها تدل على غم وهم وتكدر يلحق الرائي واخذ
المفسرون دلالته على هذا مما جاء من ان ادم عليه السلام خسف من ورقه
عليه وعوتب عند شجرته وهو مهموم نادم فلزم ذلك التين في كل احواله
وما رايت من نبه على كراهة اخذ رويا التين من هذه السورة ولا وقع ذلك
في النفس الا بعد سماع هذا التفسير من راي المنام وهو ظاهر ۵ الثامنة التنبيه
على كراهية الزيتون في المنام اذا اجتمع مع التين فان قلت وما الفرق بين
الاجتماع والافتراق قلت اما الاجتماع فيوخذ من هذه الاية واما الافتراق
فان شجرة الزيتون انفردت بالحمد عن شجرة التين في الكتاب ۵ والسنة ۵ اما الكتاب
فمن قوله تعالى يوقد من شجرة مباركة زيتونة ۵ واما السنة فقوله صلى الله عليه
وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وربما خفف من شر التين

رؤيا الربانيون معه لاجل ذلك وهذا باب واسع لو تتبع لطال الكلام فيه وأما
ما جاء في الكتب المنزلة بذلك انما يقتبس من الكتاب والسنة وما سوى
ذلك لا يقطع بصحته فمن ذلك قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى قوله ذلك مثلهم في التوراة فراى ان الصحابة رضي الله عنهم
اذا رؤوا او رئي واحد منهم بارض هي للمسلمين نزلت بها الرحمة والعدل ۝ وان
رؤوا او رئي واحد منهم ببلاد الكفر دل على هلاك الكفار ودمارهم
او قارعة تحل بهم وكذلك المسيح صلوات الله على نبينا وعليه اذا رئي بمكان
كان دليل خير لاهل ذلك المكان وحلول عدل وامان به لقوله تعالى وجعلني
مباركا اينما كنت ۝ وربما دلت رؤيته بمكان على وقوع الاختلاف فيه
لاختلاف النصارى فيه عليه السلم ۝ واعلم ان من استقرا الكتاب العزيز
وتتبع فوائد الرؤيا منه تفجرت له منها بحار لا تنزف وكذلك في كل علم والحمد لله
لقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ۝ فمن ذلك ان الخائف اذا راى نفسه في
الحرم دل على امنه مما يخافه لقوله تعالى ومن دخله كان امنا ۝ وقوله تعالى
رب اجعل هذا البلد امنا وكذلك اذا راى نفسه في غرفة لقوله تعالى وهم في
الغرفات امنون ۝ راى بعض الناس كان دابة تكلمه فقصها على شخص فعرف
ما فيها ولم يخبره فهلك الرائي في مدة قريبة وكان ذلك تاويل رؤياه لقوله
تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وأما

القسم

القسم الثاني وهو السنة فعلى حكم الكتاب العزيز فما كان محمودا فيه فهو محمود في
الرؤيا وبالعكس ۝ وكذلك قراءة احاديث النبي صلى الله عليه وسلم تدل اذا لم
يعلم ما قراه على خير مطلقا واذا علم ما قراه اخذ حكم الدلالة من لفظ الحديث الذي
قراه وربما اخذت الدلالة من لفظ الكتاب ۝ كمن رأى يحيى بكير الموطا او انه يقراوه
دل على ان امره يطول ويسهل عليه ۝ واعلم ان اصول الرؤيا واسرارها انما
علمت من النبي صلى الله عليه وسلم وعليها فرع المفسرون ۝ وفي البخاري حدثنا
عبد الله بن صباح قال حدثنا معمر سمعت عوفا قال حدثنا محمد بن سيرين انه سمع
ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقترب الزمان تكاد رؤيا
المؤمن ان تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه لا
يكذب قال محمد وانا اقول هذه قال وكان يقال الرؤيا ثلث حديث النفس
وتخويف الشيطان وبشرى من الله فمن راى شيئا يكرهه فلا يقصه على احد وليقم
فليصل قال وكان يكره الغل في المنام وكان يعجبهم القيد والقيد ثبات في الدين
قال ابو عبد الله البخاري رحمه الله رواه قتادة ويونس وهشام وابو هلال
عن ابن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وادرج بعضهم كله في الحديث
وحديث عوف ابين وقال يونس لا احسبه الا عن النبي صلى الله عليه وسلم واعلم
ان كون الرؤيا على ثلث من الغيب الذي لا يطلع عليه العقول ولا يعلمه الا الله
عز وجل وكذلك اكثر امور الرؤيا فدل على انها انما استفيدت من النبوة

وفي البخاري أيضاً عن أبي سعيد إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها أنه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فليحمد الله عليها وليتحدث بها وإذا رأى غير
ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها
لا تضره ۝ واعلم أن كراهيتهم الغل في المنام والله أعلم لقوله تعالى إذ الأغلال في أعناقهم
وهذا في حق الأموات وأما في حق الأحياء فربما دل على مثل ذلك وربما دل على أن الرائي
يتزوج لأن المرأة يطلق عليها لفظ الغل في المثل ۝ وربما أنه دل على أنه يسند بدينا
يضره كالغل في عنقه إلى غير ذلك من وجوه التأويل والله أعلم وإيراد الأحاديث
التي وردت في الرؤيا والإشارة إلى فوائد التعبير المقتبسة يطول فلنقع الاقتصار
على نكت يسيرة تشير إلى جمل كثيرة إن شاء الله عز وجل فمن ذلك ــــــ أن الخائف إذا رأى
أنه في غار أو أوى إليه أو في مكان عليه فيه نسج العنكبوت أو ما يقرب منه حماماً أن
فإن ذلك دليل على أمنه مما خافه ونجاته من عدوه بدليل قصة النبي صلى الله عليه وسلم
وقس على هذا جميع ما ورد في السنة من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسيره
كمثل ما جاء في البخاري أنه قال صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم أريت أنه وضع في
يدي أسوارين من ذهب فقطعتهما فكرهتهما فأذن لي فنفختهما فطارا فأولتهما
كذابين يخرجان قال عبد الله بن عبد الله أحدهما الأسود العنسي الذي قتله فيروز باليمن
والآخر مسيلمة الكذاب فمن هذا الحديث أخذ المعبرون كراهية رؤيا الذهب في
المنام ولما فيه من لفظ الذهاب ۝ ولأنه ليس من زينة الرجال وهو محرم عليهم
وهذا

وهذا في ما كان من أنواع الحلي وأما ما لم يكن من أنواع الحلي كالدنانير والسبائك ونحوهما
فلكراهية الذهب أيضاً في هذا الحديث ولما في لفظه من معنى الذهاب وفي لفظ
الدينار من لفظ النار ۝ وأما سنن من سلف من الأنبياء عليهم السلام فإنما يستفاد
من الكتاب العزيز أو من السنة أيضاً ۝ فأما الكتاب العزيز فمثل أن يرى النائم أن ناراً
توقد له أو تقرب منه أو يحاول الوقوع فيها فإن ذلك دليل على أن عدواً يكيده وينجيه
الله عز وجل منه بدليل قصة إبراهيم عليه السلام فكذلك من كان يحارب عدواً أو
ينازعه فرأى أنه دخل على ذلك العدو من باب فإنه دليل ظفره بعدوه لقوله
تبارك وتعالى ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ۝ وكذلك الخائف
إذا رأى عدوه يطلبه وهو يفر منه دليل على أمنه ونجاته مما يخافه لقوله تبارك
وتعالى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين ۝ وكذلك
إن رأى الخائف أنه دخل مصر فإنه دليل أمنه لقوله تعالى ادخلوا مصر إن شاء
الله آمنين ۝ وكذلك من رأى أنه ولد له ولد أو رأى عنده ولداً أو التقطه
فإنه يدل على هم وحزن يصيبه لقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدواً وحزناً ۝ وأما إن رأى أنثى فإن في بشرى ودل على هم يصيبه لقوله تعالى
وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ۝ وإن كان في غم وحزن
دل على انفراج همه لقوله صلى الله عليه وسلم اشتدي أزمة تنفرجي ۝ ومن
ذلك رؤيا البصل والقثاء والبقول كلها في المنام هموم وأنكاد لقوله تعالى

أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ۝ وأما من السنة فمثل ما جاء من قول إبراهيم
عليه السلام لزوجة إسمعيل عليه السلام قولي له يغير عتبة بابه فلما بذلك
طلقها وتزوج غيرها فدل على أن العتبة كناية عن الزوجة ومن هذا أخذ المعبرون
ذلك كما أخذوا أن النعجة كناية عنها أيضا من قوله تبارك وتعالى إن هذا أخي له تسع
وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقد توجد معاني التعبير أيضا مما جاء في قصص
الأنبياء عليهم السلام وإن لم يكن في الكتاب العزيز ولا في السنة أيضا كمثل
ما تقدم في قصة آدم عليه السلام في شجرة التين ومثل العنب الأسود فإنه مكروه
في المنام ويدل على هم وحزن لما جاء أنه كان يجاور الابن نوح عليه السلام حين دعا
عليه أبوه فتغير لونه فلما تغير لونه تغير ما حوله من العنب وهذا الولد هو حام
أبو السودان كان أبيض فاسود لونه بدعوة أبيه عليه السلام وكذلك العنب
الأسود أصله من الأبيض واعلم أن هذه كلها دلائل بل معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم يدل على قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
فيكون هذا الحق لا يختلف ولا يختل نظامه في يقظة ولا منام برهان قاطع في أنه
من عند الله عز وجل ومن يتبع هذه الأنواع ظهر له أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
لا تنحصر في ألف ولا في مائة ألف ألف ولا في أضعاف ذلك ولا يحيط بها إلا
الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا لا إله إلا هو فالحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وأما

القسم

القسم الثالث وهو اشتقاق الاسم وقد نبه عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
مسلم عن أنس قال قال رسول الله عليه وسلم رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا
في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة
في الآخرة وأن ديننا قد طاب ۝ وإذا ظهر ذلك فاعلم أن هذا الأصل يكون في أسماء
الناس وغيرهم وقد انقسمت الأسماء بحسبه ثلاثة أقسام قسم يدل على الخير ۝ وقسم
على ضده ۝ وقسم لا دلالة فيه أما الأول فأما في أسماء الناس كمحمد وأحمد وحامد
وعبد الله وعبد الرحمن ونجاح وفلاح ونحوها ۝ وأما في أسماء المدن كمكة وطيبة ومدينة
السلام وسر من رأى وتونس ونحوها ۝ وأما في غير ذلك كشجر السرو والسرح وهو
الراعي لما دل عليه لفظ الشرف ۝ الأول منهم الثاني من السراح أعرف رجلا أصابه
أمر يؤلمه وخاف منه خوفا شديدا فرأى في المنام كأنه يفر من قوم قتلوا امرأة
ومضى على وجهه موضعا يعرف بحارة مبرة من حارات مدينة تونس حرسها الله
فكان عقبى ذلك الأمر الذي خافه أمان ورفعة وسرور ۝ وأما القسم الثاني
في الأسماء المكروهة أيضا أما في أسماء الناس كحرب ومرة ونحوهما ۝ وأما في أسماء
المدن كسوسة والحمة ونحوهما ۝ وأما في غير ذلك كالسفرجل والإسفنجا
والهريسة فعندهم أن السفرجل سفر جلا والإسفنجا أسف نجاء والهريسة
هم يهرس الأعضاء أي يدقها وكذلك المهراس لا خير في لفظه أيضا فمن رأى
في المنام رجلا اسمه محمد أو أحمد أو حامد أو نحو ذلك من الأسماء المحمودة فهو دليل

صالح في حقه ومن رأى عكس ذلك فبالعكس من ذلك وقس على هذا سائر الاسماء
رأى رجل كأنه في مدينة الجمة فعرض له من ذلك أن أصابه هم وغم وانتقال
من بلده لزمه ذلك مدة ۝ وأما القسم الثالث فما عدا ذلك من الاسماء
التي لا اشتقاق لها ولا دلالة في اشتقاقها على خير ولا شر ۝ وأما القسم الرابع
وهو ما يؤخذ من طباع الشيء وجوهره فمثل الماء وذلك أن الله عز وجل جعله
مرويا ومزيلا للعطش ونافعا للأرض والزرع ومنقيا للأجساد ومزيلا للأدران
وجعله مرة ملاذا للطغاة ومفسدا للآثار ونافعا للأشجار فمن رآه على حالته
المحمودة فإنه دليل خير الا أن يراه على وجه ذمه الشرع كقوله تعالى إن الله
مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ولذلك صارت رؤية النهر تدل على
كدر ونكد من قبل الشيطان أو غيره ممن لا يدفع عن حربه ولا يصد عن
مسلكه الا بمعالجة عظيمة ولا يتهيأ ذلك لكل أحد ولا في كل الأنهار
وكذلك من رأى نفسه يغتسل بالماء فإنه دليل محمود وهو للمريض دليل البرء
والشفاء لقوله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وكذلك هو
لكل مهموم دليل على ذهاب غمه وحزنه وإن كان غسله من الجنابة فهو في
حق العاصي دليل على التوبة والاقلاع وفي حق الكافر دليل على الاسلام
فإن رآه على خلاف الوجه النافع فالحكم بالعكس فإن رأى الماء دخل داره دل
على نكد يلحقه من قبل السلطان ۝ وكذلك رأى بئر في داره فهو دليل حزن

ودموع

240

ودموع تجري بالبكاء وقس على هذا سائر الامور فإن بسط ذلك يخرج عن حد
الاختصار ۝ وأما القسم الخامس وهو العادة الجارية في العصر فعلى نوعين
أما خاصة بالرائي وأما عادة ۝ أما الخاصة فمثل أن يرى عليه ثوبا أحمر وليس
من عادته لباسه فإنه يدل على شهرته بأمر يتألم منه ۝ ومثل أن يرى عليه
كساء وليس من عادته لباسه فإنه نكد وحزن يصيبه ۝ ومثل أن يرى عنده
دنانير أو دراهم فإنها أنكاد وخصومة الا لمن جرت عادته أن يستفيدها
إذا رآها في المنام ۝ وأما العامة فمثل لباس البياض فإنها عادة للناس في المواسم
وأيام السرور فمن رأى ذلك من أصحاب الغموم فهو دليل سروره وذهاب غمه
وكذلك تسريح الرأس ومشطه دليل ذهاب الهم والحزن بإذن الله عز وجل ۝
كل ذلك من عادة الناس في غير أيام الكد والهم ۝ وأما القسم السادس وهو
الصناعة فمثل رؤية الصيقل فإنها تدل على أن كل من له أمر ونهي وحكم في الناس
كالسلطان والفقيه (والحاكم) وغيرهم تجري على ما يليق بحال الرائي فربما رأى سلطانا
يجلو همه ويكشف كربه ۝ أو فقيها يحل اشكال مسائله ۝ أو حاكما يزيل بحكمه كدر
قلبه وينصفه من خصمه أو واعظا يصقل بموعظته قلبه إلى غير ذلك مما هو معلوم
عند المعبرين ۝ ومن هذا القبيل رؤية الفقيه في المنام فإنها تدل على خير وفرج لأصحاب
الهموم لأن الفقهاء يفرجون كرب الناس بفتياهم في المسائل المشكلة ويفصلون
بها بين الخصوم المتشاجرين ۝ وأما القسم السابع وهو الزمان فإنه على ثلاثة

أقسام أحدها باعتبار النهار والليل وذلك على وجهين أحدهما والمنام في
ليل فهذه الرؤيا محمودة لمن كان خائفا يريد الاختفاء فان الليل يخفي الأشياء ويسترها
وهي دليل رديء لمن كان يريد الاكتساب والمعاش لقوله تبارك وتعالى وجعلنا
الليل لباسا والنهار معاشا والحكم في النهار بالعكس فان لم يكن خوف الا معنى من المعاني
التي يراد الاختفاء بها فالحكم في الليل بالعكس والله أعلم ۵ الوجه الثاني ان يرى
الرؤيا في نوم النهار أو في نوم الليل ولا فرق بين ذلك وانها تصدق في الوجهين
ويقال ان رؤيا يوسف الصديق صلوات الله على نبينا وعليه كانت بالنهار
القسم الثاني ان يرى بالأسحار عند اعتدال الزمان وهي أصدق الرؤيا لقوله صلى
الله عليه وسلم اصدق الرؤيا بالأسحار ۵ وقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن ان تكذب ۵ قيل المراد بتقارب اعتدال الليل والنهار ۵
وقيل المراد بذلك آخر الزمان عند اقتراب الساعة وكلا الوجهين صحيح فان كلامه
صلى الله عليه وسلم صادق بكل اعتبار وقد رأينا بالتجربة ان من دنا اجله فرأى
رؤيا في تلك الأيام كانت صادقة ۵ وصدق الرؤيا في وقت اعتدال الزمان
معلوم عند كل احد ۵ القسم الثالث أن يرى الرؤيا في وقت اقبال الزمان وخروج
النواوير الى حين كمال الثمار ونضجها أو ترى في خلاف ذلك الحين وهذا على
وجهين أحدهما يرجع الى صدقها ۵ والثاني الى دلالتها ۵ اما صدقها فانها في
الزمن الأول تصدق في الغالب ۵ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم تكد رؤيا
المؤمن

المؤمن ان تكذب ۵ تنبيها على ان ذلك الغالب منها ۵ واما في الزمن الثاني فالحكم فيها
بالعكس ۵ واما ما يرجع الى دلالتها فمثل من رأى نفسه في بستان ۵ وكان ذلك في
اقبال الزمان فانه يدل على افادة خير واكتساب مال ۵ واثاث ۵ ورياش ۵
وان كان في حال ادبار الزمان وتساقط الأوراق فانه يدل على عكس ذلك فان
الأول وقت تكتسي فيه الأشجار بالأوراق وتزهو بالثمار وتنمو أغصانها
والثاني بالعكس من ذلك ۵ ومن هذا القبيل من رأى نفسه في ماء في زمن الحر فانه
دليل خير لأنه زمان تنعم الأجسام بالماء وان كان في الشتاء فان الحكم
بالعكس ۵ وكذلك ان رأى ان نفسه في الشمس أو رأى الشمس في داره فانه ان
كان في الشتاء فدليل محمود لتنعم الناس في الشتاء بالشمس ۵ وان كان في
الصيف فدليل مذموم لأن الأمر بالعكس ۵

واما القسم الثامن

وهو قسم الأمثال والأشعار فانه على قسمين أحدهما الأمثال ۵ والثاني
الأشعار ۵ اما الأمثال فاما حكمية واما عامية ۵ اما الحكمية فاجلها وارفعها
واصدقها ما ورد في الكتاب العزيز أو في السنة ۵ اما في الكتاب العزيز
فقوله تعالى في صفة المنافقين ۵ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما
حوله ذهب الله بنورهم ولذلك صار كل من رأى مصباحا بيده أو عنده
وطفي أو انه استوقد نارا فطفيت يخاف عليه النفاق في الدين لأن ذلك
ورد في صفة المنافقين ۵ فان سلم من ذلك كان دليلا على ما يحاوله من أمر

او اكتساب عيشة لا يتم له وبالجملة فهو دليل ردي في حق من رآه ه وكذلك
رؤية الصيب وهو المطر الشديد والرعد والصواعق والبرق كلها ردية
في المنام ودليل على خوف ووعيد من سلطان او نحوه لاشتمال هذه الآية
على ذلك كله وكونها في صفة المنافقين ه وكذلك العمى والبكم والصمم
لقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يرجعون ه واما السنة فمثل قوله
صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ومثلها صلى الله عليه وسلم
بالمؤمن وهي النخلة فصارت رؤياها في المنام محمودة ه وكذلك الاترج فانه
صلى الله عليه وسلم جعل الاترجة مثلا للمؤمن الذي يقرأ القرآن طعمها طيب
وريحها وجعل التمرة مثلا للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن طعمها طيب ولا ريح
لها ه وجعل الريحانة مثلا للمنافق الذي يقرأ القرآن ريحها طيب وطعمها مر
وجعل الحنظلة مثلا للمنافق الذي لا يقرأ القرآن طعمها مر ولا ريح لها فجرى
حكم ذلك في المنام على ما هو عليه في اليقظة لانه صلى الله عليه وسلم ما ينطق
عن الهوى وامثال ذلك كثيرة ه واما الامثال الحكمية التي لم ترد في الكتاب
ولا في السنة فمثل امثال العرب ه كقولهم في المكثار هو كحاطب ليل فمن رأى انه
يحطب ليلا فهو دليل على اكثاره ه وكذلك قولهم هو اصمت من سمكة
فمن رأى كأن في يده سمكة او هي عنده فربما دل على سكوته في امر يكون
او ان ذلك من عادته ه وكذلك قولهم خضد شوكته ه وثل عرشه ه فمن رأى انه

يخضد

يخضد شوكه او يثله عن شجرة فربما دل على انه يقهر عدوه ويغلبه وكذلك ان رأى
نفسه يقتلع سريره وهو عرشه او يهدم داره فان ذلك دليل غلبته اياه وظهوره
عليه ه واما الامثال العامية ه فمثل قولهم سقاه المهل وجرعه الخردل واراه
الكواكب بالنهار اذا وصفوا شدة ما اصابه به ه فمن رأى ذلك في المنام دل
على مثل ذلك الحال ه وقد رأى بعض الناس في هذا الزمان انه ابتلع اسنانه فمات
بعد مدة قريبة وكان ذلك مدلول رؤياه لوجهين احدهما من طباع الشيء وجوهره
وعادة الناس في اكل الطعام فان من ذهب ما يأكل به الطعام دل على فراغ رزقه
وانقضاء اجله ه والوجه الثاني مأخوذ من امثال العامة لانهم يقولون بلع
فلان اسنانه ويجعلون ذلك كناية عن موته ه واما الاشعار فاما ان
ينشدها في المنام او يسمع من ينشدها او يرى ما يقتضيها ه اما في الانشاد فهي على
قسمين احدهما ان تكون معلومة مما حفظ ه والثاني ان تكون مما لم يسمع قبل وكلها
يرجع في تفسيرها الى ما يدل عليه معناها ه اما القسم الاول وهو ان تكون معلومة
فمثل ما رأى بعض الناس انه ينشد قول ابي محمد الحريري

شعر اكرم به اصفر راقت صفرته ه جواب آفاق ترامت سفرته ه

فعرض له من ذلك ان اتفق له بعد مرض اصفر منه وتعين سفر غاب فيه عن وطنه
مدة ه واما القسم الثاني فمثل ما رأى بعضهم انه واقف في موضع من داره وهو
ينشد بيتا ما سمعه قط ه الحمد لله لا شريك له والحمد لله ليس لي احد ه

فيعرض له ان مات كل من كان معه في الدار ويبقى فيها وحده ۝ ورأى مرة اخرى كانه ينشد
هذا البيت ~ هادوا على بعد الديار تحية تبقى بها كاسي المودة والقرب ۝
فعرض له من ذلك ان سافر عن وطنه وغاب عنه مدة وهذا البيت ما سمعه قط
ولا علم له قايلا ۝ واما التفسير فمثل ما رأى بعضهم ان في يده سوسنة فعرض له
ان اقام به هم سنة كاملة وذلك لما في لفظ السوسنه من ذلك ولقول الشاعر

~ لم يكفك الهجر فاهديت لي تفاؤلا بالسوء لي سوسنه ۝
اولها سوء وباقي اسمها ينبي ان السوء يبقى سنه ۝

وهذا على ما يجري على الالسنة ويستعمله الناس والا فالصحيح ان يقال سوسن بفتح
السين وكذلك السوسنه ۝ ومن هذا القبيل ان من رأى كان بينه وبين
شخص عهد فرآه كانه اعطاه ريحانا فان عهده يدوم وان رأى انه اعطاه وردا
دل على ان عهده لا يدوم وهذا التفسير ماخوذ من قول الشاعر

انت ورد وبقا الورد شهر لا شهور ۝ ومواي الآس والآس على الدهر صبور ۝

فان قلت كيف اعتبرت العادة في التاويل والامثال والاشعار ۝ والعادة
قد تجري على وفق الحق وعلى خلافه وكذلك الامثال والاشعار ثم ان قول الله عز وجل
والشعراء يتبعهم الغاوون يوجب الغاء كلامهم في التاويل جملة كما يلغى كلام
الكاهن والمنجم لقوله صلى الله عليه وسلم في الكهان ليسوا بشيء ۝ ولنهيه صلى الله
عليه وسلم عن علم النجوم فمن رأى كاهنا او منجما قال له في المنام شيئا فانه لا يعتد به
ولا

ولا يلتفت اليه قلت اما العادة فلقوله صلى الله عليه وسلم عودوا اول جسد
ما اعتاده ۝ واما الامثال فلقوله صلى الله عليه وسلم انهم شهداء الله في الارض ۝ وقوله
صلى الله عليه وسلم ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ۝ اما الاشعار فلقوله
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا ۝ وقوله صلى الله عليه
ان من الشعر لحكما فدل على ان الشعر كله ليس بمذموم ولا قبيح والله اعلم ۝ واذا
عرفت هذه المقدمة فاقول ۝ اما الصنف الاول وهو ما كان قبل عصره
صلى الله عليه وسلم ۝ فمنه رؤيا بخت نصر الملك التي فسرها دانيال النبي عليه السلام
وذلك ان بخت نصر سال دانيال عليه السلام عن رؤيا رآها ولم يخبره بها فقال
دانيال عليه السلام رايت ايها الملك رؤيا رائعة ومنظرا هايلا رايت صنما
بارع الجمال جدا وهو قائم بين يديك رأسه من الذهب ۝ الاحمر وساعده من الفضة ۝
وبطنه وفخذه نحاس وساقاه حديد وبعض رجليه حديد وبعضها خزف ورايت
حجرا انقطع بغير قاطع فصك رجلي ذلك الصنم فدقه دقا شديدا فتفتت الصنم
كله حديده ونحاسه وفضته وذهبه وصار رفاتا مثل دقاق جل السدر وعصفت به
الرياح فلم يوجد له اثر وصار ذلك الحجر الذي صك الصنم جبلا عاليا امتلات الارض
كلها منه فهذه رؤياك ايها الملك ثم عبرها فقال انت ايها الملك الراس الذي رايته
من ذهب وتقوم بعدك مملكة اخرى دونك والمملكة الاخرى التي تشبه
النحاس تتسلط على الارض كلها والمملكة الرابعة قوتها قوة الحديد كما ان

الحديد يدق كل شيء ٥ واما الرجل التي كان بعضها من حديد وبعضها من خزف فان
بعض تلك المملكة يكون عزا وبعضها يكون ذلا وتكون كلمة اهل المملكة مشتتة
وتقيم الاه السماء في تلك الايام ملكا دايما ابدا لا يتغير ولا يزول ولا يدع لغيره
من الامم سلطانا ويقوم هو دهر الداهرين قال صاحب كتاب الفصول
رحمه الله فتاويل الرويا مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لانه الذي بعثه الله
عز وجل فانقضت به الممالك وتمزقت به الجنود لاجل نبوته ولم تنتقض لاجل
قبله مملكة فارس وكان ملكها اعز ملوك الارض واشدها شوكة ومنه
رويا النضر بن كنانة وهو احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وهو قريش
في قول بعضهم فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ٥ وقيل
بل قريش هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن ولده فهر فهو قرشي ومن لم يلده فهر
فليس بقرشي وكانت رويا النضر بن كنانة انه نام يوما في الحجر فراى رويا هالته
فقصها على الكهان فقال ٥ رايت شجرة خضرا اخرجت من ظهري قد بلغ فرعها
السماء وامتدت اغصانها شرقا وغربا واذا رجال بيض الوجوه متصلون باغصانها
وسمعت قايلا يقول هذه شجرة قريش ولا تخف ولا تطيش فقالت الكهنة لين صدقت
روياك ليخرجن من صلبك اشراف الناس وليسمينك الله اسما شريفا فسمي قريشا
ومنه رويا عبد المطلب بن هاشم وذلك انه راى انه خرج من ظهره سلسلة
وراى كان شجرة خرجت منه فاتصلت فروعها بالسماء فاولت له بانه يخرج من
ظهره

ظهره من يعلو ذكره في اهل السماء واهل الارض ٥ وقيل بل راى ان سلسلة من فضة خرجت
من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم
عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون
بها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء
والارض فلذلك سماه محمدا صلى الله عليه وسلم مع ما حدثته به امه حين قيل لها انك
قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا ٥ ولما قيل لعبد المطلب ما
سميت ابنك قال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من ابايك قال اني لارجو
ان يحمده اهل الارض كلهم وذلك للرويا المتقدمة والله اعلم واما

الصنف الثاني وهو ما كان حين الحمل به صلى الله عليه وسلم فمنه رويا
امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم فانها رات حين حملت به صلى الله عليه وسلم
كان نورا خرج منها اضات له قصور بصرى من ارض الشام وانظر الى تخصيص
قصور بصرى في هذه الرويا وذلك والله اعلم اشارة الى انها اول موضع من بلاد
الشام يدخله ذلك النور المحمدي ٥ والخبر البشير مدني ٥ وقد خرج ذلك والحمد لله على
نحو ما دلت عليه الرويا فكانت بصرى اول ما افتتح من بلاد الشام
ومنه روياها حين نامت في الحجر ٥ وذلك انها باتت في الحجر فرات قايلا
يقول احكمي عقدا ٥ فقد رزقت ولدا ٥ فسميه احمدا ٥ فولدت خير العالمين ٥
وخاتم المرسلين ٥ وسيد ولد ادم اجمعين ٥ صلى الله عليه وسلم صلاة دايمة الى

الذين ۝ ومنه ابصار رؤياما في التتمة وقد تقدم ذكرهما في اول الكتاب والحمد لله

وأما الصنف الثالث وهو ما كان حين الولادة فرؤيا الموبذان التي تقدم

ذكرها في قصة ارتجاج الايوان ۝ وانه رأى ابلا صعابا ۝ تقود خيلا عرابا ۝ حتى اقتحمت دجلة

وانتشرت في بلاد فارس وقد برز ذلك للعيان بفضل الله عز وجل حين عبر سعد ابن ابي

وقاص رضي الله عنه واصحابه دجلة بخيولهم وقد تقدم ذكر ذلك وأما الصنف

الرابع وهو ما كان بعد الولادة وقبل المبعث فمنه رؤيا خالد بن سعيد بن

العاص وذلك انه رأى كأن مكة غشيتها ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه ثم كأنه خرج

من زمزم نور فعلا في السماء حتى ارتفع ثم مال الى يثرب قال خالد حتى لارى البسر

في النخل فقص ذلك على اخيه عمرو بن سعيد وكان حازيا فقال ان هذا الامر يكون

في بني عبد المطلب ۝ الم تر انه خرج من حفرة ابيهم فذكر ذلك خالد لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ذلك النور وانا رسول الله

ابتعثني ربي الانه فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاسلم اول الناس

وظاهر هذه الرؤيا يؤذن انها كانت قبل البعث ولذلك ذكرها في هذا الصنف

وقوله حازيا يعني متكهنا ۝ ومنه رؤيا رقيقة بنت ابي صيفي وذلك ان مخرمة بن نوفل

حدث عن امه رقيقة بنت ابي صيفي وكانت لدة عبد المطلب بن هاشم انها قالت

تتابعت على قريش سنو جدب اقحلت الظلف وأرقت فبينا انا راقدة اللهم او مهومة

ومضى صنوي اذا انا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش ان هذا

النبي

النبي المبعوث منكم هذا ابان نجومه فحي هلا بالحياء والخصب الا فانظروا منكم رجلا طوالا

عظاما ابيض بضا اشم العرنين له فخر يكظم عليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه

من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا الا

وفيهم الطاهر الطيب لذاته الا فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا فغثتم اذا ابدا ما

وعشتم قالت فاصبحت مذعورة قد قف جلدي ووله عقلي فاقتصصت رؤياي

فوالحرمة والحرم ان بقي ابطحي الا قال شيبة الحمد ۝ وتتامت عنده قريش ۝ وانقض اليه

من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا ابا قبيس وطفق القوم

يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهله حتى قروا بذروة الجبل واستكفوا جنابيه فقام

عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ

قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة ۝ وكاشف الكربة ۝ انت عالم غير معلم ۝ ومسؤل غير

مبخل ۝ وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن

اللهم وامطرن علينا غيثا مريعا ۝ مغدقا فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء

بمائها وكظ الوادي بثجيجه ۝ وفي رواية اخرى فانظروا منكم رجلا وسيطا عظاما

جسيما او طف الاهداب ۝ وفيها ان عبد المطلب قام ومعه رسول الله صلى الله

عليه وسلم غلام قد ايفع او كرب ۝ وفيها فالتط الوادي بثجيجه ۝ وفي استسقاء عبد

المطلب يقول القائل

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا ۝ وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر ۝

فجاء بالماء جرى له سبل شجا فعاشت به الانعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الامر يستسقى الغمام به ما في الانام له عدل ولا خطر

وفي ذلك يقول الآخر

ولدناك بأشيبة المكرمات وبانى زوار اهل الحرم
فاكرم ببنتك بيت الاله وانت بنفسك بيت الكرم

ومنه رؤيا ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ما جاء عن ربيعة بن زيد عن كعب الاحبار قال والله ان خلافة ابي بكر من السماء ولقد علمها ابو بكر الصديق قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بستة عشرة سنة قالوا يا ابا اسحق وكيف علمه ولا وحي ينزل قال كعب رؤيا راها ابو بكر بمكة وهو ابن عشرين سنة قالوا واي شيء راى قال ارى في منامه كان القمر سقط من السماء على الكعبة فتقطع قطعة قطعة فلم يبق حجرة من مكة الا دخلها من القمر قطعة ووقع في حجرة ابي بكر قطعة ثم خرج القمر من حجرات مكة فاستوى كما كان ورجع من حيث جاء وفتح ابو بكر حجرته والقطعة في حجرته فخرج ابو بكر بمكة يتعبر عنها فكره علماء مكة وكانوا اليهود لكنها حتى خرج في الشتاء مع الاباعر الى الشام فمضى الى بحيرا الراهب فقال ما تشاء قال رايت رؤيا نفسرها فقال له بحيرا وحق المسيح لافسرنها ولا نصحك اي شيء رايت قال ابو بكر رايت كان القمر سقط من السماء على الكعبة فتقطع

قطعة

قطعة قطعة فلم يبق حجرة الا دخلها من القمر قطعة فوقع في حجرتي قطعة ثم خرجت من حجرات مكة واستوت كما كانت ورجعت من حيث جاءت وفتحت حجرتي والقطعة في حجرتي فقال بحيرا يا هذا سيبعث الله عز وجل بمكة رسولا تكون انت وزيره في حياته وانت خليفته بعد وفاته قال ابو بكر فكتمت الرؤيا في قلبي ست عشرة سنة حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فكنت اول من جاءه فقلت يا محمد الى شيء تدعو فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله قلت فما الدليل على ما تدعونا اليه قال يا ابا بكر الدليل على الامر الذي ادعوكم اليه الرؤيا التي رايتها بمكة وفسرها لك بحيرا الراهب قال فقمت فقبلت بين عينيه وقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا • واعلم ان قوله بخت نصر بضم الباء وفتح الصاد وتشديدها وذلك في اعرابها وجهان احدهما ان تجعل تركيبه تركيب اضافة فيكون الاعراب في الاسم الاول ويلزم الثاني الفتح لانه مضاف اليه وهو من الاسماء التي لا تنصرف ويلزم الاسم الاول الفتح وقوله جل البيدر بكسر الجيم والمراد بالجل قصب الزرع المحصود والبيدر الموضع الذي يداس فيه الطعام • وقوله والمهلكة التي تسلط على الارض يحتمل ان يكون علم ذلك عليه السلام بوحي من الله عز وجل لا من دليل الرؤيا ويحتمل ان يكون قال ذلك لقوله في الرؤيا وبطنه وفخذه من نحاس لانه اخذ جزءا كثيرا من الجسد • والجازي المتكهن ورقيقه بضم الراء وفتح القاف • وقوله لدة عبد المطلب اي على سنه ولدت في وقت ولادته والحلت

أُبِيسَت ٥ والظلف للشاة والبقرة والظبي كالخف للبعير ونحوه والحافر للفرس والبغل
والحمار والتهويم أول النوم يقال هوّم الرجل اذا اهتز هامته من النعاس قال بعضهم
التهويم فوق السنة ودون النعاس ٥ والصنو الأخ ٥ وصيّت عالي الصوت
شديده ٥ ويصرخ بضم الراء من الصراخ ٥ والصحل بكسر الحاء صوت فيه بحة
يسيرة وهو من احسن الاصوات ٥ وأبان نجومه أي وقت ظهوره يقال نجم اذا ظهر
واصله والله اعلم من طلوع النجم ٥ وحيهلا كلمة حث واستعجال والمعنى فاستعجلوا
ذلك فقد عجل لكم ببركته صلى الله عليه وسلم ٥ وفي الحديث اذا ذكر الصالحون
فحيهلا بعمر أي فهات وعجل بذكره ٥ والحيا بالقصر المطر الذي يحيي الارض ٥ والخصب
بكسر الخاء وسكون الصاد وهو معروف ٥ وعظام بضم العين أي عظيم
وجسام أي جسيم ٥ ويظهر ان عظاما عندهم ابلغ من عظيم وان هذه البنية للمبالغة
وقوله في الرواية الاخرى أيفع أو كرب أي قارب الايفاع والايفاع مصدر
قولك ايفع الغلام اذا ارتفع ولم يبلغ وهو غلام يافع ويفعة بفتح الفاء ولا
يقال موفع ٥ والعبداء بمعنى العبيد يقال عبد واعبد وعبدا بالقصر والمد
والعذرات الافنية ٥ ومربعا أي منبتا للتربيع ٥ والغدق المروي من الماء
الغدق وهو الكثير ٥ وكظ الوادي اذا امتلأ ومنه الكظة وهي الامتلاء
من الطعام ٥ وقوله اكتظ في الرواية الاخرى أبلغ من كظ لما فيه من الزيادة
والثجيج الماء السائل ٥ وقوله في الشعر بشيبة الحمد شيبة اسم عبد المطلب
قيل

قيل انه سمي بذلك لأنه ولد بشيبة في رأسه وكان يقال له شيبة الحمد
فيضاف اسمه الى الحمد أي انه محمود غير مذموم وانما خصه الله عز وجل
بهذا الاسم وأجراه على ألسنة أهل زمانه ببركة النبي صلى الله عليه وسلم فانه
الذي لازم الحمد أوصافه في كل حال في الدنيا والآخرة ٥ وكذلك لازم أيضا أسماءه
صلى الله عليه وسلم محمد وأحمد وحامد وأعطي لواء الحمد ويبعث محامد حين الشفاعة
وانزلت عليه سورة الحمد ٥ وبه اهتدى الخلائق الى جميع انواع المحامد في الدنيا
والآخرة صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ٥ وقوله أسقى يقال سقى وأسقى بمعنى
واحد ٥ والجلود المطر بالذال المعجمة طال العهد به ٥ وجوني أي سحاب اسود
والجون من الاضداد يقال للاسود والابيض ٥ والسبيل الماء الكثير والسح الصب
والعدل بكسر العين النظير والمثل ٥ ويقال بفتح العين ايضا وبعضهم يجعل العدل
بكسر العين ما عادل الشيء من جنسه فيقال هذا الغلام عدل هذا الغلام ويجعل
العدل بفتح العين ما عادله من غير جنسه فيقول هذا الثمن عدل هذا الغلام وفي الكتاب
العزيز أو عدل ذلك صياما ٥ وقوله ولا خطر الخطر هنا النظير وأصل الخطر العلية
والقدر ٥ وأما الصنف الخامس وهو ما كان بعد البعث فمنه رؤيا كسرى
أبرويز بن هرمز وذلك انه كان في مسير له وقد قام في محمله الى ان انتهى الى مخاضة
فخافوا عليه السقوط من أجل نومه ويقال انه هوّم فمال فايقظوه فانتبه مذعورا
وأخبرهم انه رأى رؤيا قطعوها عليه بايقاظهم وانه رأى قائلا يقول غير نم

فغيبن بكم ونقل الملك إلى أحمد ۝ وقيل انه رأى انه عرض على الله عز وجل وقيل له سلم
ما بيدك الى صاحب الهراوة والمراد بالهراوة عصا الخطابة التي كان يخطب عليها
النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ذكر ذلك ۝ ومنه رؤيا خالد بن سعيد بن العاصي
كانه رأى انه وقف على شفير جهنم فذكر من سعتها ما الله عز وجل اعلم به وكان اباه
يدفعه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بحقويه ألا يقع فيها ففزع
وقال احلف بالله انها لرؤيا ولقي ابا بكر الصديق فذكر له ذلك فقال له ابو بكر أريد
بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك ستتبعه في الاسلام الذي
يحجزك من النار ۝ وتمنى ان تقع فيها وابوك واقع فيها فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بأجياد فقال يا محمد الى م تدعوا قال ادعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يبصر ولا ينفع ولا يسمع
ولا يبصر ولا يدري من عبده ممن لم يعبده قال خالد فاني أشهد ان لا إله الا الله وأشهد
انك رسول الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه وتغيب خالد وعلم
ابوه باسلامه فارسل في طلبه من بقي من ولده ولم يكونوا اسلموا فوجدوه فاتوا به اباه
ابا أحيحة فأنبه وبكته وشتمه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه وقال
اتبعت محمدا وانت ترى خلافه قومك وما جاء به من عيب الهتهم وعيب من مضى من
آبائهم فقال قد والله اتبعته على ما جاء به فغضب ابوه ابو أحيحة وشتمه ونال منه
وقال اذهب حيث شئت فوالله لامنعنك القوت فقال خالد إن منعتني فان الله
عز وجل

عز وجل يرزقني ما أعيش به فاخرجه وقال لبنيه لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به ما صنعت
به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه وتغيب
عن أبيه في نواحي مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة
في الهجرة الثانية فكان خالد رضي الله عنه أول من خرج إليها ۝ وجاء عن خالد بن سعيد
رضي الله عنه ان أباه سعيد بن العاصي بن أمية مرض فقال لئن رفعني الله عز وجل من مرضي هذا
لا أعبد إله محمد بمكة أبدا فقال خالد بن سعيد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي
من مرضه ذلك وهذا من كرامات خالد رضي الله عنه وكان إسلام خالد قديما ويقال
انه اسلم بعد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان ثالثا أو رابعا وقيل كان خامسا
وعن ابرهيم بن عقبة قال سمعت ام خالد بنت خالد بن سعيد بن العاصي تقول كان
أبي خامسا في الاسلام قلت من تقدمه قالت علي بن ابي طالب وابن ابي قحافة وزيد
ابن حارثة وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم أجمعين ۝ وكان خالد رضي الله عنه يكنى
أبا سعيد فان قلت ـــــ أليس قد تقدمت رؤيا خالد النور الذي خرج من زمزم
وانها كانت سبب إسلامه وهذه تعارضها فانها تؤذن أنها كانت سبب إسلامه
قلت ـــــ لا تعارض بينهما فان الثانية كانت مذكرة للأولى ومنبهة على الرشد والهدى
والحمد لله ۝ ومنه رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب قبل وقعة بدر بأيام قلائل وذلك
أنها رأت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ ألا انفروا يا آل غدر
إلى مصارعكم في ثلث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس قالت فأرى الناس اجتمعوا

إليه ثم دخل المسجد والناس معه فبينا هم يتبعونه مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ
بمثلها ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم على ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ
بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما
بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها فلقة منها فبعد ثلاث من
هذه الرؤيا قدم ضمضم بن عمرو الغفاري ينذر قريشا بأن النبي صلى الله عليه وسلم
عرض هو وأصحابه رضي الله عنهم لعير أبي سفيان التي قدم بها من الشام بتجارتهم فنفروا
لنصرتها فكانت وقعة بدر التي قتل الله عز وجل فيها صناديد قريش وأذل
بها الشرك وحزب الشيطان ۝ ومنه رؤيا جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب
ابن عبد مناف حين نزلت قريش الجحفة وهي قاصدة إلى بدر لقتال النبي صلى الله عليه
وسلم قال رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل أقبل على
فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو
الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان وعدد رجالا ممن قتل يوم بدر
ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر
إلا أصابه نضح من دمه ۝ ومنه رؤيا هند بنت عتبة بن ربيعة قال ابنها
معاوية بن أبي سفيان حدثت عنها قالت سمعت أمي هندا بنت عتبة وهي تذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول يا بني إنا عاديناه كل العداوة فعلت يوم
أحد ما فعلت من محمد وأصحابه فكلما سارت قريش مسيرا فأنا معها بنفسي

حتى

حتى إن كنت لأعين من غزا آل محمد صلى الله عليه وسلم حتى رأيت في النوم ثلاث ليال كأني في
ظلمة لا أبصر سهلا ولا جبلا فإذا تلك الظلمة انفرجت عني بضوء كأنه الشمس وإذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوني ثم رأيت الليلة الثانية كأني على طريق إذ هبل
عن يميني يدعوني وإذا إساف يدعوني وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هلم
إلى الطريق ثم الليلة الثالثة كأني واقفة على شفير جهنم يريدون أن يدفعوني فيها
فإذا أنا بهبل وهو يقول ادخلي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ
بتلبابي فتباعدت من شفير جهنم وفزعت وقلت هذا شيء قد بين الله عز وجل لي
فغدوت من ساعتي إلى صنم في بيتنا فأخذته فجعلت أضربه حتى كسرته وجعلت
أقول طالما كنا في غرور منك حتى أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنه رؤيا الأسقف التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بها وأسلم
ذكر ذلك الشيخ أبو إسحق الثعلبي رحمه الله في تفسيره بسنده قال أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسقف فذكر أنه رأى في منامه الأمم يمرون على الصراط
يتهافتون حتى رأيت أمة محمد غرا محجلين عليهم أثر الطهور فقلت من هؤلاء أنبياء فقالوا
لا فقلت ملائكة فقالوا لا فقلت من هؤلاء قالوا أمة محمد غر محجلون عليهم أثر
الطهور فلما أصبح الأسقف أسلم واعلم أن أبرويز يجوز فيه وجهان فتح الواو
وكسرها ويقال فيه برويز أيضا بفتح الباء وكسرها ۝ وقوله يحقو به الحقو
معقد الإزار ۝ وتحجزك أي يمنعك ۝ وأجياد موضع بمكة ۝ وقوله أنبه التائب اللوم

وبكته اي قطع كلامه بكثرة ملامته واللكع اللئيم وقوله باال غدر يجوز فيه وجهان
احدهما صرف غدر والثاني عدم صرفه اما صرفه فلانه وصف للغادر على وجه
المبالغة كما تقول رجل حطم اي يحطم كل شيء وهذا على ان يكون وصفا لموصوف محذوف
وذلك الموصوف اما اشارة الى كبير من المشركين يجتمع رايهم اليه او الى الشيطان
اللعين لعنه الله واخزاه فانهم اله واتباعه واما ترك صرفه فعلى ثلثة اوجه
احدها ان يجعله علما على ذلك الشخص المشار اليه الثاني ان يجعله علما على الشيطان
لعنه الله الثالث ان يجعله علما على المصدر فيكون معدولا عن الغدرة كما قالوا في
فجار انها معدولة عن الفجرة وقوله مثل به اي كلمه وهو بفتح الثاء يعني علا وانتصب
وارفضت اي تكسرت وتفرقت والعير الابل التي تحمل الميرة وقول هند فعلت يوم
احد من محمد واصحابه اي من اجل محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وهبل صنم كان لقريش
وكذلك إساف والتلباب بفتح التاء ما يلي العنق والصدر من الثوب ومنه يقال
لببه بثوبه واما القسم الثاني وهو ما كان بعد وفاته صلى الله عليه
وسلم فانه على اربعة اضرب احدها ما كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم
والثاني ما كان في عصر التابعين والثالث ما كان في عصر من بعدهم والرابع
ما كان في هذا العصر اما ما كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم فان منه
ما راه الصحابة رضي الله عنهم وكان بشرى من الله عز وجل لهم ومنه ما راه
الاعداء وكان انذارا لهم اما ما راه الصحابة رضي الله عنهم فمنه رؤيا شرحبيل بن
حسنة

حسنة كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ابا بكر رضي الله عنه لما فرغ من امر الردة
واستقامت له العرب حدثت نفسه بغزو الروم ولم يطلع على ذلك احدا فبينما هو كذلك إذ
جاءه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه فجلس اليه فقال يا خليفة رسول الله حدثت نفسك
ان تبعث الى الشام جندا قال نعم قد حدثت بذلك نفسي ولم اطلع عليه احدا وما سالتني الا
لشيء قال اجل اني رايت فيما يرى النائم كانك تمشي في ناس من المسلمين فوق حرشفة من الجبل
حتى صعدت قلة في اعاليه فاشرفت على الناس ومعك اصحابك اولئك ثم هبطت من
تلك القلة الى ارض سهلة دمثة فيها الزرع والعيون والقرى والحصون فقلت للمسلمين
شنوا الغارة على المشركين فانا ضامن لكم بالفتح والغنيمة فشد المسلمون وانا فيهم معي راية
فتوجهت بها الى قرية فسالوني الامان فامنتهم ثم جئت فاجدك قد انتهيت الى حصن
عظيم ففتح لك والقوا اليك السلم ووضع لك عرش فجلست عليه ثم قال لك قائل يفتح الله
عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ثم انتبهت فقال له ابو بكر
رضي الله عنه نامت عينك ثم دمعت عين ابي بكر رضي الله عنه فقال اما الحرشفة التي كنا
نمشي عليها حتى صعدنا منها الى القلة العالية فاشرفنا منها على الناس فانا نكابد من امر
هذا الجند مشقة ونكابد ثم نعلو بعد ويعلو امرنا واما نزولك من القلة الى الارض
السهلة الدمثة والزروع والعيون والقرى والحصون فانا ننزل الى امر اسهل مما كنا فيه
الخصب والمعاش واما قولك للمسلمين شنوا الغارة فاني ضامن لكم بالفتح والغنيمة فان ذلك

توجيهي بالمسلمين الى بلاد المشركين واحثاثي لهم على الجهاد وأما الراية التي كانت معك فتوجهت
بها الى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح
على يديك وأما الحصن الذي فتح لي فهو ذلك الوجه يفتح وأما العريش الذي وضع لي فإن
الله عز وجل يرفعني ويضع المشركين وأما الذي أمرني بالعمل بالطاعة وقرأ علي السورة
فإنه نعى إلي نفسي ان هذه السورة حين أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أن نفسه نعيت
إليه ثم سالت عينا أبي بكر رضي الله عنه فقال لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر
ولأجاهدن من ترك أمر الله ولأجهزن الجنود الى العادلين بالله في مشارق الأرض
ومغاربها حتى يقولوا الله الله أحد أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أمر الله وسنته
فإذا توفاني الله لم يجدني وانيا ولا في ثواب المجاهدين فيه زاهدا ثم إنه عند ذلك أمر
الأمراء وبعث البعوث الى الشام ولما اجتمع له رضي الله عنه ما أراد من جيوش
المسلمين دعا يزيد بن أبي سفيان فعقد له وخرج يزيد في جيشه الى الشام فلم يسر
يزيد من المدينة حتى جاء شرحبيل بن حسنة الى أبي بكر رضي الله عنه فجلس اليه فقال
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت فيما يرى النائم كأنك في جماعة
من المسلمين كثيرة وكأنك بالشام ونحن معك اذ استقبلك النصارى بصلبها والبطارقة
بكتبها وانحطوا عليك من كل شرف وجانب وكأنهم السيل واعتصمنا بلا إله إلا الله
وقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم نظرنا فاذا القرى والحصون من ورائهم وعن أيمانهم
وعن شمائلهم واذا آت قد أتى فنزل من أعلا شاهقة في الجبل حتى استوى

بالحضيض

بالحضيض ثم أخرج كفه وأصابعه فاذا هي نار ثم أهوى بها الى ما قابله من القرى والحصون
فصارت نارا تأجج ثم إنها خمدت فصارت رمادا ثم نظرنا الى ما استقبلنا من نصاراهم
وبطارقتهم وجموعهم فاذا الأرض قد ساخت بهم فرفع الناس رؤوسهم وأيديهم الى ربهم
يحمدونه ويمجدونه ويشكرونه فهذا ما رأيت ثم انتبهت فقال أبو بكر رضي الله عنه نامت
عينك هذه بشرى وهذا الفتح ان شاء الله لا شك فيه وأنت أحد أمرائي فاذا سار
يزيد بن أبي سفيان فأقم ثلاثا ثم تيسر للمسير ففعل ثم أمر بعد ذلك أبو بكر رضي الله عنه
أبا عبيدة بن الجراح بالمسير ومن ذلك رؤيا أبو عبيدة رضي الله عنه حين نهضت
الروم لقتال المسلمين مع باهان باليرموك وذلك ان أبا عبيدة رضي الله عنه لما قضى
صلاة الصبح في اليوم الذي عزم فيه على اللقاء أقبل على الناس فقال أبشروا فإني رأيت في
ليلتي هذه رجالا أتوني فحفوا بي وعلى ثياب بياض ثم دعوا الى رجالا منهم أعرفهم ثم قالوا
لنا أقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم الأعلون وكان مضينا الى عسكر عدونا
فلما رأونا انفرجوا لنا انفراج الرأس وجئنا حتى دخلنا عسكرهم وولوا مدبرين فقال
له الناس أصلحك الله نامت عينك هذه بشرى من الله عز وجل بشرك بخير ومن ذلك
رؤيا أبي مرثد الخولاني رضي الله عنه في الليلة التي رأى فيها أبو عبيدة الرؤيا المتقدمة
وقصها بعد ان قص أبو عبيدة رؤياه فقال وأنا أصلحك الله قد رأيت رؤيا أنها بشرى
من الله عز وجل كأنا خرجنا الى عدونا فلما تواقفنا أصب الله عليهم من السماء طيرا
بيضا عظاما لها مخالب كمخالب الأسد وهي تنقض من السماء انقضاض العقبان

فإذا جاءت بالرجل من المشركين ضربته ضربة خر منها منقطعا وكان الناس يقولون
أبشروا معاشر المسلمين فقد أيدكم الله عز وجل بالملائكة فاستبشر المسلمون وكان
النصر من عند الله عز وجل فانهزم المشركون وكانوا في أربع مائة ألف وكان
المسلمون في ثلاثين ألفا وقتل المشركون في كل موطن وسقط منهم طوائف في أهوية تسمى
الواقوصة إلى اليوم فهلكوا لأن اليوم كان يوم ضباب وأحصي من سقط فيها بالقصب
حين لم يقدروا على عددهم فكانوا ثمانين ألفا ومما ينخرط في هذا السلك رؤيا
بلال رضي الله عنه وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه لما بعث خالد بن الوليد رضي
الله عنه لقتال مسيلمة الكذاب لعنه الله وقتال من ارتد من المسلمين باليمامة
وغيرها كان ممن خرج مع خالد رضي الله عنه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه
فاستشهد في تلك وكانت عليه درع نفيسة كانت لآبائه فمر به رجل من
الضاحية فأخذها فأرى بلال بن رباح رضي الله عنه ثابت بن قيس في منامه يقول
له إني موصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت بالأمس جاء رجل
من ضاحية نجد وعلي درعي فأخذها وأتى بها منزله فأكفأ عليها برمة وجعل
على البرمة رحلا وخباؤه في أقصى العسكر إلى جنب خبائه فرس يستن في طيله فأت
خالد بن الوليد فأخبره فليبعث إلى درعي فليأخذها وإذا قدمت على خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن علي من الدين كذا ولي من الدين كذا وسعد
ومبارك غلاماي حران وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه فلما أصبح بلال

أتى

أتى خالد بن الوليد فأخبره الخبر فبعث خالد إلى الدرع فوجدها كما قال وأخبره
بوصيته فأجازها ولا يعلم أحد من المسلمين أجيزت وصيته بعد الموت إلا ثابت
ابن قيس رضي الله عنه وأما ما رآه الأعداء فمنه رؤيا ماهان ويقال باهان
بالميم وكان هرقل وجهه لقتال المسلمين وأمد به وبجيشه الذي لجب معه جيوش
النصارى التي كانت تقاتل المسلمين بالشام ففرح به النصارى فرح المسلمين بخالد بن
الوليد رضي الله عنه وكان أبو بكر رضي الله عنه أمد به وجيش المسلمين
الذين كانوا بالشام وكان قدوم خالد رضي الله عنه وقدوم ماهان في
وقت فرأى ماهان أنه أتاه آت في منامه فقال له لا تقاتل هؤلاء القوم فإنهم
يهلكونك ويهزمونك فكتب بذلك كتابا إلى هرقل يقول فيه بعد أن ذكر رؤياه
فلما انتبهت من منامي عبرت أنه من الشيطان أراد أن يجرئني فخشيته فإن لم يكن
الشيطان فقد خشيته وإن لم يكن من الشيطان فقد بين لي الأمر فابعث أنت أيها
الملك بثقلك وحرمك ومالك إلى أقصى بلادك وانتظر وقيعتنا هذه فإن أظهرنا الله
عليهم حمدت الله الذي أعز دينك ومنع سلطانك وإن ظهروا علينا فارض بقضاء
الله واعلم أن الدنيا زائلة عنك كما زالت عمن كان قبلك ومن ذلك ما رآه
بعض عظماء النصارى وأخبر به ماهان في صبيحة اليوم الذي خرج فيه لقتال المسلمين
فقال إني رأيت رجالا نزلوا إلينا من السماء فنزعوا سيوفنا من أغمادها وأسنة
رماحنا من أطرافها ثم لم يدعوا لنا رجلا إلا كتفوه ثم قيل لنا اضربوا وأكثركم

مالك فأخذنا نهرب فمنا من يسقط على وجهه ومنا من يتبلد لا يستطيع أن يبرح عن
مكانه ومنا من يحل كا فه ثم يسعى حتى لا نراه فقال له ما هان اما من رأيت يسقط لوجهه
ومن رأيت يتبلد لا يطيق أن يسعى ولا يتنحى فهم الذين يهلكون وأما الذين رأيت يحلون كافهم
ويسعون فأولئك الذين ينجون ومن ذلك رؤيا رستم الذي كان على جيوش فارس بالقادسية
وكانت القادسية باب فارس في الجاهلية وهي كانت اجمع تلك الأبواب وكان على
جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فرأى رستم بالدير ان ملكا جا حتى دخل عسكر فارس السلاح اجمع فلما نزل رستم النجف
عادت عليه الرؤيا فرأى ذلك الملك ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه
فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه النبي صلى الله
عليه وسلم الى عمر رضي الله عنه فأصبح رستم ولم يزداد حزنا فلما رأى بعض من كان مع رستم
ذلك رغب في الإسلام فأسلم وقتل رستم في تلك الغزاة وهزمت جيوش فارس وافتتحت
بعد ذلك بلادهم كلها وقطع الله عز وجل دابرهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما
بعث بكتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى مزقه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مزق الله ملكه فلم تبق لهم باقية ولا قامت لهم قائمة ولا تقوم بفضل الله عز وجل الى
قيام الساعة وهذا بخلاف هرقل فانه عظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وصانه فصان الله
عز وجل ملكه وبقي الملك في النصارى بعده وذلك الكتاب عند ملوكهم يعظمونه
ويفخرون به الى اليوم ومن تعظيم هرقل الكتاب ما روي انه لما اخرجه فرأى أخو هرقل

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا باسمه اخذ الكتاب بسرقه ابي بحرقه حرير فاخذه هرقل وجعل يده في
صدره ودفعه وقال انت أحمق صغيرا أحمق كبيرا قال صاحب الروض الأنف وقد روي
أن هرقل وضع كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتب اليه في قصبة من ذهب تعظيما له وانهم
لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع صوان وأعز مكان حتى كان عند اذفونش الذي تغلب
على طليطلة وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس ثم كان عند ابن ابنته المعروف بالسليطين قال
صاحب الروض الأنف حدثني بعض أصحابنا انه اخبره من سأله رؤيته من قواد اجناد المسلمين
كان يعرف بعبد الملك بن سعيد قال وأخرجه الي فاستعبرت واردت تقبيله واخذه بيدي
فمنعني من ذلك صيانة له وضنا علي به وأما الضرب الثاني وهو ما كان
زمن التابعين رحمهم الله فمنه رؤيا طارق بن زياد الذي افتتح الأندلس وسمي به جبل طارق الى
اليوم لحلوله فيه حين دخلها وذلك انه فيما ذكر ابن الفياض كان يرى وهو في لجج
البحر حين جاز اليها النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار داخلين معه والنبي صلى
الله عليه وسلم يقول له تقدم لشأنك وأما الضرب الثالث وهو ما كان
من الرؤيا بعد ذلك فمنه ما كان بالقرب من عصر التابعين ومنه ما كان بعد ذلك
فأما ما كان بالقرب من عصر التابعين فمنه ما روي عن مالك بن أنس رحمه الله ونضر وجهه
فمن ذلك ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب التمهيد بسنده عن مصعب بن
عبد الله الزبيري قال سمعت أبي يقول كنت مع مالك بن أنس في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ اتاه رجل فقال أيكم أبو عبد الله فقالوا هذا فجاء فسلم عليه واعتنقه وقبل

بن عيينة وضمه الى صدره وقال والله لقد رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا في هذا الموضع فقال هاتوا مالكا فأتي بك ترتعد فرائصك فقال ليس بك بأس
يا ابا عبد الله وكناك وقال اجلس فجلست فقال افتح حجرك ففتحت فملأه مسكا منثورا وقال
ضمه اليك وبثه في امتي فبكا مالك طويلا وقال الرؤيا تبشر ولا تغر ان صدقت رؤياك فهو
العلم الذي اودعني الله عز وجل فان قلت أليس من رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقد رأى
الحق فان الشيطان لا يتمثل به فما وجه قول مالك الرؤيا تبشر ولا تغر وقوله ان صدقت رؤياك
قلت انما صدر ذلك من مالك رحمه الله على وجه التواضع والاحتقار لنفسه الذي هو
شأن اهل المعرفة واليقين وللخوف من خطر الخاتمة الذي ازعج قلوب العباد الصالحين وأما
قوله ان صدقت رؤياك فمعناه والله اعلم في كونها لي فان الرؤيا قد ترى لشخص وتخرج لولده
او احد اقاربه وقد بسط الكلام في ذلك اهل التعبير ومن ذلك ما ذكره صاحب
كتاب كشف المغطا في فضل الموطا بسنده عن محمد بن رمح قال حججت مع ابي وانا صبي لم
ابلغ الحلم فنمت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبي صلى
الله عليه وسلم قد خرج من القبر وهو متوكئ على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقمت فسلمت
عليهم فردوا علي السلام فقلت يا رسول الله اين انت ذاهب قال أقيم لمالك الصراط المستقيم
فانتبهت وأتيت انا وابي فوجدت الناس مجتمعين على مالك رضي الله عنه وقد اخرج لهم
الموطا وكان اول اول خروج الموطا وذكر ايضا بسنده عن محمد بن ابي العيش العيسلاني
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله حدثني بعلم
احدث

أحدث به عنك قال اني قد أوعزت الى مالك بكنز يفرغه عليكم ثم مضى وتبعته فقلت يا رسول
الله حدثني بعلم أحدث به عنك قال اني قد أوعزت الى مالك بكنز يفرغه عليكم ثم مضى ثم
تبعته فقلت يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن ابي السري اني قد اوعزت الى مالك بن انس بكنز يفرغه عليكم الا وهو الموطا الا وليس
بعد كتاب الله عز وجل ولا سنتي في اجماع المسلمين حديث اصح من الموطا فاسمعه تنتفع به
وحكى ايضا بسنده عن خلف بن عمر قال كنت عند مالك بن انس رضي الله عنه فاتاه ابن كثير
وقال آخر رواة الحديث ابن ابي كثير وهو الصواب وقالوا قارئ المدينة فناوله رقعة فنظر
فيها مالك ثم جعلها تحت مصلاه فلما قام من عنده ذهبت اقوم فقال اثبت يا خلف فناولني
الرقعة فاذا فيها رأيت الليلة في منامي كانه يقال لي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد فاتيت المسجد فاذا انا بجنة من القبر انفرجت واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
والناس يقولون يا رسول الله اعطنا يا رسول الله نولنا فقال لهم اني كنزت تحت هذا المنبر
كنزا وقد امرت مالكا ان يقسمه فيكم فاذهبوا الى مالك فانصرف الناس وبعضهم يقول
لبعض ما ترون مالكا فاعلا وقالوا ينفذ لما امر وفي رواية اخرى لما امره به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرق مالك وبكا ثم خرجت وتركته على الحال وفي رواية اخرى
تلك الحال واما ما كان بعد ذلك فمنه ما ذكره صاحب كتاب مناقب
الابرار عن ابي الخير الاقطع قال دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وانا بفاقة
فاقمت خمسة ايام ما ذقت ذواقا فتقدمت الى القبر وسلمت على النبي صلى الله عليه

وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت انا ضيفك الليلة يا رسول الله وتحببت ونمت خلف
خلف القبر فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وابو بكر عن يمينه وعمر عن شماله
وعلي بن ابي طالب بين يديه فحركني علي وقال قم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فقمت اليه وقبلت بين عينيه فدفع الي رغيفا فأكلت بعضه وانتبهت واذا
في يدي نصف ومن ذلك ما اخبرني به من اثق قال اخبرني رجل انه كان ببلاد
العراق واراد المسير الى الحج فقال له رجل مسار اليه اذا اتيت المدينة فابلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلامي وقل له يا رسول الله لولا ضجيعاك زرتك قال فلما بلغت
المدينة بلغت ما قال لي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي صلى الله عليه
وسلم ما الذي قال لك فلان فقلت له ما قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
حصاة ورمى بها بيده المباركة وقال هذه الى العراق فلما عدت الى العراق سألت
عن الرجل فقيل كان في اليوم الفلاني جالسا تحت هذه الاسطوانة فسقطت عليه
فشدخته ووجد الاسطوانة قد اقيم مكانها اخرى جديدة وكان ذلك في ذلك وفي
تلك الساعة • ومنه ما رآه بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر
وعمر رضي الله عنهما وهم جلوس فعبر رجل فقال ابو بكر وعمر يا رسول الله هذا يسبنا
ويؤذينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قم فاذبحه فقام عمر رضي الله عنه
فأضجعه وذبحه قال فانتبهت من نومي فسمعت الصراخ فسألت فقيل لي
مات فلان بالذباح ومما يتعلق بهذا ما اخبرني به السادة الشرفاء القادمين
علينا

علينا من المشرق نفعنا الله بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم قال رأيت قبرا بمكة يعتني به
ويبيض فيصبح من الغداة وفيه سواد من اثر النار كأن قدر الطبخ بإزائه ولحفر موضع
ذلك السواد فيوجد متصلا بباطن الارض وقد أغشي بذلك القبر مرارا وضربت
عليه أخبية وقام هناك رصد فيصبح القبر من صبيحة الليلة التي يقام فيها الرصد
بعد تبييضه على حالة السواد حتى سمي القبر الاسود فسألت شيخا هناك عن سبب
ذلك فقال هذا رجل كان من اهل البصرة وكان يبغض ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
ومن ذلك ما رآه بعض اهل السنة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
ومعي شخص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل علي ويعرض عن ذلك الشخص
فلم يظهر لي في ذلك الوقت سبب إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنه فلما كان بعد
ذلك فارق الرجل مذهب اهل السنة واعتقد مذهب اهل البدعة ومن ذلك
ان بعضهم سئل عن سبب توبته فقال كنت كثير السبيل فاختلجت عيني ذات يوم
فسألت عن ذلك بعض الناس فقال لي ترى من تحب فقلت والله ما أحب الا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا أحب الا رؤيته فلما جن الليل ونمت رأيته في النوم مبتسما
ففهمت منه كلاما وهو يقول هذا الذي بشروك به قد كان وقد وصلت الى ما تمنيت
ثم قال لي أتحبني قلت وأي حب قال صدقت في محبتي فالزم سنتي وشريعتي فقلت
والذي بعثك بالحق لا عصيت الله بعدها وقمت من ساعتي ودخلت على
الشبلي فوجدت عنده قوالا يقول هذا

بأمر أطافت النجوم به لم يكتسب في جماله عيبا
تختلج العين قبل رؤيته كأنما العين تعلم الغيبا

فتعجبت من ذلك ومن موافقته الحالي وعرفت الشبلي بقصتي وأقبلت أياما لا آكل ولا
أشرب إلا أسمع هذا الصوت ومن ذلك أن رجلا كان بمقصورة الجامع ببعض
بلاد الأندلس وكان أعمى فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فسأله أن يدعو
له صلى الله عليه وسلم أن يذهب الله عنه العمى فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم أو
قال مسح بيده المباركة على وجهه فأبصر الرجل في المنام فقال يا رسول الله إني أخاف
أن يكذبني الناس فاجعل لي إمارة تصدقني فأشار بيده المباركة إلى رخامة كانت بحائط
المقصورة فانطبعت صورة كفه المباركة في الرخامة كما ينطبع الكف في العجين فلما أصبح
الرجل أخبر الناس فصدقه قوم وكذبه آخرون واعتقدوا أنه كان يدعي العمى وهو
بصير وكان يعمل لذلك فقال إني خشيت هذا وقد سألته صلى الله عليه وسلم أن يجعل
لي إمارة ففعل وأراهم الرخامة فحينئذ ايقنوا وحققوا بأنهم كانوا يعرفونها ملساء لا أثر
فيها **وأما الصنف السادس** وهو ما كان في هذا العصر ومن ذلك
ما سمعت شيخنا الفقيه الإمام الصالح أبا عبد الله رحمة الله عليه قال قدم رجل
من المشرق فقال رأيت عجبا فقلنا ما هو قال رأيت رجلا مقطوع اللسان يتكلم
بكلام فصيح فذكر أنه كان ذهب لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه
صلى الله عليه وسلم ثم سلم على قبر أبي بكر رضي الله عنه ثم على قبر عمر رضي الله عنه فأتاه
رجل

رجل فدعاه إلى داره فلما دخل الدار غلق الأبواب ثم أدخله إلى موضع في الدار فوجد فيه عشرة
رجال فقال لهم هذا منهم فأخذوه وأوثقوه وأضجعوه وقطعوا لسانه فلما كان في الليل أخرجوه
فطرحوه في بعض أزقة المدينة وهو بحال لا يعقل فيها فرأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما
صنع به من أجلكما فما جزاؤه عندكما فقالا جزاؤه عندك يا رسول الله ألا ندخل الجنة حتى
يدخلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أنا له أذن قال فدنوت فقال
لي افتح فمك ففتحت فمي فتفل فيه صلى الله عليه وسلم فأصبحت لم يبن بي داء وأنا أتكلم بكلام
فصيح وأخبرني بعض الطلبة من أهل المغرب أن هذه القصة مشهورة بالمغرب وأن
الرجل المذكور يعرف بالفشتالي ومن ذلك ما حدث به بعض الفقهاء القادمين علينا
من المشرق قال كنا يوما بمجلس شيخنا في الدرس والشيخ يقرر الحجة على أن الواو لا تكون
للترتيب ويقول لنا إنها استعملت في الترتيب ولا تكون حقيقة في غير الترتيب دفعا
للاشتراك فدخل رجل عليه ثوب أزرق في يده من أثر لون الثوب ما يدل على أنه
كان يحيطه فلما سمع الدليل عارضه وقال لنا إنها استعملت في غير الترتيب فلا تكون
حقيقة في الترتيب دفعا للاشتراك قال فأجاب الشيخ عن الاعتراض ولم يذكر المخبر
بالحكاية ما أجاب به والجواب أن استعمالها في غير الترتيب أكثر والكثرة
دليل الحقيقة وأيضا فإنها لا تستعمل في الترتيب إلا بقرينة بخلاف غير الترتيب
فدل على أنها حقيقة في غير الترتيب مجاز في الترتيب قال ثم سئل الرجل عن حاله وسبب

قدومه فقال مسئلتي غريبة وذكر انه كان على مذهب من لا يصدق بالنبوة من الفلاسفة
وانه كان يأخذ نفسه بالفراسة في الناس فاذا رأى شخصا استدل بدلائل خلقته على
مقتضى جبلته وطبيعته قال فحضرت يوما مجلس الآمدي فاورد في اثبات النبوة
نحو سبعين دليلا وظهرت لي فيها اشكالات لم استطع ان اظهرها خشية على نفسي
فنمت في تلك الليلة فرأيت شخصا لم تر عيني قط اكمل منه خلقة ولا اتم صورة ولا احسن
بهجة بيان فاه بالنسبة الى جسمه فيهما رقة لكنهما في غاية الصلابة والوثاقة فقلت
في نفسي ان يكن شخص في الوجود كامل فهو هذا الشخص قال فجلس وجلست بين يديه
فاخبرني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اذكر الاشكالات التي وقعت
في نفسك قال فذكرتها فاجاب عنها صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم اعترض
قلت حاش لله يا رسول الله ان اعترض عليك فقال صلى الله عليه وسلم لا امنعني كما
تمنع الخصم فامتثلت امره صلى الله عليه وسلم واوردت عليه وهو صلى الله عليه
وسلم يجيب حتى لم يبق في نفسي اعتراض ولا اشكال قال فقال لي بعد ذلك صلى الله
عليه وسلم انما بعثت مبينا فمن ابى فالسيف قال فتبت بين يديه الى الله عز وجل
وقضيت صلاة ثلاثين سنة وصرت متى عرض لي اشكال في مسئلة رأيته في المنام
صلى الله عليه وسلم بينه لي عني فرأيته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال لي الا تزورنا
يا عز وكان يسمى عز الدين فقلت يا رسول الله ليس لي مال فقال لي البستان الذي
ورثته من ابيك بعه وزرنا بثمنه قال ففعلت وكان يقول شيخي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال

قال الراوي ثم حججت بعد ذلك فالفيته مجاورا بمكة ادام الله شرفها وكنت اسأله
عن مشكلات في اصول الدين فيجيب فيها وقال لي هذه الاشكالات للمتوسط في العلم
فان المنتهي لا يعرض له لان ما عنده من القواعد يحلها والمبتدي لا خبر عنده فيها ومن
ذلك ما حكاه شاب قدم علينا من اهل الاندلس من اهل مجريط فذكر انه كان
نصرانيا وكان يقرأ الانجيل في صغره فرأى في المنام كان له جناحا بريش وهو يطير
به فمر على اودية وقفار وغير ذلك حتى انتهى الى ثلث صوامع اثنتان صغيرتان والواحدة
كبيرة وهي وسطهما فنزل على تلك الكبيرة وهو يخوف السقوط فلما اصبح فاخبر اباه
فذهب الى المعلم الذي كان يعلمه الانجيل فسأله عن تفسيرها فقال له بعد شهر يظهر
لك اثرها قال فلما اتيت اليه بعد ذلك قال انت رأيت الرؤيا قلت نعم قال لا بد ان يقع
على هؤلاء كلهم قال واظن انه كان مسلما في الباطن ولما انقضى الشهر رأيت في المنام من
يضربني في صدري ويقول لي يا فلان يا اخي قل لا اله الا الله محمد رسول الله فاقول له
كيف اكفر واقرأ العشر كلمات استعاذة منه لاعتقادي انه شيطان ويعود لمثل
ذلك ولا ارى له شخصا فاخبرت والدي فقال لي اياك ان تكفر فاقتلك قال فقلت في
نفسي في يوم لو رأيت هذا الذي غالطني ثم اجبته فلما نمت رأيته يضربني على العادة
العادة ويقول لا اله الا الله محمد رسول الله فانك تراني فقلت لا اله الا الله محمد رسول
الله فرأيته فاذا بشيخ ابيض اللحية طويلها ابيض الثياب فقال لي يا عبد الله ولم يدعني
باسمي الاول فسمعني ابي وانا اقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال فاخذ السيف

وأمسك بشعر رأسي يريد قتلي فرأيت من يمسكه عني ويحبس يده ثم جاءت أمي فقالت له الشيطان
يتكلم على لسانه وأنت تريد قتله فتركني فلما كان من الغد حفر مطمورا وألقاني فيه مع جماعة
من الأسارى فلما حصلت أسفل المطمور فإذا الشيخ فكان يعلمني الصلاة والقرآن وأقمت كذلك
مدة إلى أن قال لي يوما لو أردت لجعلت لك طريقا من هنا إلى بلاد الإسلام ولكن إنما أريد أن
أخرجك وكلهم يراك وأبوك يخرجك غدا فإذا قال لك زال عنك ما كان بك فقل نعم قال فكان
كذلك فبينا أنا في يوم أتحدث مع أبي أتى الشيخ فجلس إلى جانبي فقال استأذن أباك في أن تزور
عمك وكان والي مدينة بيننا وبينها ثلاثة أيام فاستأذنته فأذن لي فقال لي الشيخ عرّف
أمك أنك إنما تمشي إلى بلاد الإسلام فعرفتها فبكت وأذنت في ذلك خوفا علي من الأب
أن يعلم بإسلامي وأعطتني مالا وأتيت عمي فأعطاني أيضا مالا فأمرني الشيخ أن أشتري
لسبعة عشر رجلا كانوا أسارى بيانا من بنات النصارى وأخرجهم معي ففعلت ذلك وخرجت
إلى بلاد الإسلام وحضرت غزاة للمسلمين في النصارى قال وسألت الشيخ عن حاله قال ألا
تزورني فقلت من أنت فأزورك فقال صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثت إليك فجئتك عزمت على الحج ومن ذلك ما رأت امرأة من أهل توزر حرسها
الله عام ثمانية وستين وستمائة وكان عام غلاء فتعلقت نفوس الناس برجاء الثمار
فلما أطلعت النخل وجبّ طلعها تناثر جله وسقط فضعفت نفوس الناس لذلك وكانت
امرأة مريضة فرأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت فقلت له يا رسول الله إن الناس رجوا
هذه الغلة فسقط كثير مما انعقد منها قالت فأخذ رداءه وبسطه على جنات مدينة توزر
وقال

وقال صلى الله عليه وسلم ما بقي فيه البركة فكان في ذلك العام آية من آيات الله عز وجل ومعجزة
من معجزاته صلى الله عليه وسلم شاهدها وأخبر بها وذلك أن النخيل لما أزهت صار حملها موفرا
كأنه لم يسقط منه شيء ومن ذلك شأن الثمار في كل عام التساقط إذا هبت الرياح بخلاف
ذلك العام فإنها كانت تهب حتى تزعزع النخل من شدة هبوبها ومع ذلك لا يسقط من الثمار
شيء ولقد كان معي بعض الأصحاب في بعض الجنات يوما فنبهته على هذه الآية وبقينا نتأمل النخيل
مع هبوب الأرياح فلا نرى شيئا يسقط منها البتة ثم إنه رأى ثمرة واحدة في أصل نخلة فقال
هذه سقطت وأتينا إليها فوجدناها ذات صمغ فعلمنا أن سقوطها لفسادها وعدم الانتفاع
بها وكانت فيها آية أخرى أنها لم تفسد في ذلك العام بمطر ولا أصابها معه شيء البتة
ومع ذلك كانت الثمار من أحسن الثمار في اللين والرطوبة والعادة أن العام الذي لا يكون فيه
مطر البتة تكون الثمار فيه يابسة لجفافها بدوام الشمس ثم كانت فيها آية أخرى وهي أن
العادة الجارية أن الثمار تخرص في كل عام فيتفاوت الناس في ذلك فمنهم من تزيد الثمرة
على خرصه ومنهم من تنقص عنه ومنهم من تقاربه أو توافقه إلا في ذلك العام فإن
الناس كلهم تساووا في الزيادة فلم يسمع من أحد من الناس أن الخرص نقصه بل زاد
زيادة خارجة عن المعتاد فمن خرص مائة وجد مائة وخمسين وأزيد من ذلك
وعلى هذه النسبة ثم بيعت بعد ذلك بأغلى الأثمان وتنوفس فيها في العام بخلاف سائر
الأعوام ثم كانت النفوس مع ذلك شباعا ومن ذلك أنه طرأ لي في وقت
أمر تخوفت حتى أشار علي بعض الأصحاب بالانتقال وصوب الآخر في الانفصال

والارتحال فرأيت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم عند دار شيخنا الفقيه ابي عبد
الله بن سمدون وهو صلى الله عليه وسلم راكب على فرس وبده اليمنى المباركة مبسوطة
على فخذه اليمنى فأتيت اليه وقبلت رجله الشريفة صلى الله عليه وسلم فلما اصبحت
ذهب عني ما كنت اجد من الخوف ووجدت في قلبي من القوة والجلد ما لم التفت معه
الى شيء واضمحل ذلك الامر بقدرة الله عز وجل ولم يبرز له اثر في الوجود ببركته صلى الله
عليه وسلم ومن ذلك انه اصابني مرض عام سبعة وستين يوما وطالت مدته
حتى نحل الجسم واختلت القوى فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام في موضع
الجامع الاعظم بمدينة توزر حرسها الله جالسا مستندا الى حائط مستقبل القبلة
وبين يديه جماعة استداروا به وانا احدهم وهو صلى الله عليه وسلم قد مد يديه
المباركتين الكريمتين بالدعاء وكانا بين يديه نلتمس بركة ذلك الدعاء الا اني لم اسمع من
ذلك الدعاء شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يجهر به فانتبهت من ذلك المنام واصبحت
من الغد وقد وجدت من القوة ما صعدت على رجلين الى اعلى الدار بعد ان كنت لا انتقل
من مكاني الا بتكلف شديد او بمعين وما زلت بفضل الله عز وجل وبركته صلى الله
عليه وسلم مستنقها للصحة حتى استقللت في اقرب وقت بحمد الله عز وجل وبركة
رسوله الرضا المختار صلى الله عليه وعلى آله صلاة تملا الافاق نورا والقلوب بهجة
وسرورا **وهذه خاتمة الابواب** والله الموفق للصواب وهذا
اخر كتاب الغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الخطوط الصهرية والمفاخر المحمدية

وقد

وقد اوردت فيه بعون الله عز وجل من الابيات ما سهل ايراده وتيسر اطراده ولم امل
فيه الى الاطناب والاكثار والاحتفال في ايراد الاثار رغبة في الاختصار وايثارا
للاقتصار فالبحر المحيط لا تدرك غايته ولا تبلغ نهايته وانما للناظر اليه لمح النظر
وللواصف منه باع القصر ووسم القصور والحصر وقد جعلت هذا التصنيف
على قسمتين احداهما ادرجت شرح مشكلها اثنائها والاخرى عقبت بذلك بنائها
وختمته بالحمد لله الذي احيا القلوب بوابل الاحسان
ثم الصلاة على النبي محمد ابدا مشرق عالم الانسان
كمل الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ووافق الفراغ منه عشية نهار الجمعة
الرابعة عشرة من جمادى الاخرة من شهور سنة خمس وخمسين وسبعماية من الهجرة النبوية
والصلاة والسلام الاكملان الاتمان على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وازواجه
وذريته وشيعته والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا